



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي  
قسم اللغة والأدب العربي



مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

# الأدباء الشهداء في الجزائر



كتاب جماعي

الطبعة  
الأولى

من إصدارات مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده  
- جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي -

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي  
قسم اللغة والأدب العربي

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

# الأدباء الشهداء في الجزائر

كتاب جماعي

الطبعة  
الأولى

من إصدارات مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده  
- جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



عنوان الكتاب: الأدياء الشهداء في الجزائر

كتاب جماعي

الطبعة الأولى

1445 هـ - 2024 م

ردمك: 978-9969-9718-0-4

الإخراج الفني: هارون غربي

الإيداع القانوني: جانفي 2024

جميع الحقوق محفوظة

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو  
الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي على أشرطة أو  
أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات،  
واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.



الحرية، العدالة، الانسانية، ثلاث كلمات سماوية، معناه الرحمة الشفقة  
السعادة البشرية، أتت بها الأديان لسعادة البشر، لكن الإنسان، بما فطر عليه من  
الأنانية وحب الذات، الإنسان بما فطر عليه من الشرور والأثام، أبقى إلا أن يشوه  
معاني هذه الكلمات السامية... فكم من جرائم ترتكب باسم العدالة، وكم من  
مظالم باسم الحرية، وكم من وحشية باسم الإنسانية...

الشهيد أحمد رضا حوحو



## محاور الاستكتاب

- 1- في مفهوم أدب الشهادة وفعل المقاومة الفكرية.
- 2- الأدباء الشهداء : السيرة والإبداع
- 3- صورة الشهيد في الإبداع الأدبي الجزائري.
- 4- الأدباء الشهداء الشعراء.
- 5- الأدباء الشهداء الكتاب.(رواية- قصة - مسرح...إلخ)
- 6- الأدباء الشهداء في الشعر الشعبي
- 7- الأدباء الشهداء في الفكر والثقافة و الفن.
- 8- بليوغرافيا الأدباء الشهداء في الجزائر.

## اللجنة العلمية للاستكتاب

أ.د. نوال بومعزة	مديرة الاستكتاب:
د. فطيمة الزهراء حفري	رئيس اللجنة العلمية:
د فوزية تقار	مقرر اللجنة العلمية:

## المحكّمون من داخل الجامعة

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د مسعود وقاد
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د دلّال وشن
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د حمزة حمادة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د نبيل مزوار
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د يوسف العايب
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د علي حميداتو
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د كمال بن عمر
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د العيد حنكة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د محمد الصديق معوش
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د سعد مردف
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د نوال بومعزة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د اسمهان ميزاب
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د عبد الكريم خليل
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د علي كرباع
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	أ.د زينب قوني
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. علي دغمان
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د، السعيد قرفي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. فريد خلفاوي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. عقيلة قرورو
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. عبد العزيز مصباحي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. فتيحة حسيني
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. سليم حمدان
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. سهيلة بن عمر
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. سلاف بعزیز
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. حسين مشاركة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. سعد حمادة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. ياسمينة عوادي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. نعيم قعر المثرى
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. عبد الرشيد هميسي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. خليفة قعيد
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. ثريا برجوح
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. العلي مسعودي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. عبد القادر عزام عوادي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. فضيلة بوجلخة
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. مسعودة الساكر
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. عائشة جباري
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. كلثوم زيننه
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	د. أمينة تيجاني

## المحكومون من خارج الجامعة

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس	أد حبيب مونسي
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	أد يوسف وغليسي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أد أمال لواتي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أد ليلي لعوير
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أد عبد الناصر بن طناش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	أد زين الدين بن موسى
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي	أد سكيينة قدور
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	أد صالح جديد
جامعة الشاذلي بن جديد الطارف	أد حني عبد اللطيف
جامعة الشيخ العربي التبسي تبسة	أد رزيق بوزغاية

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة	د خالدية جاب الله
جامعة باجي مختار عنابة	د. نعيمة بوسكين
جامعة الحاج لخضر باتنة 1	د الصالح زاكور
المركز الجامعي بركة	د. فطيمة الزهرة عطية
جامعة الشريف مساعديّة سوق أهراس	د. صورية داودي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة	د. فتيحة غزالي
جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة	د. ريمة لعواس

## فهرس المحتويات

1	تصدير .....
8	الأدباء الشهداء من منظور النقد الجزائري الحديث .....
23	توظيف التراث الشعبي في رواية نجل الفقير لمولود فرعون .....
38	الأدباء الشهداء بين المقاومة والشعرية .....
45	جدلية الفني والتاريخي في روايات مولود فرعون-رواية ابن الفقير والدروب الوعة أنموذجا .....
58	حجية التناص في مقالات الشيخ الشهيد العربي التبسي .....
80	المكان في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو دلالاته وجماليته .....
	L'image du martyr dans Le Fils du Pauvre de Mouloud Feraoun: un
96	témoignage de résistance, d'identité et de mémoire collective .....
110	صورة الشهيد في ديوان الشهيد الربيع بوشامة .....
126	"شاعر الثورة بين الالتزام والفن" .....
139	بيبلوغرافيا الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (مسيرة النضال الفكري والسياسي) .....
149	إسهامات الأديب "أحمد رضا حوحو" في جريدة البصائر .....
165	المسرح عند الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو .....
182	جماليات التبئير في أدب الشهيد أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" أنموذجا .....
201	مظاهر الصراع الأيديولوجي في رواية (الدروب الوعة) .....
227	الشاعر الربيع بوشامة؛ المصلح، المبدع، الشهيد .....
252	محمد الأمين العمودي شهيد السلاح والقلم (جدلية الدّم والحر) .....
	حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة "قصة عائشة لأحمد رضا حوحو" مقارنة على منوال
263	النقد الثقافي .....

274	جمالفة الإبداع الأدبف لشهداء الجزائر بفن جدلفف المداد والدماء .....
288	الأدبف الشفهد الشفخ العربف التبسف .....
304	منسوب الحنن وثورة الأهواء قراءة فف قصفدة "حب وحنن" ضمن سفمفاء الأهواء للشاعر الشفهد الربفب بوشامة .....
315	الشفخ مء السعفد الزاهرف؁ حفاة وأدبه .....
336	حفرفاة فف أدب الشفهادة وتأملاة فف مةون أدبفة جزائرفة .....
348	صورة الشفهد فف قصفدة "الذبفح الصاعد" لمفدف زكرفاء .....
359	مء الأمفن العمودف حفاة الأدبفة ونضاله الثورف .....
373	جمالفاة الأسلوب فف الخطاب الشّعرفف عند الشّاعر الربفب بوشامة .....
388	الشّهدف الحببف بنّاسف - حفاة ونضاله السّياسف والأدبف - .....
401	القصة الجزائرفة القصرفة - المفهوم والتصواراة - .....

## تصدير

الحمد لله الذي كتب الشهادة على المؤمنين، وجعل مراتب الشهداء في أعلى عليين، والصلاة والسلام على خير عباده المرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الشهادة صورة من صور الموت غيّرت الرؤية العبيثية للحياة منذ إشراقه الإسلام الأولى، بعد أن كان الإنسان الجاهلي ومنه الشاعر يقاوم تشاؤمه وقلقه، ورعبه وخوفه، ويقهر جهله وعدم فهمه لمعنى وجوده بالبكاء على الطلل ومعاقرة الخمر وعشق المرأة والتغني بالفروسية، وتفتقر عنده مباح الحياة بكآبة الموت في ظل انعدام رؤية إيمانية لهما، فامتزجت أشعاره بالحزن والفرح، والعبث والجد، والألم واللذة، والفناء والبقاء. وقد عبرت الخنساء عن تغير هذه الرؤية بعد أن فاض شعرها بالعويل والتفجع على أخويها صخر ومعاوية، لكنها استقبلت خير موت أبناءها الأربعة في معركة القادسية بحبور وصبر وقالت قولتها الشهيرة التي تجملت بالإيمان "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته"، فما هو سر هذا التحول العجيب؟! إنها نفحة الإيمان التي تسربت إلى أعماق الإنسان بعد أن حدثه القرآن الكريم عن الموت في ظل العقيدة والمبدأ والحق، وفي ظل استخلاف الأرض ورسالة إعمار الوجود. وذلك في قوله تعالى: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (آل عمران: 169).

وأصبح موضوع الشهادة في ظل الإسلام فنا جديدا امتزج بالثناء والفخر والحماسة، وصاحب المعارك والفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون من شبه الجزيرة العربية حتى بلاد فارس والروم وغيرها من البقاع والأقاصي. واستمر هذا الموضوع رغم تغير الزمان والمكان متعايشا مع الرؤية الثابتة لقداسة الشهادة وقيمة الشهيد، بعد أن توثقت بالرؤية الإسلامية للكون والحياة والقيم والمصير، وبقيت على مدى تعاقب الخطابات الأدبية، يتخللها الإحياء والتجديد في معناها ومبناها، وظلت تؤكد على أن الشهادة في سبيل الله هي القمة الشماء التي لا يرق إليها إلا كل من صفت نفسه وصحت عزيمته على أن يكون المثال والقُدوة بجرأة وثقة وإصرار على الوصول إلى غايات الأمة وسبل عزتها، "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"

(المنافقون/8). وكان جلاء هذه الحقيقة ذا قيمة جلييلة في إنشاء تصور للحركة الكونية التي تتنوع معها صور الحياة، وهذا ما يفسر لنا سر اتصال مواكب الشهداء وسر الوقائع الظاهرة التي انتزع فيها المسلمون النصر بإلحاحهم على فكرة الشهادة، يستنهضون بها الهمم ويبعثون الحماس ويشدون العزائم. كما ارتبطت الشهادة بالجهاد الذي يُعدّ سبيل الخلاص من كيد الأعداء والظالمين، وتكالب قوى الشر على اختلاف منازعها وعصورها، وهو درب الحياة الحرة الكريمة، فدفع الظلم والعدوان لا يكون إلا بتنمية الروح الجهادية التي تحسم الموقف الثابت، يقول تعالى: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ" (الأنفال/60).

واقترنت الشهادة بالحرية لتصبح لونا من الحرية الروحية المهيبة، حيث التحرر من الجسد والمال والجاه وتحطيم كل القيود الدنيوية من أجل تحقيق حرية أسمى، لأنّ الإنسان المسلم آمن بحريته وكرامته في ظلال الإسلام الذي خلصه من رق وعبودية التفكير الوثني والسلوك غير الأخلاقي لتشيع معاني العدل والمساواة، وهذا التحرر الروحي والوجداني جعله يرفض الخضوع لأي سلطان إلا سلطان الواحد الأحد، وهو الموقف المتميز في تأكيد الذات المسلمة في معاركها ضد الظلم والكفر والطغيان، بعد أن أثرت عن عمر بن الخطاب ؓ "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا". فهي حرية تبدأ من ضمير الفرد وتنتهي في محيط الجماعة والأمة.

وتشكّلت الشهادة من القوة الصامدة التي لا تستثني العزيمة والإرادة والتحدي والصبر للمواجهة والتدافع والقتال رغم نيران المدافع والقنابل، ومشانق وسلاسل السجون، فهذا الفرد الفاني الذي يستطيع أن يصنع مواقف مدهشة، وينشئ أحداثا ضخمة يملك في لحظة أن يتصل بقوة الأزل، وأن يمتد في الكون الفسيح، إيماننا منه بأن الدار الباقية خير من الدار الفانية، وقد قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (آل عمران/20).

واتصلت الشهادة بديمومة الحياة التي كانت تكريما إلهيا يجعل النفوس المؤمنة تستعذب

الموت وتتمنى مقام الشهداء عند الله، وهي رؤية زمانية للحياة والموت، والدنيا والآخرة، تتخطى الأبعاد الظاهرة لتعبر عن وحدة زمانية تربط عالم الشهادة بعالم الغيب، فإذا بالشهيد الممزق الجسد الذي يحسبه الناس ميتا، هو عند الله حي يرزق، كما استمسكت بالجزء الأوفى، وهو الحافز الذي يدفع إلى التضحيات النادرة بعد الإفلات من شرك الحياة وماديتها، وتتطلع النفس المتحررة والمنظرة والمتسامية إلى الدار الآخرة للثواب والفوز بالجنة والنعيم، حيث يقدم الشهيد ما هو أثنى من الجود بالنفس وهو أقصى غاية الجود، وتصعد روحه إلى بارئها، ليتحقق النصر بعد أن تتخضب الأرض بدمائه الطاهرة.

وأعمق العلاقات الوجودية هي علاقة الشهادة بالعقيدة والهوية والأرض والوطن، إذ أن تحرير الإسلام للإنسان، أيا كانت عقيدته وموطنه من الظلم، هو من صميم المبادئ الإسلامية قبل أي دعوات إنسانية أخرى، ليحقق وجوده الكريم بإلهاب نار الثورات التي اندلعت في الماضي وتندلع في الحاضر والمستقبل، لكي توقظ في المشاعر المؤمنة معاني الجهاد والشهادة، وهو موقف يصدر عن عزة إيمان وعدم احتمال للظلم والباطل، وتحذ لكل من يعارض حرية الرأي والمعتقد والحياة، فيصرخ الفرد الحر من أجل محاربة البؤر الفاسدة التي تنشر الضعف والتقهر، وتسبب الهزائم والانهباء والتراجع الحضاري لهذه الأمة، والكشف عنها بالتنديد والرفض. وغالبا ما يبدأ باللسان والقلم، وينتهي بالنفي والسجن والإعدام الذي تجسدت فيه الشهادة الموصولة بالأمل والإيمان والصبر طلبا للحرية واحترافا بالشهادة.

إن البحث في مفهوم مصطلح أدب الشهادة يُعد محورا مُهمًا في المنظور النقدي الحديث والمعاصر، فقد قلَّ ظهوره بخلفيته المرجعية والنقدية، وشابه التعدد المصطلحي الطبقي والموضوعاتي، فقد كان مصطلحا فرعيا منضويا تحت أدب المقاومة وأدب الثورة وأدب الحرب وأدب السجون والأدب السياسي والأدب الوطني والأدب ما بعد الكولونيالي، واندرج خاصة ضمن أدب المقاومة الذي كتبه الأدباء، ومنهم الشهداء، وكان مزوجة بين التاريخ من حيث هو فعل وحدث، وبين الأدب من حيث هو لغة وتصوير. وتفرد فيما بعد بالتحديد المصطلحي "أدب الشهادة، أدب الشهيد"، وتعدد وتنوع الحديث فيه عن صورة البطل، ومنها صورة الشهيد البطل، وصح أن يكون بطلا لأنه يمثل القيم التي ينشدها دينه ووطنه ومجتمعه، ومضى من أجلها

بخطوات متوثبة متحملا بالإخلاص والتفاني المطلق، سواء في أحداث الزمن الماضي أم الحاضر. وإن تعددت صورة الشهيد وأبعاد الشهادة في التصورات والرؤى، فإنها اتفقت في الغايات والمقاصد الإنسانية في الإبداع الأدبي العربي، وبخاصة في الأدب الجزائري، وبعده الأدب الفلسطيني الذي كان أكثر إنتاجا لهذا الأدب في هذه الألفية، نظرا لتجدد قضية فلسطين وتطور مسارها المقاوم النضالي والثوري.

وما تفرد به هذا الكتاب "الأدباء الشهداء في الجزائر"، هو إظهاره لمصطلح الأدباء الشهداء، حيث كشفت الدراسات الواردة فيه عن حياتهم وآثارهم، وإسهامهم مع غيرهم في الإعلاء من صورة الشهيد بأسى معاني وصور البطولة والتضحية، والذي يتحول إلى رمز ديني ووطني وإنساني من خلال تمجيد مآثره وتخليد ذكراه، فكانت مُتوهمُ الأدبية تعبر بصدق عن شاعرية الشهيد وإحساسه العميق بمطلب الحرية أو الشهادة، وامتزجت فيها بوعي عميق عدة ثنائيات منها ثنائية الالتزام والفن، والحبر والدم، والقلم والسلاح، والحرب والسلام، التي منحها خصوصية جمالية. وقد تعايش أولئك الأدباء مع الواقع النضالي والهاجس الأدبي، وتعالَت أصواتهم الثورية تناضل بقوة الكلمة، حتى كان لهم شرف الاستشهاد، وقد ألهمتهم الثورة الجزائرية إيمانا بعقيدهم وحباً لوطنهم. وتميزت نصوصهم الأدبية بالموهبة الفذة والذوق الحسن، والعمق في التعبير والتصوير والتجاوب الكبير مع موضوعات الإصلاح والثورة والجهاد والشهادة، فخلدوا أدبا استثنائيا لائقا بعظمة استشهادهم.

تمثل تاريخية النص الأدبي مرحلة حاسمة في تاريخ الشخصيات والأحداث والوقائع، ولكن التزام جانب النصية الأدبية هي التي أخرجت أدب الشهادة من الشكل النمطي والصيغة الجاهزة إلى صقل القراءة التي لا تقصي الجمالية، بمحاولة فك وتأويل رموز ودلالات وإحياءات النص، فتجاوز فكرة التحريض المباشر على الثورة والتغيير إلى التحريض الإيحائي التائييري بالنسق الجمالي الذي يُبشر برؤية استشراقية تتسم بالإيمان والتفاؤل. والإمعان في الحكم بأنه ليس أدبا خطايا تقريبا، جاء من استثماره للتخييل والرمز والتناسخ والإيقاع والقص والسردي، لأن شعرية نصوصهم الأدبية عبرت عن وعيمهم بأنّ الشعرية هي التي تحقق وظيفة النص الحجاجية والتداولية ومقاصده في تأثير وإقناع المتلقي المعاصر والمستقبلي بالقضايا الإنسانية المصيرية.

واهتمت الدراسات بأهم الأدباء الشهداء الجزائريين منهم: مولود فرعون، والعربي التبسي، ومحمد السعيد الزاهري، وعبد الكريم العقون، ومحمد الأمين العمودي، والربيع بوشامة، وأحمد رضا حوحو، والحبيب بناسي. وتكررت بعض الأسماء بأكثر من دراسة، واتجهت إلى الربط بين ثنائية المقاومة والشعرية التي عكست تعالق التاريخي والسياسي والثوري مع الفني والجمالي، وأنتجت دلالات عميقة لفعل المقاومة الثقافية في حقبة مهمة من تاريخ الجزائر، وهي تتصدى للظلم والعدوان وتدافع عن قيم الدين واللغة والوطن والهوية. وكانت لهذا الأدب خصائص فكرية وجمالية، خلدت أسماءهم خلوداً أدبياً وروحياً، ودينياً وأخروياً.

وجمعت الدراسات بين اتجاهين، اتجاه قرائي سياقي، وآخر نسقي، من خلال مقاربات تاريخية واجتماعية، وأسلوبية وسيميائية، وموضوعاتية وثقافية حول ما أثر عنهم من الشعر والرواية والقصة والمسرح والمقال والخطابة، وأسهم بعضها في عرض آراء وقراءاتٍ كانت بمثابة مدخل تأسيسي تأصيلي لأدب الشهادة والشهيد، وهي لباحثين جزائريين في مجال النقد والفكر والتاريخ، ومنهم: شريبط أحمد شريبط، ومحمد الصالح رمضان، وعمر بن قينة، وعبد الله ركيبي، وأبو القاسم سعد الله، الذين التفتوا إلى التعريف بالأدباء الشهداء الجزائريين وبمسار حياتهم وجهادهم وآثارهم، وبيّنوا كيف أنهم جمعوا بين النضال الفكري والنضال المسلح. ثم نحا بعضها الآخر إلى عرض قضايا نقدية حديثة وما بعد حديثة، جددت قراءة مدونات الأدباء الشهداء، مرتكزة على دور النسيج السردي ومنه الرواية والقصة، في إبراز واقع المجتمع الجزائري إبان الاحتلال مثل روايات الأديب الشهيد مولود فرعون التي أثّرت حول اثنتين منها: "نجل الفقير"، و"الدروب الوعرة"، مقولات جدل التاريخ والفن، ومظاهر الصراع الإيديولوجي، وخاصة على مستوى الرواية المكتوبة بالفرنسية قبل الاستقلال، وجسدنا صراعاً حاداً على مستوى الأفكار والقيم. وكذلك الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو الذي حُصّ بعرض قضايا فارقة في قصصه ومسرحياته ومقالاته وروايته "غادة أم القرى"، منها ما ارتبط بدلالات المكان وجمالياته، من خلال ما أنجزته الدراسات المكانية، ومنها ما ارتبط باستقراء الأنساق الثقافية حول علاقة المرأة بخطاب التأنيث وعلاقة الهامش الاجتماعي بمركزية السلطة الاستعمارية ودورها في سياسة التخلف والجهل والفقر والحرمان. وأخضعت قصائد الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، ومنها قصيدة "حب

وحنين"، إلى ثورة أهواء الشهيد ضمن سيمياء الأهواء التي كشفت عن مشاعر الفقد والغياب والدمار، وتداخلها مع مشاعر الحنين والحب والأمان، حيث عبرت عواطفه وأحاسيسه عن ثنائية الحرب والسلم. وأحالت إلى جمالية الأسلوب في خطابه الشعري من خلال المقاربة الأسلوبية لإبراز الخصائص الجمالية للقصيدة الثورية.

وجمعت دراسات أخرى بين الأدباء الشهداء العربي التبسي، ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد الأمين لعمودي، الذين كان لهم سجل حافل بالمنجزات الإصلاحية والجهادية والتاريخية والأدبية، وأبانت عن مقالات وقصائد منددة بالاستعمار الغاشم، ورافضة للعبودية والإذلال، وداعية إلى بعث القيم النبيلة والمبادئ الفاضلة لتحقيق التغيير والنهوض. والتفتت إلى الأديب الشهيد الحبيب بناسي الذي لم ينل من التعريف الشمولي، ولم تحظ آثاره الأدبية بالاهتمام النقدي، وقد عرفت بحياته ونضاله السياسي والأدبي واهتمت بقراءة لوحاته القصصية. وجنحت دراسات أخرى إلى رسم معالم صورة الشهيد عند الأدباء ومهم الشهداء، من خلال قصائد الرثاء وسرديات البطولة التي تمثلت فيها صفات الكمال البشري مما جعله نموذجاً للاقتداء والاحتذاء، مثل تقديم صورة الشهيد أحمد زبّانة في قصيدة "الذبيح الصاعد" لمفدي زكريا الذي برع في تقديم صورته المثالية الموصوفة بالنقاء والطهر والفخر والاعتزاز. وكانت القصيدة لوحة شعرية رسمت أروع مشهد خشوع للحظة الشهادة:

قام يختالُ كالمسيحِ ونيداً، يتهاذى نشوانَ، يتلُو النَّشِيدَا  
بِاسِمِ الثَّغْرِ كالملائكِ أو كالمَطْفَلِ يستقبلُ الصَّبَاحَ الجديداً  
حَالِماً كالكَلِيمِ كَلَّمَهُ المجدُ، فشدَّ الحبالَ يبغِي الصُّعُودَا  
وتسامى كالرُّوحِ في ليلةِ القَدْرِ سَلاماً يَشعُ في الكونِ عيداً

تمثلت قيمة الكتاب في غايته المنشودة لبعث الوعي لدى الأجيال القادمة بالتمسك بمبادئ الثورة الجزائرية والهوية الوطنية، ومنحها شحنة روحية للتحدي والاستعلاء على صنوف الانكسار، والتسامي بالارتقاء الروحي من خلال تقديم نماذج إنسانية مثالية خالدة عن الأدباء الشهداء بالتأكيد على نضالهم الفكري والأدبي من أجل الإصلاح والثورة والتغيير والنهوض،

والكشف عن إسهام إبداعاتهم في تقرير مصير الجزائر، وكذلك إبراز خصائصها الموضوعاتية والجمالية، وأثر ذلك على الفكر والتاريخ والثقافة، وهو جانب أدبي متميز من تاريخ الأدب الجزائري. واتسمت قيمته أيضا بالدعوة إلى الانفتاح على هذا الموضوع برؤية موضوعية أوسع لإعادة إحياء وقراءة المنجزات الفكرية والأدبية للأدباء الشهداء في الجزائر، منهم الذين لم يظهروا في هذه الدراسة مثل: محمد الزاهي الميلي، وعلي معاشي، ومحمد العابد الجيلالي، وأحمد بن عاشور، وذلك لأنّ الثورة الجزائرية تبقى من أعظم الثورات التي شهدتها القرن العشرين، ونموذجا يُحتذى لحركات التحرر في العالم، فتبارى الأدباء العرب والغرب في استلهام ملحمة الجزائر وتصويرها وتمجيد أبطالها وشهداءها. ويبقى أدب الشهادة يُشعر المتلقّي بالامتلاء الوجداني والقيمي، ويمسح عنه الآثار النفسية التي تتولد عن النكسات والنكبات. ويؤكد على أنّ الذات العربية المسلمة قادرة على تحقيق المعجزات إذا توفرت لها القيادة الحكيمة.

ولا يسعني في هذا المقام العلمي إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذة الدكتورة الناقدة نوال بومعزة التي وفقت بحسبها المعرفي والوطني في انتقاء موضوع الكتاب: "الأدباء الشهداء في الجزائر"، وفتحت مع الأستاذة الباحثين بطموح نقدي، بابا واسعا للبحث في موضوع أدب الشهادة، وتقديم رؤية موضوعية لجانب مهم من الأدب الجزائري يحتاج إلى إضاءات نقدية تكشف عن قضاياها الفكرية والجمالية وأبعاده الوطنية والعربية والعالمية.

أ.د. أمال لواتي

20 جمادى الأولى 1445/5 ديسمبر 2023

## الأدباء الشهداء من منظور النقد الجزائري الحديث

## Martyr writers from the perspective of modern Algerian criticism

الأستاذ الدكتور/ نوال بومعزة

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده

naoual-boumaza@univ-elued.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في موضوع الأدباء الشهداء في النقد الجزائري، وهو موضوع مغمور من ناحية الدراسات الأدبية والنقدية. نحاول من خلاله إعادة إحياء وجهات نظر كتبت بأقلام نقدية جزائرية، من مثل الناقد الأكاديمي الجزائري شربيط أحمد شربيط التي كانت دراساته من المنجزات النقدية الهامة التي تبحث في النصوص الأدبية الجزائرية التي كتبت قبل الثورة، ومن بينها إبداعات الأدباء الشهداء الذين ضحوا بالنفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الحق. فكانت الدراسة استعراض لأهم آراء الناقد، إضافة إلى ما قدمه المفكر والأديب محمد الصالح رمضان عن شخصية الأديب الشهيد أحمد رضا حوجو.

الكلمات المفتاحية: الأدباء الشهداء، أدب الشهادة، شربيط أحمد شربيط، شعر الثورة، محمد الصالح رمضان.

**Abstract**

The aim of this study is to investigate the topic of the martyrs in Algerian criticism, a topic that is immersed in terms of literary and Critical Studies. In this way, we try to revive points of view written in Algerian critical pens, such as the Algerian academic critic charib Ahmed charib, whose studies were one of the important critical achievements that examines the Algerian literary texts written before the revolution, including the creations of the martyrs who sacrificed themselves for the sake of upholding the word of truth. The study was a review of the most important opinions of the critic, in addition to what the thinker and ideologue Muhammad Al-

Saleh Ramadan provided about the personality of the Martyr Ahmed Reza hawho.

**Key words:** The literature of the martyrs, the literature of martyrdom, sharibat Ahmed sharibat, the poetry of the revolution, Muhammad Al-Saleh Ramadan.

### تمهيد

الشهداء المفكرون أو الأدباء الراحلون بشهادة في سبيل الله والوطن أناس يرحلون. وقد تركوا إرثا عظيما. فكانوا في حياتهم خير قادة وخير قدوة لمن بقي خلفهم، وارتباطهم بالشهادة بشكل من إشكال التضحية، فقد ارتسمت صورة الشهيد في المخيال الجمعي ناصعة البياض.

تزخر صفحات التاريخ الأدبي الجزائري بعدد صور التضحيات التي قدمها ثلة من الأدباء الشهداء كانوا ضحية السلطات الفرنسية على تصفية النخبة المثقفة في الجزائر إلا أن الدراسات والكتب التاريخية والأدبية شحيحة في هذا الموضوع، حيث تنذر الدراسات الأدبية والنقدية التي تعمل على إحياء المنجزات الأدبية والفكرية للأدباء الشهداء في الجزائر، من أمثال: الشيخ العربي التبسي، الربيع بوشامة، أحمد رضا حوحو، عبد الكريم العقون، مولود فرعون، الحبيب بناسي، محمد الزاهي الميلي، محمد الأمين العمودي، علي معاشي وغيرهم.

لقد تنوّعت النصوص الإبداعية للأدباء سابق الذكر، فهناك من أبدع في الفكر والثقافة، وهناك من خاض في مجال الشعر والقافية، وهناك من تخصص في الشعر الشعبي والرواية والقصة والمسرح.

### 1. الأدباء الشهداء في الجزائريين المقاومة والإبداع.

اعتبرت الشهادة في الدين الإسلامي "أرق أنواع الموت، وارتسمت صورة الشهيد في المخيال الجمعي ناصعة البياض، تصاحبها التكبيرات والزغاريد".<sup>1</sup> فباستراتيجية عسكرية مخطط لها عملت السلطات الفرنسية الاستدمارية على تصفية النخبة المثقفة في الجزائر، فقد وصف الكاتب والأكاديمي أحمد حمدي اغتيال هؤلاء الكتاب بأنه "إرهاب دولة"، فقد خطت السلطات

الفرنسية للاغتيالات ونفذتها من خلال منظمات إرهابية، مثل منظمة الجيش السري واليد الحمراء، معتبرا أن من الضروري فتح الأرشيف المتعلق بهذه الاغتيالات التي استهدفت كاتباً جزائريين من الجيل الأول، دافعوا من خلال نصوصهم عن الجزائر والشخصية الجزائرية<sup>2</sup>، فالشهيد المفكر لا يرحل، لأنه يترك أثراً يُتحدّث عنه طيلة الوقت بعد رحيله شهيداً إلى الحياة الأخرى تبقى كلمات الشهداء حاضرة في أذهاننا من بعد مواقفهم تركت أثراً طيباً. فهم أيقونة وعنوان كل نصر أو معركة، يرحل بعضهم جسداً ويبقى فكرياً وإرثهم يستحق أن يُقرأ.

أكد الناقد والمفكر الجزائري عبد الله حمادي: "أن الساحة الثقافية الجزائرية لا تتعرف اليوم إلا على حوالي 15 أديبا شهيدا. لقد عانوا السجن والتعذيب والنفي وصولاً إلى التصفية الجسدية.

من هؤلاء:

- أحمد رضا حوحو 1910 – 1956
- الربيع بوشامة 1916 – 1956
- العربي التبسي 1881 – 1957
- عبد الكريم العقون 1918 – 1959
- مولود فرعون 1913 – 1962
- الحبيب بناسمي 1928 – 1956
- محمد الزاهي المليبي 1904 – 1960
- محمد الأمين العمودي 1891 – 1957

وعلى سبيل المثال لا الحصر "في العاشر من تشرين الأول / أكتوبر 1957 اختطفت السلطات الفرنسية الشاعر الجزائري محمد الأمين العمودي، وهو من مواليد 1891 في منطقة وادي سوف ينتمي إلى أدباء الإصلاح، شاعر ومفكر وأول أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، "فالثقافة الواسعة التي اكتسبها الشيخ محمد الأمين العمودي جعلته يرى الأشياء بمنظار الحق ويثور

على الظلم، ويدعو إلى المساواة بين الفرنسيين والجزائريين، لأن الواقع كان عكس ذلك، فالإدارة الفرنسية كانت تطلق اسم الأهالي على الجزائريين وهذا ما أقلق المستعمر".<sup>3</sup>

أكد مقربون له أن السلطات الفرنسية علمت باحتكاكه بالعديد من المؤسسين الأوائل للثورة الفرنسية، فعثر عليه مقتولا في منطقة لعجبية من مدينة البويرة شرق الجزائر العاصمة، وقد ذكر المفكر أحمد بن زياب: "فإذا جاءت الثورة كان من المغطبتين الشاكرين، وكان يعمل في الخفاء ما استطاع حتى إذا جاء يوم 10 أكتوبر 1957 وجد مرميا بجانب السكة الحديدية قرب البويرة، ذلك أن اليد الحمراء لم ترحم شيخوخته، وقد ناهز السبعين، ولم تشأ أن تقتله علانية، لأنها - فيما يظهر - كانت تريد أن تتحصل منه على بعض الأسرار".<sup>4</sup> ولعل اتجاه هؤلاء المصلحون إلى الأوضاع السيئة التي يعيشها الشعب الجزائري في شعرهم وكتابتهم هو السبب الرئيسي في قتلهم من قبل السلطات المجرمة.

## 2. الأدباء الشهداء في كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر لشريط أحمد شريط.

بورتريه عن المؤلف.

المفكر والناقد الأكاديمي شريط أحمد شريط باحث "ينتمي إلى ذلك الجيل من الكتاب والأدباء الجزائريين، الذي برز في مرحلة السبعينات من القرن المنصرم. صدرت مؤخرا الأعمال الأدبية الكاملة له في طبعة أنيقة من منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات بمدينة عنابة، وبدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، حيث توزعت على عشرة مجلدات ضخمة، جمع فيها الباحث كتاباته المتناثرة بين صحف المجلات والنشريات والكتيبات، والتي يمتد تاريخها إلى أكثر من أربعين سنة"<sup>5</sup> وهو من مواليد 1957 بلدية عين قشرة ولاية سكيكدة، شغل منصب رئيس فرع اتحاد الكتاب الجزائريين.

انصب اهتمام الناقد شريط أحمد شريط على القضايا الفكرية والأدبية والثقافية في الجزائر، فراح يجمعها ويحللها ويدقق في تفاصيلها، شملت الأعمال الكاملة للناقد عشر مجلدات وهي على النحو الآتي:

- المجلد الأول: كتاب الآثار الكاملة للأدبية الجزائرية زليخة السعودي
  - المجلد الثاني والثالث: كتاب تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، وكتاب الخطاب الادبي الجديد: وهم الواقع وعنف المتخيّل.
  - المجلد الرابع: معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين.
  - المجلد الخامس والسادس: كتاب الفواجع والمراجع، إشارات ثقافية وكلام بارد، الإشارات مقاربات في الأدب والثقافة والفكر.
  - المجلد السابع: كتاب جميلة بوحيرد
  - المجلد الثامن: مباحث في الادب الجزائري المعاصر.
  - المجلد التاسع: كتاب الحركة الأدبية المعاصرة في عنابة.
  - المجلد العاشر: في المتخيّل الأدبي.
3. حضور الأدباء الشهداء في كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر.

ضمّ كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر محاور كبرى، تهتم بمسائل النقد الأدبي في الجزائر، وخاصة قضية حضور الطفل في الأدب الجزائري المعاصر. فاستعرض ماهية مصطلح أدب الطفل بين القيمة والشكلية، ومثّل لذلك بشعر الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي.

كما اهتم الناقد شريط أحمد شريط بأدب السجون، فكانت له سابقة في الدراسات النقدية الجزائرية، حيث وجد في القصائد الشعرية الجزائرية الوطنية مادة خام للإجراءات التطبيقية، فاستعرض محنة السجن بين النظريتين التفاضلية والتشاؤمية، ولتأكيد هذه الظاهرة درس قصائد شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، بحكم احتكاكه المباشر بالسجون الفرنسية، فبيّن أن لغة شعره مليئة بالخطاب الثوري والألم.

عاد الناقد في مباحث هذا الكتاب إلى الشاعر محمد الأخضر السائحي معرّفاً بسيرته العلمية والذاتية ومعرّجا على أهم قصائده وحضور الآخر فيها.

ينتقل الناقد إلى شعر رمضان حمود، فاستعرض شخصيته، فهو ظاهرة أدبية ونقدية مميزة، فتطرق للفلسفة الشعرية عنده، من حيث اللغة والصباغة والبنية.

في مستهل هذه المباحث أكد الناقد شريط أحمد شريط على أدب المقاومة من خلال قوله: "كما ظهرت مجموعة من الكتاب والمثقفين الجزائريين بين الحربين العالميتين عملت على بلورة الفكر الوطني وبعث الشخصية الأصيلة المتميزة عن مكونات الهوية الفرنسية، وأبرز عناصر هذه الكوكبية: الأمير خالد، وعمر بن قدور، وعبد الحميد بن باديس، وحمد البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، وعبد الرحمان الجيلالي، ومحمد العابد الجيلالي، وعمر راسم، ومحمد اللقاني بن السايح، وأبو يقطان... وغيرهم"<sup>6</sup>. ويضيف الناقد أن المثقفين الجزائريين وراء "معظم الثورات والانتفاضات الشعبية التي تلت مرحلة المقاومة بقيادة وزعامة: الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري والوسط، والحاج أحمد باي بالشرق الجزائري. فمن ذلك أن الأمير عبد القادر كان مقدما للطريقة القادرية، كما أن ثورة المقراني عام 1871، قد كان وراءها شيوخ الزاوية الرحمانية، وكانت البطلة لالا فاطمة نسومر ابنة محمد بن عيسى مقدم زاوية الشيخ أحمد ميزان على الطريقة الرحمانية، وكان أيضا مقدّم الطريقة الدرقاوية مدعما ومناصرًا لثورة واحة الزعاطشة والزيان"<sup>7</sup>.

وبعد هذا الفرش النظري، يجلي الناقد شريط أحمد شريط مصطلح الأدباء الشهداء أو شهادة الكلمة ويضع عنوانا فرعيا عن المسار الوطني المعاصر، كما نوه في تهميش وضعه أن هذا البحث أُلقي في الملتقى الوطني الأول للكتّاب الشهداء الذي نظّمه اتحاد الكتّاب الجزائريين بالاشتراك مع وزارة المجاهدين والمتحف الوطني للمجاهد بمناسبة اليوم الوطني للشهيد، وقد نشر ضمن أعمال الملتقى.

#### 4. في كتاب من منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1997.

تضمنت المحاضرة الملقاة سنة 1997 محورين أساسيين:

الموضوع الأول: المثقف الجزائري، وتطوّر الوعي الوطني.

الموضوع الثاني: تجارب بعض الأدباء الشهداء الإبداعية مبرزاً مضامين نصوصهم الأدبية، ومواقفهم من الاستعمار.

وقد أكد الناقد في الموضوع الأول أن المثقف الجزائري مثلما وقف إلى جانب صفوف المقاومة الجزائرية من بداياتها الأولى، فإنه أيضاً قد وقف إلى جانب صفوف المقاومة الجزائرية منذ بداياتها الأولى، فإنه أيضاً وقف إلى جانب اندلاع الثورة التحريرية المباركة، فكتب عن المعارك وبطولات المجاهدين، ومجد انتصاراتهم وتضحياتهم ولم يقف المثقف الجزائري متفرجاً، وإنما التحق بالعديد من الأدباء والعلماء بصفوف جيش التحرير الوطني: العربي التبسي، ومحمد العابد الجيلالي، وعبد الله الركيبي، ومحمد الميلي، والربيع بوشامة والحبيب بناسي وغيرهم<sup>8</sup>.

يعرّج الناقد شريط أحمد شريط إلى موضوع الأدباء الشهداء من خلال التركيز على ذكر بعض الأعلام من مثل: أحمد رضا حوحو، والأمين العمودي، والربيع بوشامة، وعبد الكريم العقون، ومولود فرعون، والحبيب بناسي. لقد اقتصر الناقد على هذه الأسماء، فحين يذكر الناقد والمفكر الجزائري عبد الله حمادي "أن الساحة الثقافية الجزائرية لا تعرف اليوم إلا على حوالي 15 أديبا شهيدا. وقد كانت كتاباتهم بمثابة تأسيس للفكر الثوري"<sup>9</sup> وبالرغم من أن إطلالة الناقد شريط أحمد شريط كانت خاطفة عن مسيرة وحياتة الأدباء الشهداء إلا أن العمل كان سابقة واعتراف في حق هؤلاء، فقد قدّم الناقد كل من:

#### أ- الأديب أحمد رضا حوحو بين المسرح والقصة القصيرة.

ذكر الناقد أن "الأديب أحمد رضا حوحو أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية، فهو وبالرغم من أنه خريج مدرسة فرنسية بمدينة سكيكدة إلا أنه أثر الكتابة الإبداعية باللغة العربية، رغم تمكنه الجيد من اللغة الفرنسية، وإطلاعه الواسع على آدابها، خصوصا الكتابات الأدبية الفرنسية التي ظهرت في عصر النهضة، حيث كان معجبا بالكاتب الفرنسي "فيكتو هيجو" وغيره من كتاب النهضة"<sup>10</sup> لم يفصل الناقد كثيرا في المسيرة الحياتية للأديب، بل راح يركز اهتمامه على مؤلفاته الإبداعية في القصة القصيرة، فذكر صاحبة الوحي وقصص أخرى ومجموعة "نماذج بشرية". أما في الرواية فنجد له عملا واحدا هو رواية غادة أم القرى التي صدرت

طبعها الأولى عام 1947 بتونس. أما المجال الإبداعي الذي تألق فيه الأديب هو المسرح فقد ألف وترجم واقتبس العديد من المسرحيات من مثل مسرحية عنبسة التي مُثّلت على خشبة المسرح الوطني عام 1969.

لفتت الكتابات الواقعية للأديب أحمد رضا حوحو انتباه الناقد شريط أحمد شريط عندما صرّح: "تتميز كتابات أحمد رضا حوحو بالواقعية، فهو يأخذ موضوعاته من الواقع المعيش، كما أنه يستمد من معارفه والشخصيات التي يعيش بينها مواد خام لقصصه. ويبرز هذا الأسلوب على الخصوص في مجموعته النماذج بشرية إذ تمثل نصوص هذه المجموعة نماذج لطريقته في التقاط موضوعات قصصه ويظهر ذلك جليًا من خلال قصصه: الشيخ زروق، وهو نموذج رجل الدين المحتال، وقصة: يحي الضيف، وأيضًا قصة: سيدي الحاج، وكذلك قصة: سي عزوز"<sup>11</sup> وقد طبع هذا التوجه الواقعي أغلب كتابات الأدباء في الجزائر إبان الثورة وبعد الاستقلال، "فالغاية الأساسية للأدب هي تحقيق المنفعة على كل المستويات الجمالية والاجتماعية والثقافية والمعرفية، وقد أدرك الكاتب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي هذه القيمة وحوّل قلمه إلى سلاح يحارب مظاهر العنف والسلب والاضطهاد التي مارسها الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري."<sup>12</sup> ولعل هذا الاتجاه أثبت جدية الأديب الجزائري في مواجهة قضايا أمته، "فالنصوص السردية تتمتع لأحمد رضا حوحو بالاتجاه المنفعي الذي يسخر من خلاله الكاتب قلمه في خدمة ومساعدة المجتمع، ومد جسر التفاعل بينه وبين قارئه، فالمعروف أن الكتاب يتحسسون تجاربهم وتجارب غيرهم، والكاتب حينما يكتب يفكر بقارئ معين أو يتخيل قارئًا نموذجيًا معينًا، ويحدد معنى نصه طبعًا لهذا القارئ بالذات...

لقد أخذ الكاتب أحمد رضا حوحو هذه العلاقة بعين الاعتبار والاهتمام، فصب جل جهده على توجيه نصوص السردية الأدبية إلى بؤر الأمراض الاجتماعية والثقافية والفكرية التي تنخر المجتمع الجزائري إبان الاستعمار، بل وامتدت أفكاره إلى طرح قضايا من المجتمع العربية بصفة عامة، وبالتالي أثر النص السردى لأحمد رضا حوحو في المتلقين الجزائري والعربي على السواء."<sup>13</sup>

## ب- الشهيد الأديب: الحبيب بناسي (1928 – 1956)

ذكر الناقد شريط أحمد شريط "أنّ الشهيد حبيب بناسي ولد في مدينة مشرية ولاية سعيدة يوم 13 ديسمبر 1928.. بدأت مواهبه الأدبية تبرز أثناء نضاله ضمن صفوف حزب الشعب. وخصوصا عندما وقعت حوادث 08 ماي 1954، وأدى به نشاطه السياسي إلى التعرف على بعض الشخصيات البارزة التي كانت في المعتقل بمدينة المشرية مثل الشيخ العربي التبسي رحمه الله، والشيخ سعيد الصالحي".<sup>14</sup>

برز الشهيد الأديب الحبيب بناسي في مجال المقال، فكانت له سلسلة من المقالات على شكل مراسلات نشرها بتونس، "وكان موضوع هذه المقالات يدور حول الثورة وانتشارها بين السكان واحتضان الشعب الجزائري لها، فكان أن التفتت إليه جبهة التحرير، واتصلت به لما رأته في كتاباته من الالتزام بخط الثورة ومنهجها".<sup>15</sup>

يكشف النسيج اللغوي الذي قدم من خلاله الناقد شريط أحمد شريط شخصية الشهيد الحبيب بناسي شدة إعجاب الناقد بهذه الشخصية خاصة عندما يشارك في هجوم شنه الفدائيون على مدينة سيدي بلعباس، وذلك في شهر نوفمبر من عام 1956 وهي انطلاقة مباشرة إلى صفوف جيش جبهة التحرير الوطني ووقع شهيدا يوم 15 ديسمبر 1956. كما نوه الناقد أن الشهيد الأديب "ترك عملا واحدا، طُبع جزؤه الأكبر بمدينة تلمسان عام 1956 بعنوان "صرخة القلب"، وهو كتاب يحتوي على لوحات قصصية يغلب عليها الأسلوب الرومانسي، ومن قراءتنا لها تبين لنا أنها تتميز برومانسية عنيفة، كما أن أسلوبه بدا في هذا الكتاب قريبا من أسلوب الأديب العربي الكبير جبران خليل جبران، وخصوصا في نزعة الثورية حتى أننا نكاد نعثر في بعض مقالاته على كلمات جبران وأسلوبه".<sup>16</sup> كما بين شريط أحمد شريط كيف انتقل الشهيد من الكتابة الرومانسية إلى الكتابة الواقعية بحكم توجهه السياسي والثوري، فكتب يتيم الأصنام، وشهداء الأدب والسياسة، و"دماء ودموع"، و"شهيد بلا قبر"، و"لبيك يا جمال..."

## ج- الأديب الشهيد الربيع بوشامة 1916 – 1956

ولد الشاعر الشهيد سنة 1916 ببلدية قنات بني يعلى دائرة بوقاعة ولاية برج بوعريش "وتعود بدايات الشهيد الربيع بوشامة بصفوف جيش التحرير إلى الشهور الأولى من اندلاع الثورة التحريرية المضفرة، وذلك بعد لقاء جمع بينه وبين البطل المغوار العقيد عميروش".<sup>17</sup>

لقد سعى الناقد شريط أحمد شريط إلى جمع العديد من المعلومات والتصريحات من شخصيات مقربة من الشهيد خاصة من أسرته وشهود عاينوا مراحل كفاحه وبشكل مستفيض قدّم الناقد آثار الشهيد المتنوّعة، خاصة في مجال الشعر، والمقالة، ففي سنة 1994 جمع شعره من طرف منشورات المتحف الوطني للمجاهد. وقد صنف الناقد هذا العمل إلى أغراض وموضوعات كالآتي:

- مختارات الشاعر— 04 قصائد.
  - الشعر الوطني القومي — 20 قصائد.
  - الإصلاح والتربية والتعليم — 09 قصائد.
  - اعتراف وتقدير — 07 قصائد.
  - من وحي العاطفة — 08 قصائد.
  - الطبيعة بين الجمال والقسوة — 02 قصائد.
  - معاناة ذاتية — 11 قصيدة.
  - اجتماعيات — 08 قصائد.
  - الأناشيد — 05 قصائد.
  - شعر الثورة — 21 قصيدة.
  - متفرقات — 10 قصائد.
- د- الروائي الشهيد مولود فرعون 1913 – 1962

ذكر الناقد شريط أحمد شريط أنّ الروائي الشهيد مولود فرعون ولد في قرية "تيزي هيبيل" إحدى قرى بني دواله، بالقرب من مدينة تيزي وزو، وذلك يوم 08 مارس 1913، وأُغتيل من

قبل مجموعة من المنظمة الإرهابية التي "تشكلت من الجناح الفرنسي المتطرف، والمعارض للاستقلال الوطني، وقد أطلقت - هذه المنظمة الإرهابية على نفسها هذا الاسم O.A.S المنظمة المسلحة السرية"<sup>18</sup> وبتفصيل دقيق في الأحداث والتواريخ ذكر الناقد أن الشهيد مولود فرعون اغتيل يوم 15 مارس 1962 "أي قبيل الإعلان عن توقيف القتال بنحو أربعة أيام فحسب. إذ أننا نعد هذا اليوم 19 مارس يوما مقدسا في التاريخ الجزائري المعاصر".<sup>19</sup> ثم أورد الناقد أهم الآثار الأدبية التي تركها الشهيد الراحل منها: ابن الفقير 1950، الأرض والدم 1953، أيام القبائل 1954، الدروب الوعرة 1957، وفي معرض حديثه عن أعمال مولود فرعون استحضر الناقد رأي الأستاذ نسيب يوسف في قوله: "تشير كل الدلائل إلى أن فرعون كان يهدف من وراء مشروعه الأدبي إلى وصف الواقع وصفا عرقيا، ومن وراء عمله الأدبي إلى الإدلاء بشهادته كمؤلف يكتب، لكي يصف للقراء عن شؤون المجتمع".<sup>20</sup> ولم يكتف الناقد بهذا الرأي بل أضاف العديد من التصورات لمجموعة من النقاد والمفكرين من أمثال: عبد الكبير الخطيبي، والباحثة الفلسطينية عايدة أديب بامية.

#### ه- الشاعر الصحفي الشهيد: الأمين العمودي 1890 - 1957

أورد الناقد شريط أحمد شريط أن الأديب الشهيد الأمين العمودي ولد عام 1890 بوادي سوف بالجنوب الشرقي الجزائري، واستند الناقد على شهادات حية لتوثيق كل ما يتعلق بالشهيد الأمين العمودي، كشهادة ابنة أحمد العمودي. وقد أكد الشاعر الجزائري الطاهر بوشوشي للشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي سبب اغتيال الشهيد والذي يعود إلى: "إن اغتياله يعود إلى تحريره وترجمته للتقرير الذي قدم في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة عن التعذيب الجهنمي، والأساليب الوحشية التي كانت السلطات الفرنسية تستعملها ضد الشعب الجزائري، وصورة القضية تعود إلى الملف الذي قدمه الأخ عبد القادر شندرلي إلى لجنة تصفية الاستعمار بالأمم المتحدة سنة 1957، والمتضمن لحقائق دامغة كشفت الستار عن مخازي التعذيب في مراكز الموت التي كانت القوات الفرنسية تستعملها للاستنطاق مدعمة بأسماء المعذبين، وأسماء الضباط القائمين بالإبادة والتصفية الجسدية لمناضلي جبهة التحرير الوطني، وغيرهم من

المواطنين، والسجون والمحتشدات وكل ما يثبت مخازي الاستعمار، ويزيح الستار عن جرائمه النكراء، وأساليبه المتوحشة التي فاقت أعمال البرابرة".<sup>21</sup>

#### و- الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون 1918 – 1959

ورد في كتاب مباحث في الأدب الجزائري المعاصر تاريخ ميلاد الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، فكان في 18 مارس 1918 بقرية برج الغدير ولاية سطيف، "وقد القي القبض عليه يوم 15 جانفي 1955، ولم تعلم أسرته نبأ اعتقاله إلا بعد خمسة أشهر، وأُغتيل في يوم 5 ماي 1995 ببلدة الدويرة بعد تعذيبه عذابا شديدا"<sup>22</sup> ويضيف المفكر محمد الهادي الحسني أن "الشاعر عبد الكريم العقون هو واحد من تلك الكتيبة المجاهدة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين خطت الأقدار في صحائفهم أن يرابطوا على ثغور الجزائر الحضارية في وجه أفسد دولة، وأحقدتها، وأكثرها شراسة، وأشدّها مكرًا بالإسلام، وعداوة للمسلمين عموما، وللجزائر خصوصا...".<sup>23</sup>

إذن، ومن خلال هذه الورقة التي وثقها الناقد شريط أحمد شريط يتضح للقارئ مدى إسهام هذا الناقد في التعريف بشخصيات وطنية ضحت بالنفس والنفيس في سبيل الوطن وإعلاء كلمة الحق، فاجتمع في كتاباتهم الحبر والمقاومة والإصلاح.

5. الأديب أحمد رضا حوحو من خلال كتاب "شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو" لمحمد الصالح رمضان.

في كتيب صغير الحجم قدّم الكاتب والشاعر محمد الصالح رمضان شخصية الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو من خلال اختيار عنوان بارز يحمل من الأحاسيس الدقّاقة بالافتخار والاعتزاز كون الشهيد أحمد رضا حوحو شهيد الكلمة. ضمّ الكتاب العناصر الآتية:

- فاتحة الكتيب.
- نشأة حوحو وحياته.
- من آراء أدباءنا في حوحو وأدبه وأثاره.

- الأدباء الشهداء حاضرون في افتتاحية الكتاب.

بلغته بليغة الأسلوب وشعور المفكر المسؤول يفتح الدكتور محمد الطاهر العدواني كتاب "شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو" شهداء الكلمة في ثورة التحرير الجزائرية (1954 - 1962) عديدون: علماء، أدباء (كتاب وشعراء)، صحافيون، محامون، أطباء، الخ... كان في طبيعتهم العالم الأصولي الشيخ العربي التبسي والفقير الشيخ محمد العدوي، والأديبان رضا حوحو ومولود فرعون، والشاعران: الربيع بوشامة وعبد الكريم العقون، والصحفيان: الأمين العمودي وأحمد بوشمال<sup>24</sup> وبتفصيل دقيق استعرض المفكر محمد الصالح رمضان المسيرة الحافلة لشهيد الكلمة أحمد رضا حوحو، مؤكدا على التوجه الإصلاحية في أعماله الأدبية، وفي مقالاته المنشورة في الجرائد، وقد كانت أعمال رضا حوحو مع جهود علماء ومفكري جمعية علماء المسلمين تمثل "بوادر نهضة أدبية تمثلت في صحوة مست اللغة والأدب الجزائري، والتي مثلتها تلك النهضة الفكرية والاجتماعية والوطنية"<sup>25</sup> حرص المفكر محمد الصالح رمضان على تتبع الأعمال الأدبية التي من بينها: فتاة أحلامي، مع حمار الحكيم، والعديد من المقالات التي نشرها في مجلة البصائر: خواطر حائر، الأدب والأديب، بيني وبين الناس، الشيخ النعي في الميزان.

هذا واستعرض الناقد أهم الآراء والتصوّرات النقدية التي قدّمت في أدب وأثار الشهيد منا ما أورده على لسان المفكر والمؤرخ الجزائري أبي القاسم سعد الله: "لفت نظري في أدب حوحو ظاهرتان هامتان: الأولى السخرية والثانية براعة الحوار، فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثارها حتى الجاد منها، يلتجئ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه وشؤون حياته، وليس غريبا أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري، تسوده تقاليد معينة في المرأة، ورجال الدين واستخدم وسائل الحضارة، تحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والإرهاب في كل شيء..."<sup>26</sup> وأورد الناقد رأي أحمد بن ذياب في قوله يعتبر أحمد رضا حوحو إلى حد بعيد أول كاتب جزائري نزل إلى الشعب يبحث عنه ليأخذ بيده إلى النور بطرائق مختلفة: مسرحية، قصصية، مقالات اجتماعية تثقيفية، وأخرى سياسية، وكانت وسيلة الناجحة هي لغة الحوار، وحوار أحمد رضا حوحو في جملته لطيف وشيق قصير العبارة. وهو بهذه الطريقة أمكن أن يجتلب إليه الكثير

من القراء من ارتبطت بينه وبينهم صلة متينة<sup>27</sup>، وتكثر الشواهد والآراء في الكتب لعمالة النقد والفكر في الجزائر من مثل: أحمد منور، وعبد الله ركيبي، وعبد الملك مرتاض.

- كما حرص الناقد محمد الصالح رمضان على رصد أهم المؤلفات النقدية التي اهتمت بأعمال الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو، والتي يمكن ذكرها في:
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث لأبي القاسم سعد الله.
  - القصة القصيرة في الأدب الجزائري لعبد الله ركيبي.
  - نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر لعبد الملك مرتاض.
  - تطوّر النثر الجزائري الحديث لعبد الله ركيبي.
  - قراءات في القصة الجزائرية لأحمد منور.
  - الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر لعبد الملك مرتاض.

وصفوة القول إنّ رحلة البحث في عوالم الأدب الجزائري، رحلة ما تنفك أن تقدّم للقارئ معلومات ووثائق تؤكد الدور الفعّال للأدب، وعلاقته الوثيقة بالمقاومة والثورة الجزائرية، وقد أسهم ثلة من الأدباء الشهداء في حركية الإبداع والفكر والثقافة. فقدموا النفس والنفيس في سبيل إيصال أفكارهم وتصوّراتهم عن الإنسان والوطن والحياة، وعن العادات والتقاليد، وبأساليب لغوية متعدّدة، وجهت الكلمة كرصاصة ثاقبة في وجه فرنسا الاستعمارية.

والجدير بالذكر أنّ موضوع الأدباء الشهداء لم ينل حظه من البحث والتقصي على مستوى الدراسات الأدبية واللغوية والنقدية في الجامعات الجزائرية، حيث تكاد تنعدم مسارات البحث في هذا الموضوع الذي يستحق الدراسة والبحث.

### الهوامش:

<sup>1</sup> نادية بوكعين، صورة الشهيد في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة الميدان للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، المجلد 03/العدد 02، 2021، ص 53.

<sup>2</sup> مجلة ذاكرة الشعب، الأدباء الشهداء: <http://dhakira.echaab.dz>.

<sup>3</sup> مليكة ياسين، استذكار الادباء الشهداء، أفكار جزائرية ووجهت بالرصاصة، العربي الجديد، 29 مارس 2022، عن الموقع الإلكتروني: [www.alarby.co.uk](http://www.alarby.co.uk).

- <sup>4</sup> أحمد بن ذياب، جوانب نضالية من حياة الشهيد محمد الأمين العمودي، العدد 86، 1 أفريل 1985.
- <sup>5</sup> محمد سيف الإسلام بوفلاقة، قراءة في الأعمال الأدبية الكاملة للباحث شريط أحمد شريط، نشر في جريدة الشعب يوم: 2019/3/06، عن الموقع الإلكتروني: <http://www.djzaires.com>.
- <sup>6</sup> شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2001، ص 82.
- <sup>7</sup> م، ن، ص 82.
- <sup>8</sup> شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 84.
- <sup>9</sup> ذاكرة الشعب، الأدباء الشهداء، [www://dhakira.echaab.dz](http://www.dhakira.echaab.dz)، 29/04/2021.
- <sup>10</sup> شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 84.
- <sup>11</sup> م، ن، ص 85.
- <sup>12</sup> نوال بومعزة، قضايا السرد وأبعاده في الأعمال الأدبية للكاتب أحمد رضا حوجو، مجلة EXPROFESSO، المجلد 6، السنة 2021، ص 322.
- <sup>13</sup> م، ن، ص 322.
- <sup>14</sup> شريط أحمد شريط، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر، ص 88.
- <sup>15</sup> م، ن، ص 88.
- <sup>16</sup> م، ن، ص 89.
- <sup>17</sup> م، ن، ص 91.
- <sup>18</sup> م، ن، ص 94.
- <sup>19</sup> م، ن، ص 94.
- <sup>20</sup> م، ن، ص 95 عن: يوسف نسيب، مولود فرعون حياته وأعماله، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص 37.
- <sup>21</sup> م، ن، ص 99، عن محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1981، ص 24.
- <sup>22</sup> م، ن، ص 100.
- <sup>23</sup> محمد الهادي الحسني، الشاعر عبد الكريم العقون، 2015/5/28 عن الموقع الإلكتروني: <http://www.echoroukonline.com>
- <sup>24</sup> محمد الصالح رمضان، شهيد الكلمة رضا حوجو، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984، ص 05.
- <sup>25</sup> عنتر رضائي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة باللغة العربية وأدائها في الجزائر، دار الأصالة للنشر، الجزائر، 2022.
- <sup>26</sup> محمد الصالح رمضان، شهيد الكلمة، احمد رضا حوجو، ص 68.
- <sup>27</sup> م، ن، ص 70 عن جريدة الشعب بتاريخ 1974/4/1.

## توظيف التراث الشعبي في رواية نجل الفقير لمولود فرعون

### Employing folklore in the novel "The Son of the Poor" by Mouloud Feraoun

د/ سناني إلهام

قسم اللغة والأدب العربي جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة- (الجزائر)

ilhem.senani@yahoo.com

ملخص:

يعد التراث الشعبي جملة الممارسات والأفعال والتقاليد والقيم والأعراف... التي تعكس الصورة الحقيقية والهوية الثقافية للمجتمعات الإنسانية، الأمر الذي جعل أغلب الكتاب الروائيين يولونه اهتماما بالغاً لتأثيره الفني والجمالي على النص الروائي.

لذا تهدف هذه الدراسة إلى البحث في أشكال وأبعاد توظيف التراث الشعبي في النص الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية للروائي الجزائري "مولود فرعون" الذي يعد أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وقد كان واحدا من الشاهدين على الأحداث الدامية التي كان يعيشها الشعب الجزائري بمواكبته لأيام الثورة التحريرية، وقد ترجمته كتاباته التي كانت دوما تعبر عن هوية وحياة وتوجهات شعبه، لذا نحاول من خلال دراستنا الكشف عن تجليات الموروث الشعبي في إحدى رواياته وهي رواية "نجل الفقير" التي اهتم فيها بتوظيف التراث مستلهما منه ما يناسب موضوعاته وما يلائم بيئته التي يعيش فيها لتنصهر الهوية بالمرجعية الثقافية ولتخدم رؤيته وإيديولوجيته.

الكلمات المفتاحية: مولود فرعون؛ الرواية؛ التراث؛ الاستعمار؛ الإثنوغرافيا.

#### Abstract:

Folklore is a set of practices, actions, traditions, values and customs... that reflects the true image and cultural identity of human societies, which made most novelists pay great attention to it because of its artistic and aesthetic impact on the fictional text. Therefore, this study aims to investigate the forms and dimensions of employing popular heritage in the Algerian novelist text written in the French language by the Algerian

novelist " Mouloud Feraoun ", who is considered one of the pioneers of Algerian literature written in the French language, and he was one of the witnesses to the bloody events that the Algerian people were experiencing, keeping pace with him for days. Liberal revolution It has been translated by his writings, which have always expressed the identity, life, and orientations of his people, so we try, through our study, to uncover the manifestations of the popular heritage in one of his novels, which is the novel " The Son of the Poor ", in which he was interested in employing the heritage, drawing inspiration from it that suits his subjects and what suits his environment in which he lives to fuse identity. cultural reference and to serve his vision and ideology.

**key words:** Mouloud Feraoun; Novel; Heritage; colonization; ethnography.

تمهيد:

إن الكتابة بلغة المستعمر ظاهرة لا تخص الجزائر وحدها وإنما هي ظاهرة مرت بها عدة أقطار من مختلف مناطق العالم، وخاصة المناطق التي عرفت نفوذاً أجنبياً استعمارياً لسنين طويلة كمعظم بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

شكل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية الأطروحة المناهضة للإيديولوجيا الاستعمارية، محاولاً بذلك الانفلات من قبضة الاستعمار وتكريس القطيعة مع الأدب الكولونيالي الذي يحقق القتل الرمزي للجزائر.

إن الأدباء الجزائريين لم يحملوا اللغة الفرنسية التي كتبوا بها ويكتبون الطائرات والصواريخ والثكنات، وحتى قيم الاستعمار، فالذي نجده في كتاباتهم هو التجربة الوطنية كفعل مقاوم للاستعمار، وهذا الذي دعاه أزراج عمر بالهوية التاريخية المتجذرة في الوطنية الجزائرية. فالأدباء الجزائريون باللغة الفرنسية لا يعكسون الهوية الفرنسية ولا يمجّدونها وإنما هم في صراع معها...ومن جهة أخرى فإن هؤلاء الأدباء قد تمكنوا من جعل اللغة الفرنسية تتحدث عن الكفاح الجزائري وبذلك جعلوها تنقلب على أهلها المستعمرين، بل وقد سعى أزراج عمر هذه التجربة بتحرير اللغة الفرنسية ذاتها من الاستعمار<sup>1</sup>.

إن هؤلاء الكتاب على الرغم من كتابتهم باللغة الفرنسية إلا أنهم لم ينسلخوا عن هويتهم رغم إحساسهم بالتمزق بين ثقافتين ثقافة فرنسية اكتسبوها من خلال دراستهم بالمدارس الفرنسية وثقافة عربية بربرية لا تزال تؤمن بالغيبيات التي تحكم حياة الجزائري الفرد وتسجنه في صومعة ذاته، فقد عبروا في كتاباتهم عن معاناة الإنسان ومشاكله اليومية من فقر وبطالة وهجرة وظلم ورغبة في الانعتاق من الواقع المعيش.

ومن بين هؤلاء الكتاب "مولود فرعون" الذي يعد أحد رواد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، وقد كان واحدا من الشاهدين على الأحداث الدامية التي كان يعيشها الشعب الجزائري بمواكبته لأيام الثورة التحريرية، وقد ترجمته كتاباته التي كانت دوما تعبر عن هوية وحياة وتوجهات شعبه، لذا نحاول من خلال دراستنا الكشف عن تجليات الموروث الشعبي في إحدى رواياته وهي رواية "نجل الفقير" وهذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم التراث الشعبي؟
- هل أعاققت اللغة الفرنسية تمظهر الموروث الشعبي (العادات والتقاليد...) في الرواية؟
- كيف تجلى الموروث الشعبي في رواية نجل الفقير؟

### 1. مفهوم التراث الشعبي:

التراث لغة: من الفعل ورث، وقد ورد في معجم لسان العرب بمعنى "ورث: الوارث صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فناءهم والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها...ورثه ماله ومجده وورثه عنه ورثا وورثة ووراثته وإراثته، أبو زيد ورث فلان أباه يرثه وراثته وميراثا وميراثا...ويقال ورثت فلانا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورثك فصار ميراثه لك"<sup>2</sup>.

كما ورد في المعجم الوسيط بمعنى "ورث فلانا ومنه وعنه ورث (يرثه) ورثا وورثا وإراثا وورثة ووراثته، ويقال ورث المجد وغيره وورث أباه ماله ومجده، ورثه عنه فهو وارث، والجمع ورثة ووراث"<sup>3</sup>.

وقد جاء مصطلح وراث في القرآن الكريم في قول الله عز وجل ﴿ثُمَّ أُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ صُطِّفْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾<sup>4</sup> ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>5</sup> ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا مَلًّا﴾<sup>6</sup>.

أما اصطلاحاً: تعددت تعريفاته وتباينت مفاهيمه ومعانيه، وهو مصطلح أقره مجمع اللغة العربية كترجمة عربية دقيقة لمصطلح فولكلور والذي شاع استخدامه حديثاً.

فالتراث هو " تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة ليوصلها إلينا، وتاريخ أي تراث كان هو غير محدود إذ كل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثاً فكرياً... ويبقى التراث بمفهومه الواسع يعني العلامة المميزة لهوية كل فرد وكل فئة اجتماعية وكل أمة... وأنه هوية شعب ما"<sup>7</sup>.

فإذا أضفنا إليه كلمة شعبي نكون قد عممناه على كل طبقات المجتمع، وبالتالي فهو أوسع وأشمل، معبرا عن الناس والمجتمع وطريقة الحياة بشكل عفوي جماعي "إنه كل ما تمارسه الشعوب بصورة ثابتة... سواء ما اتصل منه بشؤون الحياة اليومية... والعلاقات الاجتماعية... والقواعد الفنية التي يجري عليها صنع الأشياء أو ما يتعلق بطقوس المناسبات والمعتقدات"<sup>8</sup>.

وهو كذلك " ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم، في شعب من الشعوب وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والإنساني والسياسي والتاريخي والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه"<sup>9</sup>.

كما عرفه حسين مروة على أنه: " كائن حي متحرك بصيرورة الحياة الواقعية التي تنبثق منها ويحيا فيها ومعها، وهي بدورها تحيا فيه ومعها، ولكن بشكل آخر ربما كان شكلها الراض لها، وربما كان تعبيراً عن صراعها هي مع نفسها."<sup>10</sup> من خلال التعاريف السابقة للتراث يتضح أن له أهمية كبيرة وبالغة بوصفه هوية الأمة وكيانها.

## 2. التراث الشعبي في الرواية الجزائرية باللسان الفرنسي خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر:

لقد اقتضت فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر أن يكون الأدب الشعبي مضمونا يدعو إلى إيقاظ الوعي الوطني والتمرد على الإدارة الأجنبية والدفاع عن خصوصية الأمة الإسلامية<sup>11</sup>.

انصب أغلب الروائيين برصد عادات وتقاليد المجتمع الجزائري والواقع المعيش بطريقة رمزية موحية وفي هذا الصدد يقول عبد الكريم خطيبي " قبل الحرب كان الروائيون الجزائريون في معظمهم، يريدون أن يكونوا مؤرخين ودارسين لعادات وتقاليد مجتمعهم وأحيانا نلمس في كتابتهم نغمات السخط والغضب وبعض الاهتمامات الوطنية، وكان من اللازم انتظار فاتح نوفمبر لكي يشعر الكتاب الجزائريون بأنهم مسؤولون عن تاريخ جديد يواجهه العنف والدم"<sup>12</sup>.

لقد تجلى التراث الشعبي خلال فترة الاحتلال الفرنسي في الجزائر في الكتابات الروائية الجزائرية ذات الطابع الإثنوغرافي مع "محمد ذيب" من خلال ثلاثيته المشهورة التي شهدت حضورا للعادات والتقاليد والتراث المادي واللامادي، كما جسد مولود معمري في روايته " الربوة المنسية " " نوم العادل" الثورة على العادات والتقاليد التي عرفتها بلاد القبائل وإظهار ما فيها من تزمّت وما تنطوي عليه من خرافية خاطئة ومتخلفة تؤثر بشكل مباشر على الأفراد والمجتمع وتقضي على سعادتهم ومعتقداتهم"<sup>13</sup>.

كما جسد مولود فرعون في رواياته "ابن الفقير" و "الأرض والدم" و "الدروب الوعرة" التراث الشعبي في ثلاث نقاط أساسية هي "الأرض الأصيلة بتقاليدها وعاداتها وطباعها وظروف الوضع الإنساني في إحدى المناطق الكبرى من الجزائر (القبائل)..ملتحم بقوة – قبل كل شيء- بالخصوصية القبائلية والتقاليد والقيم الروحية التي ضربت بجذورها في هذه الأرض"<sup>14</sup>.

## 3. التعريف بالروائي:

ولد مولود فرعون في 08 مارس 1913م في قرية تيزي هيبيل بمنطقة القبائل الكبرى.

تحصل سنة 1935 على منصب معلم للغة الفرنسية بمدرسة تاوريت موسى التي لا تبعد كثيرا عن مسقط رأسه ثم عين مديرا لها سنة 1952 م، وفي 15 مارس 1962 م وقبل ثلاثة أيام من توقيع اتفاقية ايفيان قامت المنظمة السرية (O. A. S) باغتيال مولود فرعون بحي الأبيار بالعاصمة ودفن يوم 18 مارس 1962م وهو اليوم الذي اعترفت فيه فرنسا رسميا بحرية الجزائر.

وبعد موته قال فيه الروائي التونسي ألبير ميحي " لقد كان اغتيال فرعون غادرا ومفاجئا ومأساويا اغتيال معلم مسالم وإنسان هادئ ومتمزن... إن فرعون ارتبط ارتباطا وثيقا بتقاليد النزعة الإنسانية وكان يؤمن إيمانا صارما بالتقارب النهائي للشعوب وثقافتها وانتصار العقل وليس القوة".

كان مشروع "مولود فرعون" الكتابي هو تبيان أن القبائل رجال مثل الآخرين وهذا ما صرح به في بداية روايته " نجل الفقير " عن حياته التي يبدي رغبة في أن يعرفها الآخرون، ومن تم يبدي رغبة في ترجمة الروح القبائلية"<sup>15</sup>، فتصبح مقروءة معروفة مزيجا عنها غبار التكتم والنسيان.

#### 4. عرض الرواية ( ابن الفقير):

تعد رواية ابن الفقير من أهم الأعمال الإبداعية لمولود فرعون تناول فيها مأساة العائلات الجزائرية الفقيرة، وقد ركز فيها بالتحديد عن الرجل القبائلي الشهم.

تنطلق أحداث الرواية بعد ولادة طفل قبائلي في أسرة فقيرة، فيسعى هذا الطفل وبكل قوته إلى تخطي الظروف الصعبة التي يعيشها من خلال سعيه إلى التعلم وتحقيق ذاته وكيانه وبالفعل استطاع تحدي مصاعب الحياة ومواصلة الدراسة.

لقد أراد مولود فرعون من خلال الرواية أن يعكس حياة القبائلي البائسة، فالقبائلي في صراع مع المعيشة الجبلية القاسية بما يعانيه من فقر وبؤس وتخلف في هذه القسوة تتجاذبه مخلفات ومعتقدات وتقاليد بالية لا تساعد على النهوض والانفكاك من تلك المعيشة، كلما تطلع إلى معيشة أفضل واجه صعوبات تعمل على الإمساك به ومنعه من الإفلات منها، ففورولو منراد بطل الرواية يصارع كل هذه العوامل السلبية بإيمان راسخ في النجاح وفكرة ثابتة لا تتزعزع في دخول مدرسة المتعلمين.

## 5. ملامح استحضار التراث الشعبي في رواية نجل الفقير لمولود فرعون:

صورت رواية " نجل الفقير " لمولود فرعون بصدق معاناة الجزائري أيام الاحتلال الفرنسي " إذ لا نبالغ إن قلنا أن النص يحتوي مادة مسح اثنوغرافي لوضع بلاد القبائل على وجه التحديد، ذلك أن الروائي أرخى العنان لقلمه وراح يسرد تمظهرات اجتماعية انماز بها مجتمعه وطقوسا وعادات تخللت تعاملاته اليومية أو المناسباتية، ولكنه يصرخ في وجه المستعمر ويشير له بوجود الذات الجزائرية وبأصالتها، فتوارث التقاليد والمحافظة عليها في حد ذاته شكل من أشكال المقاومة من هذا المنظور، نصل بلا عناء إلى أن الشخصية الجزائرية تتبوأ في طيات المتن السردي مكانة محورية تعمر المكان وتتحدى صروف الزمان بكل أنواع التحدي"<sup>16</sup>.

لقد سعى مولود فرعون في روايته نجل الفقير إلى تأتيت نصه بكثير من نصوص الثقافة الشعبية الجزائرية وتجليات الموروث الشعبي فيها، حيث جسد لنا الحياة القبائلية بكل حيثياتها وأشكال المواجهة التي يعانها الأهالي ضد الحاجة والفقر والمرض والموت.

## 1- التراث الديني:

من الملامح التي نجدها حاضرة بقوة في رواية " نجل الفقير " إصرار الكاتب على سرد مقاطع يؤكد فيها على ظاهرة إيمان الناس بمعتقدات معينة ومن بين تلك المعتقدات الشعبية الاستنجاد بالأولياء الصالحين: يعد الاستنجاد بالأولياء الصالحين من المظاهر الشعبية الرائجة في الثقافة الشعبية الجزائرية خاصة أثناء الفترة الاستعمارية، فبعد أن قامت الإدارة الفرنسية بغلق الكتابيب التي كانت تلعب دورا تنويريا، وبعد أن هدمت عددا كبيرا من المساجد، انتقلت إلى نشر الخرافات والمعتقدات الوهمية، ومن المشاهد الكثيرة التي صورها " فورولو " ما ذكره من اعتقادات حول سبب جنون خالته " كانت أمي تقول لنا أن ذلك بسبب اكتمال البدر، كانت توجس خفية من عودة نوبة الغضب إليها عند مطلع الهلال الجديد أما جارتنا.فكن يزعمن أن الجن يعلمون خالتي الشعوذة، وأنها لا تلبث أن تتنبأ بالغيب وأنها ستكتسب عندها ما يمكن من الإنفاق على الأسرة بدون حساب...أما أمي فكانت تتور ثائرتها لمجرد التفكير في الحصول على أي إيراد من مثل تلك المصيبة، لم تكن تريد أن تصبح إحدى بنات أحمد مشعوذة تقرأ الفأل...ما كانت تود أن

يكون، هو أن تقاد إلى بعض الشيوخ الصالحين المشهورين في الزوايا حتى يحاولوا التعزيم عليها طردا للأرواح الشريرة"<sup>17</sup>.

إن نتيجة تفشي الجهل بين الناس لم تسعهم الحيلة للعلاج إلا عن طريق الدراويش والشيوخ الصالحين الذين وهبوا حياتهم لله، والدراويش هم أناس مجانيين يمارسون الطقوس الغريبة فيعتقد الناس بأن لهم قدرات خفية على العلاج وإشفاء المرضى.

كما نجد في الرواية التطير بالأسماء فمثلا اسم " فورولو " الذي صممت الجدة تسعديت أن تسمي حفيدها بهذا الاسم وفي هذا يقول الكاتب " فقد قررت جدتي تسعديت أن تطلق علي اسم فورولو"<sup>18</sup> ، وبالتالي ففي معتقدهم إذا سمي به شخص ما لا تصيبه العين بشرها، ويتركب اسم فورولو من قسمين فور: أفر والتي تعني اختفى وأولو وتعني مخبأ وجمع الاسم فورولو " الخفي". لذا أطلق هذا الاسم على أول رضيع من عائلة آل منراد.

## 2- التراث الاجتماعي:

الأدب بصفة عامة وليد بيئته ذلك أن المبدع يعايش أبناء جلدته ويتفاعل معهم يحلل سلوكهم الحياتي" فمن غير الممكن العيش في مجتمع دون التأثر بثقافته بعقليته وسلوكه درج عليه أفراده، وإنه لمن المحال البقاء بمعزل عن مضي الحياة دون الشعور بأننا معنيين بما يدور حولنا.

ومولود فرعون في روايته نجل الفقير حاول رصد التقاليد والتصورات الموروثة عن الأجداد والاعتزاز والشرف، والتأزر القبائلي والثأر الدموي إضافة إلى الكرامة والإنسانية وقواعد سلوك وأخلاق الإنسان اتجاه أسرته والمجتمع، فمن خلال إبراز الجوهر الأصلي لعالمه ومقومات حياته وتنظيم ظروف الوجود الإنساني فوق هذه الأرض، يستطيع الإنسان أن يسترد بطريقة فريدة من نوعها وجهه الخاص وثقافته الخصوصية كسمة أساسية ليقظة الوعي الوطني<sup>19</sup>.

وفعلا نجح الكاتب في رصد وتصوير الواقع الاجتماعي، حيث خلق واقعا مركبا استنبط روحه من المعطيات الاجتماعية والسياسية السائدة في منطقته خاصة صورة حياة العائلات

القبائلية ومن أهم المظاهر الثقافية الاجتماعية التي تطرق إليها مولود فرعون الحياة الريفية والأسرة القبائلية والمأثورات الشعبية.

ومن الملامح التي نجدها حاضرة بقوة في رواية نجل الفقير وصف الريف وبالتحديد قريته يصل إلى حد تذكر أسماء الأماكن ووصفها بدقة متناهية، وعلى الرغم من أن البيئة التي احتضنته هي الجزائر والتي فرضتها عليها ضرورة العمل إلا أنه " يحتضن قريته في العمق فقلبه لم يفارق أبدا مرتفعات القبائل، ومناظرها وممراتها الضيقة قائلا، إن نهر " السباو " أو روافده قد تلقى أحيانا في سهل تيزي وزو على ضفافها الناعسة جثة متورمة"<sup>20</sup>.

لقد قدم لنا مولود فرعون صورة البساطة التي يعيشها أهل قريته، وكذلك الهدوء والسكينة التي يتميزان بها، خاصة بعد أن جرب صخب المدينة وحالة الحرب والخراب والمداهمات العسكرية، لذا جاءت روايته أكثر انشغالا بسرد معالم القرية وكل ماله صلة بالحياة الريفية القبائلية، وهذا يؤكد مدى تعلق الكاتب بعالم القرية وفضاء الريف.

كما تزخر رواية " نجل الفقير " بالتمثلات الاجتماعية في العادات والتقاليد والتي جاءت كلون يصبغ الخطاب الروائي ليعطيه خصوصية منتهية ومن أمثلة ذلك:

" ولكن قبل أن تدخل، أحضر لنا بيض وبعض الاسفنج ومن تقاليد المنطقة أن يقدم المتزوج لأصحابه من العزاب بيضا وقطعا من الاسفنج"<sup>21</sup>.

من عادات منطقة القبائل أن يقدم العريس لأصدقائه العزاب قطعا من البيض وقطعا من الاسفنج ( الحلوى)، وإن لم يقدّم بهذا فإنه يرمى بالحجارة على سقف غرفته حتى ينكسر القرميد ويصبح محل سخرية من الجميع.

حاول مولود فرعون من خلال روايته استنطاق الموروث الشعبي لبيئته خاصة الأقوال المأثورة التي كان لها حضور بارز، وذلك لما تحمله من طاقة تعبيرية وقدرة تأثيرية على اعتبار أنها أقرب إلى ذوق المتلقي لذا مفعولها يكون ذا أثر كبير في المتلقي فتدفعه إلى التفاعل معها، إضافة إلى ما تحمله من خصوصية محلية تعبر عن الهوية الجزائرية.

لقد حضر المثل الشعبي بشكل واضح في الرواية فقد استغلّه الروائي من أجل جعل العمل الروائي يكتسب رموزا موحية ومعبرة، فقد تواردت الأمثال الشعبية وجاءت حاملة لدلالات اجتماعية بعيدة عن التأمّلات الفلسفية الميتافيزيقية، ولعل استحضار المثل هو طرح الهوية الخاصة من خلال إبراز البيئة الشعبية وما تحمله من روافد ثقافية ومرجعيات شعبية تترجم روح الثقافة الجزائرية بلغة تنسم بالإيجاز والإيحاء وتأسس رواية عربية أصيلة ترسم مشهد البيئة الجزائرية والعربية للقارئ ومن بين الأمثلة الواردة في الرواية "ضربة اقعدي وقومي"<sup>22</sup> أي ضربة من يقال لها اقعدي وقومي وتعني ضربة أمة لقيامها وقعودها في خدمة موالها "ويقصد بها أنه يوجد أطفال بإمكان كل الناس أن يضربوهم، إذا كانوا مسخرين خاضعين لأجل الخدمة.

"ويدها في الغرارة"<sup>23</sup> فأخذ الطعام من الإيكوفان أمر ممنوع عند العائلات لأنه دور تقوم به الجدة كونها المسؤولة في تدبير أمور البيت لذا لا يجوز لأي شخص أخذ الطعام من المؤونة وقد عبر مولود فرعون من خلال هذا المثل عن زوجة عمه التي قامت بسرقة الطعام وقد رآها والد فورولو وقبض عليها متلبسة.

### 3- التراث الشعبي المعنوي من اللهجات المحلية والعربية داخل اللغة الأجنبية:

لم تغير اللغة الفرنسية في شيء من مضمون الثقافة الجزائرية لدى مولود فرعون، وعلى الرغم من كتابته باللغة الفرنسية إلا أنه بقي محافظا على هويته وأصالته.

لقد عمل على تفعيل اللغة العربية واللهجة القبائلية في كتابة روايته باعتبار "الرواية ليست قاموسا صدر عن أحد المجامع اللغوية،"<sup>24</sup> وإنما هي كيان حي يمثل جزءا من حياة الناس"<sup>25</sup>، لذا يسعى كل كاتب إلى توظيف بعض الكلمات المحلية من أجل احترام الخاصية اللغوية المحلية.

إن للثقافة الجزائرية وبالتحديد القبائلية تأثير كبير على كتاباته، فقد جاء نصه حافلا باقتراضات لغوية نقلها نقلا حرفيا من اللغة العربية الفصيحة وكذلك اللهجة القبائلية إلى اللغة الفرنسية.

جاء نص مولود فرعون زاخرا بالمفردات والعبارات التي تحيلنا إلى الجانب المحلي ولعل من أهم الأسباب والبواعث هو سعي الكاتب إلى إضفاء لمسة محلية على النص الفرنسي، حيث جاءت كل المفردات والعبارات مقترضة من اللغة العربية واللهجة القبائلية.

فنجد في الرواية ذكرا كثيرا للكلمات الدالة على التراث القبائلي بغية إضفاء الصبغة المحلية ومثال ذلك: كسكس (couscous) وهي أكلة مغاربية محضّة، وكذلك كلمة كانون (le kanoun) وكلمة الجماعة " (djemaa) وهي المكان الذي يجتمع فيه أهل القرية من أجل معالجة شؤون القرية، وكذلك كلمة (gandoura) ويقصد بها اللباس القبائلي القندورة وكذلك كلمة البلبول (belboul) وهو الكسكس المفتول بالنخالة أو القرشالة.

ولم يكتف مولود فرعون بالاقتراض من اللغة العربية فقد اقترض بعض الكلمات القبائلية مثل كلمة (التادجميت) وتعني هذه الكلمة باللغة العربية الجماعة، وكذلك كلمة (karoubas) وتنطق الكلمة باللهجة القبائلية تاخرويث ويقصد بها العائلات التي تنسب إلى أصل واحد، وفي هذا الصدد يقول يوسف نسيب " وقد بلغ به الحرص على الوصف العروقي أنه أحيانا يستعمل في النص الفرنسي بعض الكلمات المنتقاة من لغة الأهالي لعل القارئ يكتسب بذلك معجما صغيرا من القبائلية "

إن تمكن مولود فرعون الجيد من اللغة الفرنسية جعل من كل الألفاظ العربية الواردة في الرواية منسجمة مع اللغة الفرنسية لأن لديه من البراعة اللغوية التي جعلت كل تلك الكلمات الواردة باللغة العربية مندمجة مع قواعد اللغة الفرنسية وأساليبها، فجاءت لغة فرانكفونية بروح جزائرية.

#### الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن أن نستشف أهم النتائج المتوصل إليها من خلال تحليل رواية "نجل الفقير" لمولود فرعون فيما يلي:

- إن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ما هو إلا اغتراب نصي جزائري في نظام لساني فرنسي، تبعاً لظروف تاريخية قاهرة، وأنه كان وسيلة مباشرة لمخاطبة الآلة الاحتلالية ولتذكيرها بأن هناك شخصية جزائرية لها مقوماتها الحضارية وامتدادتها اللغوية.
- إن الموروث الشعبي الجزائري يعبر عن الواقع المعيش، فهو يعكس ارتباط البشر بهويتهم وقيمهم من خلال ما يحمله من قيم أخلاقية.
- جاءت رواية ابن الفقير حافلة بصور ثقافية تعكس جوانب وعادات وتقاليد منطقة أهل القبائل فالممارسات الفولكلورية والطقوس المناسباتية تندرج في موروث شعبي منحدر وراسخ بين أبناء مجتمع محافظ على دعائم بقائه على مر الزمن وامتداده.
- لقد سعى مولود فرعون من خلال وصف وتصوير الحياة اليومية للمجتمع القبائلي بكل خصوصياته إلى نقل الروح القبائلية وترجمتها.
- على الرغم من طغيان الطابع الاثنوغرافي الذي يقوم على تصوير المظاهر التقليدية والحياة اليومية البسيطة للمواطن القبائلي، فإن الكاتب أراد أن يوصل فكرة للقارئ وهي أن الواقع والحياة الحقيقية لا يمكن أن نعيشها إلا فوق أرض الوطن.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

1- مولود فرعون: نجل الفقير، ترجمة محمد عجينة، دار سراس للنشر، تونس، 1998م.

المراجع:

2- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، ج1، دار الفكر، لبنان، ص1024.

3- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي- نشأته تطوره قضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م.

- 4- حسين مروة: دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (د)، (ط)، (د)، (ت).
- 5- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1984م.
- 6- جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، مركز الوطني في الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (د، ط)، 2007م.
- 7- بن جمعة بوشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، دار المغاربية للطباعة والنشر وإشهار، تونس، ط1، 1999م.
- 8- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل، الجزائر 2008م.
- 9- عبد العزيز بوباكير، الأدب الجزائري في مرآة استشراقية، دار القصة، الجزائر، 2002م.
- 10- عز الدين جلاوي: استلهام الموروث الشعبي في السرد الجزائري المعاصر، مجلة مقامات الجزائر، المجلد 04، العدد 2، 2020 م.
- 11- عبد الكبير الخطيبي: في الكتابة والتجربة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د)، (ط)، 1980م.
- 12- Jeu Dejeux, La Littérature Algérienne contemporaine, deuxième édition, Puf, paris, 1997.
- 13- محمد بسناسي: ترجمة البعد الاجتماعي / الثقافي في رواية نجل الفقير مجلة إشكالات، تمنغاست، الجزائر، العدد6، ديسمبر 2014م.
- 14- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيوت لبنان، (د)، (ت)، مج2.
- 15- نوال بن صالح: استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون نموذج الأرض والدم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013 م.
- 16- نورة بعيو: الروائي الجزائري المعاصر بين مطرقة العولمة وسندان الهوية، أعمال ندوة الرواية بين ضفتي المتوسط في 11/05/2010 م، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2011 م.
- 17- يوسف نسيب: مولود فرعون حياته وأعماله ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م.

## الهوامش:

- <sup>1</sup> نوال بن صالح: استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون نموذج الأرض والدم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 9، 2013م، ص 395.
- <sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة (و، ر، ث)، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، مج2، ص ص 199، 200.
- <sup>3</sup> إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، دار الفكر، لبنان، (د، ط)، ج 1، ص 1024.
- <sup>4</sup> سورة فاطر، الآية 32.
- <sup>5</sup> سورة الأنبياء، الآية 105.
- <sup>6</sup> سورة الفجر، الآية 19.
- <sup>7</sup> جعفر يايوش: الأدب الجزائري الجديد التجربة والمآل، مركز الوطني في الأنتربولوجية الاجتماعية والثقافية، الجزائر، (د، ط)، 2007م، ص 64.
- <sup>8</sup> جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 63.
- <sup>9</sup> عز الدين جلاوي: استلهام الموروث الشعبي في السرد الجزائري المعاصر، مجلة مقامات، الجزائر، المجلد 04، العدد 2، 2020م، ص 434.
- <sup>10</sup> حسين مروة: دراسات في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ص 464.
- <sup>11</sup> عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل، الجزائر، 2008م، ص 09.
- <sup>12</sup> عبد الكبير الخطيبي: في الكتابة والتجربة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1980م، ص 90.
- <sup>13</sup> أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي- نشأته تطوره قضاياها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 275.
- <sup>14</sup> عبد العزيز بوباكير: الأدب الجزائري في مرآة استشرافية، دار القصب، الجزائر، 2002م، ص ص 19، 20.
- <sup>15</sup> Jeu Dejeux , La Littérature Algérienne contemporaine , deuxième édition, Puf, paris, 1997, p64.
- <sup>16</sup> محمد بسناسي: ترجمة البعد الاجتماعي والثقافي، في رواية نجل الفقير، مجلة إشكالات، تمنغاست، الجزائر، العدد 6، ديسمبر 2014 م، ص ص 62، 63.
- <sup>17</sup> مولود فرعون: نجل الفقير، محمد عجينة، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1998م، ص 104.
- <sup>18</sup> عبد العزيز بوباكير: الأدب الجزائري في مرآة استشرافية، م س، ص 20.
- <sup>19</sup> مولود فرعون: نجل الفقير، ص 27.
- <sup>20</sup> المصدر نفسه، ص 90.
- <sup>21</sup> المصدر نفسه، ص 10.
- <sup>22</sup> المصدر نفسه، ص 26.
- <sup>23</sup> المصدر نفسه، ص 58.

---

<sup>24</sup> بن جمعة بوشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، دار المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 1999، ص105.

<sup>25</sup> نورة بعيو: الروائي الجزائري المعاصر بين مطرقة العولمة وسندان الهوية، أعمال ندوة الرواية بين ضفتي المتوسط في 11/05/2010 م، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2011 م، ص 141.

## الأدباء الشهداء بين المقاومة والشعرية

عبد الكريم العقون - انمودجا

### Literary martyrs: between resistance and poetry Abdulkarim Al- aqoun- model

أستاذ محاضراً / د. نعيمة بوسكين

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة عنابة (الجزائر)

naimaboussekine@yahoo.fr

ملخص:

سنتوقف في هذه الدراسة عند الشهيد الأديب عبد الكريم العقون ونقدم أهم المحطات حياته وإسهاماته الأدبية والشعرية ونضاله من أجل الدفاع عن القضية الوطنية والفكر الإصلاحي في مواجهة تيارات لتشيويه الدين والمواقف الاستعمارية المختلفة لحصار قيم الوطن ودينه ولغته وهويته، ضمن ما يسمى بأدب المقاومة. د

الكلمات المفتاحية: الأدباء - الشهداء - ادب المقاومة - الشعرية - عبد الكريم العقون.

#### Abstract:

In this study, we will focus on the literary martyr Abdul Karim Al-aqoun and present the most important stations of his life, literary and poetic contributions and his struggle to defend the national case and reformed thought in the face of currents to distort religion and various colonial attitudes to blockade the values of the homeland, its religion, language and identity, within the so-called literature of resistance.

**key words:** literary - martyrs -resistance literature-poetry - Abdulkarim Alaqoun.

إن الحديث عن الأدب والمقاومة، هو الإشارة إلى الفرد ومكانته في العالم وعلى وجه الخصوص نضاله ضد القوى التي تحاول إيزاء وطنه أو سحق شخصيته أو إخماء هويته وهو أدب مقاوم للقوى الطاغية والمتعسفة يخترق به الأديب عمق المحنة، ليضيئ الطريق ويقرب العالم إلى فهم الإنسانية واحترام الحياة والتنكيل بالاستعمار والبطش والتعذيب والمحارق والمقاصل.....

فيحاول الأدب المقاوم مواكبة دوافع الناس ورفع التحدي، ورسم التحولات الممكنة، وإظهار الأصوات النقية لينتقل الذاتي إلى العام وليتحول إلى أفق لكل العالم، عابرا النوافذ المفتوحة ومحلقا على أجنحة الطيور العائدة إلى الحياة والحرية، فيفتت الألم وتذهب قسوته، وتخور قوله، وتبرد سكينته الساخنة داخل مواقد الكتابة.

لقد سعى الأدب إلى انتشار مساعي ومخططات السلطات الاستعمارية للقضاء على هوية الشعب الجزائري، وربطها به إلى الأبد، فلقد تميزت الأمة الجزائرية منذ 1930 بتمسكها بأصالتها، وتشبثها بأرضها وكل هذا نجده منعكسا في تراثها الأدبي على مر التاريخ، وعلى الرغم من جهود المستعمر المضنية من أجل القضاء على أي أثر للثقافة الجزائرية، إلا أننا ظفرنا بعدد من الآثار الأدبية التي تنتمي إلى مرحلة ما قبل وأثناء الاحتلال متمثلة في بعض القصائد والمقطوعات الشعرية التي صورت الحياة الجزائرية خلال تلك الفترة، كما ظهر من الشعراء والكتاب من قام بأعباء النهضة ومقامة الاحتلال بكل وسائل الكفاح المتاحة آنذاك ونذكر منهم، محمد السعيد الزامي، الهادي السنوسي، عمر بن قدور الجزائري، البشير الإبراهيمي وثلة غير قليلة من أمثال هؤلاء كان لهم الفضل في إحياء الأدب العربي الجزائري والجدير بالذكر في بداية المرحلة الإستعمارية أن الجزائريين لم يتمكنوا في الدفاع عن أرضهم وممتلكاتهم وعرضهم، فقامت المقاومة تلو المقاومة، مما أتعبوا المستعمر وأنهك قواه فلم يتمكن من إحتلال الجزائر بسهولة، ولم تكن الجزائر لقمة سائغة له، "وهذه المقاومة الضارية صورها الشعراء والأدباء، فلم يصلنا منها ما ينبغي القليل بسبب طول مكوث الاستعمار في أراضينا، وتقصيرنا في التنقيب عن آثارها، ولم ينج منها إلا ما رحل مع الأمير عبد القادر وحاشيته إلى المنفى، أو نزر يسير تتناقله بعض الكتب<sup>1</sup>

إن تغير المستوى الفكري والثقافي لدى الجزائريين خلال ق20 هو الذي مهد لقيام الثورة التحريرية الكبرى التي أرغمت الإستعمار على الاندحار من بلادنا في جويلية 1962، وانتشار العلم والمعرفة في أوساط الجزائريين الذين كانوا يعانون من الجهل والامية والفقر، فجعلهم يقتنعون بعدالة قضيتهم وقدرتهم على تحقيق هدفهم المنشود.

كما أن الجهد الذي بذلته جمعية العلماء المسلمين في تنوير عقول الجزائريين وتصحيح معتقداتهم كان له الدور في تحقيق المبتغى الكبير ألا وهو الاستقلال.

إن الاستقلال الفكري ولد فيما بعد الإستقلال السياسي بفضل الثورة الكبرى فقد كان حادث إحتلال الجيش الفرنسي لمدينة الجزائر "صدمة عنيفة هزت نفوس الجزائريين بل هزت نفوس المغاربة جميعا، حيث وجد لهذا الإحتلال صدا في الشعر التونسي وشعر المغرب الأقصى يومئذ فضلا عما كتبه أدباء الجزائر وشعراؤها من أمثال حمدان ابن عثمان خوجة محمد بن الشاهد قدور بن وسيلة فظهر شعر هؤلاء مؤيدا للثورة ورافعا لهمم

عبد الكريم العقون بين المقاومة والشعرية

## 1- نشأته وحياته<sup>2</sup>

ولد بقرية لعقافنة بلدية برج الغدير سنة 1918م، كان والده الشيخ المسعود ممن تعلموا بدشرة أولاد لعياضي عن الشيخ السعيد ابن الأطرش فحفظ عنه القرآن وتعلم الفقه واللغة، كما درس بالدشرة أيضا جده الشيخ عمار ابن الزيوش وتعلم فن التجويد، وقد كانت والدته فاطمة الزهراء - التي توفيت عنه وهو صغير تحسن القراءة والكتابة وتحفظ ثلاثة أرباع القرآن الكريم، وقد لقبها الشيخ السعيد ابن الأطرش (بالسيدة).

أول ما قرأ عبد الكريم العقون القرآن كان في كتاب الشيخ العربي ابن العدوي وواصل حفظه على والده، ثم راجعه وضبطه على الشيخ علي بن عبد الرحمان بعدها أخذ يتردد على قرية أولاد سيدي منصور لدراسة مبادئ اللغة والفقه على الشيخ موسى الأحمدني نويوات في زاوية ابن السعدي مدة سنتين تقريبا ومنها انتقل إلى زاوية بن بوداود بنواحي مدينة أقبو.

وفي هذه الزاوية أضاف لتحصيله المعرفي في الفقه واللغة مبادئ علم التجويد، ثم انتقل الشاب عبد الكريم إلى مدينة قسنطينة بين سنتي 1933 و1934 فتتلمذ على الشيخ عبد الحميد بن باديس، وفي سنة 1936 ارتحل إلى تونس فدرس بجامع الزيتونة على الطريقة الحرة وعاد منه سنة 1939 م بشهادة التحصيل.

وبرجوعه إلى مسقط رأسه وأهله عقد الوالد لابنه عبد الكريم الزواج الثاني - بعد الأول الذي كان قبل العشرين من عمره مع إحدى بنات عمومته وفشل هذا الزواج الثاني من السيدة خديجة بنت الشيخ السعيد ان المك بولعود الحسناء، وقد وهبها الله به أربعة أبناء ذكور هما: محمد رضا والوليد وعبد المالك وفيصل

## 2- نشاطه وأعماله

وإثر عودته من الزيتونة جمع الشيخ عبد الكريم أبناء القرية إليه فعلمهم في الكتاب بضعة شهور، ثم انتقل بعدها إلى مدينة برج بوعرييج فعلم بمدرسة التهذيب ومع سنة 1941 م ارتحل إلى العاصمة عند خاله محمد الحسن بن عمار بن الزيوش وسعى للحصول على رخصة من السلطات الفرنسية تخول له التعليم فتم له ذلك بمدرسة الفلاح عند شارع صالح بوعكوير واستمر مدة 15 سنة، ثم بالمدرسة التابعة لمسجد المدنية حتى تاريخ اعتقاله واستشهاده سنة 1959

شغل الشيخ عبد الكريم العقون في الجزائر العاصمة وظيفتين متلازمتين هما التعليم والإمامة، فقد أم المصلين بمسجد سانتوجين وبمسجد المدنية.

قال الشيخ محمد الأخضر السائحي: "عرف الشيخ عبد الكريم العقون عند سكان بيلكور كرجل دين أكثر منه شاعرا، وقد منحته وظيفة الإمامة من محبة الناس وتقديرهم مالم يمنح غيره من الأدباء، كنت أرافقه أحيانا لقضاء الأمسيات عبر شوارع العاصمة فيميل إليه الصغار والكبار يلاقونه بالتحية والتسليم، وقد كان هو شديد الحياء كثير التواضع، يرد عن تحية الكبار وينحني لتقبيل الصغار، حتى أنني قلت له ذات مرة: ( إن السائر معك ليحتاج إلى صبر، قال: ولم؟ قلت: لثقلك، فتبسم رحمه الله.<sup>3</sup>

من وقال فيه الشيخ أحمد شقار: "عرفت الشيخ عبد الكريم العقون ورافقته في مناسبات ثقافية واجتماعية كثيرة، كما جمعي به الحديث عن الشعر والشعراء عدة مرات، فوجدته رجلاً يؤلف أول لقاء لتواضعه ولين رفاقته، رجلاً حيويًا نشيطًا، حسن الهندام أنيقًا، مغرماً بصور الفن ومشاهد الجمال، يلتقط الصور الفوتوغرافية أثناء الزهات ويكثر القراءة للصحف والمجلات، ويولع بأخبار الشعر والشعراء خصوصاً ذوي الاتجاه الرومانسي"<sup>4</sup>

كان عضوًا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودعاتها المتحمسين، وبرز نشاطه الثقافي من خلال اجتماعاتها ومجلتها «البصائر».

### 3- الإنتاج الفكري

في المدة ما بين له عدد من القصائد المنشورة في مجلة «البصائر» 1947 و1956 ومنها: «يا رفيقي» تباشير «الصباح»، «ذكريات وعهود»، «في مولد الربيع»، «تحية المغرب»، وله ديوان مخطوط.

تنوعت موضوعات شعره بين الاتجاه الوطني والاتجاه القومي والاتجاه الذاتي، وفهما حرص على مجاراة تيارات وشعراء عصره المجددين من أمثال «أبي القاسم الشابي» فغلبته نزعة التأمل الوجود والذات. في وكثير من شعره يتغنى بالطبيعة ويحتفي بصورها، مراعيًا - في أبنيته - تدفق الإيقاع وسلاسة اللفظة، سعة في الخيال وجمال التعبير.<sup>5</sup>

### 4- نماذج من شعره

قصيدة بعنوان "من وحي البحر"، منها:

ها أنا اليوم قد وقفتُ أناج\* ك-أيا بحر- فاستمع لنشيدي

فكلانا في موقف نتناغي\* بأغان سحرية التريدي

إنك اليوم مؤنسي وسميري\* \*\* ونجبي في قفر "هذا الوجود

سكنت نفسي الحزينة وارتاحت\* إلى حسنك البديع الفريد

وفي قصيدة بعنوان "بني العرب هذا يومكم":

سينقشع الغيم المخيم عن شعبي \* فيغدو ضحوكا مشرق الأفق كالغرب  
ويحظى بآمال عذاب جميلة \* وكم من جنى عذب لدى الأمل العذب

وفي قصيدة أخرى بعنوان: "الكون ضاق بكل حكم جائر" قالها في ذكرى مجازر 8 ماي 1945

ذكرى على مر الأيام تكرر \* لمجاهدين جهادهم لا ينكر  
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم \* والنفوس أنجع للفداء وأجدر  
ذكرى على مرّ الأيام تكرر \*\* لمجاهدين جهادهم لا ينكر  
ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم \* والنفوس أنجع للفداء وأجدر  
وسعوا لشعب طامح متطلع \* رام الحياة طليقة تتنور  
المخلصون لديهم ولشعبهم \* والثابتون على العواصف تجار  
كتبوا صحائفهم بحبر من دم \* نعم الدماء بها الشعوب تطهر  
سكنوا القلوب بصدقهم ونضالهم \* وطموحهم للمجد صبح مسفر  
ركبتقدم للسباق يحثه \* إيمانه وإلى الحقوق مشمر  
لا ينثني عن عزمه في سيره \* كي ما ينال مراده أو يعذر  
ما ضرهم سجن ولا نفي \*\* ولا موت كذاك الحرّ لا يتغير  
ألفوا المعارك والبطولة والفداء \* خاضوا غمار الموت كي يتحرّروا  
نشء تجهز للكفاح تخاله \* أشبال غاب في الكريمة تزار

5- استشهاد

حين اندلعت ثورة التحرير الوطني انظم الشيخ عبد الكريم إلى صفوف المنظمة المدنية  
لجبهة التحرير الوطني، فعمل على بث الوعي وحشد الرأي الوطني لدعم الثورة، وشغل وظيفة أمين  
صندوق المال لمنطقة المرادية، ولما حاطت به شكوك قوات الأمن الاستعماري أخذت تعتقله حين  
لحين لا ستنطاقه والتحقيق معه، حتى اقتحمت عليه بيته ليلة 15 جانفي واعتقلته بسجن  
الكورنيش عند باب الوادي مدة تقارب الثلاثة شهور ثم نقلته إلى سجن الدويرة وأعدته بقرية  
الخرابسية ليلة 13. ماي من سنة 1959م.

## خاتمة

إن شعر المقاومة كشف لنا عن الإلتزام الحق بقضايا الوطن لأنه شعر مكافحة واثمين لقيم الأمة في خطاب الألم وسنوات الإستعمار البغيض، فكان شعرا إرهابيا للثورة في شتى المجالات السياسية والثقافية والإجتماعية كما أبرز لنا عبقرية الشاعر الجزائري المسلم في تمسكه بلغة القرآن الكريم والكتابة بها في أوقات الشدة محافظا على كيان أمته ومثبنا لأصالتها.

فكان شعرهم شعر هاد وتاريخا لتلك الفترة بكل عطاءها وتطلعات الأمة فيها.

فكان الشاعر عبد الكريم العقون مثالا لطبيعة الإنسان الجزائري في لفتته الذكية بقصائد وأبيات تفوح بالمرارة والشكوى وأخرى تتلون بالألم والعذاب وقصائد أيضا تعلي صوت الوطن وتؤمن بالثورة وتلتزم بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف بهدف حمل رسالة تصور مأساة الجزائر وتدعوا للتحرر من الإستعمار وتحمي الهوية والوطنية

**\*\*\*المجد والخلود لشهداءنا الأبرار تحيا الجزائر\*\*\***

<sup>1</sup> محمد شوتحي دار الكتب العلمية بيروت ط2 1999 ص802.

<sup>2</sup> يحيى أوهيبة، أرشيف مرحلة تدوينية، 24 جوان 2012.

<sup>3</sup> محمد الهادي الحسني، الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، جريدة الشروق، 28-05-2015، ص12

<sup>4</sup> عبد الرحمن إبراهيم ابن العقون الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الجزء الأول، برج بوعرييج، ص105.

<sup>5</sup> ابن بوزة مليكة الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، المسيرة والنضال، مجلة المدونة، جامعة البليدة، 31-01-

2015، الجزائر، ص10

## جدلية الفني والتاريخي في روايات مولود فرعون-رواية ابن الفقير والدروب الوعرة

### أنموذجا

**Title in English; The dialectic of the artistic and the historical in  
Mouloud Feraoun's novels – The Poor Man's Son and the Paths that  
Rise as a model**

أستاذ محاضر أ/ ميسي خولة

قسم اللغة والأدب العربي- محمد الشريف مساعديّة – سوق أهراس (الجزائر)

k.missi@univ-soukahras.dz

#### ملخص:

على الرغم من سياسة القمع والتقتيل والإرهاب التي عانى منها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي إلا أنه صمد في وجه العدو الغاشم وثار مقاوما اضطره، وقد كان من بين من حملوا راية المقاومة، المثقفين والأدباء والكُتاب والفنانين، وفي هذا المقال سنركز على المقاومة الثقافية للشهيد مولود فرعون، محاولين الإجابة عن جملة من الإشكالات منها: هل اكتفى مولود فرعون في رواياته –ابن الفقير والدروب الوعرة- بسرد الحقائق التاريخية عن واقع الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي؟ إلى أي مدى تعالق الفني مع التاريخي في روايات مولود فرعون؟ وهل استطاع الشهيد الكاتب مولود فرعون إحراج فرنسا أدبيا؟

الكلمات المفتاحية: مولود فرعون؛ الشهيد؛ الاستعمار؛ الفني؛ التاريخي.

#### Abstract:

Despite the policy of repression, killing and terrorism that the Algerian people suffered from during the French colonialism, many stood firm to its face and revolted, resisting its oppression, and it was among them Intellectuals, literary authors , writers and artists. In this article, we will focus on the cultural resistance of the martyr Mouloud Feraoun, through which we wanted to answer the following questions: Was Mouloud Feraoun

satisfied conveying all the historical facts about Algeria during the French colonialism in his novels? To what extent does the artistic perspective relate to the historical in the novels of Mouloud Feraoun? And could the martyr writer Mouloud Feraoun embarrass France literary?

**key words:** Mouloud Feraoun; martyr; colonialism; artistic; historical.

## 1- مقدمة:

لفن الكتابة والإبداع طقوس خاصة، يستشعرها المبدع أثناء إخراج فنه إلى العالم، وعادة تكون في ظروف طبيعية لا يتعرض فيها المبدع إلى أي ضغط أو تهديد؛ أما أن تبعد تحت القصف والنار، فذلك تحدّي أكيد، فُصد منه الانتصار للوطن والدّود عنه تحت كل الظروف.

كثيرة هي الأعمال الإبداعية التي غيرت مجرى الأحداث، وأربكت العدو بمجاهبتها تأثيراته العديدة؛ وقد اخترنا استنطاق تعالق التاريخي للفني في أعمال الشهيد مولود فرعون الروائية؛ لما تحمله إبداعاته الروائية-ابن الفقير ورواية الأرض ورواية الدروب الوعرة- من دلالات عميقة، تركز فعل المقاومة والتصدي للاستعمار الفرنسي، ما جعل العدو الفرنسي يتوجس خيفة من مثل هذه الطاقات الإبداعية والأقلام الذهبية.

ولأن هذه الأعمال الروائية، كُتبت إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد استطاعت التأريخ لحقبة من تاريخ الجزائر، بأسلوب فني روائي يتماشى مع التطور الأدبي في الجزائر؛ لذلك ارتأينا عنونة بحثنا بجدلية الفني والتاريخي في روايات الشهيد مولود فرعون-رواية ابن الفقير والدروب الوعرة أنموذجا، وهي دراسة تركز على مجموعة من الإشكاليات منها: هل استطاعت الأعمال الروائية لمولود فرعون-رواية ابن الفقير والدروب الوعرة إحداث جدلية بين الفني والتاريخي؟ وهل أفادت أعماله الروائية من هذه العلاقة؟ وهل عكست رواياته ظلال المستعمر وأمل الشعب والوطن في الحصول على الحرية؟ وقد جاءت عناوين البحث الكبرى والفرعية لتقارب الأعمال الروائية لمولود فرعون من وجهة نقدية تحليلية، ابتغيها من خلالها تسليط الضوء على الخصائص الفنية والجمالية لرواياته وربطها بالتحويلات البنيوية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال الاحتلال الفرنسي.

## 2- المقاومة الثقافية لمولود فرعون \*

على غرار الربيع بوشامة والأمين العمودي وأحمد رضا حوحو والحبيب بناسي والعربي التبسي وعبد الكريم العقون... وغيرهم من الأدباء الشهداء الجزائريين، الذين فدوا الجزائر بالدم والحرف، نذكر ونستذكر الشهيد الأديب مولود فرعون، الذي أغتيل غدرا من قبل منظمة الجيش السري في باريس عام 1962، وقد عُرف بمقاومته الفكرية والأدبية للخطاب الاستعماري، كيف لا وهو من قارع الاستعمار بلغته، وجعل من قلمه سلاحا للدفاع عن هويته، ولعل ذلك ما دفعه لقول جملته الشهيرة: «أكتب بالفرنسية، وأتكلّم بالفرنسية؛ لأقول للفرنسيين: إني لست فرنسيا»<sup>1</sup> كانت شاهدا أدبيا على فترة شديدة التوتر في تاريخ الجزائر، دافع فيها عن الشخصية الجزائرية، وثمّن التراث المحلي، كما أنه تحدث عن الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

مولود فرعون فنان مناضل، تفاعل مع أوضاع مجتمعه، فصبغت أعماله الأدبية بكل ألوان الظلم والاستعمار، الذي تفنن فيه الاستعمار لما يزيد عن القرن؛ لتتحول الكتابة من فعل إبداعي إلى مقاومة ثقافية ضد كل أنواع السيطرة والهيمنة، فخلفت لنا إبداعاته رصيذا معرفيا وفكرا تحرريا، كان ثمنه إزهاق روحه.

والجدير بالذكر أن مولود فرعون كان من بين مجموعة الكتاب الذين أقبلوا على ثقافة المستعمر، وتمكنوا من أن يفرضوا أنفسهم في مجال الأدب بعد أن اتخذوا اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير؛ كما ظهر اتجاه محافظ يرفض التجديد والإقبال على الثقافة الاستعمارية، وقد ضمت هذان الاتجاهان مدرسة شمال إفريقيا المعبرة باللغة الفرنسية فتتبن من الكتاب، فئة الجزائريين من أصل فرنسي ولدوا وعاشوا بالجزائر ومنهم: روبليه، غابرييل أوديسيو، جبل روا، ادموند يروا، ألبير كامو؛ وفئة الكتاب الجزائريين من أصل جزائري ومنهم: مولود فرعون.<sup>2</sup> الذي ألف رواية ابن الفقير، وهي أول عمل روائي، تحدث فيها عن مأساة فقراء الجزائر، أطلق فيها مولود فرعون العنان لقلمه ليسرد لنا محطات عن حياته، قضاها في قرية من قرى منطقة القبائل الجبلية، خاض فيها نضاله الأول لأجل المعرفة، فأثناء استغراق الكاتب في ذكرياته المريرة، نتيجة لظروف حياته الصعبة التي طغى عليها الحرمان، صاغ لنا مولود فرعون حكايات عن مأساة الفلاحين الكادحين الذين يعملون في أرضهم بأبخس الأثمان.

أما رواية الدروب الوعرة، والتي أُلّفها سنة 1957، ليست مجرد قصة حب وغرام، وغيره وانتقام. ولكن الناقد سرعان ما يكتشف وراء هذه العواطف المحتدمة صراعا بين القديم والجديد، بين الشباب والشيخوخ، بين التبشير والإسلام.. قيل عن فرعون بأنه لم يكن من الكتاب الملتزمين، ولكن، يشفع له على هذا الموقف أنه كان من ذوي الإحساس المرهف: فكل رواية له إنما هي أنشودة حلوة يمجد فيها أرض الآباء والأجداد.<sup>3</sup> صوّر فيها مولود فرعون الصراع الحاد بين ثقافتين، الأولى استعمارية متمثلة في ظاهرة التنصير أمام تمسك أهل القرية بتقاليدهم وعاداتهم، خصوصا في ظل العنصرية البغيضة، فقد لاحظوا أنه رغم كل ما يفعلون لا يزال ينظر إليهم باحتقار من طرف الفرنسيين، فإنهم يسخطون أشد السخط على المسيح والمسيحية بسبب هذه التفرقة العنصرية.<sup>4</sup>

بعد رواية ابن الفقير، أُلّف مولود فرعون رواية ثانية عنوانها بالأرض والدم سنة 1953، تحدث فيها الكاتب عن مرحلة عملية هجرة شمال إفريقيا للعمل في فرنسا بسبب معاناة الفلاحين والعمال في وطنهم الأصل، وتقع أحداثها فترة ما بين الحربين العالميتين، وتتمحور أحداث الرواية حول عودة بطل الرواية عامر رفقة زوجته ماري إلى منطقة القبائل؛ ليطرح فيها مشكلة الهجرة، والزواج بالأجنبيات، وحياة الفقر والعوز التي عانى منها البطل، بالإضافة إلى تأكيده على ارتباط الشعب الجزائري بأرضه.

ليجعل مولود فرعون من إبداعاته سلاحا ثقافيا تنويريا تحريرا، جابّة به الخطاب الاستعماري الفرنسي، على غرار كتاب آخرين أُلّفوا في فنون أدبية مختلفة: كالقصة والشعر والمسرحية والأغاني الشعبية والأشرطة الوثائقية وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى، التي دعمت الثورة وكتبت عن مأسمتها وبطولاتها، ودعت إلى الحرية والتحرر، وأيدت شرعية الاستقلال واستمات أصحابها على موقفهم، ففضوا نحبهم، تاركين وراءهم أعمالهم الأدبية المخدلة لأرواحهم وأفكارهم نتلقفها جيلا بعد جيل بالقراءة والنقد والتحليل، مبرزين دورهم في مقاومة المستعمر وإحراجه ثقافيا.

### 3- روايات مولود فرعون بين اليقين التاريخي والإيحاء السردي:

تعتبر روايات مولود فرعون- ابن الفقير والدروب الوعرة- نصوص روائية تلامس الواقع الجزائري المأزوم خلال فترة الاحتلال، فقد استطاع أن ينقل لنا صورة مصغرة عن الحياة الاجتماعية في بلاد القبائل زمن الوجود الفرنسي في قالب فني روائي.

فبراعة الروائي تكمن في مقدرته الفنية على إقامة علاقة بين الحقائق التاريخية والعالم السردي المتخيل بلغة أدبية راقية تستفز فرنسا، فعن أسباب ودوافع تأليفه لرواية الأرض والدم يروي جوزي ليزيني بأن «مولود فرعون أستقبل في قصر الايليزي عندما سافر إلى باريس في سنة 1960، حيث عرض عليه الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول، منصب سفير فرنسا في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يقول جوزي ليزيني: انه من المعلوم بأنها أهم سفارة بالنسبة لفرنسا، وقد أخبرني ابنه علي فرعون، بأن ديغول أراد من خلال هذه المناورة أن يظهر للأمريكيين بأن فرنسا تقود حربا ضد الثوار الجزائريين فقط، لكن ما يزال في البلاد مثقفون يكتفون لها الولاء»<sup>5</sup> ثم يواصل جوزي ليزيني حديثه، عن التزام مولود فرعون بقضية الجزائر، ورفضه لجمع المساومات الدنيئة التي اقترحتها عليه فرنسا؛ مشيرا إلى أنه «رفض مولود فرعون المقترح، وعاد إلى الجزائر، وكتب رواية جزائرية حول قصة حب بين معلم جزائري من القبائل وفرنسية اسمها فرانسواز لكن هذا الحب لا يكتمل، في دلالة على فرنسا والجزائر واستحالة انصهارهما معا في بوتقة واحدة، لكنه عندما أرسلها إلى دار لوسوي للنشر، ثم رفضها واقترح مديرها عليه أن يحول شخصية الفرنسية فرانسواز إلى أميرة قبائلية، لذلك قام الكاتب الجزائري بتأليف نسخة ثانية. وقد تلقى مولود فرعون عدة رسائل تهديد خلال الثورة الجزائرية من طرف منظمة المقاومة للجزائر الفرنسية بسبب نضاله المساند للثورة الجزائرية.»<sup>6</sup> فهذا الكلام يؤكد أن ثلاثية مولود فرعون الروائية، ما هي إلا وثائق تاريخية محررة في قالب سردي روائي يُدين غطرسة فرنسا وهمجيتها، ويردُّ على محاولاتها لصدّ الطاقات الإبداعية عن دعم الثورة.

وروايته ابن الفقير خليط أجناسي بين السيرة الذاتية والرواية، وفي تصريح له قال عنها أنها قطعة من ذاته، كتبها إبان الحرب المظلمة على ضوء مصباح تقليدي؛ فهي ترجمان حياته في تيزي وزو، وملخصا لكفاحه الطويل مع الحرمان، كما أنها صورت لنا أدق التفاصيل عن قريته-عاداتها

وتقاليدها- وأوضاعها الاجتماعية المزرية، حتى أنه يصف لنا بدقة تضاريسها وعمراها وإجمالي سكانها؛ حيث «تعد تيزي تجمعا سكانيا لألفي ساكن، تتلاصق منازلها الواحد تلو الآخر على قمة مرتفع وكأنها هيكل عظمي ضخم لوحش ينتهي إلى عصر ما قبل التاريخ: على طول مائتي متر، يقع الشارع الرئيسي وما هو إلا جزء من طريق قبيلة يربط عدة قرى ويؤدي إلى طريق ممهد ومنه إلى المدن. يحتفظ هذا الشارع الرئيسي بعرضه الأصلي في المناطق التي يحده فيها حائط من جانب واحد: ستة أذرع على الأقل؛ لأنه ما تم بناؤه على جانبيها غالبا ما تآكل، كما أنه يثير الشفقة في محبسه الحجري.»<sup>7</sup> ويتواصل هذا الوصف صفحات متتالية.

فالقارئ للرواية يقف على تماهٍ بين النص التاريخي والنص الروائي؛ فمهارة مولود فرعون تتجلى في إيجاد مناخ تاريخي تضطلع فيه شخصيات غير تاريخية لم يخصصها التاريخ بالدقة التي خصص بها الشخصيات التاريخية المثبتة نصا بأعمال متخيلة.<sup>8</sup>

وما أكثر هذه التحويرات في رواية ابن الفقير، التي حوّل فيها الكاتب الأحداث التاريخية إلى خطاب روائي؛ يقول مولود فرعون: «عمي وأبي يحملان اسمي رمضان ولونيس، غير أنه في الحي اعتادوا أن ينادوا باسم أبناء شعبان، لا أعرف حتى لماذا، أصبحتا يتيمين منذ نعومة أظفركما حتى إن أبي لم يعرف قط جدي. غير أنه ينبغي مناداتهما باسم أبناء تساديت، جدي. يفضل بالتأكيد أعمامهم وأبناء عمومتهما تخليد اسم شعبان ليظهروا جيدا للناس أن اليتيمين لهما أصل وأنهما يحلان محل أبيهما.»<sup>9</sup>

بينما نجده في رواية الدروب الوعرة، يقيم مولود فرعون حوارا مع المعطيات التاريخية ويعيد تكييفها لغايات فكرية إيديولوجية، ينجذب فيها القارئ إلى بلاغة الصراع، الحاد بين ثقافة المستعمر والمتمثلة في انتشار ظاهرة التنصير، يقول السارد متحدئا عن ذهبية: «ثم رفعت صوتها مبتهلة: رحماك يا الهي، وبورك اسمك، وتعالق قدرتك. وصارت تردد بصورة آلية صلاتها، تلك الصلاة التي تعلمتها بعدما تنصرت، من الأدب دبوا الذي يتحدث اللغة الأمازيغية بطلاقة. وقد ترجم الأب دبوا أقوال المسيح لكي يحفظها التلامذة في آيت واضو.»<sup>10</sup> وثقافة سكان القرية المتمسكين بعاداتهم وتقاليدهم وبدين الإسلام القويم؛ يقول مولود فرعون مصورا لنا بعض من

تلك النقاشات والمناظرات بين المسيحيين والمسلمين: «انظروا إلى الراهبات وإلى الآباء البيض، وما يقومون به من أعمال البر والإحسان، وما يقدمونه من خدمات لأمثالكم من الجاحدين بالنعمة، ثم قارنوا بينهم وبين الشرفاء والمرابطين الذين تدينون لهم بالولاء، وتذكروا عاداتهم الشنيعة في كتابة الحروز، وما يتصفون به من بلادة... كونوا واقعيين، وافتحوا عيونكم لكي تروا الأمور على حقيقتها. إلا أن المسلمين، عوضاً من أن يفتحوا عيونهم، فهم على العكس لا يعيئون لكلامهم ولا يردون عليهم جواباً. ولو شاءوا لردوا عليهم قائلين: إذا كان في سيرة المرابطين مجال للانتقاد، فالذنب ليس ذنب الدين، والديانة المسيحية نفسها قد مرت بعهد لم يكن فيه القسيسين أكثر تقي وأحسن سيرة من المرابطين.»<sup>11</sup> وبنفس النمط، يذهب مولود فرعون لعرض قضاياها عن مظالم الاستعمار ورأيه من حملة التنصير وقضايا المرأة...

#### 4- روايات مولود فرعون نصوص مثيرة للقراءة:

الفن الجيد هو الذي يتخطى عامل الزمن وحدود الفضاء، ليتعلق بالذاكرة، فيمجده التاريخ ويستثير القراءات؛ كذلك هي روايات مولود فرعون نصوص خلدتها الذاكرة جيلاً بعد جيل؛ لأنها مثيرة للقراءة، فالسرد «موجود ببساطة كالحياة نفسها... أمعياً، وعابر للتاريخ وللثقافات. وهكذا، فإن السرد أبعد ما يكون عن كونه مشكلة، بل يمكن اعتباره حلاً لمشكلة ذات اهتمام إنساني عام، أي المشكلة المتمثلة في كيفية ترجمة فعل المعرفة إلى فعل القص، مشكلة صياغة التجربة الإنسانية بشكل قابل للاستيعاب في بُنى المعنى التي تكون ذات طابع إنساني عام بدل أن تكون خاصة بثقافة معينة.»<sup>12</sup> ليتجاوز مولود فرعون حدود المحلية، وترجم إلى أكثر من لغة؛ وهذا عائد طبعاً لقضايا الإنسانية التي طرحها في روايتها، وكذا قدرته الفنية المتميزة.

إن القارئ لروايات مولود فرعون، يقف على آليات فنية لكاتب مبدع، مزج فيها بين الواقعية والخيال، وضمها جدلية واسعة النطاق تركز فعل الحوارية المنفتحة بين التاريخ والذاكرة والتخيل والسيرة والقيم والمعتقدات والوعي الاجتماعي والطرح التاريخي يقود مولود فرعون بذاكرته إلى زمن مضى ليقص سيرته الذاتية، فيختار شخصية فورولو، ليروي مآسي حياته، والدروب الوعرة التي خاضها ليصل إلى غايته، يقول الروائي: «متى وفي أي ظروف ولدت صداقتنا؟ لن أستطيع أن أقول. في ذاكرتي، دائماً ما يرافق عقلي فرولو الصغير البالغ من العمر

خمسة أو ستة أعوام. نحن نسكن الشارع نفسه، لا أننا تقابلنا هنا. على الرغم من ذلك، لا شيء يوضح سر ارتباطنا. كان هناك أطفال آخرون، غير أنهم لم يكونوا صداقة مثل صداقتنا.<sup>13</sup> فبراعة الكاتب تكمن في قدرته على إقامة حوار مع ذاته، ليكرس وعي جديد عن الأنا والآخر حضاريا وثقافيا.

لروايات مولود فرعون-خاصة ابن الفقير- مزايا فنية عديدة، منها مرونة الخطاب الروائي فيها وبساطته، واستجابته دلاليا وجماليا للبعد التخيلي للوقائع، ما يجعل علاقة النص بالسياق ممكنة، وبالتالي إلى غلبة المتخيل الروائي على الحقائق التاريخية، حيث النزوع نحو التأويل واستدعاء الماضي وإعادة تربيته من منظور حضاري وثقافي جديد.<sup>14</sup> وهذا ما جعل من نصوصه الروائية ثرية وقابلة للقراءة والتأويل.

إضافة إلى هذا، يعتبر مولود فرعون من الأدباء الشهداء، الذين استطاعوا أن يكونوا كتابا إنسانيون، وأعماله وطنية نضالية، فسخر قلمه لهذه الخدمة الجليلة، لذلك عدّ من الكتاب الملتزمين الذين تحدثوا عن آفات الشعوب ونضالهم الدائم والمستمر ضد: الفقر والجهل والمرض والاستعمار، فهذا الأخير منذ أن استعمر الجزائر، خطط لتهديم مقومات الشخصية الجزائرية، وقال بأن الجزائر فرنسية؛ وغايته في ذلك طمس الهوية الجزائرية، وتضييق الخناق على التعليم باللغة العربية، بل واعتبارها لغة ثانية؛ وقد تحدث مولود فرعون عن ذلك: «صباح الاثنين: رحيل على عجل للوصول قبل الثامنة. وسيركب الأتوبيس للمرة الأولى! هل يحلم الشاب؟ ذهب إلى المدرسة حتى قبل أن يقابل يا السيد لأمبيرت، رئيس البعثة. شعر فورولو بأنه تائه وسط جموع التلاميذ، لم يتعرف على نفسه، يرتدي ملابس إفرنجية مثل الآخرين، قبل الدخول عقد له أزيار رابطة عنقه بعناية، كونه عليما يمثل هذه الأمور.»<sup>15</sup> فاللغة بالنسبة لمولود فرعون وسيلة لتعرية الواقع، وسلاح فتاك يناضل به عن قضايا وطنه ضد ظلم المستعمر وغطرسته، رغم التهديدات والمؤامرات التي تحاك ضد مثقفي الأمة.

وقد واصل نضاله الثقافي، فمسيرته لم تتوقف عند رواية ابن الفقير؛ كذلك رواية الدروب الوعرة التي تحدث فيها عن الظروف المزرية التي يعيشها سكان منطقة القبائل، الذي دفع بشباب

القرية للرحيل عنها والسفر إلى فرنسا، لتحسين أوضاعهم البائسة، والحصول على لقمة العيش؛ يقول مولود فرعون: «و الحقيقة أنه يوجد من بين هؤلاء الشباب من يفكر في الأمر جديا، ويحاول أن يحسن أحواله وأن يحقق إلى حد ما مطامحه. ومن بينهم ذلك الشاب من ايغيل نزمان الذي عزم على أن يتحرر من جميع القيود، لأن هذا الحل في نظره هو الحل المنطقي الوحيد. وصل هذا الشاب ذات يوم إلى البلاد عائدا من مدينة توركوينج، فقال لزوجته ليضعها أمام الأمر الواقع: يا هذه، أنا فقير. وجميع الناس يعرفون بأني لا أملك شيئا في ايغيل نزمان. أما في مدينة توركوينج فلي على الأقل عمل في أحد مصانع الغزل والنسيج.»<sup>16</sup> فكان السفر إلى فرنسا بالنسبة لكثير من شبان قرية ايغيل نزمان مرفأ للنجاة؛ بينما خاب سعي غيرهم، فعادوا إلى قراهم، لتحمل المسؤولية المنوطة بهم؛ يقول السارد: «وقد سافر مقران مرة أو مرتين إلى فرنسا، غير أن المعيشة في بلاد الكفار لم ترقه، ولذلك عاد إلى القرية حيث تركت له عائلته مسؤولية القيام بكل ما يتصل بالفلاحة.»<sup>17</sup> فقد حرص الكاتب أن تكون لغته بسيطة وواضحة، تلتزم بعرض جميع الآراء والوقائع التي حدثت فعلا خلال فترة الاحتلال.

والجدير بالذكر في هذا المقام من البحث أن للغة مولود فرعون دورا كبيرا في النهوض بغايته المنشودة، ألا وهي التعبير عن واقع منطقة القبائل والوطن بصفة عامة، وتعبير كل المشاكل التي اعترضته؛ كما أنه استطاع أن يواجه المستعمر الفرنسي بجرائمه اللا إنسانية اتجاه الأرض والشعب بلغة يفهمها وحقائق دامغة؛ «فاللغة هي الاستعمال الفكري كما أنها الجوهر المميز لقيمة مجتمع من المجتمعات.»<sup>18</sup> لذلك نجد مولود فرعون كتب رواياته بلغة المجتمع التي يفهمها كقوله: «العني الشيطان يا مالحة، ما هذا الكلام إلا من وحي إبليس اللعين. أرجوك، لا تصرخي يا مالحة، ولا تشمتي بنا أمام الأعداء.»<sup>19</sup> وفي رواية ابن الفقير، نجده يُدرج الكثير من الألفاظ والعبارات العامية مثل: القهواجي، بردعة، الكانون، ايكوفيات...

##### 5- التصديرات السردية في رواياته:

لقد سبق وأشرنا أنه اعتمد على الوضوح في لغته ونزل إلى لغة المُخاطب، بسيطة تليق بأدنى مستوى للمتلقين من عامة الشعب، كما أنها ترتفع إلى أعلى مستوى من المخاطبين، فقد ديجّ مولود فرعون رواياته خاصة ابن الفقير وبدرجة أقل رواية الدروب الوعرة، بأقوال لكبار

الكتاب؛ كقوله في القسم الذي يعنونه بالعائلة: «سوف نعمل لأجل الآخرين حتى الشيخوخة، وعندما تحين الساعة سنلقي حتفنا بلا همس، وسنقول في العالم الآخر إننا عانينا، إننا بكينا، إننا عشنا سنوات طويلة مريرة وسوف يرأف الله لحالنا.»<sup>20</sup> وهي مقدمة تسبق ما سيجيء في متن الرواية، تختزل تجربة أنطون تشيخوف\* Anton Tchekhov اقتبسها الراوي كعتبة تحيل على المعنى الذي سيجيء من بعده، وقد عرّفها جيرار جينيت Gérard Genette «بمجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه: حواش وهوامش وعناوين رئيسية وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة وغيرها من بيانات النشر المعروفة.»<sup>21</sup> فالعبرة التي استوحاها مولود فرعون، تختصر المضمون الذي فيما بعد سيروي أحداثه النامية عبر تواصل السرد.

كما أنه اقتبس قول جول ميشليه\* Jules Michelet، ليصّدر به قسمه الثاني من الرواية المعنون بالابن البكر، «و هو نوع من الاستشهاد، إن لم نقل أنه الاستشهاد في حدّ ذاته، وهو كما ورد تعريفه: مقولة لكاتب ما توضع على رأس كتاب أو فصل، كأن يضع المؤلف قولاً أو عدة أقوال لكاتب ما أو لنفسه في بداية الكتاب بعد صفحة العنوان وقبل المتن، مستشهداً بها من أجل توجيه أو توضيح العمل. فالنصدير يكون على رأس العمل أو جزء منه نص أو عدة نصوص، وهو بذلك يقع خارج العمل ومحاذياً لحافته.»<sup>22</sup> وقد جاء في هذا التصدير: «اليوم الفقر المدقع الذي يتحمّله قومي بكل زهور ونبيل يصنع عظمتي، فيما سبق، كان بمثابة عار لي وكنت أخفيه قدر استطاعتي، احترام إنساني فظيع!»<sup>23</sup>

فكلا النصان اللذان صدّرا بهما الكاتب أقسام روايته، يحيلان على مسار أحداث في الرواية، وما تتضمنه من خطاب إيديولوجي، يروم الكاتب طرحه في روايته ابن الفقير؛ كما أنه اقتبس أقوالاً لهؤلاء الكتاب، الذين ثاروا على مظاهر اجتماعية لا إنسانية، لتغيير أقدار أوطانهم ومصائرهم، ليدخلوا العالمية من بابها العريض؛ لأنهم لهجوا بخطاب الحرية والتحرر والأخلاق، ضد الفقر والجهل وخطاب التبعية والاستعمار؛ فانسجمت معاني هذه التصديرات مع أفكار مولود فرعون.

أما روايته الدروب الوعرة، فقد اختار مولود فرعون أن يصدرها بمثل قبائلي، يقول فيه: « إذا ما قصدت الأربعاء ناث ييراثن، فالدروب إلها عديدة. ولكن مهما اخترت الطريق... فالدروب كلها وعرة.»<sup>24</sup> وهو التصدير الوحيد في الرواية، الذي نجده يتكرر في متن الرواية، كقوله: «لقد علمتنا التجربة بأن دروب الحياة كلها دروب وعرة»<sup>25</sup> وقوله: «لقد وجدت نفسي كغيري من الناس، أمام دروب وعرة. وما نحن في الواقع إلا قوم فقراء في بلاد فقيرة جدا.»<sup>26</sup> أثار فيها الكاتب نقاش حول مجموعة من القضايا السياسية والاجتماعية، كقضية التمييز بين الفرنسيين والجزائريين، تحدث فيها مولود فرعون عن معاناة الشعب الجزائري أمام الممارسات القمعية والمضيقية التي اتبعتها فرنسا لظلم الجزائريين، فقد قامت بمصادرة أراضيهم وأموالهم لصالحها ولصالح بعض الخونة، ما اضطر شبان القرى والمداشر للهجرة إلى فرنسا لإعالة ذويهم.

ليسرد لنا الكاتب قصة عامر الشاب المتعلم المنافع عن قضية بلده، الذي تعرض للخيانة ليجد نفسه تحت رحمة السلطات فيُخير بين المنفي للصحراء أو الهجرة لفرنسا، ليختار الهجرة إلى بلاد المستعمر؛ الذي تعرض فيه للتمييز وسوء معاملة من طرف الفرنسيين، فيجد نفسه في صراع نفسي بين غربة مريرة ووطن مستعمر يتلوى من الفقر والظلم والجهل.

كما نقل لنا مولود فرعون صورة عن الأوضاع الاجتماعية في قرية اغيل نزمان، هذه القرية التي تنازعتها صراعات، صراع أسرة آيت العربي المدافعة عن وطنيتها وأسرة آيت سليمان المناصرة لسلطات الاحتلال؛ إضافة إلى أنه تحدث عن التبشير المسيحي، الذي عزمت فرنسا تعميمه في البلاد، وذكر لنا مولود فرعون مناقشاتهم العقيمة، ومدى تشبث سكان قرية وايت واضو بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم.

## 6- خاتمة:

في ختام هذا البحث، لا يسعنا سوى القول أن أعمال مولود فرعون-رواية ابن الفقير والدروب الوعرة أنموذجا، من النصوص الروائية الخالدة، لما يحويه من سمات فنية خاصة، وقضايا وطنية نضالية، تعكس مدى ظلم المستعمر الفرنسي وقسوته، جعل مثقفي الأمة-بصفة

عامّة- ومولود فرعون -بصفة خاصة- يشهر قلمه للدفاع عن قضايا الوطن والشعب، ساعيا بكل جهده لإنارة الرأي العام وفضح المستور. ومن بين النتائج التي توصلنا إليها:

- حرص مولود فرعون على تصوير واقع وطنه بأسلوب منفتح على التاريخ والذاكرة والتخييل.
- مولود فرعون من الكتاب الشهداء الذين حملوا مشعل المقاومة الثقافية، معلنا الحرب على فرنسا باللغة التي تفهمها.
- مقدرة مولود فرعون الأدبية والفنية، التي توصل بها سرد حقائق عن واقع وطنه، سجلها التاريخ جيلا بعد جيل، لغايات نضالية، أخرجت فرنسا وأخلطت حساباتها، هذا ما أدى بها للتخطيط لاغتياله.
- رغم السياسة التي شنتها فرنسا ضد الهوية الوطنية، إلا أن الشعب الجزائري قد أظهر صلابة ضد حملات التنصير وجهودها الجبارة لطمس مقومات الهوية الجزائرية العربية الإسلامية.

\* ولد في عام 1912 بإحدى قرى جبال القبائل لأب فلاح. وفي طفولته هاجر مع والده الذي اضطرت ظروف الحياة للعمل في فرنسا، وبفضل منحة دراسية قدر له أن يلتحق بمدرسة متوسطة ثم بدار المعلمين العليا بالجزائر، وعندما تخرج عُين معلما في مسقط رأسه، ولم يترك منطقة القبائل إلا في عام 1957 ليُعين مديرا في العاصمة وفي 15 مارس 1962 استشهد فرعون برصاص المنظمة السرية الإرهابية مع مجموعة من زملائه.

<sup>1</sup> مولود فرعون: ابن الفقير، تر: نسرين شكري، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص7

<sup>2</sup> نوال بن صالح: استشراف القطيعة في أدب مولود فرعون نموذج الأرض والدم، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، ع9، 2013، ص394.

<sup>3</sup> مولود فرعون: الدروب الوعرة، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 1990، ص (غلاف الرواية)

<sup>4</sup> عمر بن قينة: شخصيات جزائرية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، ط1، 1983، ص121.

<sup>5</sup> سماح عادل: مولود فرعون.. ساند الثورة وكتب المجتمع الجزائري القبائلي بدقة، بتاريخ: 15.08.2023،

kitabab.com

<sup>6</sup> سماح عادل: مولود فرعون.. ساند الثورة.

<sup>7</sup> مولود فرعون: ابن الفقير، ص21، 20.

- <sup>8</sup> نضال الشمالي: الرواية والتاريخ، بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، د.ط، 2006، ص 128.
- <sup>9</sup> المصدر السابق، ص 29.
- <sup>10</sup> مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 14
- <sup>11</sup> المصدر نفسه، ص 26
- <sup>12</sup> مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 27.
- <sup>13</sup> مولود فرعون: ابن الفقير، ص 41
- <sup>14</sup> محمد سالي: التضاييف الاجناسي بين يقينة التاريخ ونسبية الرواية، رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج أنموذجا، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، الجزائر، مج 2، ع 2، 2020، ص 303.
- <sup>15</sup> مولود فرعون: ابن الفقير، ص 158
- <sup>16</sup> مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 61، 62
- <sup>17</sup> المصدر نفسه، ص 51
- <sup>18</sup> أحمد طالب: الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 158
- <sup>19</sup> مولود فرعون: ابن الفقير، ص 54
- <sup>20</sup> المصدر نفسه، ص 15
- \* أنطون بافلوفيش تشيخوف (1860-1904)، طبيب وكاتب مسرحي ومؤلف قصصي روسي كبير ينظر إليه على أنه من أفضل كتاب القصص القصيرة على مدى التاريخ، ومن كبار الأدباء الروس. كتب المئات من القصص القصيرة التي اعتبر الكثير منها إبداعات فنية كلاسيكية، كما أن مسرحياته كان لها تأثير عظيم على دراما القرن العشرين. بدأ تشيخوف الكتابة عندما كان طالبا في كلية الطب في جامعة موسكو، ولم يترك الكتابة حتى أصبح من أعظم الأدباء، تنوعت مؤلفاته، بين المسرحية والقصة القصيرة والرسومات الفكاهية والقصص والمقالات.
- <sup>21</sup> عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 2000، ص 16
- \* جول ميشليه (1874-1798) هو مؤرخ فرنسي وكاتب. ولد في باريس كان جول ميشليه، في مؤلفه لعام 1855 بعنوان تاريخ فرنسا أول مؤرخ استخدم وعرف كلمة عصر النهضة ومعناها بالفرنسية الولادة الجديدة. كفترة تمثل في التاريخ الثقافي الأوروبي ابتعادا جذريا عن العصور الوسطى، منتجة فهما عصريا للإنسانية ومكانها في العالم.
- <sup>22</sup> فيروز شام: ما تقوله العتبات النصية، مجلة معارف، ع 11، 2016، ص 274، 275
- <sup>23</sup> مولود فرعون: ابن الفقير، ص 123
- <sup>24</sup> مولود فرعون: الدروب الوعرة، ص 5
- <sup>25</sup> المصدر نفسه، ص 260
- <sup>26</sup> المصدر نفسه، ص 263

## حجبة التناص في مقالات الشيخ الشهيد العربي التبسي

### The power of intertextuality in the articles of the martyr Sheikh Al-Arabi Al-Tepsi

د/ سلاف بعزیز (أستاذ محاضراً)

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الوادي(الجزائر)

baaziz-soulef@univ-eloued.dz

ملخص:

يعد التناص سمة بارزة، وظاهرة عامة في أغلب نصوص مقالات الإمام الشهيد العربي التبسي -رحمه الله-، ونمط أسلوب فني راق، وآلية لغوية متعددة ومتنوعة: آيات قرآنية، أحاديث نبوية، نصوص أدبية، أعلام وشخصيات مشهورة، تحددت من خلالها الوظيفة الحجاجية التي دعمت فكرة ومواقف الرجل المناضل، وحققت مقاصده وغاياته في إقناع واستمالة المتلقين للقضايا الدينية والوطنية والثقافية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: التناص / الحجاج / المقالات / الشيخ الشهيد العربي التبسي.

#### Abstract:

Intertextuality is a prominent feature and a general phenomenon in most of the texts of the articles of the martyr Imam Al-Arabi Al-Tepsi - may God have mercy on him - and it is a refined artistic stylistic pattern, and a multiple and diverse linguistic mechanism: Qur'anic verses, prophetic hadiths, literary texts, famous figures and personalities, through which the argumentative function that was supported was determined. The idea and positions of the struggling man, and his goals and objectives were achieved in persuading and winning over the recipients of religious, national, cultural and social issues.

**key words:** Intertextuality, Pilgrims, Articles, The martyr Sheikh Al-Arabi Al-Tepsi

## تقديم:

تقوم كتابة النصوص على ثنائية الإنتاج والتلقي ؛ حيث تبرز في الطرف الأول حقيقة النص بنية ودلالة أنها نتيجة تراكمات نصية غائبة يستدعيها المؤلف ويستحضرها متداخلة ومتقاطعة ومتعالقة في إبداعه في إطار ما يعرف بـ "التناس"، والثانية كيف يجعل الأولى دليلاً إقناعياً ومؤثراً لمقاصده الخطابية، ليكون جمعهما معا (التناس والحجاج) انعكاساً لقدرة الأديب على استثمار قراءته السابقة وثقافته في إنتاج كتابات جديدة تتخللها مقاطع وأجزاء نصية قديمة يعلل بواسطتها مواقفه وآراءه. الأمر الذي لم تحد عنه مقالات الإمام الشهيد الشيخ العربي التبسي - رحمه الله- ؛ إذ تكشف القراءة الواعية والمتبصرة لأعماله الأدبية من أنه مفكر إسلامي موسوعي عميق الإمام بالقضايا الوطنية والعربية والإسلامية.

## الإشكالية:

- كيف يمكن للتناص أن يؤدي وظيفة حجاجية في مقالات الإمام الشهيد العربي التبسي؟
- كيف يتم إقناع الآخرين والتأثير في أفكارهم وسلوكهم من خلال تقاطع النصوص وتداخلها؟
- إلى أي مدى أسهم التناص بكل أصنافه في تحقيق التغيير الذي أرادته رجل الإصلاح العربي التبسي؟

## 1- تعريف الحجاج: Argumentation

الحجاج والمحاجة مصدر لفعل "حاجج"، والحجة لغة على وزن فُعلة، وهي من الصيغ التي تأتي بمعنى اسم المفعول للمبالغة، وأصل الكلمة من الحج: القصد<sup>1</sup>. وحجه يحجه حجا، وأحاجه حجاجا ومحاجة، وحججه أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دافع به الخصم، ورجل محجاج أي جدل، والتجاج: التخاصم، والحجة الدليل والبرهان يقال: حججه فأنا محاج وحجيج، وأحتج بالشيء: اتخذته حجة<sup>2</sup>. وكلمة حجاج بحكم صيغتها الصرفية تدل: على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة<sup>3</sup>.

ومن خلال التحديدات القاموسية يبدو أن لفظ الحجاج أو المحاجة يحمل في مضمونه دلالة ومعنا مستمدين مما يشكل سياقه أو شرطه التخاطبي المتمثل في التخاصم والتنازع والجدل والغلبة كعمليات مأخوذة معانها الفكرية والتواصلية<sup>4</sup>.

يستمد الحجاج معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة ومن خصوصية الحقل التواصلية الذي يندمج في استراتيجياته الفردية والجماعية<sup>5</sup>.

لقد تطورت أبحاث الحجاج في عصرنا من خلال استلهام الموروث البلاغي والفلسفي، عند الغربيين من خلال إحياء التراث الفلسفي اليوناني، وعند العرب من خلال إحياء التراث البلاغي والكلامي العربيين<sup>6</sup>؛ إذ حدّ الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه<sup>7</sup>؛ ومن ثم فالحجة عنصر دلالي، متضمن في القول يقدمه المتكلم على أنه يخدم ويؤدي إلى عنصر دلالي آخر، والذي يُصيرها حجة، أو يمنحها طبيعتها الحجاجية هو السياق، فما يمكن أن يكون حجة في هذا السياق قد لا يكون كذلك في سياق آخر، حتى لو تعلق الأمر بالمحتوى القضوي نفسه، أو بالحدث نفسه المعبر عنه داخل القول. وقد تتحقق الحجة على شكل لفظة أو قول أو خطاب بأكمله<sup>8</sup>. وبذلك تعد العلاقة الحجاجية أصلا في كل خطاب، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مشبعا بالحجج، لذلك كان تحليل الخطاب يرتكز في أسسه على الحمولة الحجاجية التي ترتقي به من نص خام إلى نص يقبل البيان والحجة<sup>9</sup>.

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها<sup>10</sup>.

ووضع كل من ميشال ماير وشاييم بيرلمان مفهوما جديدا للحجاج جمعا فيه ملكة اللغة وهي ملكة يشترك فيها العام والخاص من الناس، وملكة الكلام المتمثلة في الخطاب وهي فردية، وملكة الإقناع وهي ملكة يتمتع بها النخبة الخاصة من الناس، فعبرا عن ذلك بأن الحجاج عادة يعتبر كونه جهدا اقناعيا (إفحاميا)، ويعتبر البعد الحجاج بعدا جوهريا في اللغة، لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه<sup>11</sup>.

ويتمثل هدف الحجاج في التأثير في الجمهور، والمعيار الأول الذي نقيس به خطابا ما هو نجاعته، بيد أنه ليس معيارا كافيا ؛ لأننا لا يمكن أن نهمل نوعية الجمهور الذي يتوجه إليه الخطاب، إننا نستطيع التمييز بين خطابات رجل السياسة، والمحامي والعالم، والمتكلم، والفيلسوف، لا فقط بمواضيعها بل نميزها أيضا وخاصة بالجمهور الذي تتوجه إليه تلك الخطابات، فتكون نجاعة الحجاج بحسب التقنيات المستعملة لإقناع سامع مخصوص وفق آليات مخصوصة<sup>12</sup>.

وينبغي التفريق بين "الحجاج" و"البرهنة أو الاستدلال المنطقي" حيث الخطاب الطبيعي لا يعد خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. ولفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية<sup>13</sup>.

ويستنتج مما سبق أن الحجاج بمعناه الاصطلاحي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية<sup>14</sup>؛ ذلك أن الحجاج جنس خاص من الخطاب يبني على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا، قاصدا إلى إقناع الآخر بهدف دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية<sup>15</sup>.

## 2- مفهوم التناس: Intertextuality

اشتق "التناس" من مصطلح "النص – Texte" بكل ما يحمله هذا الأخير من معاني<sup>16</sup>. يعود لفظه إلى الجذر اللغوي (نصص): الرفع والظهور، والتناس صيغة صرفية على وزن "تفاعل" بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه<sup>17</sup>. وتعد فكرة "التناس" من الأفكار المركزية للنظرية الأدبية والثقافية المعاصرة، وقد برزت هذه الفكرة في أواخر الستينيات من القرن العشرين<sup>18</sup>.

فقد عرف النقد الأوروبي منذ الإغريق التمييز بين ضروب من العلاقات بين النصوص. فكان الحديث عن الاستشهاد والأخذ غير المعلن أو الانتحال والسرقعة، والمعارضة، والتحويل

والمحاكاة الساخرة، والتلميح. وفي النقد العربي القديم، نجد في كتب الموازنة بين الشعراء حشداً من المصطلحات مثل "الانتحال" و"السرقة" و"الأخذ" و"السلخ" و"الاحتذاء" و"الاتفاق" و"النقل" و"المعارضة" و"المواردة" وغيرها. وفي كتب البلاغة مصطلحات أخرى أقل معيارية مثل "الاقتباس" و"التضمنين" و"الحل" و"العقد" و"التلميح".

والمصطلح الحديث يدل في الواقع على وعي جديد بتلك الظاهرة القديمة، ظاهرة التفاعل بين النصوص، وطرائق أخرى في التعامل معها. بيد أن استعماله عند الدارسين كان قائماً على نظرات في الظاهرة التناسية وتحديد للمجال التناسي تتفاوتت توسعة وتضييقاً<sup>19</sup>.

حل التناس محل ما يعرف بـ"تواصل المعارف الذاتية"، وحقل تطبيقاته ليس ببعيد عن المجال التقليدي لـ"نقد المصادر"، كما أثار مصطلح التناس اهتماماً كبيراً في الأوساط النقدية الغربية، ذلك أن الإجراءات التي تضمنها بدت كتعويض منهجي لنظرية التأثير التي قامت عليها أساساً الأبحاث في الأدب المقارن<sup>20</sup>.

والتناس هو مصطلح نقدي يرادفه "التفاعل النصي"، و"المتعاليات النصية"، وجذوره ترجع إلى مفهوم "الحوارية" Dialogisme التي وضعها الناقد الروسي ميخائيل باختين Mikhael Bakhtine (1895 م – 1975 م)، وميلاد مصطلح التناس كان على يد السيميائية جوليا كريستيفا (Julia Kristiva) عام 1969 م<sup>21</sup> وتري أن التناس هو "ترحال للنصوص"، وتداخل نصي، في فضاء نصي معين تتقاطع ملفوظات عديدة مقتطفة من نصوص أخرى<sup>22</sup>.

وتعد جوليا ممن لهم فضل السبق في بلورة مفهوم التناسية في النقد الحديث، إذ قررت أمره، وعمقت النظر إليه بالإضافة إلى "رولان بارث"، "ريفا تير"، و"جريماس"، وسواهم من فرسان السيميائيات<sup>23</sup>.

وتعددت مصطلحاته فهو فيما يعرف بـ"تداخل النصوص"، أو "تعالق النصوص"، أو "توارد النصوص أو تفاعلها"، أو "الحوار بين النصوص"، أو "التناس"، أو "النصية"، أو "التراث"، أو "النص الغائب"<sup>24</sup>.

والتناص سمة ملازمة للنصوص بمختلف أنواعها، ويقصد به تداخل وتقاطع النصوص في أشكالها ومضامينها، وهو نوع من التعالق. وأبرز أشكاله الاقتباسات والأقوال التي عادة ما يستشهد بها الكاتب<sup>25</sup>.

ويحيل التناص تارة على خاصية من الخاصيات المكونة للنص وتارة على مجموع العلاقات الصريحة أو الضمنية التي تربط نصا ما بنصوص أخرى<sup>26</sup>، فهو مجموع الأجزاء المستشهد بها في مدونة ما<sup>27</sup> أو أنه "فسيء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة، ممتص لها يجعلها من عندياته وبتصويرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده، محول لها بتمطيطها وتكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها"<sup>28</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن التناص ظاهرة نصية عامة لا يخلو منها أي جنس أدبي قديم أو حديث؛ والنص لا يمكن أن يكون إلا متعددًا لأن قراءات الكاتب السابقة وثقافته الموسوعية تنعكس عن قصد أحيانا وعن غير قصد أحيانا أخرى، على كتاباته فتأتي مجيزا من آراء وتعايير مختلفة، وعليه فالكاتب لا يبدأ في إنشاءه من عدم، وبالتالي فلا يمكن أن يكون إنتاجه جديدا كل الجدة وذلك لأنه ببساطة يصدر عن المشترك العام من ثقافة العصر وأساليبه<sup>29</sup>.

يخلص لنا أن التناص هو دخول نصين أو أكثر في علاقات مختلفة (شرح وتفسير، معارضة، استشهاد،...)، وبكيفية مختلفة (ظاهرة، خفية)، وهذه النصوص المتفاعلة قد تكون لنفس الكاتب، أو لكتاب آخرين باختلاف الزمان والمكان، وبطريقة عفوية، أو بطريقة مقصودة، وبأشكال متنوعة بين الاجترار، الانتصاف، والمعارضة والحوار<sup>30</sup>.

### 3- التعريف بصاحب المدونة:

هو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات من بلدة السطح النمشية نسبة إلى قبيلة النماشة الأمازيغية الكبيرة التي تقع في الجنوب الغربي من مدينة تبسة في عمالة قسنطينة وجبال الأوراس.

ولد سنة 1895 م في عائلة فلاحية فقيرة وكان والده إلى جانب عمله في الزراعة يتولى تحفيظ اولاد القرية القرآن الكريم في كتابه بالطريقة المعروفة في المغرب الاسلامي.

وقد تتلمذ العربي التبسي على يد والده الذي توفي تاركا ابنه في السنة الثامنة من عمره استمر العربي التبسي في حفظ القرآن الكريم حتى بلغ السنة الثانية عشرة من عمره ثم انتقل بعدها إلى زاوية (خنقة سيدي ناجي الرحمانية) في الجنوب الغربي لجبال النمامشة وهناك أمضى ثلاثة سنوات حفظ خلالها القرآن الكريم (من كتاب أعلام الإصلاح للأستاذ محمد دبوذ جزء 01، ص 50).

ثم أوفده أهله إلى زاوية (الشيخ مصطفى بن عزوز في مدينة نفطة) وهي التي تلقى فيها والده العلم قبل ذلك جنوب غرب تونس وكان عمره 15 سنة وهناك شرع في دراسة مبادئ العلوم الشرعية والعربية ومكث بها 03 سنوات.

في عام 1913 إلتحق بجامع الزيتونة ليستكمل دراسته الثانوية.

نال العربي التبسي شهادة الأهلية في تونس واستعد لنيل شهادة التحصيل من جامع الزيتونة غير أنه فضل الانتقال إلى القاهرة في عام 1920 حيث التحق بالجامع الأزهر في القاهرة وكان يعيش على ما يمنح للطلبة من أوقاف رواق المغاربة، ويبدو أنه تأثر بالجو الفكري والسياسي الذي كان يسود مصر في العشرينيات من هذا القرن في عز انتفاضها—ولذلك صمم على العودة إلى الجزائر لمشاركة رجال الإصلاح في جهادهم وكان مطلعاً على نشاطاتهم حيث غادر القاهرة بعد أن أمضى فيها 07 سنوات ينهل العلم من جامعها ومن مكنتها الدينية.

في عام 1927 عاد إلى الجزائر واتخذ من مدينة تبسة مركزاً لنشاطه الإصلاحية والتربوية.

اتخذ من مسجد الشيخ سعيد مركزاً له والتف حوله حفنة من الرجال ازداد عددهم بمرور الأيام عندما ضاق بهم المسجد الصغير (مسجد أبي سعيد) انتقل إلى المسجد الكبير الذي تشرف عليه الإدارة الفرنسية ولكنه سرعان ما منع من تقديم الدروس فيه بسبب تدخل الطرفين وأعاون الإدارة لدى سلطات الإحتلال.

في عام 1930 ذهب إلى مدينة (سيق) بعمالة وهران وأمضى بها عامين (من أول 1930 إلى نهاية 1931).

عاد إلى مدينة تبسة في عام 1932 وساعد على إنشاء (جمعية تهذيب البنين والبنات) التي تمكنت من تأسيس مدرسة كبيرة بلغ عدد تلاميذها سنة 1934، 500 تلميذ وتلميذة.

بعد افتتاح معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في عام 1947 بمدينة قسنطينة عين مديرا له.

بقي في مدينة قسنطينة إلى ما بعد نشوب الثورة سنة 1954 بعد إغلاق المعهد في عام 1956 من طرف إدارة الاحتلال انتقل إلى العاصمة.

اختطف من منزله في العاصمة بتاريخ 04 أفريل 1957 على يد جنود المظلات واغتيل على أيديهم.

#### 4- وصف المدونة:

هذه المقالات وثيقة تاريخية ومرجعا مهما لأجيال المثقفين، وصفحة مهمة من التاريخ الوطني الجزائري المعاصر

تعكس تجربة جيل ولد تحت الركام الاستعماري، وفتح عيونه على فاجعة ضياع الدولة والوطن والحرية والكرامة، وأول ما ذاقه بعد ميلاده مرارة الاستعمار الصليبي وجرائمه جعله جيل القضية، قضية جمع ما فرق الاستعمار، وتعليم من جهله الاستعمار، وتحرير من استرقه الاستعمار، وتكريم من أهانه الاستعمار وأذله، وصولا إلى استعادة الحرية والكرامة والاستقلال الوطني<sup>31</sup>.

مقالات الإمام الشيخ التبسي -رحمه الله- تحمل قضايا إسلامية عامة وتاريخية وتعالج وضعا إسلاميا عاما<sup>32</sup>.

مقالات عن النهضة وأحداثها وقضاياها الأساسية، ليست مقالات إعلامية عادية وإنما تتضمن الكثير من الآراء القيمة في عدد من قضايا النهضة وغيرها<sup>33</sup>.

المنتبع لمقالات الشيخ العربي التبسي -رحمه الله- يجد لها منطلقا واحدا يؤلف بينها، ومحورا أساسيا لا تتجاوز جوانبه وقضاياها وهو الإسلام في الجزائر عقيدة وسلوكا ومجتمعاً.

فقد تناول الكتابة فيه من حيث أوضاعه وما علق به من الجهالات والانحرافات، وتصدى بقوة وحزم لخصوم الإسلام من المستغلين أو المناهضين لبعث السنة النبوية، وبين التصور الاسلامي لأوضاع التخلف ومقاومة الاستعمار.

وبالإضافة إلى السمة الفكرية السابقة يلاحظ القارئ أن الامام الشيخ العربي كثير الاعتماد على القرآن والسنة في كتاباته، اقتباسا وتضمينا واستدلالا واستنتاجا، مما أضفى على كتاباته سمة جيدة تتمثل في جزالة أسلوبه، ووضوح وعمق عرضه للقضايا التي تناولها.

وبالنسبة للجانب الأدبي، يلاحظ القارئ أنه وظف الأمثال والشعر توظيفا جيدا في عدد من المقالات، بل إن النظرة المتأنية لا يفوتها أن تدرك الصلة الواضحة بين وصفه المتنوع الجوانب لصحيفة الشهاب، وبين نعت الكتاب للجاحظ، كما تدرك الصلة نفسها بين بعض مقالاته وبعض خطب الإمام علي - كرم الله وجهه -<sup>34</sup>.

ويتضمن خمسة وستين مقالا: من 18 جانفي 1924 م إلى 19 جانفي 1956 م

صدر أغلبها في مجلة البصائر ثم الشهاب ثم النجاح ثم المنار ثم السنة كما يلي:

المجلة	البصائر	الشهاب	النجاح	المنار	السنة	سجل جمعية العلماء
عدد المقالات	39	14	04	05	02	01

##### 5- حجاجية التناص في المقالات:

إن عملية إنتاج الكاتب لنص ليست نشاطا إبداعيا منفردا، وإنما يكون الكاتب على معرفة بعدد كبير من النصوص التي تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إنتاجه ؛ ولذلك ففي مجال الكتابات الأدبية يبذل الكتاب جهودا مضمّنية لكي يحرروا أنفسهم من نماذج الأشكال العديدة للكتابة المحيطة بهم من خلال الموضوعات أو المواقف التي يتعاملون بها أو الأشكال المستخدمة التي يلجؤون إليها في التعبير. فالعلاقة بين التناص والإبداع ليست متوقفة على وجود أو غياب عدد من التناصات، وإنما تتوقف على طريقة المعالجة، ومحاولة التحرر من أطر النصوص الأخرى للانسجام مع نسيج النص الجديد، في إطار السياق الثقافي ومخزون الكاتب.<sup>35</sup>

تصفح مقالات العالم المجاهد العربي التبسي تكشف حضورا واسعا متعددًا ومتنوعًا في مصادر التناص التي استلهم منها حججا وأدلة لتقوية آرائه ومواقفه الوطنية الثابتة، ودعوته إلى الإصلاح والنهضة والاستشهاد في سبيل استقلال الوطني ووحدته. ويكشف الجدول الآتي عن أهم أنواعها وتواترها في المقالات:

مصادر التناص	القرآن الكريم	الحديث النبوي	الشعر العربي	الأمثال	الأقوال المأثورة	أسماء الشخصيات
ترددتها	31	67	12	07	02	29

تم غزارة التناص القرآني، والحديثي، والشعري، والنثري، في مقالات الإمام الشهيد تبسي رحمه الله عن موهبته الفنية الأدبية، وملكته التعبيرية المتحررة، وتشبعه بالموروث الثقافي العربي، وتعدد مشاريعه العلمية وروافده الثقافية من بينات وطنية كثيرة: تبسة، بسكرة، خنشلة، قسنطينة، وهران، الجزائر العاصمة... وبيئات عربية مختلفة: تونس، مصر، الحجاز، الشام...

يكسب التناص كتابات الشيخ العربي التبسي حجية تدفع نحو إقناع المتلقي والتأثير فيها تبعًا للنص المتناص معه، فبعض ما تناص معه هذه الكتابات يمثل حجة سلطة، لا سيما حجية النص الديني، والأمثال السائرة، فهي كثيرا ما تأيد رأي الشيخ -رحمه الله- وتندسل إلى المتلقي فتقنع عقله، وتؤثر في وجدانه، ومن ثمة تمتد لتغير سلوكه، وهو ما كان يطمح إليه الشيخ في جل كتاباته<sup>36</sup>.

#### أ- حاجية التناص القرآني:

يعد النص القرآني مصدرا ثرا من مصادر الإلهام الذي يفيء إليه الكتاب يستلهمونه، ويقتبسون منه، إن على مستوى الدلالة والرؤية أو على مستوى التشكيل والصيغة<sup>37</sup>.

لقد أخذ التناص مع آيات القرآن الكريم نصيبا وافرا من خلال أشكال متناصية واضحة مع القرآن كاشفا أبعادا دلالية متنوعة، ولا بد للقارئ أن يمر عبر السياق القرآني للوصول إلى الدلالية النصية، لا أن يبقى متعلقا بالنص القرآني دون أن يفتن إلى أنه مرآة تنعكس عليها أشعة الدلالة النصية للإشارة إلى الواقع<sup>38</sup>.

لقد استثمر رجل الشهادة العربي التبسي رحمه الله تقنية الخطاب القرآني بتوظيف آيات من السور في إنتاج دلالات فنية أسلوبية لتعليل رؤيته الفكرية ومواقفه الإسلامية الدعوية والإصلاحية وروحه الوطنية التي تعكس تكوينه العقدي الإسلامي، وحفظه لكتاب الله، ومرجعيته الإسلامية الثقافية.

ففي مقالة "هذه جزائركم تحتضر فانقذوها" نجد الإمام الشهيد العربي التبسي يشحذ العزائم والهمم بدعوته إلى نصرة دين الحق، ويبين للشباب الجزائري المسلم قيمة التمسك بتعاليم الإسلام وما ينجم عن مخالفتها بقوله: " فلما انتقل الأمر إلى خلفهم ضلوا السبيل، واستحبوا العمى على الهدى، وأضاعوا ما خلص إلى أيديهم من تراث أسلافهم وانحلت عزائمهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون عاقبة ما سيحقيق بهم، ولم يرفعوا بما أتى به رسول الله ﷺ رأساً، ولا تأسوا بمن أوصاهم بالتأسي به، فحصدوا الخسران المبين، ونزل بهم البلاء المقيم " وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " البقرة/ 211 " <sup>39</sup>.

فهو يقنع شباب الجزائر بضرورة الوحدة لأن قوته في دينه وعلمه، ويحاول توجيههم وتوعيتهم من دسائس الاستعمار الفرنسي وسياساته في طمس الهوية، ونشر الانحلال، والفقر والجهل في المجتمعات.

ويؤكد ذلك في نهاية مقاله بتناص قرآني آخر فيه حث ودعوة إلى إصلاح الأوضاع وعدم الاستسلام فيقول رجل الكلمة والقضية والمواقف العربي التبسي: " فهبوا بنا إلى العمل متضامنين، مجتمعين، ويد الله مع الجماعة، والخير فيما رأت الأمة، ومن قدر أن ينفع أخاه فليفعل، ولعمري أنه لحق عليكم إصلاح أمتكم، ومالكم لا تفعلون؟ واذكروا تلك الآية الجامعة " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ " الزلزلة/ 7 " <sup>40</sup>.

ويلج على ذلك في أغلب مقالاته كونه مربيا بارزا وقيما واعيا وقائدا مصلحا: " ملاك الأمر، أن من أراد أن يلتمس الدين الإسلامي في أصوله، وفروعه وآدابه، من غير ناصية كتاب الله وبيانه، فقد سفه نفسه، وطلب العلة من غير معلولها، والنتيجة بغير مقدماتها، وكفى بذلك غيا " فَلَا

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَآ سَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " النساء /65 " 41 .

ويتوجه المثقف المصلح الشهيد إلى قرائه وجمهوره الجزائري المسلم متواصلا معهم حول حقيقة الإخلاص دينيا وعلميا ليكونوا على بصيرة من المسخ الذي يروج له المحرفون الذين يخادعون الناس باسم الشريعة فيعلل لهم ذلك بتوعيتهم وفق ما جاء في دستور الأمة الإسلامية حيث يقول: " ولعمر الحق، أن من يريد أن يرضي الناس، ويوافق كل الخصوم لهو المرائي الذي لا يختلف فيه عاقلان، وليعلم القراء أني لست بملفت بهذا الموضوع حتى أسرد لهم كلام الأئمة الذين تصدوا للكلام على الإخلاص والمخلصين ليعلم المرءون أن في السويداء رجالا، وأن عصر التضليل ومخادعة الأمة ذهب غير مأسوف عليه، ولم يبق إلا عصر تعرض فيه الرجال على كبر التمحيص ليعرف الخبيث من الطيب " فَأَمَّا الرَّبُّ فَيَتَذَهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ " الرد / 17 " 42 .

ويواصل العالم المجاهد العربي التبسي -رحمه الله- نضاله الفكري بتنبية الشعب الجزائري على جرائم المستدمر ضد مساجده التي تعتبر منبرا وقبلة للعلم النافع والأخلاق الفاضلة، وأن الكيد المبيد للاحتلال هو نشر الجهل ومحاربة اللغة العربية وهدم الفضائل ودس الموبقات والمحرمات، ليؤكد لهم أن مظالم المحتل تُصد بالتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصال لها ويحج لذلك بقوله: " فتحت الأمة المدارس والنوادي، وسخت -حسب جهدها- بمالها للمحافظة عليها، وأرسلت أبنائها نحو المدرسة أفواجا، وأقبلت زرافات شطر النوادي تسمع المحاضرات والمسامرات، ونوعت وسائل الثقافة بكل ما تملك، ولكن الظلم غصب منها الميراث الذي يضمن لها الحياة رجاء أن لا تحي، غصب منها الأعباس، وافتك المساجد، وحكمها حكما مباشرا وسلب منها مزايا للعلم، وحكمة العقل، وقوة الأخلاق، وهيئ الأسباب لانتشار الجهل وفساد الأخلاق، والقطيعة، والتخاذل، لكن شاء الله -ومشيئته فوق مشيئة كل باغ جبار- أن لا يتم للظالمين ما أرادوا، فخاب سعيهم، وطاش سهمهم، ورد كيدهم في " وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُكْرِينَ " الأنفال / 30 " 43 .

ويشدد على هذه القضية غاية في الدعوة إلى النهضة حتى الاستشهاد في موضع آخر للتذكير على أهميتها ولتقديم حجج أخرى دعماً للأدلة السابقة حتى يبرهن للشعب الجزائري أن إسلامه وعروبه لا تقبل التبديل في القناعات من أي طرف كان وأن صموده سيبقى ويظل ضد الظلم والطغيان " أيها المسلمون إننا في يوم حدادنا على ديننا لن نظلّم القانون، ولن نزعج الأمنين، ولن نعرض النظام للاضطراب والخلل، فعلى شعبنا أن يستعد للمشاركة في يوم الحداد، وإن هذا اليوم سيبقى يوم حداد كل سنة حتى يتحرر الدين الإسلامي من هذا الظلم الذي خصصته به فرنسا الاستعمارية " وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " محمد / 38 " <sup>44</sup>.

وتستمر مواقف رجل الإصلاح والنهضة الثوري العربي التبسي في أغلب مقالاته على الحث المباشر لأعضاء جمعية علماء المسلمين -بوصفه رئيساً لها آنذاك - على تأكيد رؤيته وموقفه من أنه لا مندوحة لمحاربة ظلم المستدمر إلا بدين الله وشريعته ويدل على ذلك بالتناص القرآني الذي يقوي به مذهبه وفكره بما هو نصه " إخوان، إن الإسلام دين العزة المبنية على الأهليات والقيم الرفيعة، والأخلاق العالية المقتضية لعزة المتخلقين بها، " يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " المجادلة / 11... إخوان، ابنوا مجتمعكم على الصراحة وإعلان ما تؤمنون به، اجمعوا بين إيمانكم وعملكم، اذكروا أن سلفكم الصالح خلّف لكم عقيدة، هي دين وتربية، هي نظم تستوحونها من هذه العقيدة الفياضة الحية، وأن من ذلك التراث الصالح الخالد إصلاح الفاسد " <sup>45</sup>.

ولم تقتصر حجية التناصات القرآنية للعالم المجاهد العربي التبسي على بنيات المتن النصي للمقالات فحسب بل تجاوزتها إلى نهاية المقال (الخاتمة)، واختتام الكلام بتناصات قرآنية تنم أن لا كلام على كلام الله، وأن لا حج بشرية تعلوا على حجة البيان نص القرآن: " ونوصي الأمة ختاماً بالحق، ونوصيها بالصبر، ونستحثها على العمل الصالح، والثبات وتوحيد الصفوف، ونسيان الخلافات القديمة، حتى تستطيع متحدة متظافرة، أن تصل قريباً إلى الدرجة الرفيعة التي أهلها لها جهادها المستمر منذ أحقاب، وكفاحها الشريف الذي أصبح في العالم مضرب المثل، وتاريخها الحافل بجلائل الأعمال " وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ " التوبة / 105، " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " الحج / 40 " <sup>46</sup>.

## ب- حجاجية تناص الحديث الشريف:

توظيف الأحاديث النبوية متناصبة ضمن الإنتاج الأدبي تعكس حمولة ذاكرة المؤلف ومخزونه الفكري، ورصيده المعرفي الذي يشكل حلقات تعبيرية متواصلة بالنصوص السابقة لتشبيد أنسجة النصوص الحاضرة، ويفسر استدعاء نصوص الأحاديث الشريفة أو استحضار أجزاء منها عن تعدد مصادر بناء نصوص مقالات المفكر الإسلامي العربي التبسي وموسوعيته وقوة الحجة في خطابه.

لم يكتفي الإمام المفكر المجاهد العربي التبسي بالتناص القرآني كحجة دامغة بل ضمن أيضا مقالاته الكثير من التناصات مع الحديث النبوي الشريف التي تجاوزت في تواترها توظيف التناص القرآني؛ حيث شكل بنية نصية ذات دلالات واسعة بلغت إلى حد أربعة أحاديث شريفة متتالية ومتتابعة غايتها السامية تصحيح المفاهيم والعقائد، وتنوير العقول واستمالتها إلى نور اليقين وشريعة الإسلام والمسلمين، يقول في هذا الصدد: "فالسلفي إذا في لغة المنطق الصحيح، والكلام المفهوم، هو العامل بهذه الأحاديث والآثار، والداعي إلى كل ما دل عليه حديث: "تركت فيكم اثنتين لن تظلوا ما تمسكن بهما: كتاب الله وسنتي" ولقوله في حديث العرياض بن سارية: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يارسول الله إن هذه الموعظة موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: "تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، وعليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، عُضُوا عليها بالنواجذ، فإن المؤمن كالجمال الأنف كلما قيد انقاد"، وفي رواية أخرى زيادة: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة" <sup>47</sup>.

ولم تبتعد كثيرا الرسالة الدعوية والحملة التوعوية في محاولة المحافظة على دين ولغة الأمة الجزائرية المسلمة يتوجه العالم المجاهد العربي التبسي ليس إلى جمهوره فحسب بل حتى إلى رجال الإصلاح في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليوضح لهم سبل الدعوة والإرشاد وقبولها من الآخرين لا تكون ولن تكون إلا بالشيم العالية والتحلي بأداب أئمة الإسلام والالتزام بأحكام الإسلام، ليكون أنفسهم حجة وعبرة لغيرهم إلى ما يدعون إليه: "وليكن في رجال الجمعية من يحيي

الدين في قلوب هذا الجمهور بكل وسيلة تمكنه، كالاختلاط بالجمهور (...) وقد حكم نبيكم صلى الله عليه وسلم على هداية الناس يوم قال: "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس" <sup>48</sup>.

ومن مقالاته في مواعظ رمضان يستدل على أن تبليغ العلماء الدين الإسلامي والدعوة إليه وتعليمه وبيان أحكامه وفضائله هو مفتاح الاستعداد والقبول والتأثر والإقبال والامتثال للمسلمين لدينهم وبرر ذلك بثلاثة تناصات لآيات كريمات ثم تلاها مباشرة بثلاثة أحاديث مدعمة لموقفه قائلاً: "وتلك أحاديث رسول الله ﷺ التي لا يحصيها العادون تلزم العلماء بنشر العلم وتبليغه والهجرة إليه، ومن من علماء المسلمين من لم تبلغه أحاديث العلم والتعليم والتعلم والتبليغ؟" نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها"، وحديث "بلغوا عني، بلغوا عني"، "ليبلغ الشاهد الغائب"، والسؤال في الحديث يشمل السؤال المقالي والحالي <sup>49</sup>. ويواصل الشيخ الشهيد أدلته من مشكاة النبوة بحجة التناص الحديث يقول "قال محمد وكرر القول في أكبر الحشود وأشهر المواقف لورثته: "بلغوا عني، بلغوا عني، ليبلغ من حضر من غاب"، وقال لأمته: إذا بلغت تبليغا شرعيا، لازما في القول والقائل "أطيعوا أولي الأمر منكم" وما أولوا الأمر منا إلا ورثة نبينا، وخلفاؤه وأمناؤه على دينه الحق كيفما تقلبت الظروف وكلحت وعبست في وجوهنا، أو تهللت وضحكت، فإن أولي أمرنا منا لا ينقطعون، وهم حجة الله لهذا الدين، وهم الطائفة التي "لا تزال على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي وعد الله"، فالأمراء الصالحون منهم، أو ممن يورد أو يصدر عن رأيهم حكمة الله تأبى، وشريعته تمنع من أن يرفع منا أولي أمرنا، مادمننا أمة القرآن، وما دام باب التوبة لم يغلق <sup>50</sup>.

### ج- حجاجية التناص الأدبي:

التناص الأدبي هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعرا أو نثرا مع النص الأصلي، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الكاتب. إذن مفهوم التناص يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على النص الأصلي في وقت ما <sup>51</sup>.

ويشير هذا النوع من التناص إلى وجود الحس الثقافي الخصب، كما يشير إلى الحوار البناء مع الإرث اللغوي الذي خلفته الحضارة العربية على امتداد عصورها، فالتنصاف مع الشعر العربي القديم يحقق للكاتب استمرارية الماضي في الحاضر، ويولد تفاعلا حيا بين التجربة الشعورية وتجارب معاصريه أو سابقيه، والكاتب باختياره لهذا المصدر الثقافي الهام لدى العرب يمنح نصحه أبعادا فنية وجمالية، لا يدركها إلا الحس المرهف والذوق السليم<sup>52</sup>.

لقد أبقى الإمام الشهيد العربي التبسي على آرائه ومواقفه الوطنية والدينية المتضمنة في التناصات السابقة (القرآن والحديث النبوي) في تناصات أدبية شعرية وأمثلة مستقاة من الموروث الثقافي العربي. ومن الشعر ما حجج به ودعا به ومن خلاله العلماء والمفكرين إلى استغلال معارفهم وحججهم في إصلاح الأوضاع السائدة التي آلت إليها دولة الجزائر إبان الفترة الاستدمارية، وما آلت إليه المجتمعات وما استتب فيها من منكرات، حيث يقول: وإني أهيب بحملة الأقلام وأرباب التفكير ورجالات الكلمة المسموعة أن يكتبوا في هذا الموضوع الفصول الضافية، وأن يملؤوا جداول الشهاب من الآراء القيمة، فالجزائر سئمت عصر الفرد، وتاقت إلى عصر الجماعة، عصر التماسك (...). وليست الأمة تطالبكم بشطط، وإنما تلتمس منكم أن تفضلوا عليها مما أفاض الله عليكم من المواهب العلمية، والإرشاد إلى ما فيه سعادة هذه الأمة، والعلم إن لم يفض إلى نتيجة عمل كان أخ الجهل:

إن لم يكن علم الفتى نافعا      فغيبه أحسن من رشده<sup>53</sup>

ويعبر في موضع آخر عن مواقفه النزيمية دون نفاق حتى ولو أغضب ذلك بعض المتلقين، مع التحجج لاستيائه باستدعاء ما يحضره من شعر شوقي يقول: " وإني سأناجي نوابنا ورؤساءنا بكلمات إن لم أقلها أنا كنت غاشا وإن أغضبت فريقا منهم عده غضبه برهانا آخر على أنه ظلم كرمي النيابة وأضن أن القراء وفي مقدمتهم نواب المقاطعات الثلاث في المجلسين المالي والعمالي يرون معي ويوافقونني على قيمتي نوابنا وعلى وفائهم للإسلام والمسلمين وعلى أنني معذور إذا أنشدتهم قول شوقي:

دار النيابة قد صفت أرائكمها      لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشب<sup>54</sup>.

ومن أمثلة توظيف التناص من خلال الأمثال العربية التي جاء بعض منها عنوانا لمقاليين متتابعين موسومين بـ "إن كنت حاملا فلدي لي غلاما" <sup>55</sup>، وهو مثل يضرب للمتصف يدعي ما ليس فيه، وجهه الشيخ الشهيد إلى الكاتب الصحفي الناصر معروف\*، يبين من خلال هذا التناص الأدبي حقيقة الأشخاص وما يدعون إليه، ونسبهم للشيخ العربي التبسي ما ليس فيه فوظفه دفاعا عن نفسه مما نعت به: "وقد أهدى إلي الناصر معروف كثيرا مما عنده من الهت ورماني بما زين له الشيطان من ضعف الدين والجهل بالضروريات وقلة التثبت، ومع ذلك لا أجعل للشيطان علي سبيلا، وأرميه ببعض ما هو فيه مما يقتنص من كلامه، لأنني لا زلت أحاذر أن يصدق علي ولو بالمشابهة" <sup>56</sup>.

وفي قوله: "وفي قطر يعد كل لاغظ فيه صاحب حكمة، تفرع له العصا" <sup>57</sup>. يشير إلى المثل المشهور "إن العصا قرعت لذي الحلم، وإنما تفرع العصا للحكيم تنبيها له وتحذيرا من الوقوع في الخطأ، ومن هنا جاء الارتباط بين الاشتهار بالحكمة وقرع العصا" <sup>58</sup>.

#### د- حجاجية التناص مع الشخصيات:

استحضر الكاتب الشهيد العربي التبسي شخصيات كثيرة في تحرير مقالاته معظمها يشير بها إلى الأئمة مثل البخاري ومسلم والنسائي، وعلماء المسلمين وبعض المصلحين، غايته من توظيفها والاستشهاد بأقوالها والاعتماد على آرائها لتقوية آرائه وأفكاره بوصفها حجة دينية يستند إليها في المواقف الوعظية والإرشادية والحياتية، ومن أمثلتها ما ورد متضمنا في العناوين كالمقال الموسوم "الخلوة العليوية هل هي من الإسلام؟" <sup>59</sup>، كما أشار إلى المتصوفة والمحدثين في عدة مواضع منها: "ليس لأحد أن يدعي أنه صوفي حتى يحقق في نفسه كل صفة من صفات الجنيد (صوفي ولد ببغداد)، والقشيري (زاهد وعالم بالدين كتابا وسنة)، والنووي (علامة في الفقه والحديث)، وأمثالهم... وليس لأحد أن يدعي أنه مالكي (نسبة إلى مالك)، أو شافعي (نسبة إلى الإمام الشافعي)، أو حنبلي (نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل)، أو حنفي (نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان)، أو أشعري (نسبة إلى أبي الحسن الأشعري)، أو ماتريدي (نسبة إلى أبي منصور الماتريدي)" <sup>60</sup>.

## الخلاصة:

تنبغي الإشارة إلى أن الشيخ العربي التبسي الشهيد رحمه الله ليس كاتباً بالمفهوم الفني أو الإعلامي السطحي وإنما الكتابة بالنسبة إليه واجب وأمانة وقبل كل شيء، لا يعنيه جمالها بقدر ما تعنيه مضامينها إقناعاً ووضوحاً<sup>61</sup>. وإن تنوع حجافية التناص في مقالاته بين المحاججة في القرآن، والحديث والنص الأدبي العربي دليل حي على سعة ثقافة الرجل، وخصوبة فكره، وبعد نظره، وقدرته على الحجاج والإقناع، وبراعته في نسج الحجّة، وإن حسن توظيف هذه التناصات دليل شامخ على موهبته الأدبية، وقدرته اللغوية، وتمكنه من ناصية القول، فرحم الله الشيخ العربي التبسي رحمة واسعة، وجعل كتاباته صدقة جارية يصله ثوابها، ويفد إليه عطاؤها، وينعم بأثارها الطيبة فيما بعد قراؤه<sup>62</sup>.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج.
- 2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2009 م.
- 3- أحمد الرفاعي الشرفي، الاعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي، دار اليمن، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2005 م.
- 4- بن أحمد عالم فايذة، الحجاج في اللسانيات التداولية، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، ع 75، 2012 م.
- 5- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار طوبقال، المغرب، ط2، 1997 م.
- 6- دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005 م.
- 7- رايح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم، عنابة (الجزائر)، 2006 م.
- 8- سامية محمول، التناص: إشكالية المصطلح والمفاهيم، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع1، ماي 2008 م.

- 9- عباس طالب زادة ورسول بلاوي، التناص القرآني في شعر يحي السماوي، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع9، فيفري 2011 م.
- 10- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفرابي، لبنان، ط2، 2007 م.
- 11- عبد الحليم ريوقي، السرقات الأدبية وتوارد الخواطر، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع5، فيفري 2010 م.
- 12- عبد الكريم شبرو، التناص في شعر محمد العيد آل الخليفة، مجلة علوم اللغة وآدابها، منشورات جامعة الوادي، مطبعة منصور، الجزائر، ع5، 2003 م.
- 13- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009 م.
- 14- عمارية حاكم، الخطاب الاقناع في ضوء التواصل اللغوي، دار العصماء، سورية، ط1، 2015 م.
- 15- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010 م.
- 16- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط1، 2008 م.
- 17- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006 م.
- 18- لزهة فارس، حجاجية التناص في الخطاب السياسي للشيخ العربي التبسي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة / الجزائر، ع3، يناير كانون الثاني، 2018 م.
- 19- ليندة قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2009 م.
- 20- محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2008 م.
- 21- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار الفارابي ناشرون، لبنان، ط1، 2010 م.
- 22- محمد عديل عبد العزيز علي، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، دار البصائر، القاهرة، ط1، 2011 م.
- 23- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، 1985 م.

- 24- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008 م.
- 25- مصطفى بيومي عبد السلام، التناص، مقارنة نظرية شارحة، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع 1، مج 40، سبتمبر 2011 م.
- 26- نادبة رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورص الدولية، الاسكندرية، ط 1، 2013 م.

### الهوامش:

- <sup>1</sup>- ينظر: محمد عدیل عبد العزیز علي، التحليل التداولي لخطاب الحجاج النحوي، دار البصائر، القاهرة، ط 1، 2011 م، ص 117.
- <sup>2</sup>- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة حجج.
- <sup>3</sup>- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفرابي، لبنان، ط 2، 2007 م، ص 09.
- <sup>4</sup>- عمارية حاكم، الخطاب الإقناع في ضوء التواصل اللغوي، دار العصماء، سورية، ط 1، 2015 م، ص 131.
- <sup>5</sup>- نفسه.
- <sup>6</sup>- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، ط 1، 2008 م، ص 65.
- <sup>7</sup>- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2006 م، ص 266.
- <sup>8</sup>- نادبة رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورص الدولية، الاسكندرية، ط 1، 2013 م، ص 104.
- <sup>9</sup>- ينظر: بن أحمد عالم فايزة، الحجاج في اللسانيات التداولية، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، ع 75، 2012 م، ص 44.
- <sup>10</sup>- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، 2009 م، ص 21.
- <sup>11</sup>- بن أحمد عالم فايزة، الحجاج في اللسانيات التداولية، ص 45-46.
- <sup>12</sup>- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، ط 1، 2008 م، ص 70-71.
- <sup>13</sup>- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 67.
- <sup>14</sup>- نادبة رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ص 105.
- <sup>15</sup>- عمارية حاكم، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، ص 134.
- <sup>16</sup>- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2010 م، ص 142.
- <sup>17</sup>- عباس طالب زادة ورسول بلاوي، التناص القرآني في شعر يحي السماوي، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع 9، فيفري 2011 م، ص 84.

- <sup>18</sup> - مصطفى بيومي عبد السلام ، التناص ، مقارنة نظرية شارحة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 1 ، مج 40 ، سبتمبر 2011 م ، ص 63.
- <sup>19</sup> - محمد القاضي وآخرون ، معجم السرديات ، دار الفارابي ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010 م ، ص 113.
- <sup>20</sup> - سامية محصول ، التناص: إشكالية المصطلح والمفاهيم ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع1 ، ماي 2008 م ، ص 65.
- <sup>21</sup> - عبد الحليم ربوقي ، السرقات الأدبية وتوارد الخواطر ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع 5 ، فيفري 2010 م ، ص 51.
- <sup>22</sup> - جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة: فريد الزاهي ، دار طوبقال ، المغرب ، ط2 ، 1997 م ، ص 21.
- <sup>23</sup> - راجح بوحوش ، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري ، دار العلوم ، عنابة (الجزائر) ، 2006 م ، ص 255.
- <sup>24</sup> - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط2 ، 2009 م ، ص 74-75.
- <sup>25</sup> - ينظر: محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2008 م ، ص 100.
- <sup>26</sup> - ينظر: دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ترجمة: محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2005 م ، ص 70-71.
- <sup>27</sup> - نفسه ، ص 72.
- <sup>28</sup> - ينظر: محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، دار التنوير ، بيروت ، 1985 م ، ص 121.
- <sup>29</sup> - ينظر: محمد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2008 م ، ص 102-103.
- <sup>30</sup> - عبد الحليم ربوقي ، السرقات الأدبية وتوارد الخواطر ، ص 53.
- <sup>31</sup> - ينظر: أحمد الرفاعي الشرفي ، الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ، دار اليمن ، قسنطينة ، الجزائر ، ط2 ، 2005 م ، ص 15.
- <sup>32</sup> - ينظر: نفسه ، ص 16.
- <sup>33</sup> - ينظر: نفسه ، ص 23-24.
- <sup>34</sup> - نفسه ، ص 39.
- <sup>35</sup> - عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص 82.
- <sup>36</sup> - ينظر: لزهة فارس ، حجاجة التناص في الخطاب السياسي للشيخ العربي التبسي ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة / الجزائر ، ع3 ، يناير كانون الثاني ، 2018 م ، ص 293.
- <sup>37</sup> - ينظر: عباس طالب زادة ورسول بلاوي ، التناص القرآني في شعر يحي السماوي ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة ، الجزائر ، ع9 ، فيفري 2011 م ، ص 85.
- <sup>38</sup> - نفسه ، ص 86.
- <sup>39</sup> - الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ، ص 72.

- <sup>40</sup> - نفسه ، ص 75.
- <sup>41</sup> - نفسه ، ص 107.
- <sup>42</sup> - نفسه ، ص 161-162.
- <sup>43</sup> - نفسه ، ص 259-260.
- <sup>44</sup> - نفسه ، ص 367.
- <sup>45</sup> - نفسه ، ص 401.
- <sup>46</sup> - نفسه ، ص 391.
- <sup>47</sup> - نفسه ، ص 131.
- <sup>48</sup> - ينظر: نفسه ، ص 201.
- <sup>49</sup> - نفسه ، ص 319.
- <sup>50</sup> - نفسه ، ص 335.
- <sup>51</sup> - عبد الكريم شبرو ، التناص في شعر محمد العيد آل الخليفة ، مجلة علوم اللغة وأدائها ، منشورات جامعة الوادي ، مطبعة منصور ، الجزائر ، ع 5 ، 2003 م ، ص 208.
- <sup>52</sup> - ينظر: ليندة قياس ، لسانيات النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2009 م ، ص 185.
- <sup>53</sup> - الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي ، ص 93.
- <sup>54</sup> - نفسه ، ص 179.
- \* هو إسم كان يتخفى ورائه الشيخ أحمد بن عليوة عندما يكتب في جريدة البلاغ الناطقة باسم الزاوية العالوية. (الأعمال الكاملة ، هامش ، ص 123).
- <sup>55</sup> - نفسه ، ص 123.
- <sup>56</sup> - نفسه.
- <sup>57</sup> - نفسه ، ص 117.
- <sup>58</sup> - نفسه ، هامش ص 117.
- <sup>59</sup> - نفسه ، ص 113.
- <sup>60</sup> - نفسه ، ص 128-129.
- <sup>61</sup> - نفسه ، ص 41.
- <sup>62</sup> - لزهرة فارس ، حجاجية التناص في الخطاب السياسي ، ص 299.

## المكان في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو دلالاته وجماليته

Place in the novel "Ghada Umm al-Qura" by Ahmed Reda Houhou, its meaning and aesthetics

لطروش أمينة أستاذة محاضرة ب

قسم اللغة العربية-المدرسة العليا للأساتذة-مستغانم(الجزائر)

aamina.latroch@gmail.com

ملخص:

الرواية فن أدبي أنيق إبداعي يحقق المتعة للمتلقّي من خلال نسيجها وعناصرها ولغتها الأخاذة، ويمثّل المكان أحد العناصر السردية التي لها أهمية بالغة في تكوين الصورة السردية في العمل الروائي، فهو يجسّد أيقونة سردية تحمل دلالات جمالية تضيف على العمل صوراً وبريقاً ولوناً، لذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية دراسة المكان في رواية غادة أم القرى "للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو" محاولين إبراز جماليته التي يعكسها على العمل الأدبي.

الكلمات المفتاحية: رواية؛ مكان؛ جمالية؛ سرد؛ عمل أدبي.

### Abstract:

The novel is an elegant and creative literary art that achieves pleasure for the recipient through its fascinating texture, elements and language. The place represents one of the narrative elements that are of great importance in the formation of the narrative image in the fictional work. The research paper is a study of the place in the novel "Ghada Umm Al-Qura" by the martyr writer "Ahmed Reda Houhou", trying to highlight its beauty, which it reflects on the literary work

**key words:** Novel; Place; Aesthetic; Narration; Literary work.

## 1- مقدمة:

الرّواية هي ذلك العمل النّثري الضّخم الحاوي لعوالم جميلة واقعيّة تتعالق وعالم المتلقّي من خلال نسجٍ فيّ وعناصر تتألف وتتحد، محقّقة للمتلقّي المتعة والدّهشة والثّقافة عن طريق روعة في الكلام وصنعة في التّصوير، ولعلّ هذا ما يجعل منها أمّا للأجناس الأدبية ككلّ لأنّها تحتويهم جميعاً، فكلّ متن أدبيّ لابدّ أن يضبط ما يحقّق له الأدبيّة والجماليّة.

وللمكان أهميّة بارزة في بناء العمل الروائيّ فلا يمكن الاستغناء عنه أبداً، فالرّواية والمكان قرينان لا يفترقان مطلقاً إذ من خلاله تؤسّس الرّواية عالمها وتربط حول خصرها باقي العناصر الأخرى، فهو- المكان- يجسّد الحضور الكثيف في النّفس لما له من أثر جليّ على كلّ مناحي الحياة وهذا ما يدفع بنا في هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على المكان في رواية "غادة أم القرى" للأديب الشّهيد "أحمد رضا حوحو" محاولين إبراز الجماليّة التي يضيفها على العمل الأدبيّ من خلال الإجابة على الإشكاليّة التّالية:

ما هي دلالة المكان في رواية "غادة أم القرى" وفيما تكمن وظائفه ؟

كيف للمكان إعطاء سمة الجمالية في العمل الأدبي ؟ وما هي مظاهر ذلك في رواية "غادة أم القرى" ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في طيات هذا العمل.

## 2- مفهوم المكان:

إنّ عنصر المكان يمثّل حجراً أساساً يقوم عليه بناء العمل الروائيّ وهو يمثّل أحد أهمّ المصطلحات السردية التي شغلت اهتمام النقاد والمفكرين والفلاسفة والدارسين على تباين توجهاتهم على مرّ العصور وتعدّدت تسمياته بين مكان وحيّز وفضاء، وهذا ما أفرز عدّة مصطلحات تنافسه كمصطلح. ولتحديد مفهوم المكان الروائي لابدّ علينا التّطرّق إلى المفهوم اللّغوي للفظّة مكان:

تقابل لفظّة المكان في اللّغة الفرنسيّة لفظّة **Lieu** وفي اللّغة الانجليزيّة **space** وهو يعني الموضوع، فقد ورد أيضاً في لسان العرب بأنّ المكان هو "الموضع، والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع،

والعرب تقول كن مكانك واقعد مقعدك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من مكان أو موضع منه<sup>1</sup>، ونجد معنى المكان في معجم تاج العروس، بأنّه "الموضع الحاوي للشيء وعند بعض المتكلمين هو عرض واجتماع جسمين حاو ومحوى"<sup>2</sup>. ولأنّ المكان هو موضع، يكون محلّ وقوع الوقائع، وحدث الحوادث، وحصول الحركات، ووجود المخلوقات، ومعنى الإحاطة بالوجود هو نفسه الذي يتكرّر من معجم لآخر، على اختلاف اتجاهات علماء اللّغة، وجامعيها من أصحاب المعاجم<sup>3</sup>.

أما اصطلاحاً: فيعد المكان من المكوّنات الحكائيّة الأساسيّة التي تشكّل بنية النّص الروائي، كونه يمثّل عنصراً أساسياً فيه كما يرى "سليم بتقة": "يكتسب المكان في الرّواية أهميّة كبيرة، لأنه أحد عناصرها الفنيّة فقط، بل لأنّه يتحوّل إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائيّة، ويكون هو المساعد على تطوير بناء الرّواية"<sup>4</sup>. فالمكان هو أساس من أساسيات السرد والفرنّ الحكائي والروائي، فهو الفضاء الذي يعتنق الأحداث والمساحة التي تتحرّك فيها الشّخصيات وتستمدّ صفاتها وتجسّد أدوارها وأفعالها، وهو "عنصر فاعل في بناء المغامرة الحكائيّة ونموّها، وفي ذلك نجد الكثير من القصص والرّوايا استمدّت من حال المكان مادّته"<sup>5</sup>، بمعنى أنّ العمل الأدبيّ بدون عنصر المكان لا تكتمل ملامحه، بدونه يفقد الخطاب بريقه، باعتباره المحرّك الأساس للأحداث والزّمان والشّخصيات، كما يؤدّي دوراً من أدوار شخوصه. فالمكان داخل الرّواية يمثّل هويّتها وبطاقة تعريفها، فبواسطته يستطيع المتلقّي التّعريف على حيثيات الرّواية ومعالمها ويتتبّع مساراتها، فالمكان كما يرى الحميد الحميداني: "يساهم في خلق المعنى داخل الرّواية"<sup>6</sup>. بمعنى أنّ المكان في الرّواية يعدّ أرضيّة تجعلنا نمسّ جزئيات المتن المصوّر للأحداث فيكون بذلك سبيلاً لإبصار النّص السردّي لأنّ الحدث والمكان متلازمان كلّ منهما يوضّح ملامح الآخر ويحدّد أيضاً شكله ولونه وتفصيله والشّخصيات الموجودة به، فمثلاً لفظة (مستشفى) التي تعبّر عن مكان محدّد نلاحظ أنّ المتلقّي وقت سماعها أو قراءتها تتجمع في ذهنه كلّ المعاني والصفّات المتعلّقة بهذا اللفظ (مستشفى) حتّى الأحداث التي يمكنها أن تتقاطع معه، الأمر الذي يجعل من المتلقّي قادراً على تخمين موضوع أو ماهية النّص السردّي ناهيك عن طبيعة الحوار وصور الشّخصيات المؤدّيّة للحدث.

## 3-التداخل بين المكان والفضاء والحيز:

أما مصطلح الفضاء: فقد ورد في لسان العرب بمعنى: "المكان الواسع والخالي والفاغ من الأرض، والفعل منه فضا يفضو فضوا، ويقال فضا المكان إذا اتسع، كما يقال أفضى بهم إذا بلغ بهم مكانا واسعا"<sup>7</sup>، أما ابن فارس فأورد في معجمه مقاييس اللغة بأنّ الفضاء هو كل ما "يدلّ على انفساح في شيء واتّساع، والفضاء المكان الواسع"<sup>8</sup>، وفي نفس السياق يورد الفيروزبادي بأنّ معنى الفضاء: "السّاحة وما اتّسع من الأرض"<sup>9</sup>، فمعنى الفضاء لغة مأخوذ من المساحة والامتداد اللّامحدود أي أنّ الفضاء هو مكان واسع المساحة فسيح وعتيق.

يلاحظ في بعض الدّراسات النّقديّة "عدم التّمييز ما بين المكان والفضاء الرّوائي الذي يسمّى أيضًا الفضاء الجغرافي عند بعض النّقاد، في حين نجد بعضهم الآخر يعتقد بالتمييز بينهما، ويرون شمولية الفضاء لا توجد في المكان"<sup>10</sup>، ومن هنا ذهب "مهدي عبيدي" إلى التّمييز بين مصطلحي المكان والفضاء قائلاً: "إنّ الفضاء الرّوائي أكبر من المكان والفضاء ينطوي على المكان ويتشكّل ويمتلئ به، والفضاء الرّوائي أكثر اتّساعاً وشمولاً من المكان فهو أمكنة الرّواية كلها، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظومات الشّخصيات"<sup>11</sup>، من هذا الاختلاف تحدّد العلاقة بين الفضاء والمكان كعلاقة الكلّ بالجزء والفضاء الذي يضمّ المكان في باطنه، يبقى أوسع وأشمل منه ليضمّ الزّمان والحال السّاندة على الأحداث بالرّواية، بمعنى أنّ أماكن الرّواية مجتمعة هي فضاء الرّواية، فكلّ رواية عليها أن تنتهي إلى فضاء خاصّ بها.

ونجد "سمر روجي الفيصل" يفرّق بين المكان والفضاء حيث يرى الأول ذا طابع محدود، أمّا الثّاني ذا طابع شمولي، وكذلك أنّ المكان يتّصف بالسّكون والثّبات في حين أنّ الفضاء يتميّز بالحركة ولذلك نجده دوماً يحتاج إلى أمكنة عدّة ذات بنية نابض بالحركة والفعل"<sup>12</sup>، وبهذا يبدو أنّ التّباين بين المكان والفضاء يظهر في كون الأوّل محدّد يتركز في مكان وقوع الحدث والآخر أوفر اتّساعاً ويعبّر عن الفراغ الفسيح الذي تنكشف فيه أحداث الرّواية، ومن هنا نلاحظ أنّ الفضاء احتلّ مرتبة هامّة ضمن بنية الرّواية.

أما إذا تطرّقنا إلى مصطلح الحيز الذي يعتبر من الألفاظ المرادفة والمتعلّقة بلفظة المكان فيؤكّد الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" على ضرورة استعمال مصطلح الحيز بدل مصطلح الفضاء، والحيز مشتقّ من الفعل "حاز الإبل يحوزها ويحيزها، وحوزا وحيزا أي ساقها رويدا رويدا وحوز الدار وحيزها ما انضمّ إليها من المرافق والمنافع، وكل ناحية على حدة حيز"<sup>13</sup>، وقد أوضح مرتاض علّة توظيفه لمصطلح الحيز دون غيره بقوله "الفضاء عامّ جدّا في رأينا، وقد تسرّب إلى أكثر من حقل معرفي معاصر، فاصطنع فيه"<sup>14</sup>، فاستعمال مصطلح الفضاء صار مبتذلا للغاية إذ صار من الشائع عند النّاس قولهم: الفضاء المدرسي، الفضاء الرّياضي، الفضاء التّاريخي وفضاء البيت، فضاء الأسرة، ولعلّ منهجية البحث العلمي الدّقيق تقضي بضرورة التّمييز بين مفهومي الفضاء والمكان"، ويضيف مرتاض قائلا: "الحيز الأدبي عالم دون حدود وبحر دون ساحل، وليل دون صباح ونهار دون مساء إنّه امتداد مستمرّ مفتوح على جميع المتّجهات في كلّ الأفاق"<sup>15</sup>، بمعنى أنّ الحيز عند "مرتاض" أكثر اتساعا من الفضاء فإذا كان للمكان حدود تحدّه وله نهاية ينتهي إليها، فإنّ الحيز له حدود ولا انتهاء سرمدّي الشّساعة مستمرّ الامتداد.

وانطلاقا ممّا سبق يمكننا أن نلاحظ أنّ أغلب النّقاد يرون في مجملهم أنّ المكان هو الفراغ المحدّد الذي يحوي بداخله الأشياء، أمّا الفضاء فهو الفراغ اللّامتناهي الذي يلفّ جميع الأمكنة، فيمكن القول إنّ: "الحيز المكاني هو الفضاء الذي تحدث داخله مختلف المشاهد والصّور والمناظر والدلالات والرّموز، التي تشكّل العمود الفقري للنّص السّردّي، إذ يعدّ الخلفية المشهّدية للشّخصية القصصية، فهو مسرح الأحداث التي تصنعها الذاكرة التاريخية برموزها المتنوّعة، وآليات المكان ما هي إلّا وسيلة من الوسائل الرّئيسيّة لرصد الواقع على مستوى السّرد وما بعده، أي مستوى الموقف والرّؤية"<sup>16</sup>. وهذا ما يجعل من المكان بصفة عامّة جزء من النّص وفهم هذا الأخير متوقّف على مدى فهم دلالات الأمكنة ورمزيّتها المضمرة والمعلنة، فالمكان الرّوائي يدلّ على موجودات تختلف دلالاتها من متلقّ إلى آخر وفق قدرته على استنطاقها، ووفق خلفيّاته الدّهنية أيضا، فالمكان في جوهره كتلة لفظيّة وخياليّة كما يرى "حميد لحميداني": "إنّ مصطلح المكان الرّوائي يدلّ على مفهوم محدّد هو المكان اللفظي المتخيّل"<sup>17</sup>، بمعنى أنّ المكان هو صورة خياليّة بتجسيد لغويّ، أي أنّ اللّغة هي التي خلقت المكان وأوجدته انصياعا لحاجات التخييل الرّوائي.

## 4-أنواع المكان:

ينقسم المكان حسب طبيعته إلى: مكان مفتوح / مكان مغلق:

أما المكان المفتوح فهو كما يرى "حميد لحميداني": "ما كان متضمنا لمساحات هائلة كبيرة، توجي بالمجهول، تكون متاحة لجميع الشخصيات الرواية، لا تحدّها حواجز وتسمح للشخصية بالتطوّر والحرية"<sup>18</sup>، أي كلّ ما يخصّ الشخصية ويحضن وجودها مثل الشارع أو الحديقة أو الملعب.

وفيما يخص المكان المغلق يرى الشّريف جبيلة: "الأمكنة المغلقة بكونها تلك التي ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسيّ الذي يروقه ويناسب تطوّر عصره، وينهض المكان المغلق كنفويض للمكان المفتوح، وقد تلقف الروائيون هذه الأمكنة، وجعلوا منها إطارا لأحداث قصصهم ومتحرّكا لشخصياته"<sup>19</sup>، بمعنى أنّ المكان المغلق هو مكان يتعلّق بكل مكان مساحته محدودة ومكوّناته متعدّدة حيث تقضي فيه الشخصية أغلب وقتها كالبيت مثلا، وقد يدلّ على الرّاحة والدّفء كما قد يكون سببا في الخوف والوحدة، حسب العلاقة النفسيّة التي تربطه بالشخصية.

يندرج تحت التقسيمين السّالفين تقسيم آخر وهو: (مكان أليف/ مكان معادي) ويقصد بالمكان الأليف كلّ مكان نحبه ونرغب فيه ونحتاج إليه اجتماعيّا، حيث يرسمه الروائيّ موافقا للشخصية الروائيّة، أمّا المكان المعادي فهو المكان الذي يثير إحساس الغربة والوحشة، كالمنفى.

## 5-وظائف المكان:

إنّ الكلام عن وظيفة الأمكنة يدفع بنا إلى الحديث عن تعدّد الأمكنة في المتن الروائيّ كالبيت، المزرعة، المكتب، الغابة السّيرير، الفؤاد، البحر، الجزيرة، الوطن، وغيرها، وفي العمل الروائيّ تأخذ الأماكن بعدا نفسيّا فليس البصر وحده من يحدد مكانية المكان بل هو تشارك واتّحاد كلّ الحواس، فخبرة الفرد بالمكان وإدراكه له تختلف وفق قدراته الحسيّة والنّفسية والعقليّة والعاطفيّة، فالفرد يعبرّ عما يعنيه ويهمّه لا عن الأشياء التي هي خارج اهتماماته، فزخرفة

المكان وهندسته تعبّر عن فهم معيّن للحياة وتكشف عن أنساق ثقافيّة متوارية، فالمكان يصطبغ بصبغة أصحابه.

وإذا وظف المكان توظيفاً فعّالاً في المتن الروائي يمنح له أبعاداً رمزيّة ونفسيّة تثير في نفسيّة المتلقّي عواطف معيّنة كالحبّ والكراهيّة والخوف والتّقوقع مثلاً، فالأماكن لها القدرة على حمل الذكريات والحنين والشّوق، فهي في صراع دائم مضادّ للنسيان، كما لها الإيحاء بالراحة والطمأنينة تارة، وبالهيبة والرّهبة تارة أخرى شأن بيت الله الحرام أو بيت المقدس مثلاً، ولها وظيفة امتصاص الأحزان وسبيل للاسترخاء مثل البحر، فالأماكن تتكلّم بصمت وأفئدتنا وعقولنا بلغة المادّي المجرد، فالمكان يتيح لنا الدردشة بهدوء. بالإضافة إلى الكشف الإيحائي عن طبيعة الشخصيات كالحانة مثلاً توجي بأنّ الشّخصيّة التي تتكرّر عليها تشرب الخمر، ناهيك عن خاصيّة التّرميز التي تعتبر أهمّ خاصيّة للمكان الروائي كما يرى "شاكر النابلسي": "الأماكن مهما صغرت ومهما كبرت ومهما اتّسعت وضاقّت، مهما قلت أو كثرت، تظلّ في الرواية الجيدة مجموعة من المفاتيح الكبيرة والصّغيرة التي تساعد على فكّ جوّ كبير من مغاليق النّص"<sup>20</sup>، فهي تخلق حواراً بين المتن والمتلقّي يسعى من خلاله هذا الأخير الغوص في طيّات العمل الروائيّ محاولاً قراءة خباياه وإظهار اللّثام عن مضمّراته.

## 6-جمالية المكان ودلالاته في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو":

### 1.6-التعريف بصاحب الرواية:

"أحمد رضا حوحو" الأديب الجزائريّ المناضل بقلمه وروحه، ووطنيتته وفكره وانتمائه، ابن "محمد رضا حوحو" شيخ عشيرة أولاد العربي وكبير أعيانها، كانت أوّل صرخة لأديبنا في هذه الحياة سنة 1910 يوم 15 من ديسمبر في مدينة صغيرة تدعى "سيدي عقبة"<sup>21</sup>، التحق أحمد بالكتّاب وتعلّم مبادئ اللّغة العربيّة، وقواعد الإسلام على أيادي شيوخ البلدة، ولمّا بلغ السّادسة من عمره التحق بالمدرسة الابتدائيّة الفرنسيّة سنة 1916<sup>22</sup>، بعد النّجاح في الابتدائيّة أرسله والده إلى سكيكدة ليكمل فيها دراسته لنيل شهادة الأهليّة، ولم يتمكّن من متابعة تعليمه الثّانوي نتيجة السّياسة الفرنسيّة التي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم، عاد أحمد إلى مسقط رأسه

وعمل بمصلحة بريد سيدي عقبة، وتعمّقت خبرته بالحياة وظروف معيشة مواطنيه تحت سيطرة الاحتلال الفرنسي.

درس باللغتين العربيّة والفرنسيّة وواصل تعليمه بالمدينة المنورة التي هاجر إليها رفقة أهله سنة 1935م، ثم تخرّج من مدرسة العلوم الشرعيّة عام 1938م وعمل فيها بعد التخرج، كما شارك في تحرير مجلة المهمل بمكّة المكرّمة بقصص يترجمها من الأدب الفرنسيّ ومقالات في مجلة الرابطة العربيّة المصريّة.<sup>23</sup> وبعد عودته إلى الوطن انضمّ لجمعية العلماء المسلمين وأصبح عضواً فعّالاً فيها، وعيّن مديراً لمدرسة «التربية والتّعليم» التي كان الشّيخ ابن باديس قد أسّسها بنفسه في سنة 1930، وبقي فيها ما يقارب سنتين، ثم انتدب لإدارة مدرسة «التّهذيب» بمدينة «شاطودان» سابقا ( شلغوم العيد حاليا) التي تبعد عن قسنطينة بحوالي 50 كيلومترا، ولم يمكث فيها إلا مدّة قصيرة ليعود مجدداً لقسنطينة ليشغل منصب الكاتب العام لمعهد ابن باديس. وفي 25 سبتمبر من 1946 نشر أوّل مقال في البصائر بعد عودتها إلى الصّدور تحت عنوان (خواطر حائر)<sup>24</sup>. وفي سنة 1948 انتخب عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريّين.

في سنة 1949 وفي الأسبوع الثّاني من شهر ماي شارك في مؤتمر باريس الدّولي للسلام حيث مثّل الجزائر خير تمثيل، وفي 27 أكتوبر قام بإنشاء جمعية المزهرة القسنطيني للمسرح والموسيقى ومن خلالها كان يعرض مسرحيات مثل: ملكة غرناطة، بائعة الورود، البخيل.<sup>25</sup> وفي 29 مارس 1956 وعند اغتيال محافظ الشرطة بقسنطينة، تم اعتقال أحمد رضا حوحو من منزله على السّاعة السادسة مساء بسجن الكدية، ومنه حُوّل إلى جبل الوحش المشرف على مدينة قسنطينة وتم إعدامه هناك.

## 2.6- مفهوم الجمالية:

إنّ التكلّم عن الجماليّات، يدفع بنا إلى التّطرق إلى علم الجمال، وهو "علم يدرس طبيعة الإحساس الفنّي، وما يبعث الجمال في شكل من أشكال الفنّ أو التّعبير"<sup>26</sup>، فهو يهتمّ بطريقة تدوّق الفنّ ورؤيته وملامسة الجميل فيه وذلك لإبراز الحسن من الرّديء، والجميل من القبيح في المواضيع والتّصووص عن طريق التّلقّي، والفهم، والاستيعاب. ومن علم الجمال كانت الجمالية التي

تهتمّ بجميع الفنون من: الأدب، الموسيقى، الرّسم، العمارة، وغيرها، "الجمالية هي البحث العقليّ في قضايا الفنّ على اختلافها"<sup>27</sup>، فالفنّ خلق جماليّ وإبداع له أصوله وتقنيّاته وأسس لا يتأتّى عبثاً، ويندرج في هذا السّياق سائر قضايا الإنسان ومواقفه بالحياة، فالجمالية إذن علم يبحث في فحوى الجمال من حيث مفهومه وماهيّته ومقاييسه ومقاصده، والجمالية في الشّيء تعني أنّ الجمال فيه حقيقة جوهرية وغاية مقصديّة على المتلقّي استنباطها وتدوّقها والاستمتاع بها.

### 3.6-جمالية المكان في "غادة أم القرى":

تعتبر خاصيّة تحفيز مخيلة المتلقّي أهمّ وظيفة يسعى عنصر المكان تحقيقها في العمل الروائي، بحيث يجعله يتخيّل واقعيّة ما يقرأ ودنوّه منه من خلال صنعة أدبيّة تضيف جماليّة على العمل الأدبيّ، كما نلاحظ عند "حميد حمداني": "طريقة تحديد ووصف الأمكنة في الروايات نجدها تأتي متقطّعة حيث أنّ ضوابط المكان في الروايات متّصلة عادة بلحظات الوصف"<sup>28</sup>، فالوصف هو صورة ذهنيّة قد تكون محاكاة لمكان واقعيّ أو بناء خياليّاً جديداً يكتسب قيمة فنيّة تشعر المتلقّي بالمشاركة، فكلّما زاد البعد التخيليّ للمكان زادت معه الجماليّة في وصفه. وإنّ امتلاك الروائي للغة وتحكّمه في زمامها وإتقانه لمهاراتها وحسن توظيفه لألفاظها وفق ما يقتضيه السّياق يمكنه من تشكيل صور عالية الجماليّة والتأثير، تضيف على العمل الأدبي ألواناً وأشكالاً وروحاً، فالوصف عامل لغويّ تزيينيّ تفسيريّ لمسرح الحدث.

### 4.6-"أم القرى" ودلالاتها في الرواية:

من بين الأمثلة عن المكان المفتوح في رواية "غادة أم القرى" مدينة "أم القرى" في حدّ ذاتها فالأديب "رضا حوحو" يحاول سرد قصّة لحبيين من الحجاز، فالمكان له علاقة حميمة مع الشّخصية، ويسعى إلى تكوينها فكريّاً ونفسيّاً ووجدانيّاً ويؤثّر في انتقالها من حال إلى حال، كما أنّه يسهم في خلق المعنى داخل الرواية، كما أنّ الروائي المبدع يستطيع أن يحوّل المكان إلى أداة تعبيرية عن موقف الأبطال من العالم الخارجي"<sup>29</sup>، فمن خلال المكان ينقل إلينا "حوحو" صفات ذلك المجتمع المحافظ والذّكوري الذي يسيطر على المرأة ويسلمها حقّها في التّعبير والحب، سيما إن تعلّق هذا المكان بأظهر بقعة على وجه الأرض تعتبر قبلة المسلمين للصّلاة والحجّ، وجسد الكاتب

ذلك في قدوم الملك للحجّ حين قال: "ثمّ صرّح له بأنّ الملك قادم في هذه الأيام للحجّ...وأخذت العجوز تترقّب أنباء رحلة الملك من الرّياض إلى أمّ القرى بأذن مرهفة"<sup>30</sup>. ومناسك الحجّ تحمل دلالة دينيّة لأمّ القرى والدلالة الدّينية لها أثر كبير على العمل الرّوائي فهي تبرز قداسته الرّوحية ومكانته عند المسلمين ككلّ.

إنّ الأديب الحقيقيّ بإمكانه زرع وطن في قارئه، بأرضه وسمائه، بصيفه وشتائه، بأهله وأحيائه، يعلن له القارئ كامل ولائه، عالم من كلمات يشيّد فيه صروحا للذاكرة ويمدّ جسورا للتاريخ ويعبّد طرقا للهويّة والانتماء، فتوظيف "أمّ القرى" كذلك تجسّد ذلك المكان الصّحراوي الجميل بكلّ ما تحمله الصّحراء من رمزيّة كما جاء في قول الرّواي: "فقد خرج جميل ذات مساء يتجوّل في ضاحية جرول أجمل ضواحي مدينة أمّ القرى وأوسعها، حيث انفرجت عندها سلاسل الجبال العديدة الملتوية كالأمعاء في مراوي إبراهيم، فكشفت عن بطحاء شاسعة رائعة المناظر"<sup>31</sup>، فضياء الصّحراء هو عمق ثقافيّ ومعتدّي لأبناء المنطقة العربيّة لذلك تعاملت معها الرّواية العربيّة بعمق وشموليّة"<sup>32</sup>، فهنا يجمع بين دلالات مختلفة وجوديّة ونفسيّة ودينيّة واجتماعيّة، استحضرت أبعاد المكان بجغرافيّته الإنسانيّة التي تجمّعت وتكتّفت حتّى أصبحت أليفة ذات رائحة ووطن، فاستطاع الرّواي هنا أن يحقّق له حضورا واقعيّا بأبعاد فكريّة وقيم معرفيّة لها علاقة بسياق جغرافيّ أولا ثمّ اجتماعيّ وثقافيّ، مركزا كلّ مرّة على اسم هذه المدينة لما لها من مقوّمات ومعالم بارزة، ذلك ما تنهت إليه سيزا قاسم حينما رأت "أنّ اختيار أسماء حقيقيّة للأحياء والشّوارع يعطي للقارئ إحساسا بأنّه يستطيع أن يتحقّق من وجودها"<sup>33</sup>، حتّى يعطي لتلك الأوصاف والأنساق بعدا واقعيّا جاذبا، يجعل من المتلقّي يعيش بخياله في تلك المعالم التي تشكّلها عوالم الكتابة والألفاظ كما تشاء.

نجد دلالة أخرى لأمّ القرى في التّسيج السّردية للرّواية، وهي دلالة سلوكيّة اجتماعيّة توجيهاً باهتمام المجتمع الحجازي ببعضه البعض، وتشير إلى الرّوابط المحكّمة التي تجمع بين سكّان المدينة الصّغيرة التي لا يخبأ بها سرّ، فقد ذاع خبر دخول البطل صاحب السّيرة الحسنة والأخلاق الحميدة إلى السّجن فأصبح سكرّ "جميل صادق" مأساة يتحدّث بها الكبير والصّغير ويتعاطف

معها أيضا في قوله: "حيث شاعت في جميع أنحاء أمّ القرى مأساة جميل صادق وإدانته بتهمة السكر، وكانت مسألته حديث العامّ والخاصّ، وأثارت تعجّب الكبير والصّغير"<sup>34</sup>.

### 5.6-الأماكن المغلقة" ودلالاتها في الرواية:

احتوت الرواية على عدّة أماكن مغلقة تتّصف بالضيق والانغلاق جعل منها الزوايا أرضا تتحرّك فيها الشّخصيات الرئيسيّة، وتضفي دلالات على العمل الزواياي، ومن بين الأماكن المغلقة اخترنا ما يلي:

#### أ-بيت الله الحرام:

وظّف بيت الله الحرام توظيفا دينيا يصف التّرابط الوجداني بين العبد وربّه من خلال التّضرع وطلب العون إذ يقول الأديب: "ونهضت مسرعة والتفت في ملاءمها السّوداء، وخرجت تتعثر في أذيالها حيث قصدت بيت الله، وألصقت صدرها الهزيل بجدار البيت وتوجّهت إلى ربّها بعينين وقلب محطّم كسير وهتفت تدعوه بلسان متلعثم"<sup>35</sup>، فقد جاء المكان هنا للدّلالة على الملجأ الرّوحي الذي يرتوي إليه كلّ متعسّر طالبا المدد والعون من الله عزّ وجلّ.

#### ب-البيت:

من بين المعاني التي يدل عليها البيت في الرواية السّكينة والحبّ والاستقرار في قوله: "فقد طارت زكيّة بأجنحة في أجواء السّعادة وهي تحلم ببيتها الجديد"<sup>36</sup>، فهو يدلّ على الحياة الجديدة وبناء مستقبل وتأسيس أسرة، والبيت يمثل السّعادة والطمأنينة والدّفء، فمن دونه يصبح الفرد مشتتا، فهو مرجع كلّ فرد كلّ ليلة ومصدر ستره وأمانه وملاذه.

بالإضافة إلى دلالة أخرى تتمثّل في الرّاحة والاستقلاليّة وقت انتقال البطل للعيش مع والدته ببيت مستقلّ، دون أن ننسى دلالة الامتثال للعادات والتقاليد والمحافظة على الاحتشام داخل الأسرة، لأنّ السّبب الرّئيس في اتّخاذ البطل بيتا مستقلا يكمن في كبر الفتاتين، الأمر الذي يلزمهما الاحتجاب عن كلّ رجل، فيكون البيت هنا تطبيقا للعرف والدّين وحياسة على الحرّية للطّرفين، وهذا يتجلّى في قول الأديب: "وما كان ذلك ليكون إلّا بعد أن استقلّ الفتى بوالدته في

مسكن مستقل بعد أن أحسَّ أنه أصبح غير مرغوب في بقاءه في بيت مربيه حيث اكتملت أنوثته فتاتيه فأصبحنا تحتجبان عنه وتفتران مسرعتين من أمامه كلَّما فاجأهما<sup>37</sup>. دون أن ننسى صفة التكاثر، وصلة الرحم، وقوة الترابط الأسرية بين الأفراد في المجتمع الحجازي، وقد تمثل هذا المعنى عند "طرق البطل باب بيت زوج خالته، ولم ين بالدار أحد سوى البنت الأصغر في العائلة، فقد خرجت والدتها وأختها الكبرى تصحبها الجارة إلى بيت خالتها فاطمة الكائنة في الناحية السفلى من مكة وكذلك أشعرها والدها منذ الصِّباح أنه مدعو للغذاء عند أحد أصدقائه"<sup>38</sup>.

### ج-السجن:

يقول الأديب: " حيث قبع جميل في هذا المكان يتحسّر على المحنة التي وقع فيها جورا وزورا، وهو الذي حكم عليه بالسجن ستة أشهر مع الجلد نهاية كلِّ شهر ثمانين جلدة وهو حدّ شرب الخمر"<sup>39</sup>، السجن هنا مكان عدائي مغلق غير مرغوب فيه دالٌّ على الضيق والظلمة والوحدة والانغلاق وسلب للحريّة والعقاب والقهر والظلم، بحيث وقع "جميل" في هذا المكان محكوما عليه بالحبس والجلد جورا.

### 7-خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية الوجيزة نستخلص ما يلي:

- أنّ المكان يعتبر مكونا مهما في العمل الروائي، باعتباره عنصرا متجليا في العديد من الدراسات والفنون الأدبية.
- المكان في "غادة أم القرى" يفتقد إلى الوصف الماديّ تقريبا فلم يخصّ الأديب بالوصف الماديّ الأماكن بقدر ما اعتنى برمزيّتها وربطها بالحالة النفسية التي تثيرها في نفسية الشخصية والمتلقّي.
- حمل العنوان هذه الرواية جزء من المكان فقد هيمنت "أم القرى" وأخذت أبعادا دلالية متباينة على رأسها ثقافة المجتمع الحجازي.

- تشكيل المعنى لا يتأتى إلا بإبراز الدلالات المختلفة للأماكن الموظفة في العمل الروائي والتي لها وقعها في نفسيّة المتلقّي وفي نفسيّة الشّخصيات داخل المتنّ الروائيّ.
- الجماليّة في العمل الروائيّ مسعى يؤكّده النّصّ، ويستنبطه النّاقّد، ويدرسه الباحث ويستمتع به المتلقّي.

#### 8- قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر. بيروت، لبنان، 1990، مج 1.
2. الزبيدي "تاج العروس من جواهر القاموس" دار صادر بيروت لبنان ج 9، 1996.
3. فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 1، 2009.
4. سليم بتقة، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع06، 2010.
5. عبد الدائم السلامي، شعريّة الواقع في القصة القصيرة جدا (قصص عبد الله المتقي ومصطفى لغتيري أنموذجا) منشورات أجراس، ط 1، المغرب، 2007.
6. حميد لحميداني، بنية النصّ السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1991.
7. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة-تحقيق عبد السلام هارون دار الجبل لبنان، ط 1991.
8. الفيروز ابادي، القاموس المحيط، "تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج 2، ط 1 1997.
9. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية (حنا مينة، حكاية بحار، الدقل)، المرفأ البعيد، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2011.
10. سمر روجي الفيصل، الرواية العربية، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، 2003.
11. مرتاض عبد المالك، في نظرية النصّ الأدبي، دار هومة، الجزائر، 2007.
12. طالب أحمد، السرد القصصي وجماليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، 2004، مج 34، ع 403.

13. الشريف جبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2010م.
14. شاعر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 1994.
15. يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و20، من شهداء ثورة أول نوفمبر 1954-1962، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008.
16. <https://www.marefa.org>
17. نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الرزاق بن السبع، جامعة الحاج لخضر، باتنة قسم اللغة العربية وآدابها، 2010-2011.
18. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979..
19. محمد الصالح خرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2006.
20. أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، الأنيس السلسلة الأدبية، إشراف محمد بلقايد، عن وزارة الثقافة، ط1، 2009م.
21. صالح ابراهيم، الفضاء والسرد، المركز الثقافي العربي، دط، دت.
22. سيزار قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

#### هوامش البحث:

- <sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر. بيروت، لبنان، 1990، مج1، ص 414.
- <sup>2</sup> الزبيدي "تاج العروس من جواهر القاموس" دار صادر بيروت لبنان ج 9، 1996، ص 348.
- <sup>3</sup> فيصل الأحمر، دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 1، 2009، ص 20
- <sup>4</sup> سليم بتقة، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 06، 2010، ص 01.
- <sup>5</sup> عبد الدائم السلامي، شعريّة الواقع في القصة القصيرة جدا (قصص عبد الله المتقي ومصطفى لغتيري أنموذجا) منشورات أجراس، ط 1، المغرب، 2007، ص5.
- <sup>6</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1991، ص 70
- <sup>7</sup> ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص 113.

- <sup>8</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة-تحقيق عبد السلام هارون دار الجبل لبنان، ط 1991، ص 508.
- <sup>9</sup> الفيروز ابادي، القاموس المحيط ، "تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ج 2 ط 1 1997، ص 1731.
- <sup>10</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ص 62.
- <sup>11</sup> مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية (حنا مينة، حكاية بحار، الدقل)، المرفأ البعيد، منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 2011، ص 37.
- <sup>12</sup> سمروحي الفيصل، الرواية العربية، مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د ط، 2003، ص 85.
- <sup>13</sup> ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص 113.
- <sup>14</sup> مرتاض عبد المالك، في نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 297.
- <sup>15</sup> المرجع السابق، ص 299.
- <sup>16</sup> طالب أحمد، السرد القصصي وجماليات المكان، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، 2004، مج 34، ع 403، ص 01.
- <sup>17</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 67.
- <sup>18</sup> المرجع نفسه، ص 162.
- <sup>19</sup> الشريف جبيلة، بنية الخطاب الروائي، عالم الكتاب الحديث، أريد، الأردن، ط 1، 2010 م، ص 204.
- <sup>20</sup> شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 1994، ص 27.
- <sup>21</sup> "سيدي عقبة" دائرة ومدينة تبعد عن ولاية سكرة ب 18 كلم يوجد بها ضريح الصحابي الجليل سيدنا عقبة بن نافع في مسجد يحمل اسمه. الاسم الأصلي للمدينة هو "نهودة". وتعود مرجعية هذا المسى لمدينة "سيدي عقبة" لفتح افريقية القائد عقبة بن نافع القرشي الذي افتتح هذه المدينة في فترة الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي.
- <sup>22</sup> يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20، من شهداء ثورة أول نوفمبر 1954-1962، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 98.
- <sup>23</sup> <https://www.marefa.org>
- <sup>24</sup> المرجع السابق.
- <sup>25</sup> نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح احمد رضا حوحو، مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الرزاق بن السبع، جامعة الحاج لخضر، باتنة قسم اللغة العربية وآدابها، 2010-2011، ص 49.
- <sup>26</sup> جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1979، ص 86.
- <sup>27</sup> محمد الصالحخرفي، جماليات المكان في الشعر الجزائري، جامعة منتوري، قسنطينة، ط 1، 2006، ص 04.
- <sup>28</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 24.
- <sup>29</sup> مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية (حنا مينة، حكاية بحار، الدقل)، ص 08.
- <sup>30</sup> أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، الأئيس السلسلة الأدبية، إشراف محمّد بلقايد، عن وزارة الثقافة، ط 1، 2009 م، ص 48 - 50.
- <sup>31</sup> المرجع السابق، ص 37.

- <sup>32</sup> صالح ابراهيم، الفضاء والسرد، المركز الثقافي العربي، دط، دت، ص14.
- <sup>33</sup> سيزار قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص117.
- <sup>34</sup> أحمد رضا حوجو، غادة أم القرى، الأنيس السلسلة الأدبية، ص41.
- <sup>35</sup> أحمد رضا حوجو، غادة أم القرى، الأنيس السلسلة الأدبية، ص53.
- <sup>36</sup> المرجع نفسه، ص24.
- <sup>37</sup> المرجع نفسه، ص35.
- <sup>38</sup> المرجع نفسه، ص16.
- <sup>39</sup> المرجع نفسه، ص39.

**L'image du martyr dans Le Fils du Pauvre de Mouloud Feraoun: un témoignage de résistance, d'identité et de mémoire collective**

**The image of the martyr in Mouloud Feraoun's *The Poor Man's Son*: a testimony of resistance, Identity, and collective memory**

**Maître de conférences A Mériem BEN RAHAL**

**Département de langue française, Université de Ghardaïa**

Laboratoire de l'analyse de discours et les études lexicales et comparées

[benrahal.meriem@univ-ghardaia.dz](mailto:benrahal.meriem@univ-ghardaia.dz)

**Résumé**

L'image du martyr dans la littérature algérienne d'expression française est liée à la question de l'identité nationale et individuelle. Les écrivains ont exploré les implications complexes du martyr en tant qu'individu sacrifié pour une cause plus grande, et ont remis en question les idées de sacrifice et de violence au nom de l'indépendance. *Le fils du pauvre* de Mouloud Feraoun met en scène des personnages confrontés à la réalité du martyr, remettant en question leurs propres convictions et cherchant à donner un sens à leur propre existence au milieu de la violence et de la souffrance.

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la figure du martyr occupe une place centrale et incarne la résistance face à l'oppression coloniale. Le roman explore les différentes formes de martyre auxquelles sont confrontés les personnages, tant sur le plan individuel que collectif.

**Mots clés:** image, martyr, résistance, identité, Le Fils du Pauvre, Mouloud Feraoun, mémoire collective

**Abstract:**

The image of the martyr in French-Algerian literature is intricately linked to the questions of both national and individual identity. Writers have

delved into the complex implications of martyrdom as an individual sacrificed for a greater cause and have questioned the ideas of sacrifice and violence in the name of independence. Mouloud Feraoun's *The Poor Man's Son* portrays characters grappling with the harsh reality of martyrdom, challenging their own convictions, and seeking to make sense of their existence amidst violence and suffering.

In *The Poor Man's Son* by Mouloud Feraoun, the figure of the martyr holds a central place and embodies resistance against colonial oppression. The novel explores the various forms of martyrdom experienced by the characters, both on an individual and collective level.

**key words:** image, martyr, resistance, Identity, *The Poor Man's Son*, Mouloud Feraoun, collective memory

## Introduction

La littérature algérienne d'expression française a joué un rôle essentiel dans la représentation et la compréhension des événements tragiques qui ont marqué l'histoire de l'Algérie, notamment la lutte pour l'indépendance contre le colonialisme français. L'un des thèmes récurrents et puissants dans cette littérature est celui du martyr. L'image du martyr a été utilisée par de nombreux écrivains algériens pour rendre hommage aux héros et aux victimes de la guerre, tout en explorant les complexités de leur sacrifice. Cet article examine l'image du martyr dans la littérature algérienne d'expression française, en mettant en lumière une œuvre emblématique qui a participé à produire cette représentation.

*Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun est un roman autobiographique emblématique qui a marqué la littérature algérienne d'expression française. Publié en 1950, cet ouvrage offre un témoignage démonstratif émouvant de la vie de l'auteur lui-même, tout en mettant en lumière les réalités sociales et politiques de l'Algérie coloniale. « *Le Fils du pauvre est une œuvre autobiographique* ». *Le lecteur a l'assurance que ce récit est celui d'une vie bien réelle: « On identifie l'instance narrative à l'instance d' « écriture », le narrateur à l'auteur »*<sup>1</sup>.

À travers ce roman, Mouloud Feraoun écrit un récit qui résonne encore aujourd'hui, témoignant de la force, de la résilience et de la persévérance dans un contexte d'oppression et de pauvreté. Dans ce sens, Charles Bonn affirme que *Le Fils du pauvre*: « *Ce n'est pas de la poésie, ni une étude psychologique, ni même un roman d'aventure puisqu'il n'a pas d'imagination (...) Il voulait tout simplement (...) raconter sa propre histoire* »<sup>2</sup>

*Le Fils du Pauvre* est bien plus qu'un simple récit autobiographique. Il s'agit d'une œuvre littéraire qui transcende les frontières de l'autobiographie pour devenir un témoignage universel sur la résistance, l'espoir et la recherche de dignité dans un contexte d'oppression. Feraoun utilise son écriture fluide et poétique pour donner vie à des personnages authentiques.

*Le Fils du Pauvre* se déroule dans l'Algérie coloniale, une époque caractérisée par les inégalités sociales, les discriminations et l'oppression imposées par le système colonial français. Mouloud Feraoun y décrit de manière réaliste les conditions de vie précaires dans lesquelles il a été

grandiose, ainsi que les défis quotidiens auxquels étaient confrontés les habitants de son village kabyle de Tizi Hibel. Il a rencontré en évidence les difficultés liées à la pauvreté, à l'accès limité à l'éducation, ainsi qu'aux tensions entre les traditions culturelles et les influences occidentales.

### **1. L'image du martyr dans *Le Fils de Pauvre***

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la figure du martyr occupe une place centrale et incarne la résistance face à l'oppression coloniale. Le roman explore les différentes formes de martyr auxquelles sont confrontés les personnages, tant sur le plan individuel que collectif.

Tout d'abord, le martyr se manifeste à travers les sacrifices personnels consentis par les personnages pour défendre leurs convictions et préserver leur dignité. Le protagoniste du roman, est confronté à de nombreuses difficultés en raison de sa condition de fils de pauvre. Malgré cela, il persévère dans sa quête de connaissance et d'éducation, sachant que cela lui coûtera des sacrifices personnels et des privations. Son engagement envers son propre développement intellectuel peut être perçu comme un acte de martyr, où il sacrifie ses propres besoins et désirs au profit d'une cause plus grande.

En outre, le roman engage également le martyr collectif à travers la résistance du peuple algérien face à l'occupation coloniale. Les personnages expriment leur solidarité et leur détermination à travers des actes de résistance, que ce soit par le biais de manifestations, de grèves ou de soulèvements contre les injustices subies. Ces actes de résistance peuvent entraîner des conséquences graves, y compris la mort, la torture ou l'emprisonnement. Cependant, les personnages remplissent ces

sacrifices comme nécessaires pour lutter contre l'oppression et préserver leur identité culturelle et leur autonomie.

L'idée du martyr dans le roman dépasse la simple notion de la mort physique. Elle englobe également le sentiment de vivre dans des conditions de vie difficiles et d'endurer des souffrances constantes. Les personnages sont confrontés à la pauvreté, à l'injustice et à la marginalisation, mais ils refusent de se soumettre à ces circonstances et continuent à se battre avec résilience. Leur persévérance et leur résistance face à l'adversité sont des formes de martyre qui mettent en évidence la force de leur détermination et leur volonté de se battre pour un avenir meilleur.

En mettant en avant la figure du martyr, *Le Fils du Pauvre* souligne l'importance de la résistance et du sacrifice dans la lutte contre l'oppression. Les personnages du roman incarnent cette résistance et sont prêts à faire des sacrifices personnels pour préserver leur dignité, leurs valeurs et leur identité culturelle. Le martyr devient ainsi un symbole de courage et de dévouement, témoignant de la détermination inébranlable du peuple algérien à se battre pour la liberté et l'indépendance.

Mouloud Feraoun a dépeint la lutte quotidienne pour la dignité, la liberté et la justice dans un contexte marqué par la pauvreté et les inégalités.

*Le Fils du Pauvre* met en scène l'Algérie coloniale, où les Algériens étaient soumis à une domination politique, économique et culturelle de la France. Il y décrit avec une précision saisissante les réalités de la vie quotidienne sous le joug colonial. Il expose les injustices sociales, les

discriminations et les humiliations subies par les Algériens, mais également leur lutte incessante pour préserver leur dignité et leur identité.

Le protagoniste, qui représente l'auteur lui-même, incarne cette résistance. Malgré la pauvreté et les difficultés auxquelles il est confronté, il refuse de se soumettre à l'oppression. Il trouve des moyens de résister, que ce soit par la quête de l'éducation, l'affirmation de sa culture et de ses traditions, ou encore par la solidarité communautaire. À travers son personnage, Mouloud Feraoun dépeint l'indomptable volonté de l'individu de se battre pour sa liberté et celle de son peuple.

L'éducation dans *Le Fils du Pauvre*, est présentée comme un puissant moyen de résistance. Feraoun souligne l'importance de l'apprentissage et de l'accès au savoir pour émanciper les individus et combattre l'ignorance imposée par le colonialisme. Le protagoniste, malgré les obstacles, persévère dans sa quête de connaissances, car il sait que l'éducation est une arme essentielle pour s'élever au-dessus de sa condition sociale et se libérer de l'oppression. Il dit:

«je me revois... (...) si c'est un jour de toilette, et bien c'est le Fouroulou actuel moins la barbe naturellement (...). A présent, quand j'essaie de m'imaginer parmi mes élèves, je me retrouve toujours parmi les plus chétifs, les moins turbulents, ceux qui craignent l'effort, détestent les jeux et prennent un malicieux plaisir à apprendre quelque chose »<sup>3</sup>.

«cette fois Fouroulou put lire et traduire assez bien »<sup>4</sup>.

« des gens venaient le consulter ou se faire écrire des lettres difficiles »<sup>5</sup>.

## 2. Le Martyr comme symbole de résistance

Dans la littérature algérienne d'expression française, l'image du martyr est souvent utilisée comme un symbole de résistance contre l'oppression coloniale. Les écrivains ont cherché à dépeindre les martyrs comme des figures héroïques, prêtes à sacrifier leur vie pour la liberté de leur peuple. Ils ont mis en lumière leur courage indomptable face à l'adversité et leur détermination à lutter contre les forces dominantes. Des œuvres telles que *L'Étranger* d'Albert Camus et *Les Soleils des indépendances* d'Ahmadou Kourouma illustrent cette représentation du martyr, où l'on peut observer des personnages qui se dressent courageusement face à l'oppression coloniale, défiant ainsi les injustices imposées.

## 3. Le Martyr et la quête de l'identité

L'image du martyr dans la littérature algérienne d'expression française est également liée à la question de l'identité nationale et individuelle. Les écrivains ont exploré les implications complexes du martyr en tant qu'individu sacrifié pour une cause plus grande. Ils ont remis en question les idées de sacrifice et de violence au nom de l'indépendance, mis en évidence les dilemmes moraux et les questionnements qui entourent ces choix difficiles. Des romans tels que *Le fils du pauvre* de Mouloud Feraoun mettent en scène des personnages confrontés à la réalité du martyr, remettant en question leurs propres convictions et cherchant à donner un sens à leur propre existence au milieu de la violence et de la souffrance.

Lorsqu'il s'entretient avec Maurice Monnoyer, Feraoun exprime ses propositions concernant le roman intitulé *Le Fils du pauvre* de manière suivante: «*Je suis très attaché à ce livre, d'abord parce que je ne mangeais pas tous les jours à ma faim alors qu'il sortait de ma plume, ensuite parce qu'il m'a permis de prendre conscience de mes moyens* ». <sup>6</sup>

L'un des aspects les plus saisissants de *Le Fils du Pauvre* est la quête de dignité et d'identité des personnages. Feraoun représente la tension entre les traditions culturelles et les influences occidentales, mettant en lumière la lutte pour préserver sa culture tout en aspirant à l'ouverture sur le monde. Il souligne, ainsi, l'importance de la préservation de l'identité culturelle dans la résistance contre l'assimilation culturelle imposée par les colonisateurs.

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, l'identité occupe une place centrale et complexe. L'auteur explore ce thème de manière profonde, compte tenu de leur importance fondamentale dans la construction de la résistance et la préservation de la culture algérienne face à l'oppression coloniale.

L'identité est un élément essentiel du roman, représentant la conscience de soi et l'appartenance à un groupe culturel. Le protagoniste, issu d'un milieu pauvre, se trouve confronté à la pression constante de renier son identité et de s'assimiler à la culture dominante imposée par le colonialisme. Cependant, il refuse de sacrifier son héritage culturel et sa langue maternelle. Il embrasse plutôt son identité algérienne, sa fierté de ses origines et sa connexion profonde avec sa terre natale. Cette affirmation de son identité est un acte de résistance en soi, car elle refuse

l'effacement culturel et la négation de soi imposés par l'oppression coloniale.

*«ma première journée de classe, ma première semaine et même ma première année ou laissé dans ma mémoire très peu de traces. J'ai beau fouiller parmi mes souvenirs, je me trouve rien de clair ».*<sup>7</sup>

*« Ils adaptèrent la même attitude au cours des réunions du soir, à la salle du culte. Ils y allaient régulièrement, lisaient un verset de la bible comme tout le monde, chantaient des cantiques avec application, écoutaient respectueusement le commentaire du chef ».*<sup>8</sup>

*«Il admire tout le monde. Il se voit si obscur, pitoyable, écrasé ! »*<sup>9</sup>

La transmission intergénérationnelle joue un rôle crucial dans la préservation de l'identité. Les aînés transmettent aux jeunes leur héritage culturel, leurs valeurs et leurs expériences de lutte. Ils leur enseignent l'importance de résister à l'oppression, de préserver la langue, les traditions et les coutumes, et de se battre pour un avenir meilleur. Cette transmission intergénérationnelle renforce le lien entre les générations et renouvelle la volonté de résister.

En représentant le thème de l'identité, *Le Fils du Pauvre* met en évidence la résilience du peuple algérien face à l'oppression coloniale. L'acceptation et la célébration de l'identité culturelle, combinées à la transmission de la mémoire collective, permettent aux personnages de puiser dans une source de force intérieure et de détermination. Ces éléments nourrissent leur résistance, alimentent leur engagement envers la

justice et la liberté, et renforcent leur connexion profonde avec leur terre et leur peuple.

#### **4. Le Martyr et la mémoire collective**

La représentation du martyr dans la littérature algérienne d'expression française joue un rôle crucial dans la préservation de la mémoire collective. Les écrivains ont cherché à témoigner des souffrances endurées par les martyrs et à raconter leur histoire, afin de conserver le souvenir de leurs sacrifices pour les générations futures.

L'auteur a également rencontré en évidence l'importance de la mémoire collective dans la résistance. Les personnages se souviennent des histoires, des luttes et des sacrifices de ceux qui les ont précédés. Ils perpétuent ainsi la mémoire collective de leur peuple et s'en nourrissent pour trouver la force de résister. La mémoire collective devient un héritage précieux, une source d'inspiration et une base sur laquelle construire une lutte collective pour la dignité et la liberté. Elle repose sur le passé, le présent et l'avenir, permettant aux générations actuelles de s'ancrer dans une continuité historique et de comprendre leur rôle dans la poursuite de la résistance.

Dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la représentation de la mémoire collective s'étend bien au-delà de sa simple conservation. Le roman met en évidence la manière dont la mémoire collective façonne l'identité individuelle et collective, influence les relations sociales et politiques, et inspire la résistance contre l'oppression.

La mémoire collective dans le roman transcende les frontières du temps et de l'espace, liant les personnages à un héritage commun et les unissant dans une lutte commune. Elle leur permet de puiser dans l'expérience collective de la souffrance et de la résistance pour trouver la force et la détermination nécessaires pour affronter les difficultés présentes. La mémoire collective agit comme un fil conducteur qui s'appuie sur les générations, transmet un sentiment de continuité et d'appartenance à une communauté plus large.

Au-delà de la simple remémoration des événements du passé, la mémoire collective dans le roman est également un moyen de reconstruire l'histoire et de la réinterpréter à la lumière des réalités présentes. Les personnages se souviennent de l'époque où ils étaient opprimés, mais ils cherchent aussi à comprendre les causes et les conséquences de cette oppression. Ils s'engagent dans des discussions et des débats pour donner un sens à leur passé et éclairer leur lutte actuelle.

*«Mouloud Feraoun raconte d'abord sa propre histoire, c'est vrai, amis il décrit en même temps un pays, une époque, des coutumes, des modes de vie ou: Fouroulou c'est sur, se confond presque complétement avec Feraoun ».*<sup>10</sup>

La mémoire collective dans *Le Fils du Pauvre* est également marquée par la prise de conscience de l'importance de la transmission intergénérationnelle. Les personnages plus âgés assument le rôle de gardiens de la mémoire et transmettent les histoires, les traditions et les valeurs aux jeunes générations. Ils se complètent comme les dépositaires d'un héritage précieux et ressentent la responsabilité de le préserver et de

le transmettre aux générations futures. Cette transmission de la mémoire est essentielle pour maintenir l'identité culturelle et les résistances vivantes.

*« Mon oncle court, vole à la djema armé d'un gourdin. Une bouffée de haine lui monte du cœur à la tête. Il va venger son honneur, il va imposer aux gens le respect de sa famille. »<sup>11</sup>*

*« Ma mère que les chagrins et les soucis n'avaient point ménagée depuis la mort de ma grand-mère, puis de mon grand-père, était devenue une pauvre créature timorée, irrésolue, incapable de prendre parti ; une fois qu'elle avait émis timidement quelques objections que lui suggérait son bon sens ou son expérience de la vie, elle s'inclinait et ne contrariait jamais ceux qu'elle aimait ».<sup>12</sup>*

En outre, la mémoire collective est également ancrée dans le paysage naturel et géographique du roman. Les descriptions détaillées du village, de ses rues, de ses maisons et de ses paysages évoquent une profonde connexion entre la mémoire collective et l'environnement physique. Les lieux deviennent des témoins silencieux de l'histoire et portent la mémoire des événements qui s'y sont déroulés.

Mouloud Feraoun utilise la mémoire collective pour remettre en question les structures de pouvoir coloniales et pour revendiquer la dignité et l'autonomie culturelle de son peuple. La mémoire collective devient un moyen de résistance culturelle et politique, permettant aux personnages de se réapproprier leur histoire et de réaffirmer leur identité face à l'oppression coloniale.

En somme, *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun démontre l'importance vitale de la mémoire collective dans la construction de l'identité et la résistance contre l'oppression. La mémoire collective transcende le temps et l'espace, dépendant des individus à un héritage commun et les incitant à s'engager dans une lutte collective. Elle est transmise de génération en génération, alimentant la résistance culturelle et l'identité.

En conclusion, dans *Le Fils du Pauvre* de Mouloud Feraoun, la figure du martyr représente la résistance individuelle et collective face à l'oppression coloniale. Les personnages du roman font preuve de courage et de détermination en sacrifiant leurs propres besoins et en défiant les injustices afin de préserver leur dignité et leur identité culturelle. Le martyr devient ainsi un symbole puissant de la lutte pour la liberté et l'autonomie, mettant en lumière la force de la résistance face à la colonisation.

L'œuvre de Mouloud Feraoun illustre la puissance de la littérature pour témoigner de l'histoire, de la souffrance et de la résilience d'un peuple. *Le Fils du Pauvre* reste un héritage littéraire important, transmettant des valeurs de courage, de persévérance et de solidarité.

Il a mis en évidence l'importance vitale de l'identité et de la mémoire collective dans la résistance contre l'oppression coloniale. Ces thèmes permettent aux personnages de rester fidèles à eux-mêmes, de préserver leur culture et leur identité.

L'image du martyr dans ce roman va au-delà de la simple notion de la mort physique. Elle englobe également la souffrance quotidienne et les

difficultés auxquelles les personnages sont confrontés. Il souligne l'importance de la résistance et du sacrifice dans la lutte contre l'oppression.

L'ouvrage de Feraoun est non seulement un témoignage poignant de résistance, mais aussi un appel à l'action. Il incite les lecteurs à se questionner sur les inégalités et les injustices sociales qui persistent dans le monde contemporain et à se dresser contre elles. En décrivant les réalités de la vie en Algérie pendant la période coloniale, Feraoun invite les lecteurs à remettre en question les systèmes d'oppression et à se mobiliser pour un changement social positif.

### Référence bibliographique

1. Charles, BONN, *La Littérature algérienne de langue française et ses lectures. Imaginaire et discours d'idées*, Ottawa, éd. Naaman, 1974.
2. Interview réalisée par Maurice Monnoyer, Paru dans *l'Effort algérien* du 27 février 1953.
3. Genette, G, *Figures III*, Seuil, Paris, 1969.
4. Mouloud Feraoun, *Le fils de pauvre*, Seuil. Paris, 1950.

---

<sup>1</sup> Genette, G, *Figures III*, éd. Seuil Coll. Poétique, 1969, p. 226

<sup>2</sup> Charles, BONN, *La Littérature algérienne de langue française et ses lectures. Imaginaire et discours d'idées*, Ottawa, éd. Naaman, 1974, p. 6.

<sup>3</sup> Mouloud Feraoun, *Le fils de pauvre*, 1950, p.100.

<sup>4</sup> *Ibid.*, p.154.

<sup>5</sup> *Ibid.*, p.177.

<sup>6</sup> Interview réalisée par Maurice Monnoyer, Paru dans *l'Effort algérien* du 27 février 1953

<sup>7</sup> Mouloud Feraoun, *op.cit.*, p.72.

<sup>8</sup> *Ibid.*, p.169.

<sup>9</sup> *Ibid.*, p.165.

<sup>10</sup> *Ibid.*, p. 115.

<sup>11</sup> *Ibid.*, p. 46.

<sup>12</sup> *Ibid.*, p. 40.

## صورة الشهيد في ديوان الشهيد الربيع بوشامة.

## The Image of the martyr in the Diwan of the martyr Rabie Bouchama

سعاد بوقطاية: دكتوراه علوم في الأدب العربي الحديث والمعاصر

قسم اللغة العربية-جامعة الأمر عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة.

Sadqtayt@ gmail.com

ملخص:

ارتبطت صورة الشهيد في المخيال الجمعي بأسى معاني البطولة والتضحية والفداء في سبيل الوطن، مما دفع بالعديد من الشعراء إلى تخليد ذكراه وتمجيد مآثره والتغني ببطولاته، من خلال تقديم صور رائعة له تزخر بالعطاء والوفاء والإخلاص.

ويعد الربيع بوشامة واحدا من الشعراء الذين قدسوا الشهادة في سبيل الوطن، إذ استحضر صورة الشهيد في الكثير من نصوصه الشعرية متناولا ملامحه الجسمية وصفاته المعنوية وحالاته النفسية، متخذاً منه رمزا للوطنية والعروبة والإسلام.

الكلمات المفتاحية: الصورة، الشهيد، الشهادة، الربيع بوشامة.

**Abstract:**

The image of the martyr in the collective imagination was associated with the highest meanings of heroism, sacrifice, and redemption for the sake of the country, which prompted many poets to perpetuate his memory and glorify his heroism by providing wonderful pictures of him full of giving, loyalty, and sincerity.

Al-Rabie Bouchama is one of the poets who sanctified martyrdom for the sake of the homeland, as he evoked the image of the martyr in many of his poetic texts, addressing his physical features and qualities, his moral and psychological states, and taking it as a symbol of patriotism, Arabism, and Islam.

**Keywords:** image, martyr, martyrdom, AL Rabie Bouchama.

## المقدمة:

يزخر الشعر الجزائري الحديث بنماذج شعرية استحضرت فيها الشعراء شهداء الثورة التحريرية الكبرى، فخصّوهم بصور شعرية بديعة ولوحات وجدانية آسرة، تضمنت وصفاً للملاحم، وسرداً لخصالهم وشمائلهم وتخليداً لسيرهم وانتصاراتهم، واستشعاراً لخلجات نفوسهم وانفعالاتهم، فجاءت صورهم ثرة بالمعاني والمضامين القيمة، والأساليب والصور المتنوعة، التي ساهمت في كشف جوانب مهمة وخفية من التجارب الإنسانية لهؤلاء الأحرار.

ولقد كان الشاعر الشهيد "الربيع بوشامة" في طليعة الشعراء الذين التزموا بقضايا وطنهم، فصوّر مأساته وبرعوا في التعبير عن آمال شعبه، وبطولات شهدائه الذين أعطوا الإنسانية درساً في الشجاعة والتضحية ورباطة الجأش وقوة العزيمة والإصرار على النصر ونيل الحرية، فكان شعره تكريماً لهم وشهادة عرفان واعتزاز بأمجادهم، وقوة فاعلة في صدور الثوار للسير قدماً إما لنيل الحرية أو الارتقاء إلى جنات النعيم.

ونظراً لقيمة الشهيد في ترسيخ الحس الوطني ووفرتها في مدونة "الربيع بوشامة"، يحاول هذا المقال تسليط الضوء على تجليات صورة الشهيد في الشعر الجزائري الحديث من خلال ديوان الشهيد "الربيع بوشامة" -رحمه الله وطيب ثراه-

## 1- معالم من حياة الشاعر الشهيد الربيع بوشامة ومسيرته الأدبية:

ولد الربيع بوشامة في ديسمبر 1916م، في قنزات في بني يعلى ولاية سطيف، دخل المدرسة القرآنية (الكتاب) والمدرسة الفرنسية، فحفظ القرآن الكريم في عمر الثانية عشر، تفرغ بعد ذلك لتحصيل العلم على يد مشايخ بلده أمثال الشيخ "سعيد صالح" و "الصدّيق بن عبد السلام"، ثم اشتغل بعد ذلك في التعليم رفقة شيخه "سعيد صالح" في جامع البلدة.

وفي سنة 1937م، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد سنة فقط أوفدته الجمعية رفقة شيخه إلى فرنسا، لبث أفكارها في أوساط العمال الجزائريين هناك، وقبل أن يتم سنة عاد إلى مسقط رأسه ليلتحق بابن باديس في قسنطينة، وتلمذ على يديه وسار على هدايته، وفي

هذه الفترة أقام علاقات واسعة مع بعض القادة والمشايخ والعلماء، ك"البشير الإبراهيمي"، و"العقيد اعميروش"، وكذا مختلف القيادات في الوطن العربي.

وفي سنة 1942م، اعتقل الربيع بوشامة بتهمة التحريض على الجهاد، ولما خرج سنة 1946م إثر العفو العام توجه إلى العاصمة أين تعاطى التعليم في مدرسة "الهداية"، ثم حوّل إلى مدرسة "الثبات" بالحراش، وبعد سنوات من التعليم هناك انتدبته جمعية العلماء المسلمين مرة أخرى لتمثيلها في فرنسا (سنة 1956م)، حيث أصبح معتمداها، ولم يطل به المقام حتى عاد إلى الجزائر مديرا لمدرسة "الثبات" إلى غاية 1959م.

وفي 16 جانفي 1959م، ألقى القبض عليه بتهمة تمزيق العلم الفرنسي، ونال من التعذيب الشيء الكثير حتى وجد مقتولا في إحدى ضواحي بودواو بالعاصمة، وقد نزل نبأ استشهاده كالصاعقة على سكان مدينة الحراش خاصة والجزائر عامة، رحم الله الشهيد وطيب ثراه<sup>1</sup>.

يجمع معظم الباحثين على أن "الربيع بوشامة" هو أحد أركان الحركة الأدبية والفكرية في الجزائر، إلا أن الدراسات حول تجربته الشعرية قليلة جدًا، إذ غالبًا ما تتم الإشارة إليه فقط دون الاستشهاد بشعره، كما هو الحال عند صالح خرفي في كتابه "الشعر الجزائري الحديث" والربيعي بن سلامة وآخرون في كتاب "موسوعة الشعر الجزائري"، وأبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، و"دراسات في الأدب الجزائري الحديث"، وقد أشاد هذا الأخير بالشاعر وبشعره قائلا: <<كان الشاعر يحب مهنته وخدمة اللغة العربية والإسلام في الجزائر.. وظلما أشاد بوشامة بالعروبة والإسلام في شعره وأحاديثه بالإضافة إلى ذلك هناك موضوع الحرية والوطنية وأحداث الثامن مايو وقضايا فلسطين وليبيا ومصر...>><sup>2</sup>.

تجدر الإشارة إلى أن قصائد الشهيد قد جمعت في ديوان في السنوات الأخيرة فقط (1994م)، من طرف الباحث الجزائري جمال قنان، وحسب جامع الديوان فإن الشاعر وقبل اعتقاله جمع شعره في كراس وكتب عليه <<هذه مجموعة شعرية من نظم الربيع بن الصديق بوشامة أتقدم بها كأعز أثر وألطف تحية إلى أبناء العروبة...>><sup>3</sup>.

ولعل أهم ما ميز شعر الشهيد هو اتجاهه الوجداني ونزعته الوطنية والقومية، فتناول مواضيع ثورية مستوحاة من الواقع العربي ودعا إلى استنهاض الهمم، وحث على نيل الشهادة في سبيل تحرير الأوطان، فجاءت قصائده مشاهد تصويرية تشتعل بالحماسة والعاطفة الجياشة ملخصة معاني البطولة والتضحية والفداء.

## 2- مفهوم الصورة:

أ- لغة: وردت لفظة "صورة" ومشتقاتها في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفة، وفي أسماء الله الحسنى (المصوّر) الذي صور جميع الموجودات وربّتها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة متميزة يتميز بها على اختلافها وكثرتها<sup>4</sup>.

ب- اصطلاحاً: حظي مصطلح "الصورة" بقسط وافر من الدراسة والتحليل، وكوّنت جهود كثيرة لتحديد ماهيته، ويجمع الكثيرون على أنّ «> الصورة مصطلح حديث صيغ تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترجمتها، فإن الاهتمام بالمشكلات التي يشير إليها المصطلح قديماً، يرجع إلى بدايات الوعي بالخصائص النوعية للفن الأدبي»<sup>5</sup>، وقد عرف هذا المصطلح اضطراباً في المفهوم وتعدداً في الرؤى، أدى إلى ظهور تحديدات غير متناهية، نذكر منها القول بأنها «> تمثيل تصور ذهني معين له دلالاته وقيّمته الشعورية»<sup>6</sup>، في حين امتزجت دلالتها بين الحسي والجمالي المعنوي، فعرفها عبد الإله الصايغ بقوله: «> تشكيل جمالي تستحضر فيه لغة الإبداع للهيئة الحسية أو الشعرية للأجسام أو المعاني لصياغة جديدة تملّحها قدرة الشاعر وتجربته»<sup>7</sup>، ومنهم من رأى أنها إضاءة لجوهر النفس، واستجابة للتجربة الشعورية، فهي «> تتشكل من مجمل حدوس ومشاعر سببية يكون المبدع قد اكتسبها من حافظة ذاكرة الضمير الجمعي، وفق معطيات تفاعل محصلة الخبرات وتعدد التجارب»<sup>8</sup>، ومنهم من ذهب أبعد من ذلك ورأى أنها صورة جامعة لكل المحسوسات والملكات، حيث يقول: «> الصورة تعاون كل الحواس وكل الملكات»<sup>9</sup>.

لقد حاولنا الوقوف عند أهم دلالات هذا المصطلح - على كثرتها - عندنا النقاد المحدثين خاصة من عني بالصورة، ولعل الشيء الذي لا بد من تأكّيده هو زئبقية هذا المصطلح، إذ يتعذر

كثيرا الإمام بماهيته، أو وضع تعريف قار وثابت له، مما جعل تعريفاته مجرد صياغات كثيرة لفكرة واحدة.

### 3- مفهوم الشهادة:

أ- لغة: جاء في لسان العرب: الشهادة خبر قاطع تقول منه: شهد الرجل على كذا... وأصل الشهادة: الإخبار بما شاهده. وقوله عز وجل: شهد الله أنه لا إله إلا هو، معناه: قضى الله أنه لا إله إلا هو.. وشهد الشاهد عند الحاكم أي بين ما يعلمه وأظهره...، والشهيد: المقتول في سبيل الله. والجمع شهداء. والاسم الشهادة. واستشهد قتل شهيدا وتشهد طلب الشهادة<sup>10</sup>.

ب- اصطلاحا: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للشهادة عن معناها اللغوي كثيرا، فهي تعني العلم والحضور والمعاناة، والإقرار، وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعاني بالإضافة إلى ورودها بمعنى الركن الأساسي في الإسلام، وهي شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أما بمعنى القتل في سبيل الله، فإنها لم ترد في القرآن الكريم بهذا المعنى وإن اختلف في تفسير بعض آياتها، أما في السنة فقد وردت بمعنى المقتول في سبيل الله كما في حديث أبي هريرة عن الرسول على الله عليه وسلم قال: <<الشهداء خمسة: المطعون والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله>><sup>11</sup>.

### 4- تجليات صورة الشهيد في ديوان الشهيد الربيع بوشامة:

أولى "الربيع بوشامة" تيمة "الشهيد" اهتماما بالغا، إذ أفرد لها الكثير من القصائد والمقاطع الشعرية. وقد كان تعامله معها من زاويتين، الأولى شمولية حيث تحدث عن الشهيد دون أن يحدد مكانه وزمانه، مستذكرا بطولاته وكفاحه المرير في سبيل تحقيق الحرية ونيل الاستقلال، كما في قصائد "رثاء شهيد"، "لمن الجسم عالقا بين الصخور؟"، "مبعث النور: خلود شهيد"، "سر على الدمع والدماء الغوالي"، أما الزاوية الثانية فكانت خاصة، إذ خص حديثه عن شهداء معينين، كما في قصيدة "حي في الأبطال" التي أشاد فيها بالبطل الشهيد "اعميروش"، وقصيدتي "إلى الله أخي" و"أمها الصقر المجلي في العلا" اللتان رثى فيهما رفيقا دربه في الدعوة والإصلاح "عبد الملك فضلاء" و"الفوضيل الورتلاني" -رحمهما الله-، وقصيدة "روح الوفاء" التي رثى فيها رائد الحركة الإصلاحية الشيخ العلامة "عبد الحميد بن باديس"، واتسعت دائرة اهتمام الشاعر حيث خص

شهداء فلسطين بالثناء والثناء، كما في قصيدة "حيّ ذاك الصريع في الميدان" التي أهداها إلى بطل "قسطل" "عبد القادر الحسيني" الذي قدم حياته فداء لوطنه وشعبه الأبّي.

وفي كل قصيدة من هذه القصائد -وغيرها- رسم "الربيع بوشامة" صوراً رائعة لشهداء الوطن والعروبة"، مصوراً صفاتهم الحسية والمعنوية، مستجلباً حالاتهم النفسية، معبراً عن ذلك بلغة شعرية تلامس القلوب وتحيي النفوس وتجعلنا ننحني فخراً وعزّاً وإجلالاً لروح هؤلاء الأحرار الذين تصدّوا للموت بإيمان صادق وإخلاص وافر في سبيل تحقيق شعورهم الحرية والعيش بكرامة ونبذ كل أشكال الذل والهوان والاستعباد.

#### 1-4- الصورة الحسية:

ترتكز الصورة الحسية على وصف المحسوسات والموجودات، وتمثل الانطلاقة الأساسية في كل وصف، إذ «اقترن الوصف -منذ البداية- بالحرص على نقل جزئيات العالم الخارجي وتقديمها في صور أمينة تعكس المشهد وتحرص على تصوير المنظور الخارجي كل الحرص»<sup>12</sup>.

من الطبيعي أن ينبني التصوير الشعري على الصورة الحسية الوصفية، لأنها المادة الخام والمصدر الأول لكل تجربة، يؤكد ذلك صاحب "مسائل فلسفة الفن المعاصرة" بقوله: «إن كل أثر رائع من آثار الفن ليس إلا التعبير بلغة حسية عن معنى رفيع، وكلما كان المعنى سامياً بهم الفكر كان على الأثر الفني أن بهم الحواس»<sup>13</sup>.

إنّ الناظر في شعر "الربيع بوشامة" يجد ضربين من الوصف الحسي، وصف حسي خالص يركز فيه الشاعر على الصفات المادية للشهيد، وهو قليل جداً في الديوان مقارنة بالضرب الثاني، ونمثل له بهذه الأبيات من قصيدة "لمن الجسم عالقا بالصخور"، حيث صور فيه الشاعر ما تعرض له أحد شهداء الأطلس من تعذيب وتنكيل بجثته، وقد تم رميه بين الصخور، حيث يقول الشاعر:

لمن الجسم عالقا بالصخور      في ذرى الأطلس الأبّي الصبور  
مندرجا في دمانه الحرّ تجري      من قروح فواحة وكسور

بعضها في معارف الوجه والأطراف      والبعض في الحشى المبتور  
قتلوه بالغدر أو العسف صبرا      ثم ألقوا من حالق في الصخور<sup>14</sup>

نقل لنا الشاعر صورة حسية صادقة وصادمة، صوّر من خلالها جثة شهيد مضرجة بالدماء، مبتورة الأحشاء، مقطوعة الأطراف، تفوح منها رائحة العفن من جراء الجروح والكسور، وعلى الرغم من أن الشاعر قد وظف ألفاظا تقريرية من قبيل: الصخور- الدماء- قروح- كسور- الوجه- الأطراف، إلا أنه استطاع أن ينسج منها صورة موهلة في البشاعة والقناتمة، استطاعت أن تنفذ إلى نفس المتلقي وتزهها من الأعماق، وتجعلها تستشعر حجم المعاناة التي كابدها الشهيد في سبيل استقلال وطنه وراحة أبناء جلدته.

وقد أبان الشاعر - في هذا المقطع- عن قدرة فنية على تقديم الصور الحسية من خلال توظيف مثيرات حسية كالألوان والحركات والرائحة، فتوظيفه للألفاظ: مدرجا (مضرجا)، وفوّاحة، وكذا الفعلين ألقوه - علقوه، قد ساهم في توضيح الصورة بشكل كبير وكذا إثارة انفعالات ومشاعر القارئ، حيث أبانت الصورة عن مدى وحشية المستعمر الغاشم وانعدام إنسانيته والتي قابلها الشهيد بصبر يفوق الجبال ثباتا، وهنا تكمن أهميتها>> إذ تنبع أهمية الصورة من طريقتها الخاصة في تقديم المعنى، وتأثيرها في المتلقي>><sup>15</sup>.

أما الضرب الثاني من الوصف الحسي، فهو ذلك الوصف المفعم بالحركة النابض بالحياة، إذ استطاع الشاعر من خلاله أن يخلق صورا حسية تشع بمعان يمكننا أن نستشعرها دون أن بصورها، فهو ينقلنا في لمح البصر من مجال المحسوسات إلى مجال المعنويات عن طريق تمثيل المعاني وتصويرها فالشاعر>> وإن كان يبدأ من الواقع المادي المحسوس ليستمد منه معظم عناصر صوره الشعرية، فإنه لا ينقل هذا الواقع نقلا حرفيا، وإنما يبدأ منه ليتخطاه ويتجاوزه، ويحوّله إلى "واقع شعري">><sup>16</sup>، كما في هذه الأبيات التي بعنوان "حيّ البطولة" حيث يقول:

حيّ البطولة في حضن الدم القاني      و ابك الدموع... ذوب وجدان  
هذا ابنك في ساح الجهاد قضى      هذا على الحى ممدود جثمان  
هذا الذي قد تقاه الظلم من زمن      وعاش نهب العوادي جد حران

تقاذفته النوى في كل متجه      وصدعنه ذووقربى وإحسان  
واليوم إذا طويت أيامه ومضى      قد عاد للأهل في نعش وأكفان<sup>17</sup>.

تضعنا هذه الأبيات أمام مشهد مباشر محسوس تمثل في صورة الشهيد وقد قضى نحبه في ساحة الشرف، وجسمه الطاهر ممدود على الأرض بين أهله وأقربائه، لكن المتأمل لهذه الأبيات يقف على تقاطع واضح بين ما هو حسي وبين ما هو معنوي، إذ لم يبق الشاعر رهين الواقع المادي الملموس بل تجاوزه إلى ما يبعثه من ظلال معنوية صاحبت هذا الواقع، فهذا المشهد قد جعلنا نستشعر معنى البطولة الحقيقية التي تعدّ الشهادة أسمى وجوهها، إلى جانب ما تحمله الشهيد من العذاب، والصبر على فراق الأحباب، وتحمل ظلم الأصدقاء قبل الأعداء، فالشهادة -إذا- ماهي إلا محطة أخيرة من محطات البطولة التي لازمت الشهيد طوال حياته، ولعل خيال الشاعر وحسه الوجداني هما اللذان قاداه إلى إنتاج هذه الصورة المتكاملة، >> فالخيال الشعري يوحد بين "المادي الحسي" و"الفكري المعنوي"، ويذيب الحدود المصطنعة بينهما، فيتناغم الحس والفكر دون أن يفصله أو يتميز عنه >><sup>18</sup>.

#### 2-4- الصورة الرمزية:

تعدّ الصورة الرمزية إحدى الوسائل التي يلجأ إليها الشاعر قصد إحداث المتعة الفنية، وهي تسعى إلى الإيحاء وعدم المباشرة، وتقوم على التلميح بدل التصريح، وتكمن أهميتها فيما تكتنزه من دلالات مكثفة وإيحاءات خفية تجعل منها أكثر وأبلغ من الحقيقة المادية، فهي وسيلة الشاعر في التصوير ذلك أن >> الفن تصوير ووسيلتنا في هذا التصوير هي قوى الشاعر الإيحائية واستغلال هذه القوى إلى أبعد مدى سواء أكان الإيحاء بالحدث أو بالأسطورة أو بالشخصية أو باللغة المجازية >><sup>19</sup>.

يزخر ديوان "الربيع بوشامة" بالعديد من الصور الرمزية التي تنفتح على العديد من الدلالات المباشرة وغير المباشرة والتي ترتبط غالبا بالوطن والثورة والشهداء، ونلمس ذلك في عديد القصائد التي صورة الشهيد سواء تصويرا حسيا أو معنويا، فإن كانت الصور الحسية قد جسدت مأساة الشهيد وما تعرض له جسده الشريف من تعذيب وتنكيل فإن الصورة الرمزية قد أبانت

عن معاني رائعة عن التضحية والبطولة ومواجهة الظلم والقهر وحب الموت ومجادة الحياة، ويمكننا أن نمثل بذلك بهذه الأبيات التي يرثي الشهيد الفلسطيني "عبد القادر الحسيني"، حيث يقول الشاعر:

حيّ ذاك الصريع في الميدان	باسم الثغرهائى الوجدان
يرفع الطرف للسماء شكورا	نعمة الموت عن حمى الأوطان
والدماء الحمراء تدفق نورا	وحياة مشبوبة الألسوان
تبعث الروح في البلاد تذكى	سرّ مجد في الشيب والشبان
واطلب مثله الشهادة دأبا	واستمت غير حائر أو جبان
وامقت الدمع والتحزن مقتا	وادرع بالثبات والإيمان <sup>20</sup>

صور الشاعر في هذه الأبيات شخصية إنسانية تمتلك من الصفات ما تأهلها لأن تكون رمزا للتضحية والشجاعة، إذ استطاع بما يمتلكه من إمكانات لغوية ومفردات وصور أن يبرز ملامح الشجاعة والفداء والثقة بالنفس التي تجلت في شخصية هذا الشهيد البطل، وأن يجسدها تجسيدا حسيا، فأنت تقرأ قوله: "باسم الثغرهائى الوجدان" تحس نفسك أمام إنسان لا يبالي بالمخاطر واثق من نفسه كل الثقة، لا يجد الخوف إلى قلبه سبيلا، كيف لا وهو يفرغ إلى الله في علاه شاكرا إياه على ما منى به عليه من نعمة الشهادة في سبيله، ولا غرابة أن تكون هذه الصورة قريبة من الحقيقة فعادة ما >> يمتزج الرمز في الصورة الشعرية بالحقيقة حتى أننا لا نعرف في كثير من الحالات ما هو رمز وما هو حقيقة<<<sup>21</sup>.

ومضى الشاعر في تصوير شجاعة وبسالة الشهيد "عبد القادر الحسيني" بإضافة صورة رائعة استطاعت أن تمنح القارئ إحياءات غير محدودة، فجعل دماء الشهيد الحمراء تتدفق نورا، هذا النور الذي بدوره انبعثت منه ألوانا زاهية أعادت للشهيد روحه ومنحته سرّ الحياة والمجد، والمتأمل لتفاصيل هذه الصورة المتشابكة والمتنامية يدرك أنها توحى بالحياة الأبدية التي سوف يحيها الشاعر في دار الخلود، ولا أدلّ على ذلك من دعوة الشاعر القارئ إلى السير على خطى الشهيد لنيل الشهادة بشجاعة وثبات وإيمان راسخ، لأن موته حياة لوطنه.

## الصورة النفسية:

ترتكز الصورة النفسية على نقل الإحساس النفسي الداخلي تجاه تجربة من التجارب الحياتية، وتكتسي الصورة النفسية أهمية كبيرة في الشعر، إذ ليست «الصورة في الشعر إلا تعبيراً عن حالة نفسية معينة يعانها الشاعر إزاء موقف معين من مواقف الحياة»<sup>22</sup>، وبذلك تكون الصورة النفسية الوعاء الحامل لمختلف الانفعالات والأحاسيس، إذ لا يكتفي الشاعر بتصوير الوقائع المادية أو الإيحاء إليها، بل يضيف إلى ذلك ما تختزنه هذه الوقائع من شحنات عاطفية تظهر على السطح من حين إلى آخر، «فالشاعر يستغل في الإيحاء بأبعاد هذا العالم الداخلي الشعوري معطيات العالم الخارجي المحسوس، فإنه لا ينبغي أن يقف عند هذه المعطيات الحسية مكتفياً بتسجيل التشابهات المحسوسة بينها، وإنما لابد أن يحول هذه المعطيات إلى أدوات للإيحاء بواقعه النفسي الخاص»<sup>23</sup>، فغالبا ما يركز الشاعر على الوظيفة الانفعالية فيجعل غايته أن ينفذ إلى كيان القارئ ومهز وجدانه من الداخل، بدل من توضيح موقف أو نقل فكرة أو وصف منظر، وبذلك تكون الصورة «تركيبية وجدانية تنتهي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع»<sup>24</sup>.

ركز " الربيع بوشامة" كثيرا في أشعاره على نقل انفعالات الشهيد وأحاسيسه وهو يواجه الموت بخطى ثابتة، يزعزعه الخوف والقهر تارة ويحذوه الأمل في حياة الخلد في جنات النعيم تارة أخرى، وقد اجتمع هذين الإحساسين في عدة مواضع من قصائد الشاعر، منها هذه القصيدة التي بعنوان " سر على الدمع والدماء الغوالي"، حيث يقول الشاعر:

سَرُّ عَلَى الدَّمْعِ وَالدَّمَاءِ الْغَوَالِي	يَا شَهِيداً فِي ذِمَّةِ الْمُتَعَالِي
وَامْتَطِ التَّوَرَّ لِلسَّمَوَاتِ تَحْدُو	كَ أَغَانِي الرِّضَى وَرُوحِ الْجَلَالِ
وَمَهْنِيكَ- فِي الْمَعَارِجِ- أَمْلًا	كَ السَّمَابِ الْمُنَى وَخَيْرِ الْمَنَالِ

\*\*\*

مَهْدِرِ الدَّمِّ وَالحَيَاةِ تَوَارِيَتْ	شَهَاباً فِي الصَّخْرِ وَالْأَدْغَالِ
وَعَبَتْ قَبْلَ الْأَوَانِ مَهْضُومِ حَقِّ	مَسْتَبَاحاً مَحْطَمِ الْأَمَالِ

و انزوى جسمك النبيل عبيطاً  
 في ربيع الصبا وفجر الكمال  
 لم تمتع نفساً وقلبا ولم تشف  
 غليلاً من صبوة وجمال<sup>25</sup>

القارئ لهذه الأبيات التي رثى فيها الشاعر شهداء الثامن مايو يدرك أن وسيلة الشاعر لنقل تجربته الشعرية هي الصورة النفسية، إذ لم يركز الشاعر على استرجاع أحداث الثامن مايو، بقدر ما ركز على تداعياتها الوجدانية وآثارها النفسية، فالصورة هنا << لا تقدم لنا المحسوسات رغبة في استحضار صورتها وهيئتها الشكلية وإنما تقدمها بعد أن ارتبطت بمعنى نفسي خاص >><sup>26</sup>.

ونلمس وجود شحنتين عاطفتين متضادتين ومتصارعتين اختلجتا دواخل الشهيد الذي واجه الموت في الدنيا ليحيا في الآخرة، وصارع الخوف لينال الأمان، وتحمل الضنك، لينعم بالراحة، فشهادته قد بعثت في قلبه وفي قلب الشاعر وفي قلب القارئ أيضا انفعالا مزدوجا <<فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء وقد يقبضها بالكآبة والخوف>><sup>27</sup>.

لقد جسدت هذه الصورة نفسية الشهيد وماعاناها قبل استشهاده فقد أهدر دمه جوراً، وهضم حقه بهتاناً، واستبيح جسمه النبيل ظلماً، فلا تمتعت نفسه الزكية بجمال، ولا تنعم قلبه الطاهر بحب، وإتماً عاش كئيباً كاسفاً محطماً الآمال، كما جسدت هذه الصورة الشعرية حياته بعد موته، فوقفت عند النعيم الذي ينتظره بعد أن تحول الحزن فرحاً، وعاد السخط رضى، وصارت الدموع أغاني، والتعازي تهاني، واعتلت روح الشهيد المعارج، وامتطت النور إلى السموات العلاء يملأها الرضا فرحاً وسروراً.

### الصورة الشعرية:

تعتبر الصورة الشعرية جوهر القصيدة وعماد بنائها، من حيث أن << الشعر بناء تصوري بلغة انفعالية، تلونها دفقة الشعور، ضمن علاقات داخلية، تفرز صوراً موحية لما ينبغي أن يكون عليه الواقع >><sup>28</sup>.

فالصورة الشعرية-إذا- تتشكل من مجموع الأفكار والمعطيات المستمدة من الواقع المحيط بالشاعر، ومن الانفعالات الكامنة في أعماق مشاعره، فيعيد صياغتها وفق رؤيته الفنية، ووفق ما

ينسجه خياله الخصب من صور رمزية قائمة على التركيز والتكثيف، وبذلك تكون الصورة الشعرية >> طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير<<<sup>29</sup>.

استعان "الربيع بوشامة" في رسم صوره الشعرية على نمطين بلاغيين هما التشبيه والإستعارة، باعتبارهما أهم الأدوات الفنية التي تسهم في توضيح الفكرة، وتشخيص المعنى، وتقريب الرؤية، ولا يمكن أن تقتصر الصورة الشعرية على هذين العنصرين فقط- وإن كانا الأهم- ذلك أن >> الصورة الشعرية تعد أوسع نطاقا وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة وإن أفادت منهما. فليس بين الصورة إذن وبين التشبيه أو الاستعارة فجوة، فقد يصل التشبيه أو تصل الاستعارة في بعض الأحيان إلى درجة من الخصب والامتلاء والعمق إلى جانب الأصالة والابتداع بحيث تمثل لصورة وتؤدي دورها. غير أن الصورة وإن تمثلت في التشبيه الخصب والاستعارة الذكية ماتزال لها وسائل أخرى تتحقق بها ومن خلالها<<<sup>30</sup>، ويمكننا أن نمثل بقول الشاعر في رثاء "عبد الحميد بن باديس":

ذاك ابن باديس في علياء عزته      يبدو شهابا كريم الفيض زهारा  
ألقى بجسم سعى في كل صالحه      حتى خبا فاستوى بالأرض آثارا<sup>31</sup>

نحن أمام صورة شعرية تبدو من الوهلة الأولى بسيطة مألوفة، إذ شبه الشاعر "ابن باديس" في علو مقامه وسمو قدره بشهاب فائض الأنوار، فالتشبيه هنا قد اقتصرت وظيفته على توضيح الغاية التصورية التي بعثت في نفوسنا فيضا من معاني التعظيم والإجلال لشخصية العلامة "ابن باديس" وحركت مشاعر الفخر والاعتزاز بشخصه، ولكن الصورة الشعرية قد أبانت عن نفسها في البيت الثاني حين بناها على المفارقة فإذا كان الشهاب إلا أنه يخبو دون أثر، ولكن "ابن باديس" عندما خبا وانطفئ نوره كان قد ترك أثرا مازالت أعماله الصالحة شاهدة على رفعة منزلته.

نجد صورة شعرية أخرى قائمة على التشبيه التمثيلي والاستعارة والكناية، في رثاء الشاعر شهيد العلم "بن أحمد بن عبد الحميد" التلميذ بجمعية العلماء المسلمين، الذي استشهد وهو في ربيع العمر داخل معهد الجمعية، إذ قال فيه الشاعر:

يا له وردا ذوى في روضة      أنق الطلعة لدنا أخضرا  
تهدى الريح من أنفاسه      نسما تمشربات عنبرا  
سدد الدهر إليه طعنة      من يدي طالع نحس أعسرا  
فارتى حيناً على أوراقه      يتلقى - ملهبا - فوق الثرى  
ثم سار الروح يرقى في السما      مودعا جثمانه دنيا الكرى<sup>32</sup>

نحن أمام صورة شعرية متكاملة، نابغة من عمق وجدان الشاعر لدرجة أنه جعلنا نستشعر أنه يعبر عن واقعة حسية في حين كان يبني صورة فنية، فالشاعر هنا يرثي شهيد العلم، الذي سقط وهو في عمر الزهور، سقط وهو يطلب العلم في روض "ابن باديس"، فهذا هو الواقع الذي عاينه الشاعر، ولكن مفرداته وعباراته التي استخدمها في التعبير عن هذا الواقع عمقت معرفتنا به، وشحنت الصورة بمجموعة من الدلالات والإيحاءات التي يمكن أن نستشفها من خلال الوقوف عند كل صورة جزئية، فالتشبيه التمثيلي المتضمن تشبيه صورة بصورة فقد قابل بين صورة التلميذ الصغير بمعهد جمعية العلماء المسلمين الذي طالته يد مجرم فأردته شهيدا، وبين صورة الورد المزهر داخل الروض الذي طالته يد مفسد فأردته يباباً، في إحالة منه إلى غدر وظلم المستعمر الغاشم الذي لم يترك صغيراً ولا كبيراً، رجلاً ولا امرأة، أما الاستعارة ففي قوله "سدده الدهر إليه طعنة"، إذ شبه الدهر بالإنسان الغدار حذف المشبه به الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه الفعل "سدده" على سبيل الاستعارة المكنية، في محاولة لتشخيص المعنى وتقريبه من ذهن القارئ، أما الكناية فتمثلت في قوله "من يدي طالع نحس أعسرا"، وهي كناية عن موصوف، عن المستعمر الذي اشتمل على جميع صفات القبح فهو يفتقد للإنسانية، ويمارس الظلم والاستبداد على الضعفاء دون رحمة أو شفقة.

إن هذه الصور الشعرية التي درسناها قد ولدت في نفوسنا هذه المعاني، وربما تولد في نفوس غيرنا معاني أخرى، فهي قد جاءت أكثر خصبا وأكثر ايجاء، وهذه هي ميزة الصورة الخصبية الثرة، إذ أنها «تستطيع أن تشع في كل اتجاه، وأن تسمح لك باستكناه المزيد من المعاني كلما أوغلتَ معها بحسك إنها صورة معطاء، تكشف عن الجديد دائما»<sup>33</sup>.

### الخاتمة:

لقد أدرك " الربيع بوشامة" قيمة السلاح الذي يمتلكه وهو "الكلمة"، فساهم بها في معركة المصير، إيمانا منه بأن مصيره مرهون بمصير وطنه، فظل يخلد بطولات شعبه، ويمجد انتصارات أبطاله، ويرثي شهداءه، بالكلمة الحرة النزهة الواعية، التي كانت سهاما ضاربة في قلوب الأعداء، ودرعا واقية لصدور الأحرار، كما استطاع بهذه الكلمة أن يرسم صورا رائعة كان الشهيد محور بنائها ملخصا بذلك أسى معاني البطولة والتضحية في سبيل نيل الحرية والكرامة، ومازالت كلمات الشاعر الشهيد يتردد صداها وتتجدد مع كل حدث يلم بالوطن أو محنة تعصف به، فتزيد أبناء هذا الوطن صحوة وتماسكا وصلابة.

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الربيع بوشامة: الديوان، جمع وتقديم جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، دط، 2010م.
- 2- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج10، ط3، 2007م.
- 3- جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط6، 1997م، مادة (صور)..
- 4- جابر عصفور: الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 1992م.
- 5- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط3، دت.

- 6- بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 1، 1994م.
- 7- عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، دط، دت.
- 8- ج.م جويو: مسائل فلسفة الفن المعاصرة، تر: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت.
- 9- عادل جاسم صالح المسبحي: الشهيد في السنة النبوية، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط 1، 2008م.
- 10- علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط 4، 2002م.
- 11- محمد زكي العثماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م.

## الهوامش:

- <sup>1</sup> - ينظر، الربيع بوشامة: الديوان، جمع وتقديم جمال قنان، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة- الجزائر، دط، 2010م، ص(5-32).
- <sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج 10، ط 3، 2007م، ص 529.
- <sup>3</sup> - الربيع بوشامة: الديوان، ص 34.
- <sup>4</sup> - ينظر: جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 6، 1997م، مادة (صور)، ص 114.
- <sup>5</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 1992م، ص 11.
- <sup>6</sup> - عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية والمعنوية)، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، ط 3، دت، ص 132.
- <sup>7</sup> - بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط 1، 1994م، ص 38.
- <sup>8</sup> - عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، دط، دت، ص 368.

- <sup>9</sup> - ج.م جويبو: مسائل فلسفة الفن المعاصرة، تر: سامي الدروبي، دار الفكر العربي، مصر، دط، ص73.
- <sup>10</sup> - ابن منظور: لسان العرب، مادة (شهد)، ج3، ص(242-239).
- <sup>11</sup> - عادل جاسم صالح المسيحي: الشهيد في السنة النبوية، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط1، 2008م، ص42.
- <sup>12</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، ص323.
- <sup>13</sup> - ج.م جويبو: مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ص73.
- <sup>14</sup> - الربيع بوشامة: الديوان، ص57.
- <sup>15</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب)، ص328.
- <sup>16</sup> - علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير، ط4، 2002م، ص75.
- <sup>17</sup> - الربيع بوشامة: الديوان، ص75.
- <sup>18</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية، ص343.
- <sup>19</sup> - محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م، ص116.
- <sup>20</sup> - الربيع بوشامة: الديوان، ص63.
- <sup>21</sup> - عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، ص140.
- <sup>22</sup> - محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص108.
- <sup>23</sup> - علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص90.
- <sup>24</sup> - عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص127.
- <sup>25</sup> - الربيع بوشامة: الديوان، ص59.
- <sup>26</sup> - بشرى موسى صالح: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص86.
- <sup>27</sup> - عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص38.
- <sup>28</sup> - المرجع السابق، ص368.
- <sup>29</sup> - جابر عصفور: الصورة الفنية، ص323.
- <sup>30</sup> - عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص143.
- <sup>31</sup> - الربيع بوشامة: الديوان، ص123.
- <sup>32</sup> - المصدر نفسه، ص99.
- <sup>33</sup> - عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص148.

"شاعر الثورة بين الالتزام والفن"

الشاعر الشهيد الربيع بوشامة أنموذجا

"The poet of the revolution between commitment and art"

The martyr poet Rabie Bouchama is a model

سميرة دين أستاذة محاضرة - أ -

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف ( الجزائر).

s.dine@univ-eltarf.dz

ملخص:

لما أضحت الكلمة جهاد وصرخة مسموعة لها صدى بلغت به شأواً عالياً تواقفة إلى نيل الحرية تعالت الأصوات الثورية التي ناضلت بالقلم والسلاح فكان لهم شرف الاستشهاد في سبيل الوطن فكان أبناء الجزائر ملزمين بقضية الوطن وشد الهمم، لذلك ارتأيت أن أتناول واحداً من أولئك الشعراء الذين رووا بدمائهم وحسبهم الثورة وهو الشاعر الشهيد الربيع بوشامة؛ بطل خدم الوطن بكل ما يملك من عنف المقاومة استوطن الجبال، تعرف على قمم الشهداء. فكان له ديوان شعر تتحرك فيه شاعرية الشهيد، بل تتفجر لتتأثر لغته أولاً بالجهاد وثانياً احساسه الرهيب مع قسوة ما كانت تعانيه الجزائر باعتباره شاعراً ناطقاً باسم شعبه التزم بقضية الوطن، فكانت كلماته تنبض بالحياة والالتزام؛ ملزماً بوطنه وقضية شعبه.

الكلمات المفتاحية: الشهيد، الثورة، الالتزام، الفن، الربيع بوشامة.

**:Abstract**

When the word became jihad and an audible cry with an echo that reached a high level of desire to achieve freedom, the revolutionary voices that struggled with pen and weapon rose, and they had the honor of being martyred for the sake of the homeland. With their blood and their sense of revolution, he is the martyr poet Rabie Bouchama; A hero who served the nation with all his violence of resistance. He settled in the mountains and recognized the peaks of the martyrs. He had a collection of poetry in which the poeticism of the martyr was stirred, and even exploded, so that his language was influenced, firstly, by jihad, and secondly, by his terrible feeling for the cruelty of what Algeria was suffering. As a poet speaking on behalf of his people, he was committed to the cause of the homeland, so his

words were vibrant with modesty and commitment. Committed to his country and the cause of his people.

**key words:** Martyr, revolution, commitment, art, Rabie Bouchama

تنشق الأدب الجزائري من هَوَل الثورة، ومن حقد الاستعمار وطغيانه ليكون الزفير مَدَوياً في سماء الشعر والأدب لتكون الكلمة صخباً في آذان فناني الاحتلال والتعذيب، فتألق أولئك الذين حملوا القلم سلاحاً بمثابة المرأة العاكسة لنضالات الشعب الجزائري أصبحت وظلت ودامت القضية الجزائرية قضية دولية بفضل ما ساهم به بعض الأدباء من أدب عرف من خلاله عمق النضال، براعة الأبطال، رزانة قائديه، بطولات شعب نساء ورجال، لن ولا يختلف اثنان على أن علاقة الأدب الجزائري بالثورة الجزائرية لا تحتاج لتأكيد فالكاتب فرد حساس امتزجت روحه بنبض أولئك الذين قدموا النفس والنفيس، بأرض ارتوت من دم الشهداء لتحرك أفئدة الأدباء من أجل مواصلة الجهاد لحرية أسمى من أن تقايض أو تهان.

ولما أضفى الشعر الجزائري نوعاً من أسلحة الجهاد، خاصة وأن الكلمة جهاد وصرخة مسموعة لها صدى بلغت به شأواً عالياً تواقفة إلى نبيل الحرية والاستقلال تعالت الأصوات الثورية التي ناضلت بالقلم والسلاح فكان لهم شرف الاستشهاد في سبيل الوطن. فكان أبناء الجزائر ملزمين بقضية الوطن وشد الهمم، لذلك ارتأيت أن أتناول واحداً من أولئك الشعراء الذين رووا بدمائهم وحسبهم الثورة وهو الشاعر الشهيد الربيع بوشامة؛ بطل خدم الوطن بكل ما يملك من عنف المقاومة استوطن الجبال، تعرف على قمم الشهداء. فكان له ديوان شعر تتحرك فيه شاعرية الشهيد، بل تتفجر لتتأثر لغته أولاً بمشاركته الفعلية في مجال الجهاد، وثانياً تجاوب احساسه الرهيب مع قضايا الأمة العربية وقسوة ما كانت تعانيه الجزائر باعتباره شاعراً ناطقاً باسم شعبه، التزم بقضية الثورة والوطن والحرية، فكانت كلماته تنبض بالحياة والالتزام؛ ملزماً بوطنه وقضية شعبه، فتظهر تجليات الالتزام بقضية الوطن في شعره، باعتباره الكيان المقدس - عقيدة راسخة حب الوطن من الإيمان - يعي في سبيله ويضحي بكل غال لأجله لذلك كان اختياري لهذه المداخلة بعنوان "شاعر الثورة بين الالتزام والفن" نرحل وشعره حيث الوطنية، الثورة، الانتماء، الجزائر علنا نصل إلى إبراز درجة الالتزام ومكانة الجزائر في قلوب واحد من أبنائها.

◀ فهل مهد شعر أولئك الشهداء للثورة أم لا؟ هل ساير الثورة، كيف عايشها، وهل يمكن أن نعتبر- النص الأدبي- وثيقة تاريخية؟

◀ ما مدى قدرة الشعراء على خلق لغة فنية خاصة بهم تحمل أحاسيسهم وتعبّر عن أفكارهم الثائرة ووطنيتهم، والالتزام بقضايا الوطن، وكيف تجلّى ذلك في شعرهم؟

◀ هل الالتزام عرقل سير الفن أم أن الكاتب أو الشاعر جمع بين الالتزام والفن؟

### ماهية الالتزام:

الالتزام هو مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك إلى حد إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب: " ويقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان فيها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكر لأن يحافظ على التزامه دائما ويتحمل كامل التبعة التي يترتب على هذا الالتزام".<sup>(1)</sup>

وفي التعريف اللغوي لكلمة الالتزام نجد: "ولزم الشيء: ثبت ودام، لزم بيته لم يفارقه، لزم بالشيء: تعلق به ولم يفارقه، التزمه: التزم الشيء: لزمه من غير أن يفارقه، التزم العمل والمال: أوجبه على نفسه"<sup>(2)</sup> و" الالتزام كما ورد في معجم مصطلحات الأدب: " هو اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان، لا مجرد تسليية غرضها الوحيد المتعة والجمال"<sup>(3)</sup> وقد جاء في الآية الكريمة: " وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها"<sup>(4)</sup> وفكرة الالتزام استطاعت أن تفرض نفسها بمنتهى القوة في الساحة العربية ابتداء من أواسط الخمسينات قبل أن يكون المنبع الرئيسي لهذه الفكرة هو كتاب سارتر (ما الأدب؟) يصرح: " نحن نؤمن بأن الأدب نشاط فكري يستهدف غاية عظيمة: هي غاية الأدب الفعال الذي يتمادى ويتعاطى مع المجتمع إذ يؤثر فيه بقدر ما يتأثر به"<sup>(5)</sup>

فيشير سارتر إلى الدور الكبير الذي يلعبه الأديب في مصير المجتمعات فالأدب مسؤول عن الحرية وعن الاستعمار، وعن التطور، وكذلك عن التخلف.

فالأديب ابن بيئته، والناطق باسمها، وكلمته سلاحه، فعليه تحديد الهدف جيداً وتصويبها عليه بدقة، وهنا يبرز هدف الالتزام في جدة الكشف عن الواقع، ومحاولة تغييره بما يتطابق مع الخير والحق والعدل عن طريق الكلمة التي تسري بين الناس.

والالتزام في الأدب حياة، فقد ذكر الدكتور عزالدين اسماعيل: "إن الأديب لا يستطيع أن يعيش بعيداً عن قضايا شعبه بل يجب أن يساهم برؤيته الشعرية العميقة في إيجاد الحلول المناسبة لها وتغيير الواقع"<sup>(6)</sup>

يمكن القول: أن الالتزام في الشعر العربي هو أن يسخر الشاعر شعره وموهبته في خدمة قضيته الرئيسية في التحرر والاعتناق من ربة الاحتلال، كيف لا؟ وهذا الإنسان قدم نفسه قرباناً للحرية، قدم الغالي والنفيس من مال أو سلاح أو طعام ونحو ذلك، بل ترى الشعب كله يتجاوب مع هذه الثورة أو تلك بطريقة أو أخرى بغية الخلاص من الاحتلال الذي جثم على صدر هذه الأمة أو تلك زمناً قليلاً أو أكثر. فلماذا لا يشارك الشاعر شعبه آماله وطموحاته في الحرية والاستقلال لماذا يبقى متفرجاً على ما يجري حوله من أحداث جسام تكتب تاريخ الأمة الجزائرية بحروف من نار ونور، وهو الإنسان المرهف في الشعور والاحساس بآلام شعبه وعذابات مجتمعه وكرامة أبنائه، فيلهب شعره الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الشيخ والشاب على السواء في مشارق الأرض ومغاربها. فنتمعن ونتعمق في الربيع بوشامة كيف عايش التجربة.

نبذة عن حياة الشاعر:

ولد الشاعر الربيع بوشامة في ولاية سطيف؛ الأرض التي انهارت لمأساة الثامن ماي دمعا وجراحا وشهداء، وبالتحديد في قرية فنزات ببني يعلي دائرة بوقاعة " في شهر سبتمبر 1916م، وكان المولود الثاني من بين خمسة إخوة طفلين وثلاث بنات، واشتهر في طفولته بالهدوء والوداعة"<sup>(7)</sup>، هذه الأرض سطيف التي احتضنت الربيع وليدا وشاباً وشهيداً.

تلقى أوليات القراءة بمسقط رأسه وتعلم القرآن وحفظه في سن الثانية عشرة<sup>(8)</sup> أخذ العلم والنحو والتجويد والقراءات على يد شيوخ؛ العياشي مزغيش، سعيد صالح، علي الزموري، السعيد بن عمر...<sup>(9)</sup>، إضافة إلى ذلك كان الشاعر يتردد على المدرسة الفرنسية فأكمل دراسته

(<sup>10</sup>) بها ليصبح من مزدوجي الثقافة، شارك في بث الحركة الإصلاحية التي نمت فيه الروح النهضوية والوطنية. تميز وأثبت وجوده، " أصبح عضوا في جمعية العلماء المسلمين، وأسس مع نخبة من شباب بلدياته ناديا للشباب " (<sup>11</sup>)، انتقل الربيع بوشامة إلى مدينة قسنطينة أين كان له لقاء مع الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي تأثر به بالغ التأثر رأى فيه الروح الوطنية - خدمة الوطن - حرص على أن لا يخرج عن نهج الإمام وتعاليمه رغم قساوة الظروف (<sup>12</sup>) غير أن رحيل الشيخ حال دون ذلك، سنة 1942 انتقل إلى مدينة خراطة، وأصبح معلما بمدرسها، ساهم في نشاط حركة التعليم، نهض بالنشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين موسعا حلقة التواصل والتآخي بين أبناء الجزائر (<sup>13</sup>) المتفرقين، نظرا للذي كانوا يتركونه في أوساط الجالية الجزائرية ولفكرهم وحسبهم الثوري والإصلاحي. كانت مسيرته علمية إصلاحية مميزة تظهر عن رجل مثقف وطني ومصالح، أما عن حياته النضالية ؛ فإنها " تندرج في سجل أعمال المليون ونصف المليون شهيدا وأعمال مئات الآلاف من المناضلين الذين كتبت لهم الحياة تحت علم الاستقلال وضمن جهود شعب تشبث بحقه في العيش كريما على أرض آبائه وأجداده " (<sup>14</sup>)، بدأت اتصالات الشاعر بجيش التحرير في الشهور الأولى من اندلاع الثورة، انتقل بين العاصمة وبعض المدن الشرقية، أين اجتمع بالعقيد عميروش وبعض المناضلين

كان على قناعة وإيمان بحرية الجزائر وشرعيتها ورغم الظروف الصعبة الاستعمارية التي كان تعيشها الجزائر، فإنه فضل البقاء والموت بعزة، "في بداية جانفي 1959 بدأ الوضع يتأزم، فقد قامت السلطات الاستعمارية بتفكيك الشبكات الاتصالية، وفي صبيحة السادس عشر جانفي من السنة نفسها 1959 ألقى عليه القبض ثم أطلق صراحه بعدها بساعات، في الليلة ذاتها اقتحم منزله - الربيع - وأخذت معه أوراقه وبعد ستة أيام أعيد إلى المنزل في حالة مؤلمة كأنه هيكل عظمي، فقدت أمه البصر لهول ما رأت عيناها، غير أن السلطات الاستعمارية لم تتركه لشأنه، أخذته مرة أخرى، لكن رحيله هذه المرة لم يكن كسابقتهما ؛ لأنه لم يتمكن أحد من أهله من رؤيته أو معرفة حتى عنوان السجن (<sup>15</sup>)

"لقد شاء القدر - شاعرنا- أن يخوض حرب التحرير جنديا محاربا ورجلا يملك فكرا واعيا وحباً لهذه الأرض لذا جاء صوته النضالي معبرا عن ثورته وإيماننا بقضيته" (<sup>16</sup>)

### ظروف استشهاده:

بعد أن نقل الشاعر إلى حيث لا يعرف له مقر، بقي سجيناً لدى السلطات الاستعمارية، إلى أن نقلت وسائل إعلامها نبأ استشهاده في الرابع عشر من شهر ماي 1959، وأرجعت السبب إلى اشتباك مسلح وقع بين قواتها وقوات جيش التحرير وعملت على إشاعة الخبر بمكبرات الصوت في مدينة سطيف ومراكز الاعتقال بالمنطقة للنيل من معنويات الشعب الجزائري<sup>(17)</sup>، فلا شك أن شهادته عنواناً للتحدي والصمود والثورة والحرية والاستقلال، رسم صورة لالتزامه بالثورة والمقاومة الباسلة للشعب الجزائري تظهر في أشعاره الوطنية، الثورية والاصلاحية والاجتماعية (\*) من الحنين والأين والشكوى.

### شاعريته:

رفض الذل والهوان والاستعمار والاستعباد، باحثاً عن الحرية والاستقلال، باعتباره شاعراً ناطقاً باسم شعبه ملتزماً بقضاياها، خاصة وأن -المعروف- مهمة الشاعر أن يلتزم بقضايا وطنه، شعبه المصور لواقعه، فكان شاعرنا المصور الماهر لظروف ومعاناة الشعب الجزائري عبر عن خواطره، هواجسه، أحاسيسه، شاعر فحل تجاه وطنه وأمته وأبطالهم، شاعر الثورة سجل أحداثها تغنى ببطولاتها واكب مراحلها عايش التجربة بكل وجدانه، اكتوى بناها، وسجن من أجلها مرات عديدة، هيمن موضوع الوطنية والثورة على أشعاره وهذا ناتج لاحتكاكه كما سبق وذكرت اتصاله بشيوخ الحركة الاصلاحية وعضويته في جمعية العلماء المسلمين.

يضاف إلى ذلك دور البيئة والمحيط اللذين نشأ وتحرك فيهما إلى جانب ثقافته<sup>(18)</sup> كل ذلك كان له الأثر في إبراز شاعرية الشهيد المتأصل بمبادئ وقيم الإسلام، يظهر الالتزام بأوسع الصور في مواقف الشاعر الربيع بوشامة قولاً وفعلاً " ومسيرة حياته تثبت ذلك ويكفي إلقاء نظرة على قصيدة واحدة من القصائد التي كتبها أثناء الثورة لإدراك الحقيقة، إذ تكفي واحدة من هذه القصائد لتبرر في نظر الاستعمار ليس اغتياله فحسب، وإنما اعدامه بطريقة قانونية " (19)، كانت كلماته تنبض بالحياة والالتزام، نشر الشجاعة والتضحية، حب الوطن، العروبة، والإسلام.

تجليات الالتزام بقضايا الوطن في شعر الربيع بوشامة (التزامه):

تعد أحداث الثامن ماي 1945 من الهزات التي كانت ضريبتها 45 ألف شهيد عدت ارهاصا للثورة ومنعطفها في تاريخ الجزائر، فانفجر الشعر في هذه الذكرى ذكرى الدماء والدموع، "و الربيع بوشامة يمتلكه الجزع كلما لاحت الذكرى بملامحها الأصلية مرعبة مزعجة صاحبة ناحية إنه يتطلع إلى مواقف تغير هذه الملامح، وتكفكف تلك الدموع، وتضمد تلك الجراح " (20) فيها هو يصرخ في وجه ماي، وهو إنما يلطم وجه المستعمر في قصيدة بعنوانها ( عجباً لوجهك كيف عاد لحاله...):

قبحت من شهرمدى الأعوام يا ماي كم فجعت من أقوام  
شابت لهولك في الجزائر صبية وإنما صخر من أذاك الطامي  
وتفطرت أكباد كل رحيمة في الكون حتى مهجة الأيام  
تاريخك المشؤوم سطر من دم ومدامع في صفحة الآلام (21)

فالشاعر يفتتح القصيدة بالدعاء على المستعمر الذي جعل هذا الشهر على الجزائريين جحيما وشقاء ولم يكن للشاعر في هذه الفترة غير الدعاء على الاستعمار أمام عجزه وضعف حاله، إن هذا الشهر صار موضع اتهام من هول ما حدث فيه من مجازر وسفك لدماء الأبرياء فهو يذكر الجزائريين بالفجائع والمآسي كلما استجدت الذكرى، يستهل قصيدته الميمية بالدعاء ويختمها بالدعاء، فالشاعر يدعو على ماي بلفظ (قبحت) ثم يناديه (يا ماي)، وبعد النداء يستعمل (كم) الخبرة الدالة على التكاثر (كم فجعت) وهي من كنايات العدد، وهو إنما يدعو على الاستعمار لأنه جعل من هذا الشهر شهر الفجائع والأحزان وبالتالي فهو يستحق التقبيح، ودعا على الغرب في آخر البيت وإن كان استعمل الماضي للدعاء في (قبحت) وبين الدعاء والدعاء زخر المقطع بالصيغ الخطابية المتتابعة في الأبيات من نداء واستفهام وأمر. ينادي الشاعر شهر ماي مصورا إياه على أنه يسمع ويعقل (يا ماي)، ثم يدعو عليه بالقبح (قبحت) لأنه أفجع الجزائريين وهوله شيب الصبية وأذاه الطامي ذوب جلمود الصخر فصار مائعا وتفطرت له الأكباد ومهجة الأيام فغدا تاريخه سطرا من دم ومدامع خط في صفحة الآلام من شدة أهوالك النازلة، لقد

تجمعت في هذه الأبيات عدة صور جزئية مكونة من التشبيهات والاستعارات المتتابعة ( يا ماي، انماع صخر، مهجة الأيام، تاريخك المشؤوم، سطر من دم ومدامع، صفحة الآلام...) تعلقت هذه الصور الجزئية جميعها بماي وأحداثه وماي في هذه الصورة هو وجه آخر للاستعمار، لأن الشاعر شخصه ودعا عليه وعدد جرائمه وأثامه.. فهو يصوره عدوا ظالما من ناحية ومن ناحية أخرى يجعله ضحية ظالم آخر هو السلوك الاستعماري الذي ارتكب في رحاب شهر ماي كل الآلام ضد الجزائريين. نلمح تأثره بالقرآن الكريم الذي كان أحد مصادره معيناً له من خلال الدعاء، وكذا عنصر التصوير الذي اعتمد على الأساليب البيانية التي شاعت في البلاغة العربية والتراث الذي كان من منابع ثقافة الشاعر رغم ذلك نقول الشاعر كان شاعر قضية لا شاعر صورة، والربيع بوشامة يكثر من ذكر الدماء والدموع، فقد كان من الأدباء الذين اعتقلوا بعد الحوادث ولم يطلق سراحه إلا في فيفري 1946، وبعد الشاعر عضواً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعاملاً فعالاً في الحركة الإصلاحية والتعليمية.

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان (سرّ على الدمع والدماء الغوالي) مهداة إلى صدى النفوس المعذبة، والقلوب المسلولة، أرواح الشهداء في الثامن ماي يستهلها بهذه الصورة:

يا شهيدا في ذمة المتعالي	سر على الدمع والدماء الغوالي
ك أغاني الرضا وروح الجلال	وامتط النور للسماوات تحذو
نهبا مبعثر الأوصال	واترك الجسم للحديد والنيران
في بيوت وأنهج وجبال	تبتغيه الكلاب والوحش قوتا
عليه من شقوة ونكال <sup>(22)</sup>	لا تشيعه بالدموع ولا تشفق

إن الشاعر يسمو بمكانة الشهيد، ويرتفع بروحه ممتطياً النور إلى السماء، ولا شأن له بالجسم الذي غادرته روحه فبقي فريسة تنهشه الكلاب والوحوش.

إن وقع النكبة شديد على ذات الشاعر مما جعله يسخط على العالم ويلطم الزمان وبسكب الدموع بعدما استباح الخصم أرضه وقلبه ودمائه وجاهر بالحرب.

والربيع بوشامة يرى أن ثامن ماي لا يمكن أن يطوى وتقلب عليه الصفحة بل هو يدعو إلى تخليده ليستمد منه الشعب القوة في الكفاح فيوم الثامن ماي رمز خالد في صفحات التاريخ الجزائري وكيف للشاعر أن ينسى ماي وله معه تجربة خاصة من بين الشعراء فقد فيه الأب والأصحاب، كما اعتقل وشرد أهله وأحاباه بل لقد حكم عليه فيه بالإعدام

لي فيك يا ماي النوائب والردى      ذكرى ستبقى طيلة الأعوام  
فقدان خير أب وأكرم صحبة      وجحيم سجن خف بالإعدام  
عجبا لوجهك كيف عاد لحاله      من بعد أحداث عرتك حسام  
في ذمة التاريخ تسعة أشهر      قضيتها في عزة وصدام<sup>(23)</sup>

(عجبا لوجهك...) يصطنع صيغة التعجب السماعية (عجبا ) ثم يتبعها (بكيف) الاستفهامية التي ضمنها التعجب والإنكار أيضا (كيف عاد لحالك..)، (عجبا لوجهك كيف عاد لحاله) تستوقفنا هذه العبارة فالشاعر يشخص ماي في هذه الصورة أيضا، ويتعجب من وجهه الذي عاد لحاله وصورته الأولى المشوهة بالدماء فيوبخه، لأنه ما يزال جاثما على قلوب الجزائريين يتجدد كل سنة فيذكر الجزائريين بالفجيعة فيفزعهم، قصيدته توشك في بعض الأحيان أن تكون صراخا لواقعه الأليم وحث أبناء شعبه للنهوض داعيا إلى النضال. فكانت صرخته على الدموع والدماء، متخذنا من المأساة دعوة لثورة عارمة فكان شعره إرھاصا للثورة وإعدادا للجهاد، ونداء للمجابهة... نابعة من صميم وطنيته، حبه الصادق "الريادة في الحلم بالثورة، فقد نشأ وترعرع هذا الشاعر متبنيًا قضية الجزائر بكل مداها، عمقها، أبعادها... عاش متحمسا لآلام وآمال الجماهير الشعبية الكادحة التي أوقدت لهيبتها، ورفعت مشعلها فصوّر ذلك كله بواقعية حية وإخلاص عميق"<sup>(24)</sup>، لذلك نجده يصرخ في وجه ماي ويدعوه إلى الانتقام والثأر من الظالم المستبد، ولكن الثأر لا يتأتى إلا بالقوة والغلبة التي افتقدها الجزائريون آنذاك، فيعود ويدعو متضرعا إلى الله للانتقام من العدو الظالم الهدام وسوقه إلى الإعدام وأصدر في حقهم أحكاما بالإعدام:

يا ماي مالك واجما لم تنتقم      أو ما سقاك الظلم أسوأ جام  
فارفع إلى مولاك شكوى ضارح      يبرأ من الحكام والأحكام

واسأل يد الجبار عاجل نقمة      للظالم المستهتر الهدام  
يا ماي إنا في انتظار حكومة      فمتى يساق الظلم للإعدام  
أنت ابن ذي الأهوال إن رام امرأ      ألوى به في لحظة كحطام  
عجل لهذا الغراب من رب السماء      بقواصم محتاجة وغرام<sup>(25)</sup>

يعود ويخاطب ماي " يا ماي مالك واجما لم تنتقم... "يدعو الشاعر الشهر إلى التخلي عن وجومه وتجاوز انتكاسته لينتقم من جلاده الذي أراق الدماء وشوى المهج والأكياد، يتضرع إلى الله ويسأل الانتقام من المستعمر الظالم؛ إنها دعوة صريحة إلى المجابهة وهي إعلان واضح عن تطور درجة الغليان الشعبي، فالشاعر أحد الذين عاشوا المأساة السابقة سجنًا وتعذيبًا ولوعة فقدان الوالد والأصدقاء، يتوعد الطغاة بالقضاء يدعو الشعب إلى التخلي عن الرجاء والتمني فالحرية تطلب بالكفاح والنضال. فالشاعر يتقلب بين الألم والأمل ويرواح بين الدعاء والرجاء ويجنح بين التهديد والوعيد. يظهر الالتزام الذي تغلب عليه المباشرة، سمة الخطاب والتقدير يسلط الضوء على المضمون دون الشكل كما أنه يخلو من الملامح والجوانب الجمالية، تنقيبا عما يكتنزه من مقومات إبداعية قد تفرض له البقاء والحياة وتجعله يقف بقامة عالية بين قامات الإبداع.

كل مرة يقدم لنا وجهها جديدا لماي لعلها الذكرى ترتسم في كل مرة بصورة معينة، تزدهم فيها الأفكار والمعاني في ذهن الشاعر وتتصارع العواطف والمشاعر في نفسه قصائد الثامن ماي قدمت التعبئة السياسية وإعداد الشعب لنهوض بالثورة من أجل افتكاك الاستقلال.

ويقول:

برغمك ماي أذوق الهنا      وأسعد فيك بطيب المنى  
وأهصر غصني بكلتا يدي      وأقطف منه ألد الجنى  
متى كان في ماي همة خير      أما إنه رمز مكر الدنى  
أسال دماء وأرهق شعبا      وحاول تحطيم كل منى<sup>(26)</sup>

ويقول مشيدا بالأرض الطيبة -سطيف تلك الأرض التي احتضنت الربيع وليدا وشابا وشهيدا-؛ والجزائر التي لعبت دورا كبيرا في الفداء والتضحية:

هذه أرض الموت والدم والدمع لمن رامها بالاستعباد  
 سوف تبقى دار العذاب على كل دخيل مستعمر كيّاد<sup>(27)</sup>  
 واغتدت أرض الحمى مقبرة لبني الاسلام والضاد الفجيع  
 واكتسى الكون حدادا مفزعا وانطوى الجوع على حزن وجيع  
 وتعالّت فيه أنات الصدى ونواح البوم والنعي البشيع<sup>(28)</sup>

وتساوت عند الشاعر الأمور وغدت الأرض عنده في قمة حزنها لعمق المأساة حيث استبد الاستعمار بالشعب وحول حياته إلى جحيم فأبناء هذه الأرض من شقاء إلى شقاء؛ تصور بطولات الملايين من أبناء أرضها؛ احتضنت هذه الأرض الثائرة المناضل والمجاهد لتحرير الوطن سائرا بين الجبال والتلال فحيثما تسير أرض الجزائر تحتضنك نلمح عمق وقوة وجزالة الألفاظ، ومادامت الحرية حق مشروع للشعب فلا بد أن تكون "الدعوة إلى النضال في سبيل الحرية أمر شائع في شعر الجزائر، لأن بدونها لا يمكن للشعب فلا بد أن يصمد ومن هنا تنتشر هذه الدعوة في ثنايا القصائد التي قيلت في الثورة"<sup>(29)</sup>، فمن "خصائص بنية محتوى قصائده تكريس المقاومة وتجاوز الصعوبات وتغليب الأمل على مسيرة الكفاح المسلح نرى ذلك في مراثيه للشهداء التي يسمو فيها البطل فيقرر تجاوز الإنسان المكافح الصامد للموت العادي وهكذا يرتفع إلى مرتبة عالية حين يفلت من أيدي الطغاة ويسمو على المادة"<sup>(30)</sup>، يهتم بمعالجة قضايا الواقع بقيم فنية يغلب عليها اليسر والسهولة والوضوح ومن ثم كانت صنعته الفنية تقوم على صحة اللغة وسلامتها وفصاحة اللفظة وبلاغتها ومتانة العبارة وسهولتها وقرب الصورة ووضوحها مركزا عنايته في هذه الصنعة على المزاوجة بين القيم التبليغية التوصيلية وبين القيم الفنية الجمالية، ويمكن أن تكون عنايته بالقيم التبليغية أكثر من عنايته بالفنية وذلك مراعاة لمقومات الرسالة الواقعية النضالية.

نستخلص من نصوص شعره وما جاء فيها من معان ومشاعر وسمات وأساليب يمكن أن يلمس المتلقي بعض الملامح من شخصية الشاعر وثقافته وجهاده بصفته داعية مصلحا ومعلما ومربيا وشاعرا وطنيا قضى حياته مجاهدا من أجل قضية وطنه فيسقط شهيدا على أرضه فداء لحرية واستقلاله ورحم الله الشهداء.

آمن الشاعر بأن الثورة هي سبيل الخلاص فكان ملتزماً بهذا المبدأ حيث قامت قصائده برسالتها التعبئة السياسية، إعداد الشعب للثورة كما مجدت الشهادة في سبيل الله.

و الأديب الجزائري كان مبدعاً وملتزماً بقضيته الوطنية، من أجل الثورة والاستقلال والشهادة في سبيل الوطن ولأن الأديب هو ضمير الأمة الحي وقلبها النابض ولسان حالها يعيش مأسماً وأفراحها ثم يعبر عنها بصدق وحرارة، خاصة وأن الأدب يسجل ما قد يغفل عنه التاريخ أو السياسة رغم القهر والتسلط لتظهر قيمة هذه القصائد الوثائقية كانت كتاباته التزاماً وتورطاً وانشغالاً عميقاً يهيموم شعبه في المقام الأول.

### قائمة المصادر والمراجع:

- المصدر:

◀ القرآن الكريم

◀ الربيع بوشامة، الديوان، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الروبية، الجزائر، ط، 1994.

- المراجع:

- 1- أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر.
- 2- أبو حاققة أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
- 3- حواس بري، مفدي زكريا، دراسة وتقويم.
- 4- عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
- 5- رباعي سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2002.
- 6- عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص 374.
- 7- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار المأمون، ط 4، 1938، ج4.
- 8- محمد برادة، تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث.
- 9- وهبة مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار العلم، بيروت، ط1، 1974.

الهوامش:

<sup>1</sup> أبو حاققة أحمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص14.

- <sup>2</sup> الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار المأمون، ط 4، 1938، ج 4، ص 175.
- <sup>3</sup> وهبة مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار العلم، بيروت، ط 1، 1974، ص 79.
- <sup>4</sup> سورة الفتح، الآية: 26.
- <sup>5</sup> محمد برادة، تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث، ص 57.
- <sup>6</sup> عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص 374.
- <sup>7</sup> الربيع بوشامة، الديوان، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الرويبة، الجزائر، ط 1، 1994، ص 03.
- <sup>8</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 04.
- <sup>9</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 04.
- <sup>10</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 04.
- <sup>11</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 04.
- <sup>12</sup> ربيعي سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، 2002، ص 131.
- <sup>13</sup> ربيعي سلامة وآخرون، موسوعة الشعر الجزائري، ص 131.
- <sup>14</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 17.
- <sup>15</sup> ينظر الربيع بوشامة، الديوان، ص 26.
- <sup>16</sup> أحمد دوغان، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، ص 62.
- <sup>17</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 27.
- \* أكد بعض المساجين حصص الاستجاب الطويلة وبشاعة التعذيب الذي خضع له حيث علقوه مكبلا لأيام طويلة وقد بقي تحت الاستنطاق إلى أن استشهد " ينظر ربيعي سلامة، موسوعة الشعر الجزائري، ص 131.
- <sup>18</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 28.
- <sup>19</sup> ينظر المصدر نفسه، ص 32.
- <sup>20</sup> خرفي صالح، الشعر الجزائري، ص 215.
- <sup>21</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 58.
- <sup>22</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 50.
- <sup>23</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 59.
- <sup>24</sup> حواس بري، مفدي زكريا، دراسة وتقييم، ص 54.
- <sup>25</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 59-60.
- <sup>26</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 150.
- <sup>27</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 221.
- <sup>28</sup> الربيع بوشامة، الديوان، ص 228.
- <sup>29</sup> عبد الله الركيبي، الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 77.
- <sup>30</sup> حواس بري، شعر مفدي زكريا، ص 96.

ببيلوغرافيا الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (مسيرة النضال الفكري والسياسي)

## Bibliography of the martyred poet Abdul Karim al-Aqun (March of intellectual and political struggle)

عائشة جباري، أستاذ محاضرأ

قسم اللغة والادب العربي، جامعة الوادي، (الجزائر)

djebbariaicha137@gmail.com

ملخص:

سنقدم في هذه الورقة البحثية عرض لأهم المحطات الحياتية التي عاشها الشاعر الجزائري عبد الكريم العقون وخاصة النشاط السياسي تحت لواء الحركة الوطنية متمسكا بمطلب واحد وهو استقلال الجزائر أو الشهادة.

كما سنعرض لأراء مختلفة لباحثين جزائريين من مجالات النقد والتاريخ كانت لهم وقفات مع الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون، فمنهم من كانت دراسته مستفيضة، فبالإضافة إلى التعريف به تم تناول شعره ودراسته من الناحية الفنية ودرجة الوعي الذي يحمله للنشء من الشباب الجزائري للتمسك بمبادئ الهوية الوطنية والثورة الجزائرية الكبرى.

الكلمات المفتاحية: الثورة، الاصلاح، التعليم، الوعي الوطني، الهوية الاسلامية

### Summary:

In this paper, we will present a presentation of the most important life stations of the Algerian poet Abdelkarim al-Aqoun, especially the political activity under the National Movement.

We will also present various opinions to Algerian researchers from the areas of criticism and history, who had positions with the martyred poet Abdelkarim Al-Aqoun, including those whose studies were exhaustive. In addition, "His poetry and study were addressed technically and the degree of awareness he brings to young Algerians to uphold the principles of national identity and the greater Algerian revolution.

**Keywords:** Revolution, Reform, Education, National Awareness, Islamic Identity

## توطئة:

الشاعر عبد الكريم العقون واحد من الشعراء الجزائريين الذين كان الالتزام في شعره بما يعيشه بلده وأبناء بلده من محن، العنوان الاسمي الذي يعلو قصائده وأينما حلت حادثة أو قصة كان يواكبها بشعره لذا غلب عليه أسلوب المباشرة والاحبار، وهذا لا يعني أنه يفتقر للشاعرية والابداع كما زعم بعض النقاد، ولكن المرحلة وصعوبتها كانت بحاجة إلى وقوف أبناءها كتف واحدة للدفاع على الوطن والعقيدة والقيم.

## حياته: (المولد والنشأة)

ولد الشاعر الشهيد الأتيق حسب صورة له نُشرت بالبصائر، عبد الكريم العقون ببلدة برج الغدير وبعد تعلمه التعليم الأولي بقريته على أبيه الشيخ مسعود، وعلى العلامة موسى الأحمدى نويوات، ينتقل إلى مدينة قسنطينة لينخرط في حلقة عبد الحميد بن باديس حيث قضى أربع سنوات في حلقاته (1933-1936) قصد بعدها جامع الزيتونة بتونس من حيث نال شهادة التحصيل. وظل مدرّسا بمدارس جمعية العلماء إلى أن ألقى عليه الفرنسيون القبض في خامس عشر يناير من سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف، وظل معتقلاً في زنازينهم إلى اليوم الثالث عشر مايو من السنة نفسها حيث فاضت روحه تحت ألوان النكال<sup>1</sup>

لم ينعم العقون بحضن أمه إذ توفيت وهو مازال طفلاً صغيراً بحاجة إلى حنانها ودفئها فكفله والده واهتم بتربيته وتعليمه فأدخله كتاب القرية، كأقرانه مثلما جرت العادة آنذاك في القرى الجزائرية المحافظة. فبدأ بحفظ القرآن الكريم في... كتاب الشيخ العربي بن العدوى، ثم واصل الحفظ على يد والده، ثم راجعه على يد الشيخ علي بن عبد الرحمان<sup>2</sup>

كان طيب الاخلاق متأنقا في لباسه، ولكننا لم نجلس للتحدث، كان أبيض البشرة ويلبس نظارة طبية، ولا أدري متى بدأ العقون نضاله في صفوف جبهة التحرير. قبض عليه العدو في مسجد المرادية حيث كان يلقي درسه يوم ١٥ يناير ١٩٥٩، وهو تقريبا نفس التاريخ الذي قبض فيه على الشيخ الربيع بوشامة، ولعل العقون كان من سكان حي المرادية.

وقد ذهب محمد ناصر إلى أن منظمة الجيش السري الإرهابية هي التي اختطفته واغتالته في نفس السنة، وسواء اغتالته هذه المنظمة أو منظمة اليد الحمراء، فإن الاسعمار كأخطبوط له أكثر من ذراع يبطش بها، فقد قتلوه بعد التعذيب في الثالث عشر من مايو في الدويرة (من ضواحي العاصمة).<sup>3</sup>

### نشاطه السياسي:

انخرط في الثورة التحريرية وظروف استشهاده في الظاهر كان عبد الكريم العقون أمام السلطات الاستعمارية الفرنسية وعامة الناس مجرد إمام ومدير مدرسة بحي المدنية، لكن في الحقيقة كان يمارس نشاطا ثوريا مكثفا، وذلك من خلال السند المادي والمعنوي الذي كان يقدمه لجهة التحرير الوطني بالعاصمة والتي أصبح أحد أعضائها البارزين، إذ كان يشغل منصب أمين المال بقسمة المرادية لجهة التحرير الوطني، وهو ما جعله يقع أخيرا بيد الشرطة الفرنسية بتاريخ 15 جانفي 1959م التي اقتحمت منزله وألقت عليه القبض وحولته لسجن باب الوادي حيث بقي هناك ما يناهز ثلاثة أشهر قبل أن تحوله لسجن الدويرة، وبعد 04 أشهر من التنكيل والتعذيب أعدم الشاعر عبد الكريم العقون بتاريخ 13 ماي 1959م بمنطقة الخرايسية بالعاصمة.<sup>4</sup>

### نشاطه الاصلاحى:

عبد الكريم العقون إلى جانب نضاله السياسى ومشاركته في تطور الحركة الوطنية كان مساهما في بعث الوعي ونشر العلم بين صفوف النشء الجزائري كغيره من رفاقه من اعضاء جمعية العلماء فعند عودته جمع أبناء قريته وبدا يدرسه في الكتاب، لكنه سرعان ما ارتحل إلى مدينة برج بوعريج واشتغل معلما بمدرسة (التهديب) الحرة.

وعلى ما يبدو فإن طموحاته كانت واسعة إذ لم يكن يريد أن يعيش حياته كلها مجرد معلم في قرية نائية بل أراد أن يشارك مع إخوانه في الحركة الإصلاحية، ولهذا فقد ارتحل إلى العاصمة عند خاله، وسرعان ما أنشأ مدرسة حرة بقلب العاصمة أطلق عليها اسم (الفلاح) بمساعدة زميله الطبيب العقبي. واشتغل معلما بها لمدة خمس عشرة سنة وهو يربي الأجيال، ويعلم النشء، ويغرس في نفوسهم مبادئ الإسلام، والروح الوطنية.

و لم يقتصر نشاطه الاصلاحى على مهنة التعليم فقط بل تعداه ذلك إلى إلقاء المحاضرات في المساجد بالجزائر العاصمة فيدعوا المواطنين للتمسك بدينهم و اخلاقهم و منهضة المحتل و الثورة عليه ثم واصل نشاطه التعليمي بالمدرسة التابعة لمسجد المدينة.

وإلى جانب مهنة التعليم كان يلقي دروس الوعظ والإرشاد، حيث كان إماما بمسجد (سانتوجين) فمسجد المدينة كما كان يتردد على عدة مساجد أخرى بالعاصمة لتبليغ أفكاره الإصلاحية فكان يحث المواطنين على النضال والعمل الوطني. قال صديقه الشاعر محمد الأخضر السائحي: "عرف الشيخ عبد الكريم العقون عند سكان بيلكور كرجل دين أكثر منه شاعرا، وقد منحته وظيفة الإمامة من محبة الناس وتقديرهم ما لم يمنح غيره من الأدباء، كنت أرافقه أحيانا لقضاء الأمسيات عبر شوارع العاصمة فيميل إليه الصغار والكبار يلاقونه بالتحية والتسليم وقد كان هو شديد الحياء كثير التواضع

كما كان العقون عضوا نشيطا في جمعية العلماء المسلمين ومن دعائها المتحمسين، حيث كان يحضر اجتماعاتها وشارك في نشاطاتها الثقافية ويساهم في إلقاء الدروس والمحاضرات بمقرها. كان يلعب دور الواعظ والمرشد في المسجد ودور المعلم والمربي في المدرسة ودور الشاعر المبدع في قصائده التي كانت تحمل نفحة وطنية. ولم يتوقف صوته عن إعلاء كلمة الحق إلا عندما<sup>5</sup>

نتاجه من الشعر:

الشاعر عبد الكريم العقون مقل في شعره ويتميز بالعاطفية والوطنية والإصلاح وهو في شعره أقرب إلى التيار الرومانسي، وأسلوبه تجديدي ويميل إلى الرقة في العبارة والنغم في الألفاظ، وهو أقرب جيله إلى التيار الرومانسي الذي كان يمثله الطاهر بوشوشي، وقد نشر معظم شعره على حد علمنا، في جريدة البصائر من السلسلة الثانية، وربما نشر أيضا في صحف أخرى، وله ديوان يبدو أنه ما يزال مخطوطا<sup>6</sup>

والذي يعود إلى مجموعته يشتمل على قصائد لعبد الكريم العقون. وقد كان من الوطنية، والحس الشعري المتوهج ما جعل الفرنسيين يرصدونه كل مقعد إلى أن اعتقلوه ثم قتلوه في ضواحي مدينة الجزائر، فأى شاعر قتلوا؟ وأي جريمة ارتكبوا لو كانوا يوعون؟<sup>7</sup>

وفي خضم هذه الحركة الأدبية النشيطة تفجرت موهبته الشعرية فكتب قصيدته الأولى عام 1938 عندما كان طالبا في معهد ابن خلدون وعمره لم يتجاوز العشرين ربيعا، ولكنه لم ينشرها بل اكتفى بإلقائها في اجتماع الطلبة الجزائريين الزيتونيين وهي بعنوان: يا شبابا قد طال نومك فانهض فهو يذكر فيها الشباب بمسؤولياته وينصحه أن يتسلح بالعلم والمعرفة:

أنت يا نشء روضة القطر أنتم      بلبل الدوح تنعش الاسماعا  
يا شباب الشمال دع عنك جبنا      وخمولوا واقطع عليك النزاعا  
يا شبابا قد طال نومك فانهض      للمساعي فالدهري يجري سراعا<sup>8</sup>

ولغزارة شعر عبد الكريم العقون فإنه تنوع فتناول فيه موضوعات كثيرة كوصف الطبيعة، وتخليد بعض تضحيات الشعب الجزائري مثل كتابته قصيدة تمجد شهداء ثامن مايو 1945 وتوجيه الناشئة على دأب شعراء الإصلاح، والنّضح عن بعض المبادئ التي كانت تدافع عنها جمعية العلماء مثل قضية «فصل الدين عن الحكومة» والتي يقول فيها:

إن صوت الدين ناداكم فلبوا مسرعين  
قد دعاكم لحياة، بعده الفوز المكين  
فابعثوا من جديد رائعا للناظرين  
بعدهما دنس من قوم بغاة آثمين  
حاربوه نهبوا أوقافه في النهايين<sup>9</sup>

فبعد تأمل المقتطف، نجد أن الشاعر عبد الكريم العقون يقصد حقيقة الدين الذي دعا للتمسك به والحفاظ عليه حتى وان كان هناك تغيير في نهج الحياة وتم الاخذ بأساليب الحياة المتطورة، فلكي نرد الغزاة عنه علينا الانجذاب نحو تعاليمه لتكون حاضرة في تفاصيل حياتنا.

وها هو في قصيدة أخرى نجده ينظم مرحبا بالفنان العربي فريد الأطرش، الذي زار الجزائر في هذه الفترة، فيقول في مطلعها:

مرحبا بالبلبل الغزير في أيكنا، يشدو بأحلى النغمات  
قد وهبناك قلوبا فاسقها خمرة قدسية فيها الحياة  
هاتها من هيكل الوحي الذي يتراءى للنفوس الشاعرات  
عليها تمحو تباريح الجوى عليها تنسي هموما كالحات<sup>10</sup>

ما يعد الأبرز في هذا المقطع، نشوة الشاعر عبد الكريم العقون بقدوم الفنان فريد الأطرش، ولأن الشاعر من محبي الفن الأصيل ها هو قلبه يهدى ليحل الفرح والأنس، بدل الحزن والجوى.

ومن الموضوعات التي برز فيها الشاعر عبد الكريم العقون غرض الرثاء، إذ نسج قصيدة متراوحة الطول يرثي فيها ويعظم المناضل التونسي فرحات حشاد يقول فيها:

قد اغتالك الموت الذي ليس يرحم ومن ذا الذي من أسهم الموت يسلم  
أصابتك يا فرحات أسهمه التي تصيب فلا تخطي، تصمي و، لعدم  
هويت كالطود مشمخر مجندلا فلكل فؤاد بالفجيعة مفعم  
وأورثنا حزنا عميقا أدمعا غزارا من الحزن العميق تترجم

فمن بداية القصيدة، نجد الشاعر عبد الكريم العقون وقد غمره الحزن يصب معاني التفجع والفقد صبا لأن تونس خسرت من خيرة أبنائها سؤودا وكرامة، ليست تونس فقط المعنية بهذه الفاجعة، فالجزائر أيضا تنعي الخبر وتأسف لهذا المصاب، كيف لا وأفكار فرحات حشاد عن الإخلاص والوطنية والثورة راسخة في ذهنية الشباب وأفئدتهم

فالقصيدة تفيض صدقا، وتظفر معانها حبا لرمز الشجاعة والتضحية، تنبعث من مفرداتها قيم التضامن والاخوة.

وليس ببعيد عن هذا المعنى نرى الشاعر عبد الكريم العقون – ومن أشهر ما فاضت به قريحته – قصيدة (الكون ضاق بكل حكم جائر) ضمنها تصوير لمشاهد مروعة لما ارتكبتها السلطات الفرنسية الاستعمارية من جرائم ومجازر في حق الشعب الجزائري يوم 8 ماي 1945 الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون هو ثاني شاعر جزائري تناول يوم ثامن مايو الذي اقرت فيه الجيش الفرنسي بالجزائر أكبر مجزرة عرفها التاريخ الحديث ؛ ومن أكبر المجازر عبر تاريخ الحروب على الإطلاق. فقد نشر قصيدة حول الموضوع بعنوان: الكون ضاق بكل حكم جائر.

وكدأب الشعراء الجزائريين على ذلك العهد فإن عنوان هذه القصيدة هو المصراع الأول من البيت السابع عشر من القصيدة التي تقع في ستة وعشرين بيتا فقط، وذلك بالقياس إلى قصيدة الربيع بوشامة التي بلغت واحدا وخمسين بيتا يقول فيها<sup>11</sup>:

مجاهدين جهادهم لا ينكر	ذكرى على مر الزمان تكرر
والنفس أنجع للعداء، وأجدر	ضحوا بأنفسهم لشعب مسلم
رام الحياة طليقة تتطور	وسعوا لشعب طامح متطلع
والثابتون على العواطف تجأر	المخلصون لدينهم ولشعبهم
نعم الدماء بها الشعوب تطهر <sup>12</sup>	كتبوا صحائفهم من حبر من دم

كغيره من شعراء الجزائر المخلصين الذي تأثروا بالحادثة، وتركت في أعماقهم جرحا لا يلتئم أبدا، لا يمكن أن تنسى وحشية المحتل في التنكيل بالضحايا، واضطهاد العزل من الناس، كان مطلبهم بطريقة حضارية وسلمية الحصول على الاستقلال، ما قدمته فرنسا كوعد مقابل مشاركة الشباب الجزائري في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الجيش الفرنسي، لكن الرد لم يكن متوقفا تماما، كانت نتيجته حوال خمسة أربعين ألف شهيد.

ففي هذا النص نهج الشاعر أسلوب التوثيق والتسجيل، ولعل هذه مهمة أخرى أسندت للشعر الجزائري، الذي لم يكن الارتواء بين دفتيه للتأمل وامتداد الخيال، بل كان سلاح إلى جانب الأسلحة الموجهة للاقتصاص من العدو والوقوف ضد ما ينوي تجسيده.

ولم يكن عبد الكريم العقون الشاعر الوحيد الذي واسى المحنة بشعره، فهو إلى جانب شعراء كثر كان للحادثة مكان في قصائدهم، فتوحدت المعاني بين المواساة والحزن، والثورة والتنديد بشاعة المحتل الغاشم، نذكر من هؤلاء محمد العيد آل خليفة، والشهيد الربيع بوشامة وغيرهم.

فلقد كان الكتاب والشعراء الجزائريون من الوعي الوطني والصفاء الفكري ما كان يجعلهم يدركون الأشياء، ويتوقعون حدوث الأحداث الكبرى على نحو ما ؛ ولذلك نجد العقون يصطنع لفظ الجهاد في أول بيت من قصيدته، فيصف به المناضلين والوطنيين والثوار قبل أن يثوروا. كما نلفيه، كما سنرى، يصطنع سمات أخرى دالة على القوة والعنفوان والثورة والغضب، والدعوة إلى العمل من أجل التحرر صراحة غير الشكوى والبكاء والدعاء، وهي السيرة التي نصادفها لدى الربيع بوشامة الذي كان يخاطب شهر مايو<sup>13</sup>

و للشاعر عبد الكريم العقون تجربة في غرض الغزل لكن عبد الملك مرتاض وصفه بأنه غزل فقهاء، فلا ينفعل قارئه، أو يتأثر به، وعلنا لا نستغرب ذلك فالشعراء الجزائريين في هذه المرحلة لم يكونوا ليتركوا الالتزام بالقضايا المطروحة والدفاع عن الوطن، وبث الوعي القومي في فكر النشء من الشباب الجزائري للتصدي للمحتل، ليبقى الايام والليالي يتمرس على نظم شعر الغزل.

ضف إلى أن الشاعر ذو نفس أبية متدينة تبتعد عن كل ما يسيئ إليها حتى لو كانت قصيدة موجهة إلى وصف المرأة، فالشعر غايته وطنية، ومن أهدافه زرع قيم الاخلاق والدين التي نص عليها الدين الاسلامي، والتي نص عليها رسولنا الكريم عليه أزي الصلوات يقول فيها:<sup>14</sup>

إن نفشي قد انتشت	بفتاة تضيعت
بعبير محبب	أنعش الروح فارتقت
تطلب الوجي عندها	وبه الآن ألهمت
فغدا الشعر هابطا	من سماء لها سمت
هي شعر مرتل	هز نفسي فأشدت

## خاتمة:

الشهيد عبد الكريم العقون، كغيره من المجاهدين الجزائريين المخلصين، الذين ناضلوا بالكلمة بلا هوادة، فكان سلاحهم العلم ودعوة الشباب للأخذ بتلابيبه فهو السبيل الوحيد للنجاة والظفر بالحريّة.

وهو المجاهد والمصلح الذي شهد أحداث عظيمة رسمت مستقبل الجزائر وتاريخها، فكان حاضرا بقلمه وقلبه مواسيا، ناصحا لأبناءه وإخوانه من الجزائريين.

شاعر عاش وعاش ظروف حالكة من تاريخ بلاده فمنذ أن كان طفلا نشأ وهو لا يعرف أمه يوما، ثم رحلاته من مكان إلى آخر للتعلم، ليصير شابا خلوقا متأنقا يغمر فؤاده الحس الوطني والاعتزاز بالهوية الإسلامية، شعره وطني، يغلب عليه الطابع الرومانسي، لم يحد عن ما كان يحدث في وطنه من وقائع وأحداث.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار البصائر للطباعة والنشر، الجزائر، 2007
- 2- بن سالم الصالح، عبد الكريم العقون في ذكرى استشهاده، البصائر النسخة الرقمية: <https://elbassair.dz/>
- 3- عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007
- 4- عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2009
- 5- مليكة بن بوزة، الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (المسيرة والنضال)، مجلة المدونة، ع 2، ربيع الثاني 1435، جانفي 2015

## الهوامش:

- <sup>1</sup> عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص، 253
- <sup>2</sup> مليكة بن بوزة، الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون (المسيرة والنضال) مجلة المدونة، ع 2، ربيع الثاني 1435، جانفي 2015، ص 86.
- <sup>3</sup> أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، دار البصائر للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص 32، 33
- <sup>4</sup> بن سالم الصالح، عبد الكريم العقون في ذكرى استشهاده، البصائر النسخة الرقمية [/https://elbassair.dz](https://elbassair.dz)
- <sup>5</sup> مليكة بن بوزة، مرجع سابق، ص 88
- <sup>6</sup> أبو القاسم سعدالله، المرجع السابق، ص 33
- <sup>7</sup> عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 253
- <sup>8</sup> مليكة بن بوزة، مرجع سابق، ص 87
- <sup>9</sup> عبد المالك مرتاض، مرجع نفسه، 253، 254
- <sup>10</sup> عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 254
- <sup>11</sup> عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج 1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2009، ص 296.
- <sup>12</sup> المرجع نفسه، ص 297.
- <sup>13</sup> عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج 1، ص 299.
- <sup>14</sup> عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص 256.

## إسهامات الأديب "أحمد رضا حوحو" في جريدة البصائر

### The Contributions of the Writer Ahmed Ridha Houhou in Al-Bassair Newspaper

رتبة الباحث: أستاذ محاضر/ د. طهاري عيسى

قسم اللغة والأدب العربي – جامعة علي لونيبي البليدة 2 - البليدة (الجزائر)

مخبر انتماء: مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة1.

aissataha86@yahoo.com

ملخص:

ترمي هذه الدراسة إلى تقصي إسهامات الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتأكيد على نضاله الفكري والأدبي في صفوف الحركة الإصلاحية سنوات الثورة التحريرية في محاربة الجهل والتخلف أولاً، ومقاومة الاستعمار الفرنسي ثانياً.

وذلك بالإجابة عن الإشكالية التالية: من هو أحمد رضا حوحو؟ وما علاقته بالحركة الإصلاحية في الجزائر؟ وما هي أبرز إسهاماته الفكرية والفنية في جريدة البصائر؟  
الكلمات المفتاحية: أحمد رضا حوحو، جريدة البصائر، الحركة الإصلاحية، جمعية العلماء، النشاط الصحفي.

#### Abstract:

This study aims to investigate the contributions of the martyr writer Ahmed Ridha Houhou in Al-Bassair newspaper; spokesperson of the Algerian Muslim scholar's association, emphasizing his intellectual and literal struggle in the ranks of the reformist movement during the years of the liberation revolution in order to fight ignorance and underdevelopment first, and resist French colonialism second.

That is by answering the following problems: who is Ahmed Ridha Houhou? What are his most prominent intellectual and artistic contributions to Al-Bassair newspaper? And what is the content of his articles?

**key words:** Ahmed Ridha Houhou. Al-Bassair newspaper. Algerian Muslim scholar's association. Reformist movement. Journalistic activity.

## 1. مقدمة:

أحمد رضا حوحو واحد من شهداء الثورة التحريرية، ومن أعضاء جمعية العلماء المسلمين النشطين، كان مربيا ومصلحا، وكاتبا متميزا، واعيا لرسالة الأديب، مدركا لقيمة الأدب ودوره في مجال الإصلاح السياسي والاجتماعي، كما عُرف بجرأته النادرة في طرحه للعديد من القضايا، ظهرت مع أول مقال له بعنوان "الطرقية في خدمة الاستعمار" واستمرت في كل إبداعاته بشكل لافت ومكثف.

ويرى أغلب النقاد والباحثين أنّ آراء حوحو كانت مفارقة لما كان سائداً آنذاك، وما كان متعارفاً عليه حتى بين كُتّاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فنتاجه الأدبي عموماً، وفن المقال خصوصاً يعد ثورةً على الاستعمار الفرنسي الغاصب، وتمرداً على سياسته الساعية للقضاء على الهوية الوطنية الجزائرية.

ومن ثم، فإنّ هذه الدراسة تهدف للتعريف بنشاط أحمد رضا حوحو الصحفي في واحدة من أهم الصحف الجزائرية الصادرة في تلك الفترة، والوقوف على أهم مضامين مقالاته فيها.

## 2. أحمد رضا حوحو ونشاطه الصحفي:

لم يلتزم حوحو بنشر مقالاته في الصحف الوطنية فحسب، بل تجاوز نشاطه الصحفي حدود الجزائر، بحسب الظروف التي عاشها، وتنقلاته داخل وخارج الجزائر، فكتب في: الرابطة العربية [مصر]، والمنهل [بلاد الحجاز/السعودية]، والثريا، والأسبوع [تونس]، والبصائر، والمنار والشعلة [الجزائر]، ويصرح بذلك قائلا: «باشرت الكتابة في مختلف الصحف الجزائرية والتونسية وفي البصائر بالأخص»<sup>(1)</sup>.

كان أول تعامل لحوحو مع الصحافة «سنة 1937م في مجلة الرابطة العربية لأمين سعيد التي كانت تصدر بالقاهرة»<sup>2</sup>، حيث نشر فيها مقالا «كان بعنوان "الطرقية في خدمة الاستعمار"»<sup>3</sup>، والملاحظ على العنوان أنه يشير إلى مدى تأثر حوحو بالأفكار الإصلاحية السائدة

في المشرق آنذاك، واستمر نشاط حوحو الصحفي أثناء فترة إقامته بالحجاز [1937-1945]، والتي تزامنت مع «ظهور مجلة المنهل السعودية بالمدينة المنورة سنة 1937م، لصاحبها ومنشئها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وهي من أعتق المجلات العربية ظهوراً، وأمدها عمراً، إذ لا يزال عطاؤها موصول الأنفاس إلى يومنا هذا»<sup>4</sup>

كانت مجلة "المنهل" فاتحة العطاء الأدبي والفكري لأحمد رضا حوحو، و«ميدانه الواسع للتعبير عن آرائه الأدبية وأفكاره الاجتماعية، حيث ظهرت له فيها عدة مقالات ومترجمات أدبية واجتماعية وبعض القصص والبحوث»<sup>5</sup>، فهو من كتبها المداومين، إذ يعتبر ثاني اثنين في كتابة القصة في الأراضي الحجازية في تلك الفترة من ثلاثينات القرن الماضي مع محمد عالم الافغاني، فكانت الصحيفة التي ميزته بحق وأظهرته لجمهور القراء في المشرق العربي.

عاد حوحو إلى الجزائر في صيف 1946، وانضم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لتبدأ رحلته مع الصحافة الجزائرية، حيث شارك في تحرير جريدة البصائر في الفترة الممتدة بين الأربعينات والخمسينات، وذلك بالكتابة في النقد الأدبي، وقضايا سياسية، والسجال الفكري مع بعض الكتاب المعاصرين، نالت إعجاب القراء، كما نشر في جريدة "الشعلة" لسان حال شبيبة العلماء، التي ترأس تحريرها من يوم بروزها إلى أن توقفت سنة 1951م، وهذا ما يؤكد عبد الرحمن شيبان قائلاً: «في سنة 1949م أصدرنا مع فئة من الشبان العلماء بقسنطينة جريدة شعبية أسبوعية للنقد والكفاح أسميناها "الشعلة" وأسندنا رئاسة تحريرها إلى كفاءة الأخ حوحو حيث كان يحرر باب "المسامير" يدقها في ظهور الاستعمارين وأذنا به المارقين عن الوطن والدين»<sup>6</sup>، وتعد جريدة "المنار"، ثالث جريدة جزائرية تعامل معها حوحو، وهي جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة، صاحبها محمود بوزوزو<sup>7</sup> نشر فيها مقالا بعنوان: [بيني وبين الناس] في العدد 49 من السنة الثالثة، والصادر عام 1953.

كما كتب حوحو في الصحافة التونسية، أولها مجلة "الثريا" التي تعد من أرقى المجلات التي كانت تصدر في تونس آنذاك، صاحبها المثقف التونسي المعروف نور الدين بن محمود<sup>8</sup>، حيث نشر مقالا بعنوان "الأدب الحي بين أدب القصة وأدب المقالة"، في العدد الثاني عشر الصادر في عام

1946، وثانها مجلة "الأُسبوع"، ونشر فيها «في أكتوبر ونوفمبر 1953 مقالا طويلا في خمس حلقات قدم من خلالها قراءة نقدية لكتاب "الشابي حياته شعره" لصاحبه أبي القاسم كرو، ولقي التقريظ حظا كبيرا عند المؤلف الذي سيحتفظ بهذه الذكرى، وينشر كتاب "نماذج بشرية" لحوحو في عام 1955 في إطار سلسلة "كتاب البعث" التي كان يشرف عليها هذا الكاتب التونسي»<sup>9</sup>، ونستخلص مما سبق، أنّ فن المقال نال النصيب الأوفر في أدب حوحو، الأمر الذي جعله يرتبط باسمه ارتباطا وثيقا.

### 3. إسهامات حوحو في جريدة البصائر:

#### - جريدة البصائر:

سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها مع مطلع القرن العشرين وبكل الوسائل لبعث نهضة فكرية في المجتمع الجزائري، لذا اهتم مؤسسوها بالصحافة، وأصدروا عدداً من الصحف للتعبير عن آرائها، وإيصال برنامجها الإصلاحي إلى الجماهير باعتبار الصحافة وسيلة هامة من وسائل النضال وإيقاظ الوعي، وتبليغ صوت الجزائر للعالم أجمع.

تعد جريدة "البصائر" أبرز هذه الصحف، وأكثرها شهرةً وانتشاراً، إضافة إلى أهميتها لما تركته من الأثر العميق في مسيرة الإصلاح الثقافي والديني، وقد «بلغت من الرقي والانتشار ما لم تبلغه جريدة عربية في الجزائر إذ كانت تطبع حوالي أربعة آلاف نسخة أسبوعياً»<sup>10</sup>، وهذا ما عرضها للكثير من مضايقات الاستعمار الفرنسي، حيث تم إصدار عددها الأول في 27 ديسمبر 1935م<sup>11</sup> ضمن سلسلتها الأولى [1935م- 1939م]، وما إن قامت الحرب العالمية الثانية حتى توقفت عن الصدور من تلقاء نفسها، مدة ثماني سنوات تقريبا، لتستأنف نشاطها ضمن سلسلتها الثانية [1947م- 1956م].

وقد «اهتمت جريدة البصائر بشؤون الأمة العربية خاصة شمال إفريقيا وكافحت من أجل إحياء اللغة العربية»<sup>12</sup>، حتى اشتهرت داخل الجزائر وخارجها بين المثقفين الجزائريين والعرب، باتجاهها الوطني الإصلاحي، وبمستواها الرفيع من حيث الأسلوب والقضايا التي تطرحها.

## - نشاط حوحو في جريدة البصائر:

يعد الأديب أحمد رضا حوحو من أوفر الكتّاب الجزائريين حظاً في جريدة البصائر، حيث كان له فيها نشاط صحفي متميز، إذ نشر عدداً من المقالات المتضمنة لآرائه وانتقاداته فجاءت «أدبية، واجتماعية وسياسية متنوعة بعناوين مغرية جذابة لم يكن لنا بها عهد من قبل في صحفنا»<sup>13</sup>، ونشر أول مقال له فيها، وهو ما يزال طالباً في مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة، سنة 1937 في عددها 81، وكان عبارة عن كلمة تشجيع وتقدير بعثها إلى (جمعية الشباب العقبي) التي تبنت نشيداً حماسياً عبرت من خلاله عن وطنيتها الصادقة، «ولا أكتمكم أنّه هزني هذا النّشيد الوطني، وأطربني، حيث ذكرني ببلدة ترعرعت بين أحضانها وإخوان تجمعني بهم وحدة الوطن وحدة الدّين وحدة الفكرة»<sup>14</sup>

كما شارك في تحريرها، بعد عودته إلى الجزائر مباشرة، حيث نشر عدداً من المقالات المتضمنة لآرائه وانتقاداته لمختلف القضايا الاجتماعية والسياسية وحتى الفنية، أبرزها:

- سلسلة مقالات "في الميزان"، كتب فيها عن ستة أساتذة من معهد ابن باديس، وهم: نعيم النعيمي، أحمد حماني، عبد الرحمان شيبان، عبد القادر الياجوري، العباس بن الشيخ الحسين، حمزة بوكوشة، وفي وصفه لهذه الشّخصيات كان حوحو «يعتمد على المبالغة في إبراز هيئة الشخص، وعلى تضخيم الملامح والمميزات الخاصة به، تماماً كما يفعل رسامو الكاريكاتور»<sup>15</sup>.

- سلسلة مقالات "مع حمار الحكيم": مجموعة من المقالات بدأ كتابتها في جانفي 1949 وأول مقال كان بعنوان: "ساعة مع حمار الحكيم"، وقد كتبها على أساس من التّصور بأنّ حمار توفيق الحكيم زار الجزائر بأفكاره الفلسفية، وأنّ الكاتب استقبله بوصفه أديباً، وراح يرسم له هموم الشّعب الجزائري وثقفيته، وذلك بأسلوب ساخر على شكل حوار يدور بين حوحو والحمار، يتناول بالطرح والمعالجة الأحوال السّياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها الشّعب الجزائري، وقد تعرض حوحو بسبب هذه المقالات لنقد شديد من قبل بعض النقاد، لكنّه لم يتوان في الرّد عليهم، حيث ألجمهم في كل مرة بحججه القوية وأسلوبه الساخر.

- سلسلة "ما لهم لا ينطقون؟": مجموعة مقالات نشرها في جريدة البصائر، عرّف فيها الأدب، وأهدافه، وبيّن سبب تأخر بعض الأنواع الأدبية في الجزائر كالقصة، والرواية.
- سلسلة "بيني وبين الناس": مجموعة مقالات تناول فيها بعض ما قاله النقاد عن نتاجه الأدبي، إذ يقول عن نفسه: «ولكن كل هذا لا يمنعي من تصفية هذه الحسبة الصغيرة معه، وقد تعودت أن أصفي حساباتي مع الناس في الدنيا، فلا أتنازل عن حقي ولا أبقى حقا لأحد بدمتي»<sup>16</sup>

#### 4. مضامين مقالات حوحو في جريدة البصائر:

##### أ- المضمون الأدبي:

المقالة الأدبية هي تلك التي «تدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاهاً أو أثراً في الأدب العربي القديم والحديث أو الأدب الأوروبي الغابر أو المعاصر»<sup>17</sup>، وبهذا التعريف يكون حوحو من الأدباء الذين كتبوا مقالات ذات مضمون أدبي، فمنها ما تناول فيه فنون الأدب، ومنها ما تناول فيه بعض الأدباء، كما درس في بعضها الظواهر الأدبية المختلفة.

طرح حوحو الكثير من الآراء والأفكار والموضوعات الأدبية على صفحات البصائر، مثل: "الآداب والفنون"، و"الأدب العربي... هل ينقصه التوجيه؟"، ورسالة الأديب في الحياة"،... ففي مقال له بعنوان [الأدباء والفنانون] يحاول أن يقدم لنا تعريفاً للأديب قائلاً: «الأديب هو الذي يستطيع أن يجعل من أدبه لغة روحية يخاطب بها أرواح الغير، يعبر بها تعبيراً صادقاً عن مشاعره، تعبيراً دقيقاً عن خلجات نفسه، وإحساساته ويصور بها تصويراً واضحاً جلياً أخيلته وتصوراتها، دون أن يحسب حساباً لسخط هذا أو رضا ذلك»<sup>18</sup>، فالأديب كما يراه حوحو هو ذلك الإنسان صاحب الإحساس الصادق، الذي يشعر بالانفعالات التي تهزه، فيترجمها شعراً أو نثراً، دون خوف من أحد.

كما كتب مجموعة من المقالات في سلسلته الشهيرة: (في الميزان) قدم فيها تراجم لشخصيات أدبية وعلمية عاش معها، هم من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جاءت في شكل مقالة الصورة الشخصية، والتي هي «ضرب من الحديث الشخصي الأليف، والثرثرة

والمسامرة وتألق الفكاهة، ولا تخلو من السّخرية الناعمة أو الحادة تبعا لاتجاه الكاتب وألوان شخصيته محدثاً لا معلماً»<sup>19</sup>،

ومن أبرز هذه المقالات الأدبية ما كتبه عن (عبد الرحمن شيبان)، حيث يقول فيها: «أديب يمتاز بدقة الملاحظة ورقة الشعور، وتوقد الإحساس، وهو لا يتمذهب في الأدب، لأنّ هذا التمذهب يوجب التقليد، وهو يكره التقليد، وذلك لأنّ تقليد مذهب بعينه يضطره إلى الاعتراف بغيته وسمينه، وصاحبنا لا يحلو له أن يأخذ إلّا كلّ طريف وألّا يعجب إلّا بكلّ ظريف، مهما كان مصدره ومهما كانت بيئته ومذهبه»<sup>20</sup>، ويضيف قائلاً: «ديمقراطي الأفكار إلى حد بعيد ولكنه أرستقراطي الشخصية إلى حد بعيد أيضاً... إنّه ديمقراطي شعبي فيما يخص المجتمع والحياة العامة بسياستها واقتصادها ولكنه أرستقراطي فيما يخص نفسه»<sup>21</sup>

والملاحظ على هذه المقالات أنها كتبت بأسلوب أدبي تميز بالسرد القصصي، والسخرية الممتعة، واتسمت بالسهولة والوضوح، فحديثه عن هذه الشخصيات الأدبية لم يكن بالحديث العميق، الذي يثير قضايا الأدب والنقد، بل كان حديثاً ينتقد فيه سلوكيات هؤلاء، وسرد عيوبهم هدفه الإصلاح والتوجيه.

كما ساهم حوحو في إثراء الحركة النقدية والأدبية الحديثة في الجزائر، حيث كتب مجموعة من المقالات عالج فيها بعض القضايا الأدبية في الشعر والقصة والمسرحية والمقالة وقد سجل فيها رأيه ووجهة نظره، منها مقالات بعنوان: [ما لهم لا ينطقون؟]، ومنها مقالات بعنوان: [ما لهم يثرثرون؟] و[إلى أين تذهبون بالأدب يا فقايع الأدب؟]، ففي مقال له بعنوان: [الأدب العربي... هل ينقصه التوجيه؟]، تناول تلك المعارك الأدبية التي كانت سائدة بين الأدباء والنقاد في المشرق العربي، فذكر أهمية ما حققه هؤلاء الأدباء، لكنه سرعان ما وجه سهام نقده إلى هذا الأدب، إذ يرى أنّه «رغم تقدمه، وكثرة إنتاجه لم يرتكز بعد على أسس ثابتة متينة، بل تسيره ثورة فكرية عنيفة... وهكذا تسير في جنون تبني تارة، وتهدم أخرى»<sup>22</sup>

كما يوجه حوحو سهام نقده إلى كتّاب عصره ممن اعتمدوا على الأسلوب القصصي في مقالاتهم، داعياً كاتب القصة إلى ضرورة «أن يتقمص روح أشخاصه ويظهر بمظاهره، فينطق

بلغاتهم وأساليهم الموافقة لسنهم، وطبقاتهم مراعيًا جميع أحوالهم التي أبرزهم فيها، والإطار الذي أحاطهم به وهو بذلك يعي هذه الشخصيات ويجعلها حساسة حية تنطق بلسانها معبرة عن نفسها «<sup>23</sup>، والملاحظ أن نقده جاء دقيقًا مفصلاً، وهذا ما يؤكد أنه على علم ودراية كبيرين بهذا الفن، كما أنه يعتمد على ذائقته الأدبية محاولاً التجرد من أهوائه قدر الإمكان.

#### ب- المضمون الاجتماعي:

إنّ المقالة الاجتماعية هي ذلك النوع الذي «يعالج مشكلة من المشاكل الاجتماعية، وينقد العادات السيئة والتقاليد الضارة وينفر مما هو ضار، ويرغب في النافع المفيد»<sup>24</sup>؛ أي أنّها تستنطق مشكلات الناس وطبائعهم وعاداتهم، وتنتقد العادات والتقاليد البالية التي ترسخت في المجتمع، ودور الكتاب فيها «المشاركة فيما يدور حولهم على طريقة تقوم على الملاحظة الدقيقة والعمق والتأمل فيما يحيط بهم والاتزان في الحكم والبراعة في التهكم والسخرية»<sup>25</sup>، كما تمتاز بطابعها الإنساني، وبوفرة الشواهد وبروز النزعة الإصلاحية.

وحوحو من الأدباء المناضلين في صفوف حركة الإصلاح الفكري والثقافي في الجزائر بعد انضمامه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تبنى كثيراً من القيم الفكرية والاجتماعية في ضوء وعيه بطبيعة العصر ومتطلباته، حيث برز إحساسه بمجتمعه في أغلب مقالاته التي نشرها في جريدة البصائر خاصة تلك التي جاءت ضمن سلسلة "مع حمار الحكيم"، ومما يلاحظه القارئ عليها، هو طغيان الاتجاه الاجتماعي، حيث كتب عن مشكلات الناس وطبائعهم وعاداتهم، وتصدى في ايجابية للعيوب الاجتماعية في مواجهة فعّالة ينشد من ورائها التقويم والإصلاح.

تطرق حوحو في مقالاته لأغلب الجوانب الاجتماعية، ووصف الواقع الجزائري وعرضه بتفصيلاته وجزئياته، كما عمد إلى توجيه ما يعيشه من أحداث، وما يشاهده من ظواهر إلى ما يخدم غايته الإصلاحية، والعمل على التغيير نحو الأفضل، حيث نال موضوع التربية والتعليم حظاً مقبولاً في مقالاته، باعتباره مربيًا، ومعلماً في مدارس الجمعية، ففي مقال له بعنوان: [تقوية مدارك الطلبة بالخطابة والكتابة والفنون]، يبين أهمية العلم في تطوير الفرد والمجتمع، ويؤكد على أنه «أصبح وسيلة حيوية وضرورية لرفق الحياة والمعيشة سواء كانت الحياة فردية أو

اجتماعية ورقية الحياة الاجتماعية إنّما تتوقف على تقدم الفرد ورقية، وما هذا المجتمع إلا مجموعة من الأفراد راقياً إن كانت راقية ومنحطاً إن كانت منحطة»<sup>26</sup>، والموضوع نفسه في مقال له بعنوان: [الصفحة الأولى في تاريخ معهد عبد الحميد بن باديس]: «وما النهضة بدون علم إلاّ محاولة محكوم عليها سلفاً بالفشل، بل هي ضرب من القمار ولعبة من ألعاب الحظ التي تصيب مرة وتخطئ مراراً، ولكن مآلها الأخير إلى الفشل والخسران»<sup>27</sup> فحوحو يؤكد على أهمية التعليم في نهضة الجزائر.

كما كشف حوحو عن خطورة نظام التعليم الرّسعي الفرنسي في الجزائر، قائلاً: «هناك التعليم الرّسعي، وهو مبني على قاعدة فلسفية عميقة وغامضة في نفس الوقت، وهي تعلم لتجهل»<sup>28</sup> فهو هنا يفضح السياسة التعليمية للاستعمار الفرنسي في تلك الفترة، والتي كانت تهدف للقضاء على الشخصية الجزائرية ومقوماتها الأساسية، وفق محاور [الفرنسة، التنصير، الإدماج].

لا ينسى حوحو - في الوقت نفسه - الإشادة بجهود جمعية العلماء المسلمين في هذا المجال، معددا أفضالها دون غيرها من الجمعيات الأخرى، «وذكرت جمعية العلماء ولم أذكر غيرها من الهيئات والجمعيات لأنّها عرفت وحدها بتحمل هذه الأعباء الثقيلة وعملها الصّامت المجدي في صالح هذه البلاد»<sup>29</sup> كما أنّه لا يتوانى في انتقاد طرائقها في التدريس، وتوجيه النصح لمسؤوليها، قائلاً: «فعلى المشتغلين بالتّعليم أن لا يرهقوا صغار التلاميذ بالاستظهار دون فهم، وأن يوجهوا عنايتهم إلى تربية قواهم العقلية وتقوية مداركهم»<sup>30</sup>. ويتضح من هذا الانتقاد خبرة حوحو في مجال التربية والتعليم .

كما أولى حوحو اهتماماً كبيراً للمرأة، مناقشاً في مقالاته في جريدة البصائر مكانتها في المجتمع وحقها في التّعليم، واعتبرها من أبرز القضايا التي يجب أن يهتم بها رجال الإصلاح في الجزائر، ففي مقال له بعنوان [بريد حمار الحكيم] أفاض في وصفه لما تعانيه المرأة الجزائرية، محدداً سبب جهلها وتخلفها، محملاً مسؤولية ذلك للرجل والمجتمع، «إذا كانت المرأة على هذه

الحالة من الجهل فإنَّ تبعة ذلك تعود على المسؤولين من ذويها الذين لم يعنوا بتثقيفها وتربيتها، وتبعة ذلك تعود أيضا على مجتمعيها الذي لم ينشئ لها وسائل التربية والتعليم»<sup>31</sup>.

كما كشف حوحو عن وجهات النظر السائدة آنذاك حول موضوع وحجاب المرأة والمتشددين فيه، وسفورها والداعين إليه، قائلا: «المرأة الجزائرية التي تجتذبها اليوم قوتان متباينتان، فهذا فريق محافظ يريد أن تبقى سجيناً أربعة جدران محرومة من كل شيء، ومن كل نعمة حتى نعمة العلم؛ وإن خرجت لحاجة ضرورية جداً، فإنَّما تخرج ملفوفة في سوادها أو بياضها تتعثر في أذيالها؛ لا يعترف لها بحق ولا يعترف لها بمكانة، وهذا فريق يريد لها سافراً ماجنةً تغشى الملاهي والأسواق في غير حياء ولا خجل»<sup>(32)</sup>

### ج- المضمون السياسي:

المقال السياسي مقال موضوعي، يدرس فيه كاتبه كل ما له علاقة بالسياسة، كالأفكار السياسية والوطنية والمشاكل الحزبية، ويحاول فيه أيضاً أن «يهجم الاستعمار على اعتدائه على الحريات، ويبصر الجمهور بما يحيط ببلاده، ويستثيره للذود عن مقدساته، بأسلوب سهل، بعيد عن الزخرفة»<sup>(33)</sup>، ونظراً للظروف السياسية التي عاشتها الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، فإنَّ القضايا السياسية مثل: مواجهة الاستعمار، وكشف جرائمه في حق الشعب، والدعوة إلى الحرية والاستقلال من أبرز الموضوعات التي تناولها حوحو في مقالاته خاصة قبيل الثورة وأثناءها، مبينا للعالم الصراع الدامي بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي، وهو دون شك صراع حضاري فكري ديني.

واجه أحمد رضا حوحو الاستعمار الفرنسي بكل جرأة وبطولة، بكلمات حادة وقاطعة لا موارد فيها، أثبت من خلالها كيف تتحول الرؤية السياسية إلى نضال سياسي بالكلمة، حيث كتب عدداً من المقالات، ضمنها آراءه بكل صدق وصراحة، وأثبت من خلالها حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه، في توعية الشعب الجزائري، وفضح مكائد الاستعمار الفرنسي.

وبقدر ما تبرز نزعة حوحو الإصلاحية، يظهر وعيه بقضايا أمته، فهو لا يتوقف في فضح الاستعمار الفرنسي وكشف ادعاءاته الكاذبة فيما يتعلق بالديمقراطية والحرية، ففي مقال له

بعنوان " بيبي وبين نفسي على هامش الانتخاب " يكشف فيه حوحو صور إرهاب الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري، سعياً منه لجعل هذا الوطن مقابر وسجوناً لأبنائه، حيث أشار إلى ما يحدث قبيل الانتخابات من قتل وسفك لدماء الأبرياء في سبيل إنجاز العملية الانتخابية، كل ذلك تحت شعار الديمقراطية، حيث يقول: «انتهيت من مطالعة صحيفة "الجزائر الجمهورية" اليومية الفرنسية وقد عرضت عرضاً مسهباً دقيقاً للحوادث الدامية التي وقعت في صور الغزلان يوم 4 أفريل المشؤوم الذي أضيفت فيه صفحة سوداء إلى تاريخ الاستعمار في هذه الديار، تلك الحادثة التي قتل فيها رجال، ورملت فيها نساء، وثكلت فيها أمهات، ويتم فيها أطفال، كل ذلك ليجلس رجل من الناس ينسب إلى هؤلاء الشهداء في الجنس وينسب إليهم في الدم. على كرسي يسمى كرسي النّيابة»<sup>(34)</sup>.

وحوحو في هذا المقال صوّر لنا بشاعة المجزرة التي ارتكبتها الاستعمار في حق الشعب الجزائري، وبين حجم الكارثة، خاصة الوسائل القمعية التي استخدمها ضد أبناء الوطن الأمين، فيعلق ساخراً: «إنّه حقاً لانتخاب حرّ هادئ، هذا الانتخاب الذي كتبت أوراقه بالدماء، وسبق إليه المنتخبون تحت أفواه البنادق والرشاشات وملئت أثناءه السجون بالأبرياء ولكتتها الديمقراطية في القرن العشرين»<sup>(35)</sup>.

وفي مقال سياسي آخر له بعنوان: [في المؤتمر العالمي للسلام] تميز الخطاب السياسي لحوحو بالحماس الوطني، والغضب في وجه كل من يحاول النيل من الجزائر «إنّ الجزائر التي تعاني ما تعاني من ضغط الاستعمار واضطهاده، الجزائر التي تعاني ما تعاني من حرب الاستعمار الدائم بها، محاربة الدين، محاربة اللغة العربية، إغلاق المدارس العربية العديدة، وضربها بالقوانين الغاشمة الجائرة، لا شيء سوى تضخيم هذا الجيش الجرار من الأطفال المشردين وحرمانهم من نور العلم والثقافة... ولهذا فإنّ الجزائر لا تحتج على الحلف الأطلسي، فحسب وأنّما ترفضه رفضاً باتاً»<sup>36</sup>، وقد نجح حوحو في إثارة مشاعر الحاضرين، وهز جوانب النفس الإنسانية فيهم.

كما يعد النضال من أجل استقلال الجزائر جزءاً لا يتجزأ من مقالات حوحو السياسية، بأسلوب مباشر وغير مباشر، معبراً عن ولائه العميق لوطنه ولقضيته، حيث تكاد تكون فكرة الاستقلال المحور الأساس في مقالاته، وهذا ربما يعود إلى أنه عاش الفترة التي واكبت النضج السياسي والوعي الاجتماعي نتيجة تأجج الدوافع الوطنية، والرغبة في الحرية والاستقلال، حيث بلغ النشاط السياسي والنضج الأدبي ذروته، رغم أنه كان أديباً مفكراً بالدرجة الأولى ولم يكن سياسياً محترفاً.

يعد حوحو من أبرز دعاة الاستقلال والحرية لكل شعوب العالم، حيث لم يترك مناسبة في المحافل الدولية إلا ونادي فيها باستقلال وحرية الجزائر، فما هو يتكلم باسم الجزائر في المؤتمر العالمي للسلام، صارخاً بأعلى صوته، معبراً عن موقف الشعب الجزائري، ورغبته في الحرية والعيش في أمن وسلام «إنّ الجزائر تريد الحرية والسلام لجميع الشعوب، فلا غرابة في أن تريد الحرية والسلام لنفسها فهي تمد يدها لكل من يريد لها كما يريد لنفسه أن تعيش حرة آمنة»<sup>37</sup>

لقد واكب حوحو تطور الأحداث والتحويلات السياسية الوطنية داخل الجزائر وخارجها، فكتب عدة مقالات سياسية يمتزج فيها الغضب بالتحذير، والتهديد بالوعيد، في وجه كل من يقف ضد مصلحة الوطن، مؤكداً أنه أديب ملتزم صادق الوطنية، لديه قناعة جوهريّة بأن الاستعمار الفرنسي لا يريد الخير للجزائر، وإنما يسعى لإبقائها دوماً مستعمرة ما شاء لها أن تكون.

#### الخاتمة:

يعد أحمد رضا حوحو واحداً من الأدباء الشهداء الذين كان لهم الأثر الكبير في حركة الإصلاح الفكري والثقافي في الجزائر، سواء في مجال التعليم أو في مجال الصحافة، ويتجلى ذلك فيما تركه لنا من مقالات تنوعت مجالات موضوعاتها، بين سياسية واجتماعية وأدبية:

- حوحو كاتب صاحب رسالة إنسانية، وأديب ذو نزعة إصلاحية، عرف بكثرة نشاطه وسعيه الدائم إلى تغيير الأوضاع، ومقالاته التي نشرها في الصحف والمجلات في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع خير دليل على ذلك

- أدرك حوحو أهمية المقال، وأنه فن راق يرمي لتنمية الذوق، وتثقيف النفس، وتوعية المجتمع، لذلك احتل حيزاً كبيراً في نتاجه الأدبي، كما أدرك دور الصحافة في نشر الوعي، والمساهمة في الإصلاح الاجتماعي والسياسي، لذلك تجاوز نشاطه الصحفي حدود الجزائر.
- ترك الكثير من المقالات في مجالات مختلفة من الفكر والأدب والنقد فهو من دعاة التجديد في الأدب الجزائري الحديث، والمساهمين في إثراء الحركة النقدية والأدبية الحديثة في الجزائر.
- تنوعت مقالاته ذات المضمون الاجتماعي والإنساني، أرسل من خلالها انتقاداته اللاذعة إلى المجتمع، كما لفت الأنظار إلى حقائق ذات أهمية كبيرة، فكان همه التوجيه والتربية والإصلاح.
- تميز حوحو بانتمائه الوطني تجاه أمته وبلاده، فلم يقف موقف الحيادي في مقالاته السياسية، بل وقف موقف المناضل الثوري في سبيل توعية الشعب الجزائري بما يحاك ضده من مؤامرات، المتمسك بمواقفه ومبادئه في سبيل الدفاع عمّا يؤمن به من أفكار.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد رضا حوحو: جريدة البصائر، [ع44، السنة 2 السلسلة 2، 26 جويلية 1948م] و[ع265، السنة 6 من السلسلة 2، 2 أفريل 1954م] و[ع65، السنة 2، من السلسلة 2، 31 جانفي 1949] و[ع79، السنة 2 من السلسلة 2، 9 ماي 1949] و[ع90، السنة 2 السلسلة 2، 5 سبتمبر 1949م] و[ع69، السنة 2، السلسلة 2، 28 فيفري 1949م] و[ع99، السنة 3 من السلسلة 2، 19 ديسمبر 1949م]، و[ع211، السنة 5 السلسلة 2، 29 ديسمبر 1952 م] و[ع225، السنة 5 السلسلة 2، 10 أفريل 1953م] و[ع33، السنة 2 السلسلة 2، 26 أفريل 1948 م] و[ع96، السنة 3 السلسلة 2، 28 نوفمبر 1949 م] و[ع55، السنة 2 السلسلة 2، 8 نوفمبر 1948 م] و[ع66، السنة الثانية من السلسلة الثانية، 7 فيفري 1949]
2. أحمد رضا حوحو: جريدة المنار، السنة 3، ع49، 20 نوفمبر 1953،
3. أحمد منور: مسرح الفرجة والنضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، دار هومه، الجزائر، ط1، 2005م.

4. السيد مرسي أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982م.
5. صادق بلحاج: الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919-1939)، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012م.
6. عبد الرحمن شيبان: في موكب الثورة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
7. عبد العزيز شرف: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2000م.
8. علي مفتاح راشد: فن المقال في أدب نجم الدين الكيب، جامعة السابع من أبريل، ط1، 2010م.
9. عمر إبراهيم توفيق: فنون النثر العربي الحديث، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
10. محمد البشير إبراهيمي: جريدة البصائر، ع 34، سلسلة 1، قسنطينة، 1936م.
11. محمد الصالح رمضان: شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007م.
12. محمد بسكر: أصوات الشمال، الأربعاء 16 ربيع الأول 1436هـ، الموافق لـ 07-01-2015، [www.aswat-elchamal.com](http://www.aswat-elchamal.com).
13. مولود عويمر: رابطة أدباء الشام، 12 نيسان 2014م، <http://www.odabasham.net>.

## الهوامش:

- (1) أحمد رضا حوحو: (ما لهم لا ينطقون؟)، البصائر، السنة 5 السلسلة 2، ع 211، 29 ديسمبر 1952م، ص 06.
- (2) محمد الصالح رمضان: شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007م، ص 178.
- (3) أحمد منور: مسرح الفرجة والنضال في الجزائر، دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، ص 40.
- (4) محمد بسكر:، (الأديب أحمد رضا حوحو في ذاكرة مجلة المنهل السعودية)، أصوات الشمال، الأربعاء 16 ربيع الأول 1436هـ، الموافق لـ 07-01-2015، 01-جويلية-2023، [www.aswat-elchamal.com](http://www.aswat-elchamal.com).
- (5) محمد بسكر: المرجع نفسه.
- (6) عبد الرحمن شيبان: في موكب الثورة، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 15.
- (7) ينظر: محمود بزوزو: المنار، دار البصائر للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2007م.
- (8) نور الدين بن علي بن محمود: (1914-1990): عمل مديعاً أول بالإذاعة التونسية (1938)، أصدر نشرة «المروج»، وترأس تحرير مجلة «الأفكار»، أصدر: «الثريا- الأسبوع- الأيام»، وفي باريس أصدر مجلة «الجامعة»

- وأنشأ مطبعة "فرطاج" ومكتبتها، له عدد من القصائد، والمسرحيات والروايات، والمقالات. ينظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، 01- جويلية-2023، [www.almoajam.org](http://www.almoajam.org)
- <sup>(9)</sup> مولود عويمر: الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية، رابطة أدباء الشام، 12 نيسان 2014م، 01 جويلية 2023، 01- جويلية-2023، <http://www.odabasham.net>
- <sup>(10)</sup> صادق بلحاج: الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919-1939)، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2011-2012م، ص 32، ص 42
- <sup>(11)</sup> -ينظر: محمد البشير الإبراهيمي: (آثار اعتقال الأستاذ العقبي في الأمة الجزائرية)، جريدة البصائر، ع 34، سلسلة 1، قسنطينة، 1936 م ص 1
- <sup>(12)</sup> صادق بلحاج: الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919-1939)، ص 32.
- <sup>(13)</sup> محمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 182.
- <sup>(14)</sup> أحمد رضا حوحو: (كلمة تشجيع وتقدير إلى جمعية الشباب العقبي)، جريدة البصائر، ع 81، السنة 2، 17 سبتمبر 1937 م، ص 08.
- <sup>(15)</sup> أحمد منور: المرجع السابق، ص 48.
- <sup>(16)</sup> أحمد رضا حوحو: (بيني وبين الناس)، المنار، السنة 3، ع 49، 20 نوفمبر 1953، ص 02
- <sup>(17)</sup> عبد العزيز شرف: أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصاله، ص 21.
- <sup>(18)</sup> أحمد رضا حوحو: (الأدباء والفنانون)، البصائر، ع 55، السنة 2، سلسلة 2، 8 نوفمبر 1948 م، ص 7
- <sup>(19)</sup> عمر إبراهيم توفيق: فنون النثر العربي الحديث، ص 47.
- <sup>(20)</sup> أحمد رضا حوحو: (في الميزان: عبد الرحمن شيبان)، البصائر، ع 265، السنة 6 من السلسلة 2، 2 أبريل 1954 م، ص 06
- <sup>(21)</sup> المصدر نفسه، ص 06
- <sup>(22)</sup> أحمد رضا حوحو: (الأدب العربي...هل ينقصه التوجيه؟)، البصائر، ع 65، السنة 2، من السلسلة 2، 31 جانفي 1949، ص 03
- <sup>(23)</sup> أحمد رضا حوحو: (استنطاق الشخصيات في الأدب القصصي)، البصائر، ع 66، السنة الثانية من السلسلة الثانية، 7 فيفري 1949، ص 03
- <sup>(24)</sup> السيد مرسي أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982 م، ص 74
- <sup>(25)</sup> - علي مفتاح راشد: فن المقال في أدب نجم الدين الكيب، جامعة السابع من أبريل، ط 1، 2010 م، ص 89
- <sup>(26)</sup> أحمد رضا حوحو: (تقوية مدارك الطلبة بالخطابة والكتابة والفنون)، البصائر، ع 90، السنة 2، سلسلة 2، 5 سبتمبر 1949 م، ص 11.
- <sup>(27)</sup> أحمد رضا حوحو: (الصفحة الأولى في تاريخ عبد الحميد بن باديس)، البصائر، ع 44، السنة 2، سلسلة 2، 26 جويلية 1948 م، ص 12.
- <sup>(28)</sup> أحمد رضا حوحو: (مع حمار الحكيم)، البصائر، ع 225، السنة 5، سلسلة 2، 10 أبريل 1953 م، ص 8.
- <sup>(29)</sup> المصدر السابق، ص 12.

- <sup>(30)</sup> أحمد رضا حوحو: (حمار الحكيم وعلم التربية)، البصائر، ع96، السنة 3 السلسلة2، 28نوفمبر 1949م، ص2.
- <sup>(31)</sup> أحمد رضا حوحو: (حمار الحكيم)، البصائر، ع69، السنة2، السلسلة2، 28 فيفري 1949م، ص6.
- <sup>(32)</sup> أحمد رضا حوحو: (بريد حمار الحكيم)، البصائر، ع99، السنة3 من السلسلة2، 19ديسمبر 1949م، ص2.
- <sup>(33)</sup> السيد مرسي أبو ذكري: المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، 1982م، ص78.
- <sup>(34)</sup> أحمد رضا حوحو: (بيتي وبين الناس على هامش الانتخاب)، البصائر، ع33، السنة2 السلسلة2، 26 أفريل 1948م ص7.
- <sup>(35)</sup> أحمد رضا حوحو: المصدر نفسه، ص ن.
- <sup>(36)</sup> أحمد رضا حوحو: ( في المؤتمر العالمي للسلام)، البصائر، ع79، السنة2من السلسلة2، 9 ماي 1949، ص8.
- <sup>(37)</sup> أحمد رضا حوحو: المصدر نفسه، ص464.

## المسرح عند الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو

### Theater of the martyr writer Ahmed Reda Hoho

أستاذ محاضر(أ)بوجلخة فضيلة

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الشهيد حمدة لخضر- الوادي (الجزائر)

Boudjelkha-fadhila@univ-eloued.dz

الملخص:

إن الكاتب والأديب المسرحي أحمد رضا حوحو من المؤلفين الذين نشطوا في مجال المسرح بداية من 1947 وحتى وفاته سنة 1956، وكتبوا مسرحيات فصيحة وعامية كاملة في محتواها ووأهدافها، وكانت حياة الكاتب زاخرة بالتجارب المسرحية تمثيلا وتأليفا رغم قصرها، لذا تعد مساهمته قوية ولها صداها في الحياة الأدبية والاجتماعية.

تعتبر تجربة الكاتب مهمة لخصوصيتها، فقد كانت تعالج أفكارا لها علاقة بالمجتمع الوطن الجزائري، هدفها تربوي تثقيفي، وهذا ما جعل منها نموذجا مسرحيا مثاليا رغم الأوضاع القاسية التي كانت تعيشها الجزائر.

الكلمات المفتاحية: المسرح. الأديب. الكتابة. أحمد رضا حوحو. الشهيد.

#### Abstract:

The Writer and the theatrical Author Ahmed Reda Houhou. was one of the authors who were active in the field of theater from 1947 until his death in 1956. And they wrote colloquial and eloquent full plays. In their contents and their goals. And the writer's life was full of theatrical experiences in acting and authorship despite of its shortness. So his contribution is being considered strong. And It has resonance in the literary and the social life.

The Author's experience is being considered important because of its particularity. As it deals with ideas related to The Algerian National Society. Its goal was educational and cultural. And this is what it made it an ideal theatrical model. Despite of the harsh conditions that Algeria was experiencing.

**Key words:** theater – author – writing- Ahmed Reda Houhou – Martyr.

### مقدمة:

يعد الكاتب أحمد رضا حوحو أحد الكتاب الذين برزت أسماؤهم وقت الثورة التحريرية الكبرى، وتميزت تجربته الإبداعية بالتنوع، فهو قاص وكاتب ومسرحي وشاعر، عرفت مسرحياته بالواقعية ومعالجة قضايا مجتمعه كالبخل والغدر...، وترجم الكاتب العديد من المسرحيات والأعمال العالمية من اللغتين الفرنسية والانجليزية إلى العربية، منها لموليير وفيككتور هيغو...

تشكل تجربة الكاتب أحمد رضا حوحو حالة من التميز من ناحيتي التنوع والتجديد، يجمع فيها الكاتب بين الاقتباس والحرص على معالجة قضايا شعبه بأسلوب كوميدي أحيانا وتراجيدي أحيانا أخرى، كما يعتمد على المسرحية ذات الفصل الواحد، وهو نوع جديد في ذلك الوقت، بالإضافة إلى مسرحة الرواية، فالكاتب له رغبة ملحة في مواكبة التجديد والتغيير والتمرد على الوضع الذي يعيشه، ويحاول أن يحرض شعبه من النهوض والدفاع عن حقه في الحرية.

والقارئ لأفكار الكاتب أحمد رضا حوحو، يجد بأنها لا تختلف عن انشغالاته ومنجزاته السردية في تتبع أسباب ضعف المجتمع من كثرة الآفات الاجتماعية، ودور المرأة الفاعل في المجتمع وضرورة تعليمها والدفاع عنها كما جاء في قصتي (غادة أم القرى) و(نماذج بشرية)، وضرورة الاهتمام باللغة التي ترسخ الهوية الوطنية.

إن هدف الفنان هو أن يحقق الانسجام والتوافق بينه وبين الحياة، وبذلك يحدث نوع من التفاعل الوجداني بين ما يحسه في داخله وبين الوجود الخارجي، فهو يستطيع مراقبة الأحداث التي تقع في حياته والنفوذ إلى جوهر الأشياء، وبموهبتة يستطيع نقل الوقائع إلى مشاهد مسرحية، يؤدي بها دورا توجيميا وتربويا لا يخلو من السخرية.

تعد الفترة التي ذاع فيها اسم الكاتب أحمد رضا حوحو هي فترة اندلاع الثورة الجزائرية، وهي فترة حرجة كان يعيشها الشعب الجزائري والكتاب، فهم معرضون للسجن والقتل في أي وقت، وقد سجن كثير من الكتاب المسرحيين، وهاجر بعضهم وتوقف بعضهم الآخر عن النشاط نتيجة التضيق الذي فرض على الممثلين والكتاب المسرحيين، مما أدى إلى إفلاسهم<sup>1</sup>.

## نبذة عن حياة الكاتب أحمد رضا حوحو:

الكاتب الشهيد أحمد رضا حوحو واحد من الكتاب الجزائريين المتميزين الذين عرفتهم الساحة الأدبية خلال الفترة الاستعمارية، ولم يخفت صوته إلا باغتياله سنة 1956، عرف الكاتب بكثرة نشاطه فهو في البداية معلم وكاتب كتب في مجالات كثيرة، منها الكتابة الأدبية والصحفية والمسرح، إضافة إلى عمله ككاتب عام لمعهد عبد الحميد بن باديس، عُرفَ بمناهضته للاستعمار الفرنسي ودعوته لمقاومة المحتل من خلال محاربة كل أشكال طمس الهوية الوطنية، حيث أنه (لا) سبيل لذلك إلا بمنهج علمي تربوي، يستجيب لحاجاته العلمية والفكرية فرد بذلك على ثقافة الإقصاء بنشاط إبداعي جزائري متميز، مستفيدا من إلمامه بالثقافة الغربية ومن تزوده بما يحفظ هويته العربية الإسلامية، ليرسم بذلك معلما من معالم المقاومة الثقافية الفكرية والأدبية<sup>2</sup>

ولد أحمد رضا حوحو سنة 1911 في قرية من قرى الزاب الشرقي وهي سيدي عقبة بولاية بسكرة، التي كانت مركز إشعاعي ديني وثقافي، حيث التحق بالكتاب وتعلم مبادئ اللغة العربية، وقواعد الإسلام على أيادي شيوخ البلدة، ولما بلغ السادسة التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية سنة 1916، ومنها تحصل على الشهادة الابتدائية سنة 1922، 1923م، بعدها أرسله والده إلى سكيكدة ليكمل دراسته التكميلية لنيل شهادة الأهلية سنة 1928م، ولم يتمكن من متابعة تعليمه الثانوي نتيجة السياسة الفرنسية التي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم، عاد الكاتب إلى مسقط رأسه وعمل بمصلحة بريد سيدي عقبة.<sup>3</sup>

تزوج في سنة 1934 وفي سنة 1935 هاجر بصحبة زوجته وأفراد أسرته إلى الحجاز بحراً، وما أن استقر به المقام بالمدينة المنورة حتى التحق بكلية العلوم الشرعية، أين توسع في علوم العربية والدينية، وتخرج منها عام 1938 بتفوق، حيث حصل على أعلى الدرجات، هذا التفوق أهله إلى أن يعيّن أستاذاً بالكلية نفسها في البداية، وفي بداية 1940 عمل في إدارة البريد بمكة.<sup>4</sup>

في الحجاز بدأ نشاطه الفكري والأدبي بالظهور في الصحف والمجلات، وأول مقال نشر له في مجلة (الرابطة العربية) بالقاهرة سنة 1937 بعنوان (الطرقية في خدمة الاستعمار)، وفي مجلة (المنهل) الصادرة في مكة، تنوعت كتابات رضا حوحو (مثل مواجهة الاستعمار الفرنسي

ومهاجمة الطريقة التي كان يرى في الممارسات الدينية لبعضها ما يتناقض مع جوهر الدين<sup>5</sup>، وكان يترجم للمجلة ما يروق له من روائع الأدب الفرنسي، حتى ذاع صيته كأديب وقاص اجتماعي.

وفي 1945 عاد إلى الجزائر بعد وفاة والده، واستقر بقسنطينة عاملا بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أستاذا مصلحا في تدريسه وفي كتاباته، قام بعدة رحلات لبلدان عدة منها (الاتحاد السوفياتي) وتحدث عن ذلك في جريدة (الشعلة)<sup>6</sup> مبينا تطوره الاقتصادي والاجتماعي، وهدفه بعث الوعي في نفس القارئ الجزائري ليحطم الأغلال ويهض لبناء مجتمع قوي، عمل الكاتب في ميدان الصحافة في مجلة (البصائر)<sup>7</sup> و(الشعلة) التي تولى فيها رئاسة التحرير، وعمل على بث الوعي في النفوس، ومحاربة الاحتلال وكل الآفات الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الجزائري.<sup>8</sup>

وفاته:

عندما اندلعت الثورة التحريرية كان أحمد رضا حوحو يزاول عمله كالمعتاد في معهد ابن باديس، وقد كان مراقبا من السلطات الاستعمارية، وكانت تحوم حوله شكوك السلطة الاستعمارية، واعتقل في أوائل سنة 1956 وعذب تعذيبا منكرا، وهدد بأنه سيكون مسئولا عن أي حادث يقع في المدينة، وأن مصيره الإعدام.

وفي 29 مارس 1956 اغتيل محافظ شرطة قسنطينة على يد الفدائيين، فانطلقت حملة تفتيش واعتقالات واسعة وسيق الأديب أحمد رضا حوحو من منزله إلى سجن الكدية، ومنه إلى جبل الوحش، وهناك أعدم مع مجموعة من الشخصيات والمثقفين.<sup>9</sup>

إنتاجه الأدبي:

أنتج الكاتب والأديب أحمد رضا حوحو العديد من الأعمال في القصة والمقال، ففي فن المقال كتب المقالة السياسية التي تخص الوطن والاحتلال، والمقالة الاجتماعية التي عالج فيها الآفات والأمراض الاجتماعية، والمقالة الأدبية والمقالة القصصية التي تستند على القص كجانب في القصة القصيرة، وهو نتاج ثري بقي أكثره مختفيا في الصحف والمجلات.<sup>10</sup>

أما في مجال القصة فكان أولها (غادة أم القرى) كتبها في الحجاز سنة 1947، وهي عبارة عن قصة طويلة تحكي عن حرمان المرأة الحجازية من حقها في التعليم وحرية الرأي، وتعتبر من الإرهاصات الأولى التي أسهمت في تأسيس الرواية العربية الجزائرية، ومن الناحية الإصلاحية ألف سنة 1953 كتابه (مع حمار الحكيم) الذي عالج فيه عدة قضايا، فكان عبارة عن مقالات حوارية ساخرة بين أحمد رضا حوحو وحمار توفيق الحكيم.<sup>11</sup>

وفي عام 1949 كتب مجموعته القصصية (صاحبة الوحي)، التي تعد وثيقة أدبية وتاريخية هامة للعصر الذي عاشه الكاتب، تطرح مشكلات الشباب والحب والزواج والعلاقات الاجتماعية، وتعالج سلوك الرجل ومواقفه وعلاقته بالمرأة بوصفه أبا وشقيقا وزوجا.

وفي سنة 1955 نشر مجموعة قصصية بعنوان (نماذج بشرية) وهي عبارة عن نقد اجتماعي بمنظور واقعي وأسلوب ساخر، وتتضمن الكثير من أفكار حوحو وآراءه حول بعض المشكلات والقضايا الاجتماعية.<sup>12</sup>

يقول الشيخ عبد الرحمان شيبان عند تقديمه لكتاب (مع حمار الحكيم): (يمتاز أدب الأستاذ حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد،...إنها لتنبعث من نفسه الحقيقة الصادقة الناقدة انبعاثا، فهو خفيف في كلامه، خفيف في نكته، خفيف في حركته وسكونه، وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق)<sup>13</sup>.

وهناك عمل آخر ينتهي الشكل القصصي هو (نماذج بشرية) ألفه الكاتب سنة 1955، وهي سيرة ذاتية لمجموعة من الأشخاص في المجتمع، تختلف مشاربهم وتباين مصائرهم.<sup>14</sup>

#### - نشاطه المسرحي:

إن ولع الكاتب رضا حوحو بالمسرح بدأ منذ شبابه الأول، لكن البداية المؤكدة لاشتغاله بالمسرح في إطار المسرح الهاوي، تعود إلى سنة 1929 حين تحصل على شهادة الدروس المتوسطة وعاد إلى قريته، حيث انظم إلى جمعية (الشباب العقبي) التي أسسها المناضل شباح المكلي، وجعل

مقهاه مقرا له، عين حينها رضا حوحو أمين سرها، وأحد أعضائها النشطين خاصة في مجال التمثيل المسرحي.<sup>15</sup>

وقد برع الكاتب في التمثيل وخاصة في تقليد الأعيان أو الشخصيات البارزة في المجتمع العقبي، ثم تحول إلى كتابة النصوص المسرحية القصيرة حين سافر إلى الحجاز، ونشر بعضها في جريدة (المهمل) المكية، منها (صنيعة البرامكة) و(أدباء المظهر) و(الواهم)، ونشر مقالات مطولة عن بعض أعلام الأدب والمسرح الفرنسيين، منهم موليير وفيككتور هيغو.<sup>16</sup>

وبعد عودته للجزائر سنة 1945 انظم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أين وجد ضالته في المسرح المدرسي للجمعية مما أتاح له فرصة تقديم بعض مسرحياته سواء المنشورة منه أو غير المنشورة<sup>17</sup>، ولأن المكان محدود لم يرض رغبة الكاتب فعمد إلى تأسيس جمعية (المزهر القسنطيني للموسيقى والمسرح) فقد كان (مديرا لفرقة المزهر وكانت هذه الفرقة تشتغل بالتمثيل والموسيقى في قسنطينة، وكان حوحو نفسه يعزف على بعض الآلات الموسيقية)<sup>18</sup>، وتأسست الفرقة سنة 1948 وظل يربعاها إلى سنة 1954<sup>19</sup>، وانبثقت عن انحلال (جمعية أحباب الفن) القديمة بقسنطينة، وتشكل من مجموعة من الشباب ينشطون في ميداني الموسيقى والمسرح.<sup>20</sup>

كان الكاتب مهتما باختيار اللغة المناسبة لمسرحياته حسب الموضوع وطابع المسرحية التي أعدها للعرض، فمثلا عندما تكون المسرحية تاريخية يختار لها اللغة الفصيحة، أما إذا كانت ذات طابع اجتماعي موجهة لعامة الناس فيختار لها اللغة العامية المهذبة لتكون الفائدة أكثر وتستقطب جمهورا أكثر، وهذه هي مميزات المسرح الجزائري في وقت الثورة فقد (كانت القاعات التي تعرض بها هذه المسرحيات تعرف إقبالا واسعا من مختلف فئات المجتمع الذي وجد فيها متنفسا له من ضغط حياته اليومية).<sup>21</sup>

اقتبس الكاتب أحمد رضا حوحو العديد من الأعمال المسرحية عن موليير ومارسيل بانيول، وفيككتور هيغو، ومن أعماله مسرحية المترجمة: عبسة، بائعة الورد، النائب المحترم...

كما ألف عدة مسرحيات أهمها: أدباء المظهر، الواهم، صنيعة البرامكة<sup>22</sup>، وكان هدف الكاتب هو تقوية المسرح لذلك أشرك الأوروبيين ليغنوا باللغة العربية.<sup>23</sup>

دامت تجربة حوحو المسرحية ما يقارب العشر سنوات، قدم فيها للإذاعة والمسرح العربي أكثر من عشر مسرحيات بالرغم من مضايقات المستعمر، ومحاولات احتوائه لكنه بقي صامدا، لأن دور الأديب في مرحلة الثورة هو (سياسي واجتماعي في آن واحد، هو اجتماعي لأن على الأديب أن يناضل مع الطبقة المحرومة في سبيل تطوير المجتمع الجزائري الحديث، وهو سياسي لأن هذا التطوير ينبغي أن يتم في إطار رؤية سياسية معينة)،<sup>24</sup> وبالنسبة للكاتب أحمد رضا حوحو فقد غابت السياسة إلي حد كبير في أعماله، لكن حضورها في القليل منها كان شديد الارتباط بالواقع مع فهم عميق له، وجرأة في نقده، جرأة ساخرة داعية إلي تغييره، وهي ملاحظة تغني تجربة حوحو المسرحية تمثيلا وتأليفا واقتباسا رغم قصرها، كما لاحظ إسهامها الجيد والفعال في تنشيط المحيط الذي انبعثت منه وفيه في ظل الظروف القاسية التي نشأت عن الاحتلال).<sup>25</sup>

يفهم من ذلك أن فن المسرح عند الكتاب الجزائريين كان لخدمة المجتمع أخلاقيا ودينيا واجتماعيا، وهذا ما جعل المسرحيات تتميز بالحكمة والموعظة.<sup>26</sup>

- مسرحياته:

لقد تأثر أحمد رضا حوحو في مسرحه بالمسرح الفرنسي والمسرح الانجليزي المترجم إلى الفرنسية، ومثلت له عدة مسرحيات، ونشرت مسرحيات أخرى، ولا يزال الكثير منها مجهولا، من هذه المسرحيات:

- عنبسة أو ملكة غرناطة: وهي مسرحية تاريخية عاطفية جرت أحداثها في الأندلس،، تقع في ثلاثة فصول، وقد استوحاها الكاتب من أعمال (فيكتور هيجو)، ونشرتها مجلة (الحلقة) سنة 1972، وهي مسرحية ممزوجة بين العامية والفصحى، وتدور أحداث المسرحية حول شخصية (عنبسة)، وهي شخصية عربية لعبت دورا سياسيا في الأندلس.<sup>27</sup>

- بائعة الورد : مأساة من خمسة فصول، كتبت باللغة العربية الفصحى، اقتبسها الكاتب رواية (حاملة الخبز) للكاتب (كازافيه دي منتديان)، تدور أحداث المسرحية حول أرملة توفي زوجها منذ شهر وترك لها طفلين، تشتغل المرأة بوابة في معمل وتعرض للسجن في جريمة لم ترتكبها، لكنها تخرج من السجن، وبعد سنوات تلتقي المجرم وتفضحه، لكنه ينتحر.<sup>28</sup>
- الأستاذ: مسرحية هزلية، تتألف من فصل واحد، تعتمد بالأساس على النقد الاجتماعي لما في المجتمع من نفاق واستغلال، فيقول في التقديم لها(كان عبد الحق عاملا بسيطا من عامة الناس، أميا لم يتلق من العلوم شيئا، لا قليلا ولا كثيرا، لا يعرفه أحد سوى زملائه في العمل وبعض جيرانه في الحي المتواضع الذي يسكنه لضالة مركزه الاجتماعي ولانصرافه عن الناس بالكد في سبيل العيش، وذات يوم توفي عمه الثري . وكان وارثه الوحيد . فاستولى على جميع أمواله وثورته الطائلة، وأصبح من كبار الأثرياء، يشار له بالبنان، وما كاد يشيع الخبر حتى تجمهر الزوار على باب داره من مهنيين وملتسولين وفضوليين).<sup>29</sup>
- دار الشرع أو دار الخصومة: تتكون من ثلاثة فصول، تدور حول شخصية قاض، يعالج بها الكاتب بعض الآفات الاجتماعية من رشوة واستغلال.<sup>30</sup>
- ابن الرشيد: كتبها في ثلاثة فصول، تتحدث عن المأمون بن هارون الرشيد، وما كان يعج به القصر من صور إيجابية وسلبية.<sup>31</sup>
- أدباء المظهر: تتكون من فصلين، وموضوعها يدور حول انصراف الناس عن الأدب الحقيقي واهتمامهم بالشكل، فهم يريدون أن يكونوا أدباء في وقت قصير، ورغم الفكاهاة التي تغلب عليها إلا أنها تعبر عن النظرة المتشائمة للأدب.<sup>32</sup>
- صنيعة البرامكة: تتكون من ثلاثة فصول، موضوعها تاريخي يعود إلى عهد المأمون الخليفة العباسي السابع، وتروي واقعة القضاء عليهم من طرف هارون الرشيد.<sup>33</sup>
- البخيل أو سي شعبان: تتكون من ثلاثة فصول، وهي مسرحية مقتبسة عن مسرحية(البخيل) لموليير، مكتوبة باللهجة العامية.<sup>34</sup>

وهناك مسرحيات أخرى منها مسرحية (سي عاشور والتمدن)، وهي ملهامة في ثلاثة فصول، ومسرحية (النائب المحترم) وهي دراما اجتماعية في ثلاثة فصول، ومسرحية (أبو الحسن التميمي) ملهامة في ثلاثة فصول، كتبت باللهجة العامية، مقتبسة من حكايات ألف ليلة وليلة، ضاع منها جزء كبير...<sup>35</sup>

#### – خصائص الكتابة المسرحية عند أحمد رضا حوحو:

يورد الأديب رضا حوحو مجموعة من الخصائص للمسرح هي:

– أولاً: أن المسرح يتوجه إلى المشاهدين، وبالتالي وخلافاً للفنون الأدبية الأخرى فهو لا يشترط أن يكون المتفرج متعلماً، ولا تقف الأمية حجرة عثرة في طريقه، وهذا ما يجعل الفن المسرحي فناً جماهيرياً، يقول (والمسرحية لا تحتاج إلى قراء بقدر ما تحتاج إلى مشاهدين، حيث تتخاطفها فرق التمثيل المتعددة التي تقوم بعرضها على آلاف النظارة من مختلف الطبقات والبيئات، وحتى إذا احتاجت إلى قراء فإنه يكفي التعليم الأولي البسيط لفهم مراميها واستجلاء أغراضها)<sup>36</sup>.

– ثانياً: إن الأفكار في المسرحية تظهر مجسمة في شكل أشخاص يتحاورون بشكل عادي، وهذا ما يسهل فهمها ويقوي تأثيرها في النفوس (إن المسرحية أشد تأثيراً في القلوب، وأعظم نفوذاً في امتلاك النفوس وذلك لتصويرها للحادثة أو الفكرة تصويراً دقيقاً واضحاً لا يحتاج إلى عناء في الفهم أو دقة في الملاحظة، إذ تبرز المعاني مجسمة في أشخاصها الذين تنطقهم بألسنتهم نطقهم العادي، الخالي من التكلف والغموض).<sup>37</sup>

– ثالثاً: إن الطابع العام لمسرحيات رضا حوحو هو التوجيه الأخلاقي وتوعية الجمهور، ويتجلى ذلك في العناوين التي يختارها لمسرحياته وتمثيلياته القصيرة مثل (دار الشرع أو داء الخصومة) أو (النائب المحترم).<sup>38</sup> وقد يعتمد الكاتب على الأسلوب المباشر لإيصال فكرته كما ورد في مسرحية (سي عاشور والتمدن)، ويؤكد الأديب رضا حوحو على أهمية المسرح في تهذيب أخلاق الفرد فيقول (وهكذا تقدمت الرواية المسرحية وتطورت الملهامة خاصة حتى أصبحت من عوامل الإصلاح الخلقي والاجتماعي، وتناولت أغراضاً كثيرة ومبادئ مختلفة بالنقد والتهذيب)<sup>39</sup>

يغلب على كتابات أحمد رضا حوحو التوجيه، وجاءت بأسلوب ساخر يقول أبو القاسم سعد الله حول ذلك (لفت نظري في أدب حوحو ظاهرتان هامتان، الأولى السخرية والثانية براعة الحوار، فالسخرية ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجادة منها، يلتجأ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه وشؤون الحياة، وليس غريبا أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب في مجتمع كالمجتمع الجزائري(..) وعندي لو أن حوحو امتهن الرسم لكان من أبرع الرسامين في فن الكاريكاتير)<sup>40</sup>

- رابعا: نوع الكاتب أحمد رضا حوحو بين اللغة العربية الفصحى والعامية، فإذا كانت المسرحية من نوع الدراما اختار لها اللغة العربية الفصيحة كما جاء في (ملكة غرناطة) و(صنيعة البرامكة) و(بائعة الورد)، جاء في مسرحية صنيعة البرامكة:

- (يقول المأمون: "مخاطبا المنذر بحدة"

من أنت أيها الرجل؟! وبما استوجبت البرامكة منك ما تفعله كل ليلة في خرابات دورهم؟!..

- المنذر: "يطرق رأيه ويلتزم الصمت"

- المأمون: قل!! بما استوجبت البرامكة منك كل ما تفعله؟!!

- المنذر: "في تؤدة وإنكار"

يا أمير المؤمنين! إن للبرامكة أيادي حاضرة عندي فإن أذن لي مولاي أن أحدثه بحالي معهم فعلت...)<sup>41</sup>

أما إذا كانت الموضوعات من نوع الملهة اختار اللهجة العامية حتى لو كان الموضوع تاريخيا أو شبه تاريخي كما جاء في مسرحية (أبو الحسن) و(سي عاشور والتمدن) و(البخيل)<sup>42</sup>.

جاء في مسرحية (البخيل) حوار بين شعبان وحسن، يقول:

- (شعبان: آه لو عندي هذا المبلغ ما نشكيش طول عمري .

- حسن: لكنك بخير يا بابا، ما لازمكش تشكي والحمد لله، وأنت في ألف خير ونعمة.

- شعبان: كيفاه ؟ أنا في خير؟ تسمع كلام الكذابين الملعونين اللي يشعوا على هذا الخبر المكذوب.

- حسن: ما تغضبش يا بابا، وما فيهاش لزوم للغضب)<sup>43</sup>

يعود سبب التنوع في اللغة المسرحية إلى التزام الكاتب بمبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وما يتفق وأهدافهم الرئيسية في نشر اللغة العربية، ولكنه يتغاضى عن هذا المبدأ في الملهة للدور الذي تلعبه اللهجة العامية في المواقف المضحكة، وأثرها في ذهن المشاهد، وهذا التنوع يقصد به إرضاء جميع الأطراف وإيصال الفكرة إلى عامة الناس.<sup>44</sup>

- خامسا: برع الكاتب رضا حوحو في توظيف الحوار في مسرحياته، وكان في ذلك متميزا عن أقرانه من الكتاب، يقول عنه الدكتور سعد الله (قد برع فيه لدرجة كبيرة لم أعرف أديبا جزائريا وصل إلى مستواه فيه، استخدم حوحو الحوار في القصة والمسرحية وفي الموضوعات المختلفة، وكان حوارها يمتاز بالسرعة والجدة والنكتة مما جعله خفيفا على الأذن قريبا إلى القلب).<sup>45</sup>

. المقاومة الثقافية في أعمال أحمد رضا حوحو المسرحية:

خدم الكاتب شعبه وبلده من خلال إنتاجه الأدبي والفكري، عالج الكاتب المسرحي أحمد رضا حوحو موضوعات كثيرة، حاول من خلالها توجيه المجتمع وتوعيته بغرض النهوض به وتطويره ليدافع عن حقوقه، نذكر منها:

- القضايا الاجتماعية: لقد عالج الكاتب العديد من الأمراض الاجتماعية في مسرحياته بغرض محاربتها والنهوض بالمجتمع الجزائري منها قيمة الأستاذ والأدب في مسرحية (أدباء المظهر) و(الأستاذ)، والبخل في مسرحية (البخلاء الثلاثة)، ونتيجة السرقة والجشع (بائعة الورد).

- الدفاع عن المرأة وعن حقوقها: يركز الكاتب في أعماله الأدبية والمسرحية على المرأة باعتبارها هي الركيزة والدعم الأساسية في المجتمع، وهي المدرسة الأولى للأجيال كلها، فيتناول زواجها وتعامل الناس معها، فهي عنده (مخلوق مغلوب على أمره مسلوب الحرية

والكرامة)<sup>46</sup>، وأورد الكاتب رضا حوحو ذلك في مسرحية (بائعة الورد) عندما اتهمها عمار بحرق المصنع وأخذ هو المال وهرب إلى الخارج، فيقول على لسان عائشة:

(عائشة: لا..لا أسكت أبدا ما دامت الأيام قد جمعت بيننا. إني أريد أن يعلم عموم الناس بأن عبد المحسن ما هو إلا عمار السارق القاتل المجرم الذي أضاف إلى جرائمه عارا لا ينسى.. ترك امرأة مسكينة تدفع ثمن إجرامه... امرأة تركت أولادها ولم تراهم إلى اليوم).<sup>47</sup>

- التمدن والتقليد الأعمى: يتقيد الأديب حوحو بتعاليم جمعية العلماء المسلمين التي تحذر من مسخ وتشويه الشخصية الأصلية الجزائرية، وهذا نقدا لما دعا إليه الأثرياء والنخبة في المجتمع الجزائري ودعاة الاندماج من خريجي المدرسة الفرنسية، فقد تناول في مسرحية (السي عاشور والتمدن) شخصية (سي عاشور) الذي يرى أن التمدن يكون بتطبيق حياة أهل المدينة، حيث تعلم فنون الأدب والموسيقى وهو الجاهل الذي قضى حياته في بساطة بصور تدعو إلى الضحك والسخرية، يقول:

- رشيد: (لعاشور) سي عاشور، اسمح لي إذا تقدمت في هذي الساعة خاطب بنتك لطيفة.

- عاشور: قبل كل شيء، قل لي راك متمدن ولا لا؟

- رشيد: هل تقصد يا سيدي بالمدنية العمل والخدمة والأخلاق، وإلا تقصد بها الكلام الفارغ والتفنيين وغير ذلك؟

- عاشور: ماكش متمدن أصلا أبعد عن طريقي، بنتي ما هيش لمثلك

- سعدية: إذا كان هذا ما هوش متمدن، أما لا سي المدني انتاعك النصاب، الفلاسفي هو المتمدن)<sup>48</sup>.

- القضايا التربوية: عالج الكاتب مسألة التعليم في مسرحي (الأستاذ) و(النائب المحترم)، ففي المسرحية الثانية يظهر (سي زعرور)، وهو معلم يحمل رسالة، كان يعمل في مدرسة خاصة لكنه طرد منها بسبب خلاف مع أحد الأثرياء، لكنه يتحول إلى الغش والاحتيال لريح المال، يقول حوحو ساخرا من المجتمع (والمال في عرف البشر هو الفضيلة وهو الشرف وهو العلم والأدب)<sup>49</sup>، يقول عبد المنعم ساخرا من (سي عزوز):

- عبد المنعم: لقد ضاع صوابك يا سيزان أتريدين حقا أن نستخدم ذلك المسكين بلحيته وطربوشه الهابط على أذنيه؟ أتريدين أن نستخدم أبلها في قضايا شائكة؟ يبدو أنك لا تهتمين بشيء سوى قبض المالية، أما نتائجها ومسؤولياتها فلا تهتمك في شيء.
- سيزان: ليس هناك أي خوف من جهته، فالرجل بليد، ساذج طيب القلب، وقد طرده من عمله بالمدرسة، أنا أتكلف به وأتولاه.
- عبد المنعم: حسنا ما دام الأمر كذلك، اتفقنا وأرى من الأحسن إسكانه هنا في الشقة الشاغرة فوقنا، ولنجعل له مكتبا خاصا به، لكن أين أجده الآن؟
- سيزان: لا تقلق إنه هنا (تدق الجرس، يظهر الخادم) قل لسي عزوز إني في انتظاره أريد محادثته؟
- عبد المنعم: الشيخ عزوز رجل أعمال يا للسخرية، يا للسخرية بالأعمال (يضحك، يدخل عزوز).<sup>50</sup>

#### الخاتمة:

لقد خلف الكاتب أحمد رضا حوحو خلال مسيرة حياته كثيرا من الأعمال المسرحية، عكست هذه فكره ومنهجه النضالي خلال فترة إنتاجه الأدبي قبل الثورة وفي أثنائها، ولم يتوقف قلمه عن الحث والتحريض إلا باستشهاده، فهو يعتبر إضافة جيدة للمكتبة الأدبية الجزائرية وفتح بابا كبيرا على المسرح الجزائري في زمن الثورة من باب النضالي والتوعوي.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم صحراوي : قراءة في مسرح الجزائري الشهيد أحمد رضا حوحو، جريدة القدس العربي، السنة 17، العدد 5199، 15 فيفري 2006.
2. أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
3. أحمد بيوض: المسرح الجزائري نشأته وتطوره، دار هومة، الجزائر، 2011.

4. أحمد دوغان: الثورة الجزائرية في المسرح العربي، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
5. أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة (المسرحية)، دار مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.
6. أحمد رضا حوحو: مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
7. أحمد رضا حوحو: نماذج بشرية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.
8. أحمد منور: مسرح أحمد رضا حوحو (دراسة أدبية تحليلية مقارنة)، رسالة ماجستير، إشراف عبد الله ركيبي، جامعة الجزائر، 1989.
9. أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو وموليير، مجلة الحلقة، دورية ثقافية تعنى بشؤون المسرح، ع4، 1993.
10. أسامة حوحو: الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته وأثاره، (1910. 1956م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005، 2006.
11. الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009.
12. سعد بن البشير العمامرة: شهداء من بلادي الجزائر، مطبعة مزوار الوادي، 2006.
13. صالح لمباركية: المسرح في الجزائر النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، دار الهدى، الجزائر، 2005، ج1.
14. عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931. 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
15. عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام.. وقضايا ..ومواقف..) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
16. محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو 1911. 1956، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، 1984.
17. محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

18. محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث، نقلًا عن أحمد رضا حوحو : في الأدب والاجتماع (مخطوطة)،

19. نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، ط1، 2006،

20. يوسف قنفود والمحمد دراوي: محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 5، العدد1، جوان 2021،

### الإحالات:

<sup>1</sup> ينظر أحمد دوغان: الثورة الجزائرية في المسرح العربي، محافظة المهرجان الوطني للمسرح المحترف، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص: 27، 28

<sup>2</sup> يوسف قنفود والمحمد دراوي: محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 5، العدد1، جوان 2021، ص: 265

<sup>3</sup> محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو 1911. 1956، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، 1984، ص: 11

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص: 12، 13

<sup>5</sup> الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص: 79

<sup>6</sup> أسس الكاتب في قسنطينة مع مجموعة أصدقائه من العلماء الشباب الثائرين المجددين: هم أحمد حماني والصادق حماني وأحمد بوشمال جريدة أسبوعية ذات طابع هزلي نقدي تحت اسم (الشعلة) وتولى رئاسة تحريرها ، وهي أسبوعية (للکفاح والانتقاد) تصدر كل يوم خميس من أربع صفحات ، صدر عددها الأول سنة 1949 وآخر عدد سنة 1951. صدر منها 54 عددا.

<sup>7</sup> هي مجلة تصدر عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، متكونة من سلسلتين، والثانية هي التي نشر فيها الكاتب بداية من سنة 1947.

<sup>8</sup> عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام..وقضايا ..ومواقف..)ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993، ص: 168، 169

<sup>9</sup> سعد بن البشير العمامرة: شهداء من بلادي الجزائر، مطبعة مزوار الوادي، 2006، ص: 67

<sup>10</sup> ينظر المرجع نفسه، ص: 170

<sup>11</sup> ينظر المرجع نفسه، ص: 173

<sup>12</sup> الطيب ولد العروسي: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، ص: 92

<sup>13</sup> أحمد رضا حوحو: مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، (المقدمة للأستاذ عبد الرحمان شيبان)ص: 8

- <sup>14</sup> عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص:174
- <sup>15</sup> أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة (المسرحية)، دار مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، المقدمة لأحمد منور، ص:11، 12
- <sup>16</sup> ينظر عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص:12
- <sup>17</sup> المرجع نفسه، ص:13
- <sup>18</sup> عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931.1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:491
- <sup>19</sup> أبو القاسم سعد الله دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص:86، 87
- <sup>20</sup> ينظر أحمد بيوض: المسرح الجزائري نشأته وتطوره، دار هومة، الجزائر، 2011، ص:120
- <sup>21</sup> أسامة حوحو: الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته وأثاره، (1910.1956م)دراسة تاريخية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005، 2006، ص:41
- <sup>22</sup> نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، ط1، 2006، ص:103
- <sup>23</sup> ينظر المرجع نفسه، ص:121
- <sup>24</sup> محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص:103
- <sup>25</sup> ينظر إبراهيم صحراوي: قراءة في مسرح الجزائري الشهيد أحمد رضا حوحو، جريدة القدس العربي، السنة 17، العدد 5199، 15 فيفري 2006، ص:11
- <sup>26</sup> محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث، ص116
- <sup>27</sup> ينظر صالح مباركية: المسرح في الجزائر النشأة والرواد والنصوص حتى سنة 1972، دار الهدى، الجزائر، 2005، ج1، ص:98
- <sup>28</sup> لمعلومات أكثر ينظر المرجع نفسه، ص:98، 99
- <sup>29</sup> أحمد رضا حوحو: نماذج بشرية، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص:249
- <sup>30</sup> عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، ص:171
- <sup>31</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- <sup>32</sup> أحمد منور: مسرح أحمد رضا حوحو (دارسة أدبية تحليلية مقارنة)، رسالة ماجستير، إشراف عبد الله ركيبي، جامعة الجزائر، 1989، ص:59، 60
- <sup>33</sup> ينظر المرجع نفسه، ص:61
- <sup>34</sup> ينظر صالح مباركية: المسرح في الجزائر، ص:197
- <sup>35</sup> ينظر المرجع نفسه، ص:97، إلى 100
- <sup>36</sup> محمد مصاييف: النثر الجزائري الحديث، نقلا عن أحمد رضا حوحو: في الأدب والاجتماع (مخطوطة)، ص:26
- <sup>37</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- <sup>38</sup> المرجع نفسه، ص:29

- <sup>39</sup> أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو وموليير، مجلة الحلقة، دورية ثقافية تعنى بشؤون المسرح، ع4، 1993، ص:26
- <sup>40</sup> أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص:93
- <sup>41</sup> أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة، ص:31، 32
- <sup>42</sup> ينظر أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو وموليير، ص:30
- <sup>43</sup> أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة، ص:338
- <sup>44</sup> ينظر أحمد منور: مفهوم المسرح وأهدافه بين حوحو وموليير، ص:30
- <sup>45</sup> أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص:93، 94
- <sup>46</sup> محمد الصالح رمضان: شهيد الكلمة أحمد رضا حوحو، ص:31
- <sup>47</sup> أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة، (المسرحيات)، ص:195
- <sup>48</sup> المصدر نفسه، ص:283
- <sup>49</sup> أحمد رضا حوحو: نماذج بشرية، ص:63
- <sup>50</sup> أحمد رضا حوحو: المؤلفات الكاملة، (المسرحيات)، ص:489، 490، 491

## جماليات التبئير في أدب الشهيد أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" أنموذجا

The aesthetics of focus in the literature of the martyr Ahmed Reda

Houhou, "Ghada Umm al-Qura," as an example

أستاذ محاضر -أ/- حفري فطيمة الزهرة

قسم اللغة والأدب العربي - الشهيد حمّه الأخضر - الوادي - (الجزائر)

البريد الإلكتروني hofri-fzohra@univ-eloued.dz

ملخص:

جُبل الإنسان منذ ولادته على فطرة التعلّق بكلّ ما يحيط به، وأكثر ما يظهر هذا التعلّق في حبّه للمرأة وللمكان، هذا الأخير الذي يترجم الكثير من الأفراح والأفراح في حضور صانعة الجمال.

مكوّنات سردية دفعت بالأديب الشهيد أن يفعل أيقونة التبئير في منجزه الموسوم "بغادة أم القرى"، فيتأسّس من خلالها ليستدعي مختلف الجماليات؛ ورقة بحثية تعتمد التنقيب عن كلّ ما من شأنه أن يوسع نطاق الدلالة، ليفرضها واقع اعلاميًا في الكتابة السردية، يتعانق المكان بالمرأة، فترسم صورة تتجاوز النمطية إلى العجائبية..

الكلمات المفتاحية: التأنيث- التبئير - المرأة - المكان- إيديولوجيا - التقاطع

### Abstract:

Since birth, man has been naturally created to be attached to what surrounds him, and this attachment is most evident in his love for women and for the place, the latter of which translates many joys and sorrows in the presence of the Creator of Beauty.

Narrative components that prompted the martyr writer to create an icon of focus in his work called "Baghdad Umm al-Qura", through which it was established to summon various aesthetics; a paper based on exploring everything that would expand the scope of meaning, to impose it as a global reality in narrative writing. The place embraces a woman, Retirez l'eau de l'eau.

**key words:** furnishing - focus - women - place - ideology - intersectionality

## 1/ أحمد رضا حوحو الأديب الشهيد:

أحمد رضا حوحو؛ أصيل ولاية بسكرة، وتحديدًا بلدة سيدي عقبة رمز العروبة والأصالة، تحمل بين ظهرانيها الفاتح الفهري عقبة بن نافع، ولد الشهيد الأديب "يوم 15 ديسمبر 1910م"<sup>1</sup>، بقرية سيدي عقبة، التحق بالكتاب، في سنّ جدّ مبكّرة، شأنه شأن كلّ الجزائريين، ثمّ التحق بالمدرسة الابتدائية، قرّر والده إرساله إلى ولاية سكيكدة لمواصلة تعليمه، تحصّل على شهادة التّعليم المتوسّط عام 1928م.

لم يتمكّن الأديب الشهيد من مواصلة تعلّمه الثّانوي نظير الممارسات القمعيّة التي كانت تمارسها فرنسا آنذاك، عاد إلى مسقط رأسه ليعمل بمصلحة بريد سيدي عقبة، لم يلبث "أحمد رضا حوحو" حتّى قرّر السّفر بمعيرة أسرته إلى الحجاز عام 1935م<sup>2</sup> حين سافر ليستقر في المدينة المنورة ويلتحق بكلّيّة الشريعة لإتمام دراسته، تخرّج عام 1938م متحصّلاً على أعلى الدّرجات، وعيّن على أثر ذلك أستاذاً بالكلّيّة نفسها، انتقل إلى مكّة المكرّمة، واشتغل في مصلحة البرق بالقسم الدّولي، عاد بعد ذلك إلى الجزائر عام 1946م بعد وفاة والديه<sup>3</sup>.

انظّم بعد عودته إلى الجزائر لجمعية العلماء المسلمين، وأصبح عضواً فعّالاً بعد اندلاع الثّورة التّحريريّة، وفي سنة 1955م ظلّ يمارس عمله بمعهد ابن باديس، اعتقلته الشّربة الفرنسيّة في أوائل 1956م وهدّده بالإعدام باعتباره المسؤول الأساس عن كلّ حادث يقع للفرنسيين آنذاك، وقد وقع في 29 مارس 1956م اغتيال محافظ الشّربة بقسنطينة، وأعتقل "حوحو" ليتّم إعدامه في "جبل الوحش" بقسنطينة.

## 2/ علامات فارقة في حياة "حوحو" الفكريّة:

أحمد رضا حوحو، شهيد الكلمة، شهيد النّضال من أجل حرّيّة الوطن، دافع عن الهويّة، دافع عن الإسلام والعروبة، أديب وسياسي وقاص وروائي من طراز رفيع، "أسهم في تأصيل القصّة القنّيّة العربيّة في الجزائر"<sup>4</sup>.

← 25 سبتمبر 1946م نشر أوّل مقال له في البصائر بعنوان "خواطر حائر".

- ← 1949م سجّل مشاركته في مؤتمر باريس الدولي للسلام، حيث مثّل الجزائر.
- ← 27 أكتوبر 1949م قام بإنشاء جمعية المزهرة القسنطيني، وكان يعرض فيها معظم مسرحياته، من بينها: ملكة غرناطة، بائعة الورد، البخيل.
- ← 15 ديسمبر 1949م أسّس جريدة الشّعلة التي أصدر خمسين عددا منها.
- ← عمل "حوحو" على ترجمة من وإلى الأدب الفرنسي.
- ← "حوحو" رائد القصّة القصيرة الجزائرية بدون منازع من بين أهمّها: "أفل نجم الأدب"، "ابن الوادي"، "الأديب الأخير"، "صاحب الوحي".
- ← 1955م قام "حوحو" بنشر مجموعته القصصيّة "نماذج بشرية" ضمن سلسلة كتاب البعث التّونسيّة<sup>5</sup>.
- ← ترك لنا الأديب الشهيد رواية "غادة أم القرى" عام 1947م، ناهيك عن جملة من المقالات الحوارية الساخرة التي ترصد المجتمع وتقرّب أفعاله، وأوضاعه الاجتماعيّة، والثّقافيّة، والسياسيّة.
- عُرف الشهيد الأديب إتقانه للغة الفرنسيّة، "الأستاذ أحمد رضا حوحو نشأته الأولى في بيئة تباين بيئتنا، ثمّ بثقافته الفرنسيّة الحرّة...وبما نعرفه فيه من موهبة النّقد البري، ودقّة الملاحظة، وفهمه الصّحيح باندماجه فيها خير من يعمل على عاتقه هذا الواجب المقدّس... وحرارة إخلاصه وغيرته على هذا الوطن المقدس"<sup>6</sup>.

صنع "حوحو" مجدا تليدا بجراته التي تجاوزت الحدود، يشيد أحمد بوشناق يوم 2-12-1962م في المدينة المنورة بالدور المجلّ لـ "حوحو"، إنّ الدور الجري الذي اعتمده الأديب الشهيد من الخطوات الهامة بـمكان "الخطوات الجريئة التي يخطوها صديقنا حوحو"... يشجّعنا ويغرينا على اقتفاء أثره واتباع طريقته علنا نشاركه في حمل عبء ثقيل من أعباء نهضتها القادمة إن شاء الله<sup>7</sup>.

لا ينكر عاقل فضل الشهيد الأديب "أحمد رضا حوحو" في تلميع صفحة الأدب الجزائري في القرن العشرين، رائد القصّة القصيرة، صاحب الرّأي الرّاجح، عُرف بكلمته الطّيبة، ومناهضته

للاستعمار الفرنسي ودعوته لمقاومة الاحتلال، ودعم الجهاد على كلِّ الأصعدة، ساهم دعمه لا مشروط في دفع الثَّورة الجزائريَّة المجيدة قدما، ليتقضى أثره الكثير.

### 3/رواية غادة أم القرى:

للأديب الشَّهيد أحمد رضا حوحو تعدَّ أوَّل نصِّ جزائري سردي، "وهي باكورة أعماله، طبعت سنة 1947م"<sup>8</sup>، أهداها إلى المرأة الجزائريَّة، بل العربيَّة؛ "إلى تلك الَّتِي تعيش محرومة من نعمة الحب... من نعمة العلم... من نعمة الحرِّيَّة، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود، إلى المرأة الجزائريَّة أقدم هذه القصَّة تعزية وسلوى"<sup>9</sup>.



رواية جزائريَّة تسرد واقع المرأة الجزائريَّة بلسان الحجازية، واقع المعاناة تحت مسيِّ الأعراف والتقاليد الَّتِي لا تعطي الحقَّ للمرأة في مجتمع ذكوري، من أهمِّ مسلّماته، وأد الأنثى

وسحقها، فهي تمثل الدرجة صفر في معادلة الحياة، انطلق "حوحو" في هذا المنجز السردى، ليرصد لنا بعين جزائرية، وبرؤية نقدية ما تعيشه الفتاة من ممارسات لا يحكمها منطق الإنسانية، ولا شرعية دينية، سلوكيات اخترقت حاجز التعاملات والحوارات الإيجابية.

تروي لنا غادة أم القرى حكاية الفتاة العربية "زكية"، فتاة مسلمة تتقاسم العيش مع عائلتها المحافظة في إحدى مدن الحجاز، وهذا في منتصف القرن العشرين، فتاة تبلغ من العمر 18 سنة، من جميل الصّدق أن ترصد عيناها شابًا جميلاً وسيماً، تربطها به صلة قرابة من الأصول فهو ابن خالتها جميل، أحبته حباً جنونياً، كيف لابنة سليمان أن تحبّ في مجتمع حجازي يتكلم بصوت الأعراف والتقاليد، تقدّم لخطبتها ابن أسعد "عبد الرؤوف"، غير أنّ والدها أخبرهم بخطبتها من ابن خالتها جميل، توعدت العائلة الثرية جميلاً، فأدخلته السجن لمدة ستة أشهر مع الجلد الشهري.

عانت بطلة الرواية "زكية" الأمرين معاً، الألم الذي يبرزه الفقد، وعدم القدرة على البوح بما تشعر به في مجتمع لا يعترف بحبّ الفتاة، تتجنّد "أم جميل" هي الأخرى لتبحث عن مساعدة من أجل براءة ابنها فتعترض سبيل الملك أثناء عودته من الحجّ، فينظر في مصابها، ليزجّ بمن تسبّبوا في سجن جميل ظلماً وعدواناً، تسوء حالة "جميل" فينتقل إلى جوار ربّه أثناء اعتراف المجرمون بجرمهم، في الوقت ذاته تتعرّض البطلة "لسقوط" على سلالم البيت فتردها ميتة.

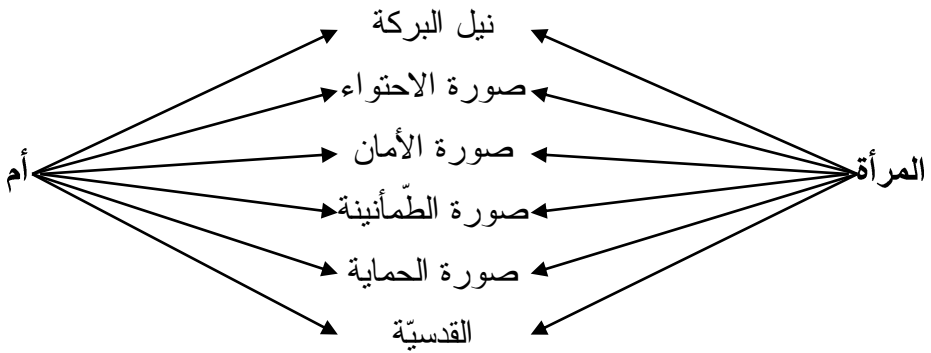
رواية قد تبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى أنّها بسيطة، بساطة العيش، تعيش شخوصها حياة طبيعية، تسهر على كسب قوت يومها، تركز للأعراف والتقاليد، تستجيب لسلطة المجتمع، رواية تبحث عن ترسّبات إيديولوجية، منحت كامل الحقّ لمجتمع متشبع بالذكورة، يسحق الهشّ من الأنثى، يتمرّد على الأخلاق والقيم، قدرته الطبقية، تجيز له أن يقابل كلّ شيء بالمادّة، وحتى إن كانت مشاعراً فطرية لا دخل للإنسان في توجيهها.

#### 4-/- ما يجب أن يقال حول العنوان:

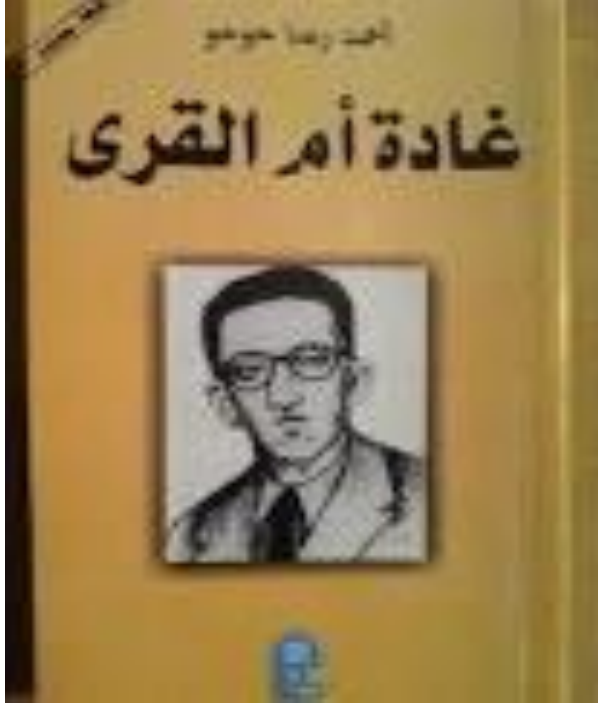
"غادة أم القرى" تعانق المرأة المكان، فتتكلم بلسانه، وتستجيب لمتطلباته، ارتبط الاسم المؤنث بالمكان؛ وأي مكان؟ إنّه المقدّس، تأثنت قدسية المرأة ومطالبتها الشرعية على أرض مقدّسة،

أطهر بقعة على وجه الأرض، قبلة جميع الناس، بسطت الأرض لمن حولها وكأنتها الأم الرزوم التي تحي أولادها، ذُكرت بملفوظها الصحيح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾<sup>10</sup>.

يستمدّ العنوان شرعيته المقدّسة وحقوقه التي بشر بها الاسلام من قدسية المكان التي تختصر أهميّة المرأة وصور حمايتها من مختلف القيود، يمكن لنا أن نخترل هذه الصّورة في الخطاطة التّالية:



كتب الشهيد الأديب "حوحو" عن المرأة وجعلها تتصدّر العنوان حتّى يسترجع لها بعض ما سلب منها، "حز ذلك في نفس رضا حوحو وراح يحنّ إلى تلك المرأة التي هي أخته وأمه وجارته، ومواطنة في الآن ذاته"<sup>11</sup>، تقاسم الشهيد الأديب المعاناة مع البطلة "زكية"، وكيف دافع عنها بكلّ قوّة الحروف والأصوات، جعلها تتوازي وقدسيّة المكان، وتشارك معه في الكثير من الصّفات



ينقسم العنوان إلى مركبين اسميين، أما عن الثاني فقد اتخذ صورة المكان المقدس "أم القرى" وقد تقدّمه اسم علم "غادة"، اسم مؤنث "يعني الجميلة وقيل الفتاة الناعمة المتمايلة برقة ودلال، يقال: امرأة غيداء وغادة أيضا، أي ناعمة بيّنة"<sup>12</sup>، الغيداء اسم علم عربي الأصل أطلق على الشجرة الغضة الكثيفة.

تأخذ "غيداء" من اسمها الكثير من الصفات؛ من بينها القدرة العالية على تحمّل المسؤولية، تمتلك تركيزا عالياً، وسرعة بديهة، شخصية تتسم بالهدوء والسكينة، ولعلّ هذا ما حدا بالعالم النفساني غوردن أولبورت أحد مؤسسي علم نفس الشخصية إنّ "اسم المرء يظلل الدعامة الأهم، لهويته الذاتية طيلة حياته"<sup>13</sup>.

تأخذ "غادة" العنوان اسم "زكية" البطلة في المتن السردى؛ تتكلم بلسانها، وتعمل بأفكارها إلى درجة الاتحاد الكلّي، وكأتهما مسعى لشخصية واحدة، "فتاة معتدلة القامة، رشيقة القدّ، تكسو جسمها سمرة تشوبها حمرة خفيفة ذات عينين نجلوين حالكة السواد، جمالها الفاتن... شعرها الفاحم المرسله جدائله خلفها، إنّها تدرك فتنة جمالها... ثغرها الجميل، وبدت ثناياها

ناصعة البياض شديدة الزوعة وهي تلوح بين شفتيها القرمزيتين فكانت جميلة حقًا خليقة بفتنة العابد النَّاسك<sup>14</sup>.

### - تقاطع الأمكنة إيديولوجيًا:

يتحوّل المكوّن المكاني في "غادة أم القرى" من مجرد أشكال هندسيّة إلى نصوص علاميّة تستدعي الفرجة في التراث الشّعبي، وخصوصا إذا ارتبط بتلك الحرف اليدويّة، إنّه المكان الذي خصّص لممارسة الهواية "كانت زكيّة منمكة في أعمالها اليدويّة، يحوطها سكون شامل عميق، لا ترى حولها حركة عدا حركات أجرتها، وهي تنتقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريريّة البيضاء المثبّته على قوام منسجها الخشبيّ، وهي تنثر وراءها أزهارا نضرة مختلفة الألوان والأشكال"<sup>15</sup>.

تصنع الحرفة المكان، فتعبّر عنه، ترسم ملامح البدويّة بالمنسج، فيصبح كلّ منهما ملاذ زكيّة، وهي التي تترجم مهاراتها التي ورثتها عن الأم والجدة، "كانت الفتاة تقودا برتها بمهارة وخفة، وهي منكبة على منسج التطريز بعطف وحنان، عطف الأم الحنون على فلذة كبدها"<sup>16</sup>.

تنصهر الفتاة "زكيّة" في عالم العادات والتقاليد، فتعبّر عن تقليديّة المكان بكلّ تمفصلاته، شاهت الرّشا وهي أمام منسجها، فالمنسج كفيل بأن يمنحها بعض الحرّيّة في انتقاء الألوان والأشكال، بل بإنهاء القطعة متى أرادت هي، تتقاطع "صورة البطلّة" وعلاقتها بالمكان، وصورة الرّوائي "أحمد رضا حوحو" في كثير من مقاطع السرد، كلّ واحد منهما "يحاول أن ينزع عنه الثوب البالي، ويترك حياته الجامدة ليصل إلى ما وصلت إليه أقطار وبلدان تتاخمه على هذه الصّحراء، ونحن في هذا الدّور الخطير من أدوار الانتقال، أشدّ احتياجا إلى فهم حياتنا تفهّما دقيقا بعيدا عن سلطان العادة وما يضيفه من أثواب القداسة بعيدا عن انخداع المشاعر وجمود التّفكير"<sup>17</sup>.

تشارك "زكيّة" عبر أفعالها السردية في تطويق المكان تطويقا قدسيّا يثبت ارتباطها بالمقدّسات، وبالجانب التّعبدية في الحياة، "الله أكبر... الله أكبر... واهتزت الفتاة هزة خفيفة، وعلت محياها الفاتن مسحة من الخشوع... خشوع المؤمن القويّ الإيمان حينما يتصوّر عظمة ربّه

وجلاله، ثمّ توجّهت نحو الكعبة وثبتت جامدة في خشوعها كأنّها تمثال، وغدت شفاتها تتحرّكان بسرعة مردّدة صلوات عديدة تتخلّلها زفرة مقتضبة ما بين أن وآخر<sup>18</sup>.

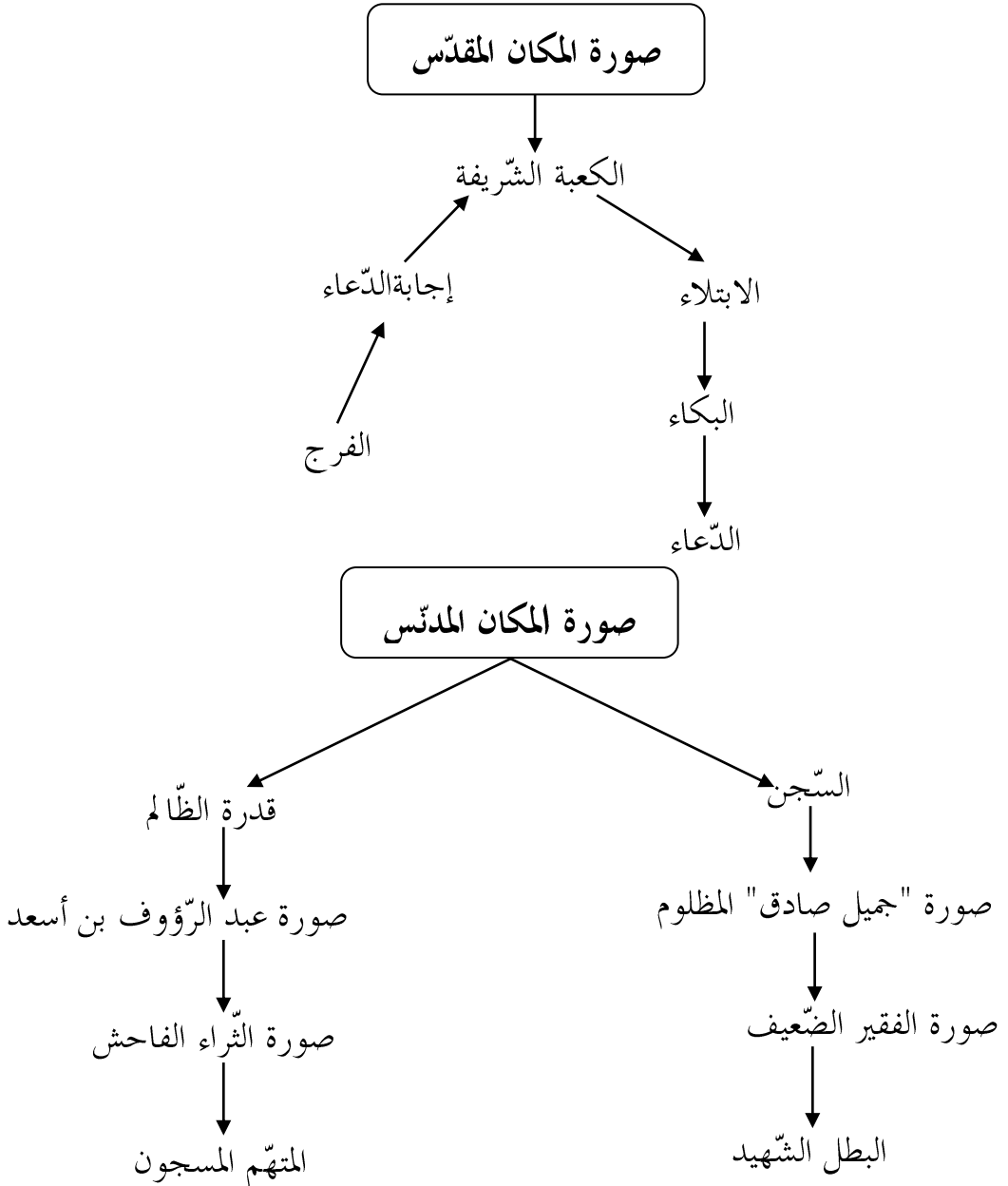
من الجميل بمكان أن تبتّ المرأة شكواها لخالقها وهي ما قامت به البطلة "زكية" التي كانت تجد في إقامة الصلاة سلوى وعزاء، "ما انتهى الأذان حتّى أسرعرت إلى مصلاّها وتوجّهت إلى ربّها تبتّته شكواها، وترجوه لتحقيق آمالها"<sup>19</sup>، من ممّا لا يقاسم زكية هذا الفعل التّعبدّي في صلاة شكر وحمد، أو صلاة استخارة... إلخ، فالله سبحانه وتعالى يأمر العبد بطاعته حتّى يريه من عجائب قدرته.

لم تبتعد كثيرا والدة "جميل الصادق" عن ابنة أختها في جعل القدسيّة، ترتبط بالمقدس المكان، بل تأخذ أبعادا أيديولوجيّة، ومثالنا زيارة "مكة المكرمة" والدعاء الكثير في مختلف أداء الشعائر، وكيف تتحقّق إجابة الدّعوة هناك، وهو ما أكّده رواية "غادة أم القرى" التي انتقلت فيها "والدة جميل" من مصدر ضعف، إلى فعل قوّة وإنجاز، "كان هناك مخلوق آخر لا يقلّ حزنا وألما عن زكية، وما ذلك المخلوق إلّا والدة جميل، التي كاد أن يقتلها النّبأ ويقضي عليها، وغدت تجري من مكان إلى مكان لتستجد بسرّاء القوم وذوي الجاه والسّطوة، ولكن من يلتفت إليها، أو يستمع إلى أنات قلبها الجريح"<sup>20</sup>.

يتقاطع المكان أيديولوجيًا وفكرة استجابة الدّعوة، عادة ما يقصد الكثيرون مكة المكرمة من أجل تأدية المناسك والإلحاح في الدّعاء باستشفاء مريض، حمل عقيم، زواج عانس، فتح مبین... وغيرها من الأدعية، وهو ما تحقّق "لأم جميل" بعدما غلقت في وجهها كلّ الأبواب إلّا باب الله تعالى، فقررت طرقه بقوّة "بيت الله، الله ألتجأ إلى الله، نهضت مسرعة والتفت في ملاءتها السّوداء، وخرجت تتعثر في أذيالها حين قصدت بيت الله، وكان مزدحما بالحجيج، وبكلّ صعوبة شقّت طريقها إلى الكعبة ووقفت منتصبّة... ما بين الحجر الأسود والباب... إنّه لم يبق أحد سواك يا الله في هذه الدّنيا"<sup>21</sup>، "البقعة التي وجدت فيها الاطمئنان والرّاحة والسّلوى"<sup>22</sup>.

بعد ما صالت وجالت "أم جميل" تترقّب قدوم الملك من أجل رفع مظلمتها ببراءة ولدها، جاءها الملك بنفسه إذ تقدّم نحوها وقد ارتمت هذه على قدميه، ولكنّ الملك صاح: قومي قومي...

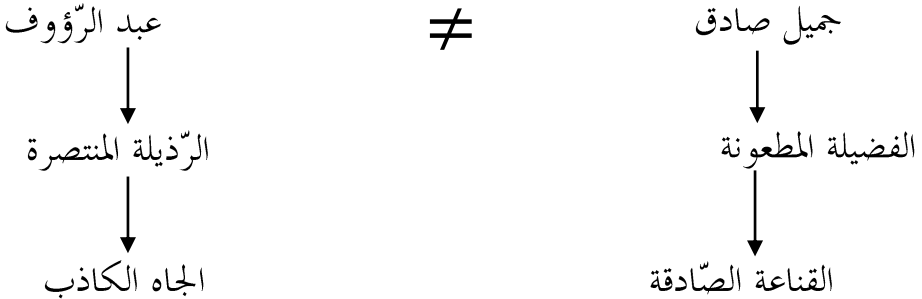
يا عجوز قولي ماذا دهاك؟، وأسرت المرأة إليه بكلام كثير وهو يصغي إليها بإمعان حتّى إذا ما انتهت ربت على كتفها وأخذ يطمئنها"<sup>23</sup>، وعلى إثر هذه المقابلة قرّر الملك بنفسه أن يشرف على إبانة براءة "جميل صادق" وهو ما كان فعلا، حيث حكم له بالبراءة.



يتقاطع المكان بقدسيته وإجابة دعوة المظلوم، التي لا يوجد بينها وبين الله حائل، في قوله صلى الله عليه وسلم (أتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام)<sup>24</sup>، أي السحاب فترفع إلى السماء مباشرة، وهو ما أكده المظلوم "جميل صادق" بدعوته جزاء ألم المظلوم الذي يدفع حساب ذنب لم يقترفه ويسجن عقابا على فعلة لم يرتكها. "اللهم إنك تعلم إنني بريء... وإن كان قضاؤك قد نزل فإنني لا أسألك ردّه وإنما أسألك اللطف فيه فاقبض روعي إليك... يا إلهي"<sup>25</sup>.

أجاب الله دعوة المظلوم "جميل صادق" وفارق الحياة، وانتقلت روحه إلى بارئها "ما من شخص يعرف جميل صادق في مكة إلا ويعرف الاستقامة والصلاح، والمثل الأعلى للفضائل والتقوى"<sup>26</sup>. تألم كثيرا البطل عندما "سيق البريء إلى أعماق السجن، حيث حُشِر هناك بين اللصوص والمجرمين من البدو وغيرهم"<sup>27</sup>.

انتصرت الرواية في تأكيد قدسيّة البراءة والحقّ، وكأنتها تناشد صوت الشرعيّة في الفضيلة والأخلاق، وتتصالح مع صحوة الضمير، والوقوف إلى جانب المظلوم، يمكن أن نلخص ذلك فيما يلي:



#### 5/جبريّة الواقع وسلطة الإكراهات:

تمرّر لنا الرواية التي بين أيدينا "غادة أم القرى" خطاب الأنثى المهمّشة، التي يسحبها المجتمع تحت راية الأعراف والعادات والتقاليد، وتحت السّلطة الأبويّة، هي البطلة "زكية": "لقد وظف حوحو شخصية زكية وجعلها رمزا لكلّ امرأة رامت أن تثور على التقاليد، أو تتمرد على الطّقوس التي يبرأ منها الدين الإسلامي، وترفضه العقود الاجتماعيّة في شرائع الأمم"<sup>28</sup>.

ما من أمة أو شعب في العالم إلا وكانت لها من الأعراف والتقاليد ما يبرز تميّزها، والمجتمع الإسلامي لا يشدّ عن هذه القاعدة، إلا إذا خالف شريعة الله وقوانينها، سلوكات فطريّة يقوم بها البشر، وما إن تطوّق بالأعراف والتقاليد إلا وتصبح جدّ محظورة يخافها الفرد قبل المجتمع، ومن بينها الخوض في الحديث عن "الحب"، أو "إظهار الاهتمام بموضوع الرّواج" مثلا.

لقد تفضّن الشَّهيد الأديب " حوحو" لمثل هذه القضايا التي أخذت منحاً مغايراً تماماً في مجتمع عربيّ إسلاميّ، وخير دليل على ذلك ما تسرّب لنا عبر خطوط السرد من رواية "غادة أم القرى"، والتي نلخصها تباعاً.

### 1-5/المحظور من الحب:

كان الحديث عن الحب في مجتمع عربيّ إسلاميّ محافظ من العيب بمكان، حتّى أنّ المحدث به أو عنه يصبح الشاذّ الذي يهابه الجميع، بل يرغب في تركه لوحده.

ترسم لنا رواية "غادة أم القرى" صورة المرأة التي يفرض عليها المجتمع التكتّم والتسّتر على مشاعرها، وإن كانت طاهرة نقيّة"أخذت الفتاة تتبّع حركاته بدقّة، وقلبها الفتيّ يخفق وهي تحاول أن تكبت من جموده، كأنّها تخشى أن يفضح سرّها التي حرصت كلّ الحرص على كتمانها...التفتت بحركة آليّة يميناً وشمالاً لتتأكد مرّة أخرى من انفرادها، وأنّ ليس هناك من يراقبها"<sup>29</sup>، رقابة ذاتيّة فيها الكثير من الرّعب والقليل من الاستقلاليّة التي تكاد تعدم في مجتمع جدّ محافظ.

تختصر الرّواية موضوع الحب في كونه الجريمة التي لا يغفرها المجتمع "إنّ الحبّ جريمة لا تغفر في مثل هذه الأسر، ولو كان طاهراً نقيّاً، وإظهار الاهتمام بالزّواج شيء مخجل ووصمة لا تمحى"<sup>30</sup>، إذا كان من العيب والعار أن يسمع صوت الفتاة التي بلغت من العمر عتياً، فما بالك بصورتها الحيّة "تكرّر الطّرق بشدّة، وصبّقت له تصفيقا حاداً لتنبّئنه أنّ ليس هناك من يجوز له أن يكلمه أو يستقبله على عادة أهل البلاد"<sup>31</sup>.

تمرّب الفتاة من قبضة الأعراف والتقاليد لتصنع عالمها الخيالي الغامض لتتصالح مع ذاتها، غير أنّ "زكيّة"<sup>32</sup> أحسّت بعبء التقاليد ولا سيما على الفتيات، ويا ويل الشقيّة منهنّ التي يطأ

قلبي الحب، فإنها تعيش سمعدبة تعيسة، فليس لها أن تتحكّم في قلبها، فتحبّ من تشاء وتبغض من تشاء، بل لا يجوز لها مطلقا أن تحبّ، فالحب جريمة لا تغتفر، وفضيحة شنيعة، فعلى الفتاة التي أصيبت بالحب أن تدرّ وتكتّم ما أمكها ذلك، وتنتظر يد القدر تفعل بها ما تشاء<sup>32</sup>. على المرأة أن تستلم لقانون المجتمع وتدعن له.

ترافق كثيرا العادات والتقاليد والأعراف وحياة الفتيات، حيث تصبح حياة "خاضعة لتقاليد شديدة، تقاليد الأسر القديمة، يجب إتباعها والخنوع لتعاليمها لتعيش في أحضان المحافظة والتقاليد"<sup>33</sup>.

ترتّب "زكّية" تربيّة "دينيّة قويّة شديدة الغلو"<sup>34</sup>، لا يمكن لها أن ترفض ما يطلبه المجتمع وإن كان يتنافى وقبولها "فهي أعجز من أن ترفض الرّوج الذي يختاره لها والدها، ولا حيلة لها أننذ إلا أن تستسلم للأقدار التي ربّما فرضت عليها شخص آخر لا تعرفه ولا تحبّه، تعيش معه مرغمة وكارهة"<sup>35</sup>، وكان الذي كانت تهاب وقوعه "زكّية" قد أن له الوقوع والتحقّق؛ لولا أُلطاف الله بها، وورصانة والدها.

استغلّ المجتمع عدم قدرة الملاك الضّعيف على إبداء رغبته بشيء ما، أو رفضه لشيء آخر، تتوأم هذه المشروعيّة وقرار "سي أسعد" الرجل الثري الذي يريد تزويج ابنه المعاق نفسيّا بتلك الفتاة "زكّية" البازة المتديّنة التي يكسوها الكثير من الحياء، يستغرب كثيرا الرّجل الفاحش الثراء رفض "سليمان" لطلبه مبّرّا ذلك بقوله: "بعدها كان ينتظر من سليمان أن ينكب على قدمه فيلثمها ويقول له ابنتي جاريتك، هذا ما كان أسعد ينتظره... لا أدري إن كان من الحكمة أن تزوّج ابنتك من شاب فقير يعيش من النزر التافه التي تتكرّم به الحكومة عليه وترفض زواجها من ثري في استطاعته أن يسعدها ويسعدك"<sup>36</sup>.

أصبحنا اليوم في عالم مادّي براغماتي بامتياز، يعوّل على المادّة في كثير من الأحيان، بل يجعلها أساس التفاضل حتّى في رابطة الرّواج الشرعيّة، بل هناك من يحرص اليوم على ترصّد أصحاب الأموال والنّفوذ ليحقّق معهم رابط النّسب دون مراعاة الأخلاق، ولا ما يناسب بناتهن ويجعلهنّ سعيدات لا يشكون شيئا، كان المعلّم ها هنا الأب الصّالح الذي رفض طلب الرّواج بحجّة

أجبت لهيب العداوة وجعلتها منطلقا للزَّجِّ بالبطل "جميل صادق" البريء السَّجن، "أيجرؤ سليمان هذا الحقير أن يرفض مصاهرتي؟ سأعلِّمه كيف يحترمني... سأجعل منه عبرة لأمثاله المتكبرين المتأقنين... وغدت روح الشَّرِّ فيه تعرض عليه أنواع الجرائم والآثام"<sup>37</sup>.

لَقَّ الابن "عبد الرزؤوف" تهمة السُّكر للطَّيب الخلق "جميل صادق"، والتي يعي كثيرا أنَّها أكثر الجرائم منعاً، "جريمة السُّكر أشدَّ من جريمة الاعتداء، ألغيت القضيَّة الثانية وحكم على "جميل" بحدِّ الخمر وهو ستَّة شهور سجنًا وثمانون جلدة، كلَّ شهر"<sup>38</sup>، أصيب المتهَّم البريء بصدمة نفسيَّة، كيف لشاب في العقد الثَّلاثين من عمره، شاب تشهد له البلدة بأخلاقه وسيرته الطَّيبة، أن يرمى بجرم السُّكر المحرَّم، الذي يأخذ أبعاداً نفسيَّة أكثر منها مادِّيَّة، صورة الاحتقار والاستصغار لا تفارق الشَّاب في مجتمع لا يعترف بالبراءة حتَّى تثبت.

#### 2-5/ من الحب ما قتل:

يمارس المجتمع العربيّ الإسلاميّ المحافظ عديد السلوكات، حتَّى يثبت شريعة الله في أرضه وفي عباده، غير أنّ هناك من يوجّه هذه السلوكات توجيهها غير صحيح، فالرقابة المجتمعيَّة قد تؤدّي بالكثير من الأحيان إلى ما يحمد عقباه، إن تنصَّلت من وجه الحقِّ، وها هنا نستحضر قصَّة الأصمعيّ الشَّاعر العربيّ، عندما مرَّ يوماً على جدار فوجد أحد الشُّباب قد كتب على هذا الجدار<sup>39</sup>:

يا معشر العشاق بالله خبروني\*\*\* إذا حلَّ عشق بالفتى كيف يصنع

كتب له الأصمعيّ بجوار هذا الكلام:

يداري هواه ثمَّ يكتم سرّه\*\*\* ويصبر في كلّ الأمور ويخشع

عاد الأصمعيّ إلى نفس المكان فوجد الشُّباب قد كتب:

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى\*\*\* وفي كلّ يوم قلبه يتقطّع

كتب له الأصمعيّ:

إذا لم يجد صبورا لكتمان سرّه\*\*\*فليس له شيء سوى الموت ينفع

انصرف الأصمعي فعاد مرة أخرى ليجد الفتى قد كتب:

سمعنا وأطعنا ثم متنا فبلغوا\*\*\*سلامي إلى من كان للوصول يمنع

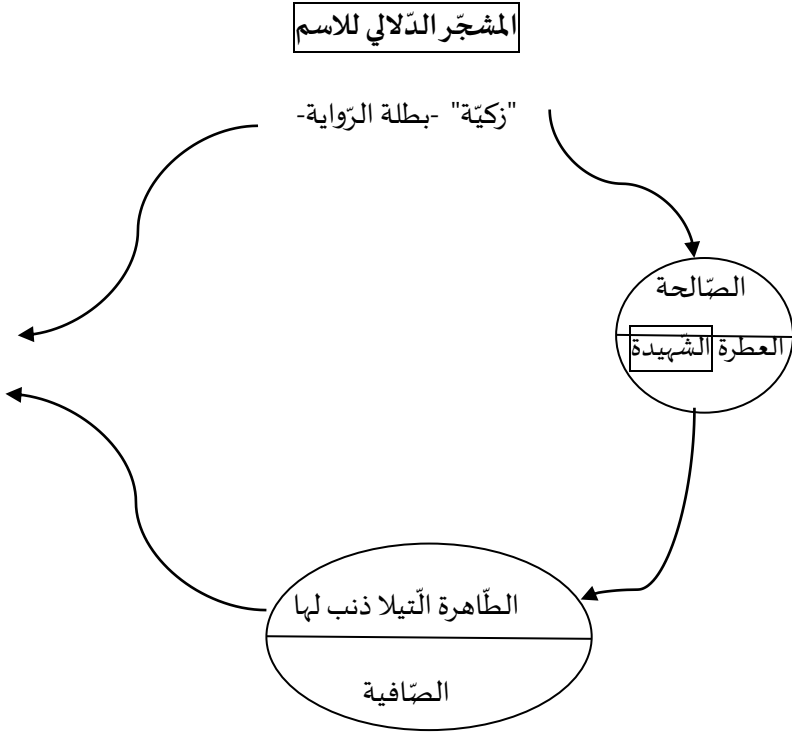
حزن الأصمعي فكتب:

هنيئا لأرباب النعيم نعيمهم\*\*\* وللعاشق المسكين ما يتجرع

تتقاطع قصّة "الأصمعي والفتى العاشق" كثيرا وخطوط السرد مع رواية "غادة أم القرى"، وتحديدًا تلك القصّة الغريبة التي انتهت بموت العاشقين في لحظة واحدة، كلّ هذه القصّة بتمفصلاتها ومشاعرها الخفيّة المتكتم عنها، في مجتمع لا يعترف بالحب، تنصهر في شخصية البطلة "زكية" وكيف أنّ تكتمها بات السبب المباشر في جعلها مجنونة؛ حيث أصيبت بالخبل، "استولت عليها نوبة نفسية مبرحة، أرسلت قهقهة عالية، تبكي تارة وتضحك تارة أخرى، فقد فارقها عقلها... أصيبت فجأة بخبال أثار صدمة عصبية عنيفة"<sup>40</sup>، عاشت على إثرها الفتاة حياة الجنون واللاعقل، تضحك لأتفه الأسباب وتبكي لما يفرح، إنّه القدر الذي أصاب زكية في قلبها قبل عقلها.

يحزن القارئ كثيرا عندما تنتهي الرواية بصدفة غريبة، حيث تلتقي أرواح العاشقين في السماء في الوقت نفسه، فزكية الطاهرة النقية الوفية ترتقي إلى ربّها شهيدة بعدما كذّبت خبر موت "جميل صادق" "إنكم تكذبون علي... قتلتموه... قتلتموه... وغدت تصرخ وتجري على غير هدي، وهو ترجله فسقطت واصطدام رأسها بحجر درج السلم الصلبة، فكانت الصدمة عنيفة، فأغبي عليها، وأخذ الدّم يتدفّق من رأسها بغزارة"<sup>41</sup>.

لم تتحمّل "زكية" الصدمة "سلمت الفتاة أنفاسها الأخيرة وتخلّصت من عالمها المادي وقبوده الثقيلة، وحلقت بروحها في عالم الأرواح لتبحث عن حبّها المفقود"<sup>42</sup>، في اللحظة ذاتها يبلغ الملك آل مسعود بوفاة "جميل صادق" أثناء نقل خبر البراءة له، وما نخلص إليه أنّ الرواية قد أنصفت "زكية" التي لها من اسمها الكثير ندرجه فيما يلي:



وأخيرا، تتألق رواية "غادة أم القرى" لتصنع الشّخصيّة البطلة وما يعترضها من قضايا مجتمعيّة ونفسيّة تتأثر بها وتؤثر فيها، أنارت لنا الكثير من الرّوايا المعتمة الّتي تتقاطع وصحراء "بسكرة" مولد الرّوائي "أحمد رضا حوحو" ونشأته في صحراء الحجاز، الّتي كانت تظهر على شكل ترسّبات فكريّة ونفسيّة بامتياز.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- الكتب:

- 1- أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، الأنيس، السّلسلة الأدبيّة، إشراف محمّد بلقايد، وزارة الثّقافة، ط1، 2007م.
- 2- الصّحاح للجوهري، مادّة غ، ي، د.

3- عبد الحفيظ جلّولي: وثائقية النَّصِّ في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، مجلّد القدس العربي، 2018/10/10م.

4- عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب الأدبي، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2014م.

5- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا... ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983م.

6- فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد، اتّقاء دعوة المظلوم.

7- العابدي: قراءة في قصّة "غادة أم القرى" للأديب أحمد رضا حوحو، دروس على الخطّ، 2022/2021.

2- المواقع الإلكترونيّة:

8- كيف يؤثّر اسمك على شخصيّتك (( <https://www.bbc.com> ))

9- من نوادر الشّعْر العربي، الأصمعي.

10- Redahauhau <https://m.marefa.org.ahmed>

11- V. <https://mc-biskra.dz>.

## الهوامش:

<sup>1</sup> - عبد الحفيظ جلّولي: وثائقية النَّصِّ في رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو، مجلّد القدس العربي، 2018/10/10م.

<sup>2</sup> - العابدي: قراءة في قصّة "غادة أم القرى" للأديب أحمد رضا حوحو، دروس على الخطّ، 2022/2021، ص02 <https://mc-biskra.dz>.

<sup>4</sup> - عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، أعلام وقضايا... ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983م، ص: 173.

<sup>5</sup> - ينظر: Redahauhau <https://m.marefa.org.ahmed>

<sup>6</sup> - أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، الأنيس، السّلسلة الأدبيّة، إشراف محمّد بلقايد، وزارة الثّقافة، ط1، 2007م، ص: 09.

- 7 - نفس المصدر ، ص: 07.
- 8 - د. العابدي: قراءة في قصّة "غادة أمّ القرى" للأديب أحمد رضا حوحو، ص: 04.
- 9 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: "ورد في الإهداء".
- 10 - سورة الأنعام، الآية: 92.
- 11 - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص: 162.
- 12 - ينظر: الصَّحَّاح للجوهري، مادّة غ، ي ، د.
- 13 - كيف يؤثّر اسمك على شخصيتك (( <https://www.bbc.com> ))
- 14 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 13-14.
- 15 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 12.
- 16 - نفس المصدر ، ص: 13.
- 17 - نفس المصدر ، ص: 01.
- 18 - نفس المصدر، ص: 15.
- 19 - نفس ، المصدر ص: 15.
- 20 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 45.
- 21 - نفس المصدر ، ص: 54.
- 22 - نفس المصدر ، ص: 54.
- 23 - نفس المصدر ، ص: 56.
- 24 - فتح المجيد شرح كتاب التَّوْحِيد، اتِّقاء دعوة المظلوم، ص: 13.
- 25 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 47.
- 26 - نفس المصدر ، ص: 42.
- 27 - نفس المصدر ، ص 40.
- 28 - عبد المالك مرتاض: تحليل الخطاب الأدبي، ص: 161.
- 29 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 16.
- 30 - نفس المصدر ، ص: 25.
- 31 - نفس المصدر ، ص: 17.
- 32 - أحمد رضا حوحو: غادة أمّ القرى، ص: 18.
- 33 - نفس المصدر ، ص: 18-20.
- 34 - نفس المصدر ، ص: 24.
- 35 - نفس المصدر ، ص: 21.
- 36 - نفس المصدر ، ص: 32-34.
- 37 - نفس المصدر ، ص: 36.
- 38 - نفس المصدر ، ص: 39.

<sup>39</sup> - ينظر: من نوادر الشَّعر العربي، الأصمعي.

<sup>40</sup> - أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، ص: 42-44-45-46.

<sup>41</sup> - نفس المصدر، ص: 60.

<sup>42</sup> - أحمد رضا حوحو: غادة أم القرى، ص: 65.

## مظاهر الصراع الأيديولوجي في رواية (الدروب الوعرة)

للكاتب الشهيد مولود فرعون

**Manifestations of the ideological conflict in the novel  
(The Rough Paths) By the martyr writer Mouloud Pharaoh**

أستاذ محاضراً / فوزية تقار

قسم اللغة والأدب العربي – جامعة الشهيد حمّـة لخضر – الوادي (الجزائر)

teggarfouzia@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية الأيديولوجية في الرواية المكتوبة بالفرنسية قبل الاستقلال، وبالتحديد عند الكاتب الشهداء؛ إذ كشفت روايات هذه المرحلة عن توجهات أيديولوجية متنوعة؛ التي نتج عنها صراع حاد على مستوى الأفكار بين فئات مختلفة في فترة حرجية من تاريخ الجزائر، ورواية (الدروب الوعرة) للكاتب (مولود فرعون) (1913-1962) هي صورة لهذا الواقع المليء بالتناقضات، حيث تجلى فيها الصراع الأيديولوجي بمختلف مظهراته: (الأيديولوجية البرغماتية، الأيديولوجية الاجتماعية المحافظة والأيديولوجية الدينية).

الكلمات المفتاحية: الصراع - الأيديولوجية - البرغماتية - الشهيد - الدروب الوعرة - مولود فرعون.

### **Abstract:**

This study aims to show the importance of ideology in the novel written in French before independence, especially in Martyr writers. The novels of this period revealed various ideological orientations which resulted in an intense conflict at the level of ideas between different groups in a critical period of time in Algeria's history. The novel (The rough Paths) by the writer (Mouloud Pharaoh) (1913-1962) is a reflection of this reality which is full of contradictions and where the ideological conflict was revealed in its various manifestations: (pragmatist ideology, conservative social ideology, and religious ideology)

**key words:** conflict, the ideology, pragmatic, martyr, the Rough Paths, Mouloud Pharaoh.

## توطئة:

إن علاقة الرواية بالأيديولوجية علاقة قوية وشديدة الارتباط والتداخل، لأن المبدع يستمد مادته من الواقع بمختلف مجالاته: السياسية، الاجتماعية والثقافية ويعبر عن رؤيته تجاهه بأسلوبه الفني الخاص؛ عبر لغة السرد وحوار الشخصيات والمشاهد، فهي إذن إنتاج أيديولوجي له علاقة باللغة وبمختلف أشكال استعمالها، يتداخل مع الأيديولوجيا ومع التاريخ ومع التشكلات الاجتماعية المختلفة، كما يمكن للرواية أن تكشف عن الصراعات والاختلافات والقضايا التي تدور في المجتمع منتجة عدة أيديولوجيات تنم عن تعدد المواقف بين مؤيدو معارض ومحايدين، والروائي ينقل هذا الصراع بصورة مباشرة أو غير مباشرة؛ لأن الأدب عموماً "يعد شكلاً أيديولوجياً وتكون الأيديولوجيا هي البنية الفوقية للنسق الفكري، وللوعي الاجتماعي، تلك البنية التي تعبر عن علاقات اجتماعية محددة، وهنا يكون الأدب شيئاً تابعا لوجود سابق، هو وجود الأيديولوجيات، ولا يمكن للأدب إلا أن يحتل مكاناً مزدوجاً، فمن حيث هو مطابق للأيديولوجيا فهو يعيد إنتاجها ويعطها شكلاً"<sup>1</sup>، وهكذا تكون العلاقة بين الرواية والأيديولوجيا علاقة تكامل وترابط؛ كلاهما يتأثر بالآخر، لأنه أي عمل روائي لا بد له من فكرة أو أفكار جوهرية ينطلق منها.

وبما أن الرواية أكثر الفنون الأدبية انفتاحاً على المجتمع ومشكلاته أصبح وجود الأيديولوجية ضروري جداً فيها ولا يمكن الاستغناء عنه، بل هي أحد مكوناته الأولية التي اقتحمت النص الروائي العربي بامتياز، والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كغيرها من الروايات الغربية والعربية ارتبطت بالأيديولوجيا، فكان متنها مسرحاً للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية، حيث حمل كتاب المرحلة الأولى (قبل الاستقلال) على عاتقهم تصوير معاناة الشعب الجزائري ووحشية المستعمر بتسليط الضوء على وجهه الحقيقي؛ هذا ما عجل بظهور كتابات روائية جزائرية تطالب بحرية المواطن البسيط، وتتخذ من الثورة مرجعية حتمية لبنائها السردية، من أجل الخروج من دائرة المعاناة المستمرة وتحقيق الأمل في الاستقلال والحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية.

لقد شكلت الرواية الجزائرية الناطقة باللسان الفرنسي طفرةً نوعيةً في المضامين خاصة أثناء الثورة وبعدها، وحاولت نقل صورة صادقة عن وضعية الشعب الجزائري المأساوي، وتغيرت استراتيجية الكتابة بعد مجازر 08 ماي من وسيلة تقارب وتفاهم تحت أيديولوجية الإدماج والمساواة، إلى أيديولوجية الرفض والتغيير، والروائي مولود فرعون خير من مثل هذا التحول في الرواية الجزائرية من خلال أعماله بدءاً من رواية (ابن الفقير) إلى روايتي (الأرض والدم) و(الدروب الوعرة)، حيث كانت رواياته واقعية تعبر بصدق عن فقر البيئة الريفية خاصة بلاد القبائل؛ وتهتم بالتفاصيل الدقيقة لحياة الجزائريين، بمعنى أن الروائي لم يكن معزولاً عن طبقات الشعب، بل كان أكثر التحاماً بمعاناتهم وأمالهم وطموحاتهم، وعلى هذا الأساس تهدف هذه الدراسة إلى رصد تجليات الصراع الأيديولوجي في الرواية المكتوبة بالفرنسية قبل الاستقلال والمنمجة برواية "الدروب الوعرة" لمولود فرعون؛ من خلال الأيديولوجية البراغماتية والأيديولوجية الاجتماعية والدينية وفي الأخير من خلال أيديولوجية الكاتب.

#### أولاً: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية:

لعب الاستعمار الفرنسي دوراً كبيراً في مسار الرواية في الجزائر، فلقد كان السبب الأول في تأخر ظهور الرواية المكتوبة باللغة العربية وميلاد الرواية المكتوبة بالفرنسية، فكانت الرواية رهينة هذا الواقع واتجهت معظمها إلى البحث عن الذات ومساءلة الانتماء التي غرسها الاستعمار بين أوساط الشعب (العروبة والاسلام والامازيغية)، وهكذا واجه المبدعون مصيرهم من خلال لغة تفرض منطقتها بشكل كبير، وما اختارهم للغة العدو إلا للتعبير عن القهر الذي شهده أمام أعينهم ولتمرير رسائل عامة للإنسانية جمعاء لتحريك بعض الضمائر المغيبة.

عرفت الرواية المكتوبة بالفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية، قفزة نوعية على المستوى الفني والكتابي "و قبل أن تنتهي سنوات الأربعينات بدأت الأسماء الجزائرية الحقيقية تلمع في الأفق، وفي تلك السنوات كان الاستعمار الفرنسي يتعامل مع اللغة العربية الفصحى باعتبارها من التراث، وكان يتم تعليمها في أضيق الحدود في فرنسا، وهكذا وجد الجيل الأول من الأدباء الجزائريين أنفسهم أمام اختبار واحد هو الكتابة باللغة الفرنسية التي يتقنونها" 2، حيث عالجت

روايات هذه الفترة مواضيع حساسة من عمق المجتمع الجزائري، كالفقر والجهل والطبقية والعادات والتقاليد، لذلك سادت في هذه الحقبة الرواية الإثنوغرافية التي تصف ما تراه العين دون التعمق في الأسباب الحقيقية لذلك، فواقعيتهما واقعية انتقادية سطحية وخير من مثل هذه المرحلة مولود فرعون، مولود معمري.

زد على ذلك، ظهرت محاولات أخرى في مجال الرواية تترصد المجتمع الجزائري من الداخل في تحولاته وتطالب بإدماج الجزائري في الفرنسي كروية أيديولوجية؛ في اعتقادهم بأن الجزائريين قد أتاحت لهم الفرصة للتعرف على الفرنسيين بشكل أفضل ومن هؤلاء الروائيين: محمد ولد الشيخ، القايد بن شريف، عبد القادر حاج حمو وغيرهم من الذين أتقنوا الفرنسية وتبنوا الحضارة الغربية، "في عام 1947 نشرت الكاتبة (مارجريت طاووس عمروش) روايتها الأولى بعنوان الياقوتة السوداء (Jacinthe noire) 3": كانت هذه الروايات مجرد إرهافات أولى للرواية الجزائرية لا تحمل البعد الإبداعي الفني والجمالي الذي نجده في الكتابات اللاحقة؛ لأنها كانت تحاول أن تقف على نصوص ممتعة من السير الذاتية وأخرى غرائبية تقوم على الخرافة والأسطورة دون التوغل في عمق المشكلات الحقيقية لمجتمعهم.

فضلا عن ذلك، برز تيار من الكتاب في الفترة الأولى يساند فكرة الاندماج والتعايش بين الأهالي والأوروبيين وينادي بالمساواة في الحقوق والواجبات، ولقد أسسوا بذلك أدبًا يعرف بالأدب الاندماجي (la littérature assimilationniste)، حيث عاج بعض الروائيين موضوعا مباشرة هو كيف سيكون الفرد الجزائري المسلم إذا تمّ حصوله على صفة الفرنسي؟ "لقد كان هذا السؤال محورا أساسيا في الروايات التي ظهرت في الفترة ما بين 1929م و1948م وهي قليلة لا تتعدى سبع روايات في مجملها مثل: رواية (مريم بين النخيل) 1934م لمحمد ولد الشيخ و(بولنوار، فتى جزائري) 1941م لرايح زناتي و(ليلى فتاة جزائرية) 1948م لجميلة دباش، ولكن تظل رواية (العلاج أسير بلاد البرابر) 1929م لشكري خوجة أهم رواية عالجت هذا الموضوع<sup>4</sup>، كانت هذه الأرضية الفكرية التي انطلقت منها معظم روايات هذه المرحلة، وكل كاتب تناول الموضوع بأيديولوجيته الخاصة، فمنهم من دافع عن الاسلام ومنهم من ناقش فكرة الزواج المختلط، وتندرج ضمن هذا السياق رواية (ابن الفقير) 1939 لمولود فرعون.

غير أنه سرعان ما أن تغيرت هذه الأفكار تماشياً مع ما فرضته الأحداث العالمية والوطنية كانهاء الحرب العالمية الثانية ومجازر 08 ماي 1945، والتي غيرت القناعات الأيديولوجية لصناع الرواية فحاولوا التّقرب من المجتمع الجزائريّ والتحدّث عن الطّبقة الدّنيا برصد همومها وآلامها تحت وطأة الاستعمار الفرنسيّ الوحشيّ وانجھوا باهتماماتهم العميقة إلى المسائل الوطنية والسياسية، "و أسسوا بدورهم لأدب أعاد النظر في مقولة الجزائر فرنسية، أطلق عليه النقاد فيما بعد بأدب الاحتجاج والرفض (la literature du refus et de contestation) "5، وقد انخرط الكتاب بصورة مباشرة في أجيج الثورة مجندين لنصرتها، محاولين البحث عن أسلحة أكثر فعالية وأساليب أكثر بساطة لتحريك الفعل الثوري لدى الجمهور، فكانت أعمالهم أكثر واقعية وأكثر نضجاً والتزاماً بالقضية القومية الوطنية.

بدأ يظهر التزام الكتاب في هذه المرحلة بقضيتهم الوطنية إذ نجد كاتب ياسين "يفضل نعتمهم بالكتاب الثوريين على تعبير الكتاب الملتزمين"6، وبالتالي كانت مرحلة الخمسينيات تاريخ ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية؛ وهي رواية ذو نزعة احتجاجية لأنها عايشت البؤس والحرمان والقهر، و في الفترة الممتدة من 1952 إلى 1962 اتسمت بالثورية "و تبلور فيها أدب المقاومة أكثر وأخذ أبعاداً أكثر شمولية واتساعاً (...). الطابع العام لهذا الأدب يؤكد أن كتابه التحموا بالواقع الجزائري وبالشعب وقاتلوا معه في خندق واحد وعلى جبهة نضالية واحدة"7، وأصبح الكاتب يقدس الحرية والشهادة في سبيل الوطن، ويزرع بذور أمل ممكنة في قلوب الشعب الجزائري مبشراً بالاستقلال الذي يلوح في الأفق؛ ومن هذه الأعمال نذكر: "رواية (الانطباع الأخير) سنة 1958 للمالك حداد؛ التي تعدّ أولى الروايات التي صوّرت وقائع الثّورة المسلّحة بالإضافة إلى روايات محمد ديب (صيف إفريقي) 1959"8، (الدار الكبيرة) 1952 و (الحريق) 1954، ورواية (نجمة) 1956 لكاتب ياسين ورواية (نوم العدل) 1955 لمولود معمري ورواية (الأرض والدم) 1954 لمولود فرعون، علماً أن هذه الروايات أغلبها نشرت في فرنسا وفي دور نشر معروفة؛ "حيث وجدت تعاطفاً معها من قبل مثقفي اليسار الفرنسي خاصة والمثقفين المتنورين بوجه عام (...). وهذا ما عجّل بظهور أعمال روائية أخرى"9.

يعزو مولود فرعون هذا التطور فيقول: "خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين فشعرنا على اثرها بتهيب وابتهاج؛ أي خروجنا من مأزق ممكن، فخرجنا من ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع"10، وفي الوقت نفسه صاحب هذه الفترة على المستوى الاجتماعي تعقد الوضع السياسي وتمرد الشعب، وتصاعد النضال والمقاومة وتوسع الثورة على نطاق واسع مما زاد في شراسة المستعمر، فكان من ضحاياه عديد من الأدباء الشهداء من أمثال: (أحمد رضا حوحو، الربيع بوشامة، محمد الأمين العمودي، مالك حداد ومولود فرعون).

وعلى العموم، فإنّ معظم الباحثين يرون أنّ فترة الخمسينيات كانت مرحلة حاسمة في مسار الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، إذ تعدّ مولدًا استثنائيًا هجينًا بين ثقافتين؛ المضمون محلي والشكل فرنسي، هذه الكتابة وضعت هذا النوع من الأدب في إشكالية خطيرة: إلى أي جهة ينبغي أن ينسب؟ لذلك عاشت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية أزمة الهوية وأزمة التصنيف، هل هو أدب جزائري أم فرنسي؟ هل هو جزائري الأصل؟ أم هو فرنسي المرجعية الثقافية؟

إن ظاهرة الكتابة بلغة المستعمر في الحقيقة هي ليست خاصة بالجزائر وحدها، وإنما هي ظاهرة عرفتها معظم البلدان الإفريقية المستعمرة وأغلب الدول التي احتلتها الدول الأوروبية في القارات الثلاث؛ لذلك نجد آدابا كثيرة كتبت بلغة مستعمرها كاللغة الإسبانية والإنجليزية والبرتغالية، وعليه إشكالية الهوية والانتماء هي تطرح على مستوى كل الآداب المكتوبة بلغة الآخر: (الإفريقي، الآسيوي..)، ولكي يعالج هذا الطرح بموضوعية ينبغي أن يدرس حسب رأي أحمد منور في "الإطار التاريخي الجغرافي، السياسي، مع الأخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه بظروف كل بلد وبخصوصياته اللغوية والثقافية وبطبيعة الاستعمار الذي خضع له"11، فهناك فرق بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار الإنجليزي مثلا.

جدير بنا أن نعرف الأسباب التي أدت إلى إثارة هذه الإشكالية التي وضعت أصحابها في خانة الاتهام وجعلتهم مثارا للتشكيك في الانتماء القومي:

أغلب روايات هذه المرحلة روايات إثنوغرافية؛ تصوير دقيق للمجتمع الجزائري، تهتم بسرد التراث المحلي بشكل تقليدي أو تعليمي، إذ اعتمد كتابها على الشكل المتداول الذي يكتب به المستوطنون، وظلوا على هذا الحال لفترة طويلة، وهذا الشكل الفني المعتمد جعلهم يبتعدون عن المضمون الثوري، في حين كانت رواياتهم المكتوبة بالفرنسية بعيدة عن القارئ الجزائري البسيط في ظل واقع تعليمي متدهور؛ بحيث كانت القراءة محصورة في عدد محدود من المتعلمين آنذاك، وهم لا يشكلون جمهوراً قارئاً، مما يستلزم أنها موجهة لقارئ واحد وهو القارئ الفرنسي.

كما لا نتجاهل موضوع النشر، فأغلب الروايات المكتوبة بالفرنسية قد نشرت في دور النشر الفرنسية، يعني أن فرنسا تعاملت مع هؤلاء الكتاب ككتاب فرنسيين باعتبار أن البلد المستعمر هو بلد تابع لها، أي أن الجزائر أرض فرنسية. فهذه الروايات من وجهة نظرها هي فرع من الأدب القومي المستعمر (الفرنسي).

فلا غرو إذن، أن تنعكس هذه الظروف على الكتاب الجزائريين المفرنسين وتثار إشكالية واسعة الجدل حول أدبهم وحول انتمائهم وهويتهم في وقت مبكر، لكنهم برروا مواقفهم ودافعوا عن أنفسهم وبينوا وجهات نظرهم تجاه ما كتبوه عن الجزائر في الصحف والمجلات والمقابلات التلفزيونية والإذاعية قبل وبعد الاستقلال.

إن هذه التجربة الأدبية المتميزة كانت وليدة ظروف مختلفة: (ثقافية، اجتماعية، تاريخية، سياسية واقتصادية) فرضتها سياسة المستعمر، التي كان هدفها تجهيل العقول وإبقائها متخلفة بإغلاق المدارس العربية والمساجد والزوايا أمام أبناء الوطن، سعياً منها إلى تكوين نخبة متأثرة بالثقافة الغربية، وبالتالي جعل الثقافة الفرنسية بديلاً عن الثقافة الوطنية، فقد أسهمت هذه العوامل في تكريس لغة المستعمر كلغة وحيدة للكتابة والإبداع، في هذه الأثناء وجد المبدعون الجزائريون أنفسهم يكتبون بلغة "الآخر" إما طوعاً أو كرهاً؛ متخذين سلاحاً مشتركاً في مواجهة لغة الجانب الأقوى آنذاك، فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر<sup>12</sup>، فهذا ليس جرمًا أو عارًا وإنما هي أيديولوجية تبناها الكتاب لنقل الصورة الحقيقية عن بشاعة المستعمر الفرنسي.

لقد أصبحت الرواية الجزائرية (الناطقة باللغة الفرنسية) ذات البعد الإنساني مساحة لإعلاء الكلمة الجزائرية للوصول إلى العالم ككل، لأن اللغة في الحقيقة ليست ملكية خاصة لأحد، بل هي ملك لمن يسيطر عليها ويجيد التعبير بها عن ذاته وغيره في كل المواقف، بأدوات أدبية وفنية تؤثر في عدد كبير من الجمهور، والكتاب الجزائريون أصبحت لديهم لغة قوية خاصة، قادرة على التعبير عن الفرد الجزائري بصدق وعن هويته الحقيقية التي شوهدا المستعمر.

كثير من النقاد شككوا في انتماء الرواية الجزائرية المكتوبة بلغة المستعمر بحجة استعمال اللغة الفرنسية، لكن هذا ليس مبرراً كافياً لصحتها في خانة الأدب الفرنسي وإحاطتها بكل هذه الهالة من التشكيك؛ هذا يعني أن الكتاب الفرنسيين المتواجدين بالجزائر والكتاب الجزائريين سواء؛ لأنهم في البيئة ذاتها ويكتبون بلغة واحدة؟ هذا غير ممكن، لأن الفرق واضح وجلي بينهما، وهذا الفرق يتمثل في الرؤية وأيديولوجية الكاتب وقوميته العربية وتناوله لقضايا المجتمع الجزائري بصدق؛ "فمن العيب بمكان ضرب هذه الانجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر خارج الحدود المحلية"13، أو اتهام الكتاب بالتقصير والانهمار بالحضارة الفرنسية، فحقيقة الانتماء "تكمن في ذات المبدع نفسه لا في اللغة التي يكتب بها؛ لأن الكتابة بلغة "الأخر" - حتى وإن كان هذا الأخير مستدمراً أو محتلاً ومغتصباً للأرض - ليس خطيئة تستوجب التوبة (...). إنه أدب جزائري الروح والتوجه والاهتمامات والانتماء والهوية"14.

وعلى العموم، فإن هذه الإشكالية اتخذت أبعاداً شتى ونالت حظها من الجدل على الساحة النقدية العربية والأجنبية سواء، و"بالرغم من لحظات اليأس التي كان يصاب بها الكتاب الجزائريون جراء هذا الموضوع والتي أسماها مالك حداد بـ: (اليأس الفني le desesper) (technique)"15، إلا أنه يقدم مبرراً شافياً على ذلك من وجهة نظره؛ إذ يعتبر الكتابة باللغة الفرنسية "ناتج عن مجرد ظرف تاريخي طارئ أوجده الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهو لا محال زائل مع الوقت لا سيما أن تبشير الاستقلال كانت في ذلك الوقت (1961)، ومن الطبيعي أن تستعيد اللغة العربية اللغة الرسمية للبلد مكانتها في كل المجالات الثقافية والفكرية، أما جيلنا نحن فلن يكون إلا حينئذ سوى جيل انتقالي"16، وعلى هذا الأساس فالرواية المكتوبة بالفرنسية هي نتاج

الاستعمار، كما أنها تعتبر أدبا انتقاليا نقيا يعبر عن هموم إنسانية ووطنية بصدق؛ يمثل مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر.

ثانيا: الطرح الأيديولوجي لرواية الدروب الوعرة لمولود فرعون (المضمون/ اللغة)

### 1- الطرح الأيديولوجي لمضمون رواية الدروب الوعرة:

صدرت الرواية المكتوبة بالفرنسية (الدروب الوعرة) (deschemins qui montent) لمولود فرعون سنة 1957م الصادرة عن دار النشر (le seuil) بفرنسا، والتي شرع في كتابتها سنة 1953، ترجمها إلى العربية (حنفي بن عيسى)، ولقد لاقت قبولا من طرف النقاد والجمهور، حيث ترجمت إلى لغات كثيرة منها العربية والروسية والألمانية، كما ترجم العنوان إلى مصطلحات مختلفة خاصة فيما يتعلق بـ (montent) ترجمت (الوعرة) تارة و(الشاقة) تارة أخرى وربما لفظة (الصاعدة) تارة ثالثة؛ كما جاء في الرواية على لسان البطل. "لقد وجدت نفسي أمام دروب وعرة، وما نحن في الواقع إلا قوم فقراء في بلاد فقيرة، واني لأتساءل: هل كُتِبَ علينا بالفعل أن نكون أشقياء في هذه الحياة"17.

تدور الأحداث الرئيسية فيما بين قريتي (آيت واضو) و(إيغيلزمان)، تتناول الظروف المعيشية الصعبة التي آل إليها الشعب الجزائري جراء الاستعمار الغاشم، لذلك جاء المضمون متماشيا مع العنوان تماما يقول على لسان البطل: "الدروب التي أسلكها، وسيسلكها الجميع دروب وعرة متصاعدة ونحن قوم فقراء في بلد فقير أشد الفقر"، ولعل المنطقة القبائلية النائية التي مسالكها خطيرة في الجبل جعلت الظروف صعبة جدا والوصول إليها أمر شاق، بالإضافة إلى العادات والتقاليد وتلك الثقافة التقليدية جعلت حياة الريفيين أشد قسوة، هذا ما أراد الكاتب اختصاره في عنوان روايته.

قدمت الرواية تصورا إثنوغرافيا متكاملا عن حياة المجتمع الجزائري بصورة صادقة، فكانت مفتاحا للعبور إلى خصوصية العناصر الثقافي والاجتماعية التي تحتكم إليها المنطقة وهي تحت وطأة الاستعمار، تناول الكاتب فيها مواضيع وقضايا كثيرة، فالبطلان في الرواية من فئات مختلفة البطل عامر ابن امرأة أجنبية يحب ذهبية الفتاة المسيحية التي تولى الآباء البيض تربيتها

وفق الدين المسيحي، لذلك ركزت الرواية على قضايا أهمها الزواج المختلط وأثره على الأبناء، وقضية العمال المهاجرين وقضية الفقر والطبقية في المجتمع والتبشير المسيحي في منطقة القبائل.

تبدو أحداث الرواية في أول الأمر كما لو كانت بعيدة عن رؤية أيديولوجية أو سياسية؛ لأن مضمونها يتناول موضوعًا عاطفيًا (قصة حب بين البطل عامر وذهبية) في منطقة القبائل الجرجرية، لذلك نتساءل لماذا تكلم في روايته (الدروب الوعرة) عن الحب والرومانسية ولم يتطرق لموضوع الثورة الجزائرية وحرب التحرير وسياسة المستعمر المستبد صراحةً، هل هذا أسلوبه الخاص؟ أم أنه تعمد أيديولوجية خاصة؟

إن الرواية هي دراما عاطفية في قرية قبائلية، حيث نجد فيها مثقفًا قرويًا يكتب مذكراته منعزلاً في قرية نائية من جبال جرجرة، في الوقت الذي كان يتحرك الشعب الجزائري فيه نحو الثورة، فهذه اليوميات يرجع تاريخها إلى الخمسينيات، سنوات اليقظة بالنسبة للجزائريين ونهاية صدام الحضارات، "هي مرحلة مخيفة من السكونية والتمزق، ومن نتيجة ذلك أن هرب كثير من الأدباء إلى اتجاهات سكونية هروبية تعتمد على النعمة الداخلية أكثر من اعتمادها على الفعل الثوري، وما هذا التيار الرومانتيكي إلا رد فعل على الأوضاع المزرية" 18، وفي هذه الفترة كان مولود فرعون ضائعاً وسط دوامة تفكيره المتضاربة بين فكرة الاندماج وبين فكرة الرفض والقطيعة للمستعمر، وبكل تأكيد انعكس هذا على شخوص روايته لذلك صوّر أبطاله (ذهبية وعامر) في حالة من الضياع والتهمان والبحث عن الحل للخلاص من هذا الصراع الداخلي والخارجي.

لا ضير من أن حالة الهدوء الموجودة في اليوميات على مستوى أحداث الرواية، تدفع إلى الحيرة والاستغراب، هي عبارة عن منولوج داخلي وظفه الروائي كتقنية سردية جديدة لتعرية الذات ومواجهة النفس، لمساءلة التاريخ وتحليل الواقع المأساوي الذي وصل إليه الفرد الجزائري؛ إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، ينبئ على بداية نضج الوعي، خاصة بعد مشاهدته لمجازر 08 ماي 1945، لينتقل إلى المرحلة الثانية وهو نشوء العاصفة (الثورة) التي تندد باقتلاع المستبد من جذوره.

إن الكتاب في فترة الخمسينيات لم يتمتعوا بالحرية الكاملة أو بانطلاقة الإبداع، فقد أجبرتهم الأوضاع السياسية على التحفظ في كتاباتهم وممارسة الرقابة الذاتية على أنفسهم، فتجنبوا مواضيع حساسة وحذفوا أجزاء أساسية لا عن قناعة كتضحية منهم، وموضوع الرومانسية ما هو إلا خطة ذكية لتغيير المستعمر لتقبل أعمالهم للنشر، يقول مولود معمرى: "كنت مضطراً للتعبير عن أفكارى بأسلوب غير مباشر واللجوء إلى الغموض أحياناً - وهذا أخطر وأعظم- إلى اختيار مواقف ما كنت اخترتها في إطار سياسي مختلف".<sup>19</sup>

وفي هذا الضوء، لا يمكن أن ننفي بأن (مولود فرعون) تأثر بالتيار الرومانسي كباقي الكتاب العرب، لأنه عاصر التيارات الجديدة في أوروبا متأثراً بالإنجازات الأدبية للمدرسة المهجرية وجماعة أبولو؛ حيث تبلور ذلك في رواياته، بتوصيفه لمقاطع سردية غرامية شكلت لوحات جميلة في رواية (الدروب الوعرة): "فتحت ذراعي فاقتربت مني وعانقتني وأسندت رأسها على كتفي، ثم أحسست بها قد اتكأت عليّ بجسدها كله، وتلاحقت أنفاسها قريباً من أذني فضممتها إلى صدري، إلا أن أهدابها الطويلة أخذت ترمش قليلاً ثم اصفر وجهها ودارت بها الأرض فغابت عن الوعي".<sup>20</sup>

لقد طُعمت رواية (الدروب الوعرة) بالتيار الرومانسي بالرغم من أنها واقعية بامتياز، إلا أن هذا لم يقلل من مصداقية حقائقها لأنه جزء من واقعها، فالكاتب لم يركز على الجوانب المظلمة فقط من حياة الجزائريين، بل تناول الجوانب المضيئة التي تدفعهم للحياة رغم قساوتها، فالحب والرومانسية في الطبيعة الجبلية القاسية موجود بين أفرادها رغم كل الدروب الصعبة؛ دروب الطبيعة ودروب الحياة، فهو شعب لا يرضى بالانتكاسة والتفوق؛ بل ينتفض ويناضل ويعيش الحياة بكل أشكالها من أجل سعادة الأجيال القادمة، فالرومانسية إذن هي بذور أملٍ ممكنة للاستمرار نحو واقع مشرق يستشرف الحرية لمواجهة المستعمر الذي لون حياتهم بالسواد حيث يقول: " فقد آن الأوان أن أسلك معك الطريق إلى أعالي الجبال وسيكون طريقنا وعراً كغيره من الطرق ولكنه طريق مجهول لا يعرفه أحد(...) ولكن سنظل نسير على دربنا ولن ندعوا أحدا لمرافقتنا وكل من سار على الدرب وصل"<sup>21</sup>، من هنا يكون مولود فرعون قد تجاوز الواقعية السوداوية التي لازمت كتاب اللغة الفرنسية لفترة طويلة.

## 2- الكتابة بلغة الأخر أيديولوجية:

قدّم مولود فرعون تصويراً إثنوغرافياً مفصلاً عن المجتمع الجزائري؛ حيث نجح بإدخال القارئ إلى البيوت القبائلية للتعرف على تفاصيل حياتهم البسيطة حفاظاً على مقومات الهوية الجزائرية، فهذا يعني أنه يعتز بانتمائه ويفتخر بترائه الأمازيغي الذي تحاول فرنسا جاهدة طمسه، مستخدماً الحرف الفرنسي كسلاح مشترك ليقول للمحتل: "أنا أناضل ضدكم بلغتكم ولأبعدكم عن (الدروب الوعرة) التي تعشق قبائلنا أن تعيش أجمل الأيام القبائلية فيها"<sup>22</sup>، إذن فالتزاح اللغوي والثنائية الثقافية ما هو إلا تصور أيديولوجي اعتمد عليه الكاتب في رواياته.

إن اعتماد الروائي على الجانب الإثنوغرافي توحى بالسداجة والسطحية وقصر الرؤية؛ هذا ما يراه المستعمر، لكن الكاتب الجزائري يحاول بث الروح الإنسانية فيه ليغير النظرة التي رسمها الكتاب الفرنسيون عن الجزائريين لفترة طويلة، "فالصورة التي قدمها المحتل عن الجزائري صورة مقبته بصفته إنساناً بدائياً متوحشاً تحكمه الغرائز والتزوات والذهنية الأسطورية. حيث سيطر المنظور الإثنوغرافي على كتابات الفرنسيين إذ حنطت هذه النظرة الإنسان الجزائري وأفرغته من ديناميته وفاعليته وإنسانيته وكينونته التاريخية، فلا يوجد فرق بينه وبين الأحجار والأشجار والحيوانات (...). توحى هذه الصورة بأنهم أمام جماعة بشرية بدائية معزولة في الزمان والمكان ومرشحة للانقراض لتدخل متحف التاريخ"<sup>23</sup>.

لقد تسللت هذه الصورة البشعة إلى كل المجتمعات والرأي العام وأسهمت بدورها في تشكيل واقع مأزوم من خلال قتلها الرمزي للهوية الجزائرية في ظل عنف التاريخ، فظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ذات البعد الإثنوغرافي كرواية ضدية لمواجهة الرواية الاستعمارية فكان الحرف الفرنسي الوسيلة المثلى لمخاطبة الأخر الأقوى بلغته من جهة، وللوصول إلى العالم ككل من جهة أخرى، مركزة في مضمونها على جوهر الإنسان الجزائري على قيمه الأخلاقية والاجتماعية، على حسه الجمالي والفني وعن طبيعته الخلافة وثقافته المتنوعة.. وهكذا وجد الروائيون أنفسهم في مواجهة الأخر، مواجهة المغالطات والتشوهات التي مست الهوية والمقدسات، لتغيير هذا المشهد وإعادة المجتمع الجزائري المهتمش لصيرورة التاريخ.

تجدر الإشارة، إلى أن أيديولوجية الكاتب يمكن لها أن تكون دينامية متحولة في حياته، كما هو واضح على المسار الفكري الذي عرف به مولود فرعون، (التعايش والاندماج)؛ لذلك عدّ صديقا لفرنسا التي تعتبره نموذجا للاندماجي المثالي والناجح؛ هذا ربما لغياب مسألة الثورة عن أعماله حتى تاريخ وفاته أو لعدم رفضه الوضعية الكولونيالية صراحة، هذا ما توحى به القراءة السطحية لأعماله لكن القراءة العميقة تبين بداية التحول الفكري له، حيث تضمنت رواية (الدروب الوعرة) موضوعا في غاية الأهمية هو صعوبة تحقيق التواصل بين ثقافتين مختلفتين أو استحالة التواصل بين شخصيات من ديانات مختلفة، وهذه الفكرة يمكن أن تفهم على أنها بداية التخلي عن الأيديولوجية المثالية السابقة وتبني أيديولوجية واقعية جديدة تتماشى مع الوضع المأساوي الراهن الذي فرضه المستعمر؛ هي الإيمان بالثورة والاستقلال.

لقد صرح مولود فرعون بضرورة الحرية كحل حتمي للخلاص من براثن الاستعمار وأغلاله في "روايته (اليوميات) التي نشرت بعد اغتياله يوم 15 مارس 1962" 24، ففي فيفري 1956 كتب لألبير كامو رسالة جاء فيها: "قل للفرنسيين إن هذا البلد ليس لهم" 25، وتتجلى أيديولوجيته النضالية أكثر في روايته الجديدة (مدينة الورد) التي نشرها أبنائه بعد وفاته، لتقضي على كل الشكوك التي كانت موجهة له حول علاقته بالثورة وقضية مولاته لفرنسا، معبرا عن رأيه صراحة بأن الاستقلال هو الخلاص النهائي للجزائر، ولهذا السبب اغتيل على يد منظمة الجيش السرية سنة 15 مارس 1962.

ثالثا: الصراع الأيديولوجي وتجلياته في رواية (الدروب الوعرة) لمولود فرعون.

ارتبطت رواية (الدروب الوعرة) بالواقع السياسي والتاريخي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، رصد فيها مولود فرعون مختلف التغيرات التي طرأت عليه مركزا على معاناته وبؤسه في فترة الاحتلال بأسلوبه الخاص، حيث رسم شخصيات روايته بدقة فنية وحملها البعد الأيديولوجي المناسب لها، لذلك تحول نصه (الدروب الوعرة) من لوحة إبداعية فنية إلى نص محمل بأيديولوجيات مختلفة؛ نص استوعب أفكار الكاتب ورؤيته إلى العالم.

## 1. الأيديولوجية البرغماتية:

وهو نظام فكري يقوم على مجموعة من الممارسات والأفكار المتصلة بالأفراد أو الجماعات أساسه المنفعة الشخصية المتوارية تحت ألقنة مختلفة والمتصلة بالزعة الفردية والأناية، وهي أيديولوجية تسعى لتحقيق أهدافها وغاياتها بكل الطرق، أما طريقة تشخيص الأيديولوجية البرغماتية في نص (الدروب الوعرة) جاء على أشكال مختلفة تناوبت بين الظهور والاختفاء حسب شخصيات الرواية وأحداثها والتي سنشرحها في الآتي:

## أ- أيديولوجية المستعمر:

أيديولوجية معروفة ومكشوفة للجميع، وهي بكل تأكيد برغماتية نفعية بالدرجة الأولى، قوية شرسة تسعى لتحقيق نفوذها بشتى الطرق والوسائل، مولود فرعون في متن روايته (الدروب الوعرة) لم يصححها مباشرة فهي أيديولوجية خفية يمكن للقارئ أن يستشفها من خلال عرضه لبعض النماذج السلطوية سواء على لسان السارد أو على لسان بعض الشخصيات التي عاشت هذه المواقف واستطاعت أن تكشف سياسة المستعمر الخفية.

لم يعتمد الاستعمار الفرنسي على الأسلحة العسكرية والوسائل المادية فقط في سعيه لاحتلال الجزائر، بل كان أكثر النماذج الاستعمارية في العالم تطرفا وتركيزا على الجوانب الاجتماعية والثقافية والعقائدية، من خلال تهديمه كافة البنى الدينية والأيديولوجية المكونة للمجتمع الجزائري واستبدالها ببنى أخرى من صنعه، ظهر ذلك جليا في الرواية بتنشيط الإدارة الفرنسية أجهزة دبلوماسية من الطبقة الثرية الجزائرية لتكون عيونها المنتشرة في كل شبر من أرض الوطن، فهذه الفئة هي الواسطة بين الإدارة الفرنسية والشعب.

يقف عامر بطل الرواية مستنكرا أمام سياسة فرنسا الماكرة باستغلال الطبقة الموالية لها التي تعدهم بالأموال والمناصب وفي القت نفسه تعطي حق الحرية والديمقراطية لسكان المنطقة باختيار من يمثلها في الانتخابات البلدية، لكن سرعان ما تتغير القائمة والأسماء ويضعون الشخص المناسب لهم في المكان المناسب لغيرهم، إذ يقول عن هذه الحادثة: "فإن هي إلا أيام حتى أدركنا أن الأسماء وحدها تتغير، وأن الذين يتناوبون عن الحكم أصبحوا عملاء للاستعمار

وجواسيس يتصرف فيهم الحاكم كما يشاء، (...) وقد تسلط على عباد الله وأعمل فيهم يد القمع والإرهاب" 26، فالطبقة الموالية هي من سكان المنطقة وتشاركهم الأرض والعرقو الدين لكن تختلف معهم في المصالح الفردية، وهي كما تبدو في الظاهر أنها تعمل من أجل مصلحة أبناء الوطن وتبنى معهم نفس الأيديولوجية، لكنها في الحقيقة لا تملك أدنى سلطة أو قوة لتغيير الأوضاع لأن أيديولوجيتها تابعة لأيديولوجية المستعمر، لكونها في الأصل تستمد قوتها وصفاتها ومبادئها منها، فهي بمثابة الأيديولوجية البرغماتية الأم لها، وهذه الأيديولوجية الأخيرة سنجدها متغلغلة في كامل النص وتؤثر في الأيديولوجيات الأخرى (الدينية والاجتماعية) بطريقة أو بأخرى.

#### ب- أيديولوجية الفئة الموالية لفرنسا:

إن المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري لا تنحصر في ظلم واستبداد المستعمر له فقط؛ بل نجد الطبقة الموالية لفرنسا هي الأخرى أسهمت في هذه المأساة، فهي بمثابة الطبقة البرجوازية الصغيرة في المجتمع القروي، تبنى أيديولوجية برغماتية نفعية لكنها أقل حدة من الأولى، تمثلها في الرواية طبقة الأعيان من قرية (إيغيل نزمان) تجسدت في الشخصيات الآتية: (شيخ البلدية، مقران، الناطور، صاحب اللحى الطويلة، عرش آيت سلمان وآيت العربي وحمروش).

الملاحظ أن الكاتب لم يصح مباشرة بالتوجه السياسي والفكري لهذه الفئة في المتن، وإنما يمكن بالقراءة العميقة اكتشاف ميولها وأغراضها، هدفها الأول هو ارضاء السلطات الفرنسية لتحقيق مآربها الفردية أو الفئوية، أما هدفها الثاني استغلال الفئة الضعيفة وإقصاؤها؛ هذا الإقصاء الذي يبدأ من أبسط تجليات الحياة المادية والمعنوية، مستعملة السلطة كوسيلة للاضطهاد والسيطرة، وعليه هذا الانقسام أنتج طبقتين في المجتمع حسب الولاء والعداء لفرنسا: الطبقة الأولى قوية مؤثرة وهي غنية نافذة، والثانية طبقة ضعيفة مستضعفة وهي الفقيرة المحرومة، مما نتج عن ذلك شرخا في البنية التحتية للمجتمع الجزائري.

ولعل أهم ركائز الفئة البراغمتية هو افتقارها للبعد الأخلاقي بحكم ارتباطها بسياسية المستعمر وخير من مثل هذه الأيديولوجية "شيخ البلدية"، الذي استغل منصبه لأغراضه الشخصية على الطبقة المحرومة، فالنساء الفقيرات يقمن بأعمال مهينة كخدمات عندهم؛ من

أجل لقمة العيش كجلب الماء أو جني الزيتون،" بدأت أمها مالحة تشتغل عند أهله من بيت آيت سلمان، وتسقيم كل يوم من العين ماءً" 27، هذه هي صورة المرأة المكافحة من أجل البقاء، فالفقر والحرمان والبطالة صور حقيقية لقرية (إيغيل نزمان) التي دمرها المستعمر وفرّق بين أهلها، فسياسة العنف والظلم التي طبقها الاستعمار ولّدت الكراهية والقسوة بين أفراد الشعب الواحد، مما جعل الفئة المولوية للمستعمر مضطربة في سلوكها وأفعالها جراء ضياعها الفكري والقومي، وما هذه إلا أيديولوجية برغماتية مصغرة تكشف نوايا فرنسا الحقيرة وأيديولوجيتها البرغماتية الشرسة.

### ج- الأيديولوجية المائعة / اللاأيديولوجية:

هذه أيديولوجية تندرج تحت الأيديولوجية البرغماتية الصغرى المذكورة سابقا، غير أنها تختلف معها بأنها واضحة في أهدافها النفعية، لا يهملها نظرة المجتمع لها، لا تمتلك أي مبادئ وأسس أخلاقية؛ هي فئة أنانية تسعى إلى تحقق مصالحها الشخصية بكل الطرق، حيث أن " الأيديولوجية النفعية تؤسس نظامها القيمي وفق تركيب منهجي، يعتمد فلسفة تتغير بتغير المواقف والمصلحة" 28، فعائلة (آيت سلمان) مثلاً، هي من الفئة البرجوازية الصغيرة التي لا تمتلك أي أيديولوجية، بل هي مائعة تتحول حسب مصالحها الخاصة، يقول الراوي على لسان عامر " فمنهم من يتعاطى السرقة ليلاً ومنهم شهود زور ومنهم جواسيس" 29، ويضيف مستنكراً من فعل مقران عندما وشى به إلى السلطات: "الجاسوس العميل وشى بنا للسلطات بسبب الشغب الذي نقوم به واضطراب الحال، وعلى إثر تلك الوشاية نفت السلطات اثنين منا إلى الصحراء..، أما أنا فقد غضب عليّ الحاكم الفرنسي غضباً شديداً فنجوت من المنفى إلى مدينة بشار" 30، المثال السابق يوضح جانبا مهما من أيديولوجية المستعمر الذي يسعى إلى وضع جواسيس من أفراد المجتمع الواحد لمراقبة كل صغيرة وكبيرة في المجتمع الجزائري، وفي الأخير لا يمكننا أن ننكر بأن الفئة البرغماتية الجزائرية في قرية (إيغيل نزمان) قد خدمت المشروع الاستعماري بكل اخلاص وتفانٍ.

## 2. الأيديولوجية الاجتماعية بين المحافظة والتقليد :

## أ- الملمح الإثنوغرافي في رواية الدروب الوعرة:

لقد صور مولود فرعون في روايته (الدروب الوعرة) واقعا اجتماعيا ارتبط ارتباطا وثيقا بالعادات والتقاليد، ورسم بعمق المجتمع القبائلي ووصف بإسهاب تفاصيل حياته اليومية التي تميزه عن غيرهم، وهي في الوقت نفسه تمثل العالم النموذجي للمجتمع القبائلي الريفي؛ حيث ركز على المعالم الجغرافية وصراع الفرد مع الطبيعة، فقرية (إيغيل نزمان) تقع في أعالي الجبال الجرجرية ووسط الأشجار والأحراش الكثيفة؛ وهي لفظة ذات دلالة ومعنى، ف(إيغيل) تعني الجبل و(نزمان) تعني قديم جدًا، مما جعل دروبها صعبة والوصول إليها شاق.

يقدم الكاتب وصفا طبوغرافيا دقيقا لهذه الطبيعة في مقاطع توصيفية طويلة يمكن للقارئ تخيلها: "جبال جرجرة كتلة متراصة ثابتة الأركان قممها المكسوة بالثلوج المحفوفة بالضباب تختفي هناك في عنان السماء إنها أسوار منيعة تفصلنا عن الدنيا وما فيها"<sup>31</sup>، من هذا المنطلق تأسس مجتمع (إيغيل نزمان) على الانغلاق والمحافظة وبقي حيًا داخل ميراث ثقافي تقليدي سائد لوقت طويل رغم محاولات فرنسا الكثيرة لاختراق وهدم هذا الفضاء الفكري والثقافي، ورواية (الدروب الوعرة) راحت تشق عباب الأحداث في تأن لترصد هذا العالم المليء بالسحر والجمال من جهة، والقهر والبؤس من جهة أخرى، وفي هذا المستوى من الدراسة سنتطرق لأهم التجليات التراثية المادية والمعنوية في متن الرواية والتي تعكس بدورها أيديولوجية المجتمع المحافظة.

اتكأ مولود فرعون على التراث الأمازيغي في الجزائر؛ الذي اعتبره جزءًا أساسيًا في تكوين الهوية القبائلية، إذ يعدّ اللباس معلمًا من معالم ثقافة أي شعب متمسك بأصالته، ففي رواية (الدروب الوعرة) كان للباس دور مميز في تقييم أصالة الفرد الجزائري في قرية (إيغيل نزمان)، يصف لنا (مولود فرعون) المرأة (ويزة) في مظهرها الجميل عندما كان خطيبها مقران يراقبها: "وأبصر ويزة تسبق البنات في ثوبها الناصع البياض، وقد وضعت على رأسها محرمة صفراء، وتمنطقت بفوطة من الحرير الأحمر كأنها الجبة الضيقة"<sup>32</sup>، فاللباس القبائلي: (المحرمة، الجبة،

الفاطمة) يعود إلى التراث الأمازيغي، ترتديه المرأة في الأيام العادية، وعمد مولود فرعون إلى توظيف الألفاظ المحلية ليعبر عن عمق وأصالة الفرد الجزائري.

الرجل القبائلي أيضا لا يمكن أن يستغنى عن برنوسه في كل المناسبات، لأن له ميزة خاصة لدى المجتمع الجزائري؛ إذ يرمز للرجولة والشهامة، يقدم (مولود فرعون) توصيفا دالاً على ذلك: "و قد ارتدى بمناسبة زيارته إلى السوق عباءة بيضاء فوق صدرة سوداء، ووضع برنوسه على كتفه" 33، يدل هذا الزي على الهيبة والوقار ومفخرة للرجال خاصة أيام الثورة.

ضف إلى ذلك، تعتبر الأكلات الشعبية إحدى روافد الهوية والتراث، التي كانت حاضرة في متن الرواية، والمعبرة عن الأصالة الجزائرية، إذ يتلذذ أفراد منطقة القبائل بالطبق الرئيس (الكسكسي)؛ رمز الكرم وحسن الضيافة، وخير مثال عن ذلك ضيافة نانا مالحة لعامر في بيتها، يقول في يومياته متلذذاً: "كان صحن الكسكسي محطوطاً فوق القصعة الخشبية الكبرى المقلوبة على الأرض" 34، لذلك كان أهم تقليد استوجب المحافظة عليه ونقله للأجيال بتعليم الفتيات فتل الدقيق "رجعت نانة مالحة من الحقل وتطلعت في حزن إلى ابنتها التي كانت منهمة في فتل الدقيق من الشعير في قصعة كبيرة" 35، زد على ذلك أكلات أخرى كالبركوكس والكسرة والسفنج، وكما يبدو أيضا أن المجتمع القبائلي مازال متمسكاً بإرثه التقليدي من خلال استعماله للأواني الخشبية والفخارية كالقصعة والكسكاس والرحى الحجرية؛ التي كانت النساء تحترفن صناعتها يدويا في تلك الفترة.

برزت ظاهرة اجتماعية أخرى منتشرة عندهم في الأعراس والمناسبات، هي تجمع أهل القرية لحضور مأدبة الأكل في مراسم الزفاف، فيسرد لنا الراوي زفاف مقرر: "وكانت الدعوة عامة، وتناول الفقراء والمساكين الطعام ووزع منه على من تعذر عليه الحضور من الأراذل، وأقيمت كذلك حفلة غداء فاخرة لأكابر القرية وشيوخها، وتواصلت حفلة النساء طوال الليل وسمح لهن بالغناء والرقص" 36.

أما قضية شرف المرأة وفحولة الرجل عنصر أساس في المجتمع القبائلي، حيث يتجمع الشباب لانتظار صديقهم ليلة زفافه ليثبت رجولته، وينتظرون طلق البارود، ثم يتم تقديم

الاسفنج والبيض لهم كفأل خير للشباب "إن تقديم الاسفنج والبيض للرفاق العزاب من أهم الواجبات على المتزوجين فهؤلاء بإمكانهم أن يمتطروا سقف داره بالأحجار، كما تقضي بذلك عادة متوارثة من القديم" 37، هذه العادات ساذجة وبسيطة لكنها أسهمت في التحام وتماسك المجتمع.

#### ب- الصراع الأيديولوجي بين البنى الاجتماعية:

حاول مولود فرعون جاهدا التوغل أكثر في المجتمع بإعطاء صورة حقيقية عن المرأة القبائلية ومآساتها، فهي مضطهدة من طرف أفراد أسرتها أو من طرف أفراد الطبقة الثرية، فحياتها عموما لا تخلو من العناء والشقاء، حيث تقوم بالأعمال الشاقة مثلها مثل الرجل كجلب الماء وحمل الحطب وجني الزيتون في حقل شيخ البلدية يؤكد الراوي ذلك: "رجعت نانا مالحة من الحقل ورمت على ظهرها أمام عتبة الباب حزمة صغيرة من الحطب" 38.

تناول الروائي موضوع الزواج في المجتمع الذكوري، فالمرأة في المجتمع القبائلي لا تتزوج بمن تحب، وإنما تتزوج من الذي يخدم مصالح أسرتها، والمرأة الفقيرة لا تتزوج إلا فقيرا معدما أو تبقى عانسًا، أما المرأة الشابة في عرفهم إذا مات زوجها بقيت أرملًا طوال حياتها راضية بقدرها المشؤوم، ويمكن للزوجة إذا أخطأت أن تُطرد إلى بيت أهلها وتبقى على هذه الحالة معلقة دون طلاق أو رجوع لسنوات عديدة، وبهذا يكون التواجد الفرنسي في الجزائر قد أنعش المشكلات الاجتماعية التافهة وأسهم في تفكك الأسر الجزائرية.

وفي هذا الصدد، عالجت الرواية ظاهرة في قمة الأهمية وهي هجرة الشباب جراء الوضع المأساوي، من خلال رسم المستعمر صورة مثالية عن الحضارة الأوروبية، حضارة الأحلام والآمال، لذلك أصبح الشباب الجزائري يفكر في الهروب من أرضه لتحسين المستوى المعيشي، جاء في الرواية: "نحن نعرف أنكم تغادرون بلاد الجوع وتذهبون إلى جنة الدنيا، ولكنكم ستظلون في تلك الجنة غرباء وتضطرون للعودة إلى جحيم بلادكم" 39، ومن جهة أخرى شكّل موضوع الهجرة بؤرة خلاف في أحداث الرواية، الذي أنتج صرعا حادا بين جيلين؛ جيل الشيوخ وجيل الشباب، فالأول متمسك بعاداته وأرض أجداده، أما الثاني يحمل أفكارًا تقدمية تميل إلى التغيير والتجديد يقول الراوي "و ذات يوم يحصل بين هؤلاء الشباب وبين الشيوخ سوء تفاهم، فيكرهون البلاد ولا

يفكرون إلا في الخروج منها، وقد تجد منهم من يرغم نفسه على البقاء في أرض الأجداد.<sup>40</sup> ، علي ما يبدو أن سياسة فرنسا انعكست على العادات والتقاليد والأعراف السائدة بالسلب في المجتمع، حيث أصبحت الأسر الجزائرية تعاني من الصعوبات والتهميش والبطالة وانخفاض مستوى المعيشة، مما زاد حدة الصراع بين الأفراد والأسر في القرية الواحدة .

### ج- الأيديولوجيات الدخيلة عن المجتمع القبائلي:

أنزل المستعمر الفرنسي حرباً أخرى أشد فتكاً من السلاح وهي الاستعمار الفكري والثقافي لطمس معالم الهوية الوطنية بكل أشكالها من خلال محاولة محوه بعض العادات العريقة بين الأفراد واستبدالها بأخرى، ومن العادات الدخيلة في قرية (ايغيل نزمان)، عادات الزواج فأهل العروسة يدفعون المهر بدل أهل العريس" إن أهل العروسة هم الذين يدفعون تكاليف جهاز البنت"41، ومن العادات الأخرى التي أصبحت جزءاً من عاداتهم ويحافظون عليها فكرة زيارة العروس لبيت خطيبها وأخذ الهدايا لهم " فقد أصبح لزاماً عليهم بعد إعلان الخطوبة زيارة أسرة الخطيب لتقديم التهاني"42.

لا ضير من أن هذه بدع جديدة في المجتمع الجزائري تحط من كرامة ومبادئ الأسر الجزائرية خاصة الفقيرة منها وتخالف الشريعة الإسلامية، زد أنها تزرع التفرقة بين العائلات الغنية والفقيرة، فقيمة الأسرة ومكانتها مربوطة بقيمة ما تملكه، وفي هذا السياق تقول (ويزة) عن خطيبها مقران: " وجهه لا يروقني (...). ولا تنسي يا عزيزتي أن أهله أغنياء فلهم بقرة بضعة ثيران وكثيراً من أشجار الزيتون ودار كبيرة"43، يبدو أن البنية التحتية للمجتمع بدأت بالتفكك والضياع جراء دخول عادات غربية جديدة أثرت على العادات الأصيلة، ولا شك أن هذا هو المطمع الأساس الذي تصبو إليه السياسة الاستدمارية.

الواضح أن مولود فرعون صوّر الواقع الجزائري بعمق؛ استنبط روحه من المعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، مبينا خصائص وسمات تركيبة المجتمع القبائلي، الذي ظل متمسكا بعاداته وتقاليدته معتزاً بأصوله ودينه؛ وهي أيديولوجية محافظة متجذرة منذ القدم في تاريخه البربري كاللباس والمأكّل والمناسبات وغيرها، كما أعطى صورة حقيقية عن حياة

المراة القبائلية المتحفظة الحريصة على شرفها رغم كل الظروف القاهرة، وبهذا يكون الروائي قد قدّم لنا شريطاً وثائقياً عن يوميات الفرد القبائلي من شروق الشمس إلى غروبها وهو يصارع الأمرين؛ الطبيعة الجبلية القاسية والمستعمر المتوحش، للحفاظ على أيديولوجيته من الأيديولوجية الدخيلة.

### 3. الأيديولوجية الدينية:

إن هدف الاستعمار الأول هو القضاء على الدين الإسلامي بإخراج المجتمع الجزائري من دينه، حيث أدرك جيدا أنه لا يمكن إخضاع هذا الشعب إلا بالإبادة الروحية والعقائدية لهذا الدين من نفوس الجزائريين، فالمنظومة الأيديولوجية الاستعمارية تقر بمشروعية وجود مثل هذه الأنظمة الدينية؛ قد خطت لها من قبل ذلك بكثير، لذلك اتخذت عدة طرق منها التنصير وتشجيع عمليات التبشير؛ بإغراء وارغام الشعب اعتناق المسيحية لضمان حياة أفضل، وهذا واضح في الرواية: "انظروا إلى الراهبات وإلى الآباء البيض وما يقومون به من أعمال البر والإحسان، وما يقدمونه من خدمات لأمثالكم من الجاحدين بالنعمة، ثم قارنوا بينهم وبين الشرفاء والمرابطين الذين تدينون لهم بالولاء" 44، وعليه ظهرت مشكلة الهوية في شكل صراع بين نظرتين مختلفتين، نظرة عروبية إسلامية ونظرة أخرى تبحث عن هوية جديدة (مسيحية).

يشير مولود فرعون إلى هذه الظاهرة التي انتشرت كثيراً في بلاد القبائل ومدي خطورتها على الهوية الإسلامية، فالغزاة اصطحبوا معهم رجال الدين الذين قاموا بدور بارز في التحضير لعملية الاستيطان في الجزائر بتشجيع مادي ومعنوي من السلطات الفرنسية، فالدين المسيحي هو المهرب المثالي للفقراء الجزائريين للخروج من المأساة التي يعيشونها، وهي الملاذ الوحيد لتحقيق أحلامهم البسيطة، يقول في الرواية: "جميع الناس في آيتأضيو مياون للحكومة - إذ أنهم بمساعدة الآباء البيض - يحصلون دائماً على وظيفة(..) فإذا أنهوا الخدمة العسكرية وأحيلوا على التقاعد، عادوا إلى قريتهم ليحصلوا على أعمال مخصصة لهم، فيكون منهم القهواجي أو الناطور أو الدركي" 45، وبالفعل قد أثرت هذه الحركات التمساحية على بعض أفراد قرية (إيغيل نزمان) وارتدت عائلات

كثيرة عن الدين الإسلامي، وهم أصحاب الأيديولوجية الدينية المتحولة، لأن إيمانهم بالعقيدة ضعيف أمام الإغراء بالمال والنفوذ.

أما ردة فعل المسلمين يعتبرون الخروج عن الاسلام خيانة وعار " ونحن أبناء آيت العربي نعتبر أن الخروج عن الدين الإسلامي وصمة عار" 46، ومازالت الأغلبية في قرية (إيغيل نزمان) يقومون بعباداتهم المفروضة من: شهادة، صوم، صلاة وصدقة، يقول الراوي: "لم يكن يردد شهادة (لا إله إلا الله) إلا حملة العنش" 47، كما ويؤمنون أيضا بالقضاء والقدر المكتوب، ويستنكرون من سياسة التبشير التي بمقتضاها تم هدم المساجد والزوايا وبناء الكنائس والدور، ويتجنبون الصلاة على الكافر، حيث حاول مقران أن ينتقد الشيوخ عندما صلوا على أم عامر (مدام) رغم اعتناقها الإسلام فيقول عامر " صلاة الجنازة لا تجوز على أمي، لأنها رومية وأنا أيضاً رومي، وأن شيوخ المرابطين أخطأوا حينما حضروا في الجنازة، واستنكر هذه البادرة واعتبرها عاراً" 48.

زد على ذلك، ظل الصراع الأيديولوجي الديني في الرواية منحصرًا بين طرفين؛ الأول إسلامي يمثلته مقران وعائلته والطرف الثاني التيار الشيوعي المساند للتيار الوطني ويمثله عامر لكنه انحل بعد ذلك، يقول عامر: "لو لا تعصبه، لعرف أن وطننا واحد. وأن إلهنا واحد (...). فلهنا وحده بالدين والدنيا، وعندما ألقنا الخلية الشيوعية رفض الانضمام إلينا لأن الشيوعيون في نظرهم مسيحيون" 49، فشخصية عامر كما وصفها الكاتب تقدمية تنزع إلى التغيير والتجديد بينما مقران شخصية محافظة متمسكة بعباداتها وعرف قريتها، وعلى هذا الأساس رفض الإسلاميون التيار الشيوعي واعتبروه دخيلاً عنهم.

وفي السياق ذاته نجد الروائي يقدم صورة لرجال الدين، فيصور المقدس المبطن بالمدنس، حيث استطاعت شخصية الشيخ سعيد آيت سلمان أن تجمع بين المتناقضات فهو يدعي التمسك بالدين من جهة ونجده يرتشي ويكذب ويفعل أي شيء لخدمة مصلحته الشخصية من جهة أخرى، وهي في الحقيقة مظاهر النفاق الأخلاقي والاجتماعي واضطراب القيم الحاصل في طبيعة الأيديولوجيا النفعية، يقول عنه الراوي " سعيد آيت سلمان شيخ يتظاهر بالورع والتقوى ويناديه جميع الناس بابا سعيد احتراماً له، ويعتبر في القرية رجلاً حنكته الأيام (...).ومن المعروف عنه أنه

رجل الوفاء بالعهد، ولم يكتف خلال حياته الطويلة بالدسائس ونكث العهود"50، ومرد هذه التصرفات الأنانية وانعدام الصدق مع الذات، وهذا وجه آخر للايديولوجية البرغماتية لكنها مقنعة وأشد خطورة لأنها تختفي وراء الدين.

فمن خلال هذه الأمثلة نجد أن الكاتب لأمس المظاهر البارزة للتراث الشعبي بإيجابياته وسلبياته في البيئة الاجتماعية الجزائرية كأيديولوجية محافظة التي لها علاقة مباشرة بالأيديولوجية الدينية لتظهر في المقابل أيديولوجية المستعمر التي تحاول إقصاء وتقليل من حجم الأيديولوجيات الأصل.

#### خاتمة:

يعتبر الروائي الجزائري (مولود فرعون) من الكتاب الذين تكلموا عن الشخصية الجزائرية بكل تمظهراتها، وتناولوا بالوصف الدقيق والعميق الطبقات الاجتماعية وتفاعلها مع بعضها بعض ومع الطرف "الأخر"، مما يؤكد الاحترافية التي بلغها (مولود فرعون) على مستوى قدراته الفنية والجمالية، متخذاً من الحرف الفرنسي وسيلة لنقل مأساة وهموم وطنه ولمناهضة الاستعمار وسياسته، هكذا تمكنت رواية (الدروب الوعرة) من تجسيد الصراع الأيديولوجي القائم بين أطراف وجماعات مختلفة في مرحلة ما قبل الاستقلال من تاريخ الجزائر.

وأخيراً، يمكن القول أن صورة الشخصية الجزائرية حاضرة في الرواية المكتوبة بالفرنسية بقوة؛ حيث كانت أرض الجزائر مصدر إلهام وإبداع للكاتب، لأن وعي الكاتب بما يحدث في الواقع المعيش ومعايشته له في فترة الاحتلال الفرنسي مكنه من رصد الأحداث بكل تناقضاتها بصدق، فلم يكن (مولود فرعون) يملك إلا اللغة الأدبية للتعبير عن وجعه ووجع كل الجزائريين، ولقد كان ينتظر بشغف سطوع شمس الحرية على بلاده، إذ يعدّ مثلاً نموذجياً لجيله؛ جمع فعلاً بين (عالمين وثقافتين) ومثالاً للمبدع المخلص؛ استطاع أن يثبت أنه يمتلك القدرة على تأسيس شكل روائي مكتمل التخطيط والبناء يدفع القراء للميول له على المستوى الإنساني وكذا الأدبي.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1/ عمار بلحسن: الرواية والأيديولوجيا، نشر وتوزيع مراكش، المغرب، ط2، 2016.
- 2/ محمد قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة العربية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1991.
- 3/ عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1982.
- 4/ أحمد منور: الأدب الجزائريّ باللّسان الفرنسيّ (شأته وتطوّره وقضاياها)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2007.
- 5/ بوبكر عبد السلام، جلال خشاب: الكتابة السردية بلغة الآخر، هل هي خطيئة في حق الهوية؟ مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، مجلد8، ع4، 2019.
- 6/ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986.
- 7/ نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، منشورات المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد07، 2011.
- 8/ مولود فرعون: الدروب الوعرة، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 1990.
- 9/ أحمد ابراهيم الشريف: مولود فرعون...الجزائري الرمز في ذكرى استشهاده، اليوم السابع (الأحد 15 مارس 2020)، (<https://www.youm7.com/story>).
- 10/ الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمّة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد2، 2010.
- 11/ حنان بن موسى: مولود فرعون وتحولاته..من الاندماج الذكي إلى الإيمان بالثورة، جزايرس، نشر في الجزائر نيوز يوم (2011-03-21)، (<https://www.djazairnews.com/djazairnews>).
- 12/ عمر عيلان: الأيديولوجيا وبنية النص الروائي، دراسة سوسيوثقافية، في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2001.

## الهوامش:

- <sup>1</sup> عمار بلحسن: الرواية والأيديولوجيا، نشر وتوزيع مراكش، المغرب، ط2، 2016، ص43.
- <sup>2</sup> محمد قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة العربية العامة للكتاب، مصر، ط1، 1991، ص104، ص105.
- <sup>3</sup> عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1982، ص60.
- <sup>4</sup> ينظر: أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (شأته وتطوره وقضاياها)، ديوان المطبوعات، الجامعية، الجزائر، دط، 2007 م، ص98.
- <sup>5</sup> بوبكر عبد السلام، جلال خشاب: الكتابة السردية بلغة الآخر، هل هي خطيئة في حق الهوية؟ مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي تامنغست، الجزائر، مجلد8، ع2019، ص4، ص130.
- <sup>6</sup> ينظر، عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص72.
- <sup>7</sup> واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986، ص76، ص77.
- <sup>8</sup> ينظر، أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياها)، ص109.
- <sup>9</sup> المرجع نفسه، ص108.
- <sup>10</sup> عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ص25.
- <sup>11</sup> أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص134.
- <sup>12</sup> نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، منشورات المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد07، 2011، ص222.
- <sup>13</sup> واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص71.
- <sup>14</sup> بوبكر عبد السلام، جلال خشاب: الكتابة السردية بلغة الآخر، ص137.
- <sup>15</sup> ينظر، واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص72.
- <sup>16</sup> أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص160.
- <sup>17</sup> مولود فرعون: الدروب الوعرة، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط5، 1990، ص263.
- <sup>18</sup> ينظر، واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص66.
- <sup>19</sup> عايدة بامية أديب: تطور الأدب القصصي في الجزائر، ص55.
- <sup>20</sup> الرواية، ص247.
- <sup>21</sup> الرواية، ص272.
- <sup>22</sup> أحمد ابراهيم الشريف: مولود فرعون. الجزائري الرمز في ذكرى استشهاده، اليوم السابع (الأحد 15 مارس 2020)، (<https://www.youm7.com/story>)، يوم الاطلاع: 15 سبتمبر 2023.

- <sup>23</sup> الطيب بودربالة، صورة الجزائر في الرواية الفرنسية، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة حمه لخضر، الوادي، العدد2، 2010، ص8.
- <sup>24</sup> حنان بنموسى: مولود فرعون وتحولاته.. من الاندماج الذكي إلى الإيمان بالثورة، جزايرس، نشر في الجزائر نيوز يوم(2011-03-21)، <https://www.djazairnews.com/djazairnews/>، تاريخ الاطلاع:10 سبتمبر2023.
- <sup>25</sup> الموقع نفسه.
- <sup>26</sup> الرواية، ص 164.
- <sup>27</sup> الرواية، ص 72.
- <sup>28</sup> عمر عيلان: الأيديولوجيا وبنية النص الروائي، دراسة سوسيو بنائية. في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2001، ص 83.
- <sup>29</sup> الرواية، ص 217.
- <sup>30</sup> الرواية، ص 228، ص 229.
- <sup>31</sup> الرواية، ص 236.
- <sup>32</sup> الرواية، ص 95.
- <sup>33</sup> الرواية، ص 81.
- <sup>34</sup> الرواية، ص 193.
- <sup>35</sup> الرواية، ص 81.
- <sup>36</sup> الرواية، ص 101.
- <sup>37</sup> الرواية، ص 102.
- <sup>38</sup> الرواية، ص 81.
- <sup>39</sup> الرواية، ص 236.
- <sup>40</sup> الرواية، ص 64.
- <sup>41</sup> الرواية، ص 59.
- <sup>42</sup> الرواية، ص 59.
- <sup>43</sup> الرواية، ص 89.
- <sup>44</sup> الرواية، ص 26.
- <sup>45</sup> الرواية، ص 28، ص 29.
- <sup>46</sup> الرواية، ص 180.
- <sup>47</sup> الرواية، ص 134.
- <sup>48</sup> الرواية، ص 167.
- <sup>49</sup> الرواية، ص 218.
- <sup>50</sup> الرواية، ص 50.

الشاعر الربيع بوشامة: المصلح، المبدع، الشهيد.

The poet Rabie Bouchama; reformer, creator, martyr

د. لبنى خشة – أستاذ محاضراً

قسم اللغة العربية – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)

khecha\_loubna@yahoo.fr

الملخص:

كانت الثورة الجزائرية ثورة ملهمة للشعر والشعراء، ظهرت أسماء بارزة واكبت مسارها تجمع بين النضال المزدوج بالقلم والسلاح، وفي مقابل ذلك ظهرت أسماء أخرى لا نعرف عن شعرها غير القليل، لذلك تهدف هذه الدراسة للتعريف بالشاعر الشهيد (الربيع بوشامة) والبحث في سيرته وابداعه، من خلال دراسة شعره دراسة موضوعاتية إحصائية لتحديد أولاً مواضيعه، ثم الوقوف على شعره النضالي الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين، وتتبع مراحل نضاله حتى استشهاده حاملاً لقضية الكفاح الثوري.

الكلمات المفتاحية: الربيع بوشامة؛ الإصلاح؛ الإبداع؛ الثورة؛ الشهادة.

#### Abstract:

The Algerian revolution was an inspiring revolution for poetry and poets. Prominent names emerged and followed its course combining the double struggle with pen and weapon. In contrast, other names that we do not know about her poetry have emerged, so this study aims to introduce the martyred poet Rabie Bouchama, and research in his biography and creativity, by studying his poetry statistically thematic study to determine first his subjects, and then see his reformist struggle poetry in the Muslim Scholars Association, tracking the stages of his struggle until his martyrdom bearing the cause of revolutionary struggle.

**key words:** Rabie Bouchama; reform; creativity; revolution; martyrdom.

## المقدمة:

يستوقفنا الحنين، والتاريخ، والذكرى، ونحن نقرأ الأحداث والعبارة...ودمًا خلد الأسماء، وأشعارا حفظناها عن الأرض، وقد كبرت مسامعنا تردد شاعر الثورة... وتعددت الأقلام التي تكتب الشعر، شعرا وطنيا يتغنى فخرا واعتزازا، ويجسد الحماس والجهد والتضحية، لكن أقلاما اقترنت اسمها منذ مهاد الكفاح بتوليفة فخمة للتعبير عن امتداد الدم والشهادة، وحمل النضال مع فيض مساره أسماء أخرى، غيبتها واجهة الرؤية، بل حتى أننا لا نعرف عنها غير النزر القليل، الذي لا يُشبع نهم الباحث، ولا يروي عطش الأوراق ...

ثم إنّ الثورة الجزائرية بكل أحداثها، كانت ملهمة للأدب -جزائريا أو عربيا- حتى أن هذا الإلهام لم يعد شيئاً يحتاج إلى تأكيد أو برهنة، كون هذه العلاقة الممتدة كانت ولا تزال عروة وثقى، يمتزج فيها الكاتب الجزائري وحروفه بالأرض روحاً ودمًا، سخر قلمه معولاً، لتزهر من ذاته أجمل ما تحمله الكلمة، كما سخره سلاحاً ليدافع عن هذه الأرض حبا واعترافا بانتمائه، ومن الأسماء الشعرية التي استحقت أن نقف عند مسارها النضالي والشعري على حد سواء، الشاعر الربيع بوشامة\*، الشاعر الشهيد الذي تشعب مساره، ليكتب اسمه على صفحة التاريخ مناضلا شهيدا، مستشرفا بمستقبل مشرق، وغدٍ أفضل، تعيش الجزائر هائلة في عز ورخاء، وقد جاء هذا البحث ليجيب عن جملة الأسئلة لعل أهمها: من هو الشاعر الشهيد الربيع بوشامة؟ كيف كان مساره النضالي في جمعية العلماء المسلمين؟ وكيف عبر عنه شعرا؟ وما هي مواضيع شعره؟ وكيف كتب الثورة؟ وماذا عن مساره النضالي في صفوف جبهة التحرير الوطني؟

ووفق منهج تاريخي سندرس شعره دراسة موضوعاتية إحصائية نستعين فيها بآليات الاستقراء والتحليل، لنتعرف على مسار الشهيد الإصلاحي في جمعية العلماء المسلمين، والنضالي في جبهة التحرير الوطني، والإبداعي الذي أثمر باكورة أعماله، من أجل إيفاء الشاعر الشهيد جزءا من حقه، ونسقط الأضواء على ما قدم، من خلال إحصاء القصائد التي جسدت مسار الإصلاح والنضال من دون أن نهمل الوقوف على أبياتها وجماليات الإبداع فيها.

## 1- المسار الإبداعي:

كُلِّلَ المسارُ الإبداعي للشهيد، بمئة وأربع قصائد (104) جمعها الدكتور المؤرخ جمال قنان، في ديوان من 279 صفحة، وقدم له في حديث عن المسار النضالي والإبداعي للشهيد في 40 صفحة، وقد تباينت مواضيع شعره بين شعر الاجتماعي، والشعر الرومانسي، الشعر الإصلاحية، وشعر الطبيعة، والشعر الوطني والقومي، وشعر الثورة والبطولة والشهادة، وبعض الأناشيد، ويمكن إجمال مواضيع شعره، مع ذكر عناوين القصائد وعدد أبياتها في الجدول الموالي:

القصائد	الغرض
في عيد العلم (55 بيتا)، في سبيل العلم (62 بيتا)، شهيد العلم (24 بيتا) غن بالعلم ملهم الألحان (39 بيتا)، أقم عيدك (25 بيتا)، شيّدوا للإسلام (بيتا 43)، أسس على التقوى (71 بيتا)، بالعلم والآداب (8 أبيات)، أيها المعلم حسبك الله (54 بيتا)، علم النور (37 بيتا)، فزت بالخلد (41 بيتا)، روح الوفاء (10 أبيات)، ذكرى ابن باديس (63 بيتا)، ملهم السجع في رياض السلام (20 بيتا)، أيها الصقر المُجلى في الغُلا (67 بيتا). 15 قصيدة	الشعر الإصلاحية
يا للاستعمار (20 بيتا)، ليت شعري ماذا جنته "زواوة"؟ (50 بيتا)، رعاة الحمى مهلا (29 بيتا)، خراطة بين زلزال وقع، وبركان متوقع (52 بيتا)، حمى فنزات (47 بيتا)، أبواق الاستعمار (62 بيتا)، جزاء الخيانة (37 بيتا). 7 قصائد	الشعر الوطني
في ذكرى 8 ماي (65 بيتا)، في ذكرى فواجع 8 ماي (51 بيتا)، يا فتى الأوطان قم (68 بيتا)، روح جديدة (7 أبيات)، حي في الأبطال (40 بيتا)، حي البطولة (5 أبيات)، صوت الجهاد (13 بيتا)، أعمل النار والطبى في الأعادي (75 بيتا)، حياة تائر في الجبل (43 بيتا)، لمن الجسم عالقا بالصخور (22 بيتا)، رثاء شهيد (21 بيتا)، إلى الله أخي (82 بيتا)، مبعث النور: "خلود الشهيد" (19 بيتا)، فجيعة الطفولة	شعر الثورة

<p>(220 بيتا)، حقق لشعبك غاية الآمال (27 بيتا). 15 قصيدة</p>	
<p>الشعر القومي</p> <p>فلسطين (11 بيتا)، حي ذاك الصريع في الميدان (50 بيتا)، حييت يا ليبيا السماء (41 بيتا)، حي بنت الكرام (14 بيتا)، في الحشا منك يا فلسطين (3 أبيات)، كيف ادعيت الرفق (9 أبيات)، حذاري من عهود الخائنين (9 أبيات)، حي في العرب (بيتين). 8 قصائد</p>	
<p>الشعر الاجتماعي</p> <p>أُبَيِّ مهلا (15 بيتا)، صوت الضمير (17 بيتا)، رُبْ أثنى (7 أبيات)، تحية الأشقاء (14 بيتا)، يا شباب العرب هيا للعلا (37 بيتا)، كبر النفس (25 بيتا)، النفس؛ بن سلطان العفة، وسحر الجمال (36 بيتا)، ترى فتنة (بيتا 11)، حي لأبوة (57 بيتا)، يوم الأمهات (32 بيتا)، شاعر الضاد لك الله الأحد (20 بيتا)، ليت لي مثل الأنام (38 بيتا)، إيه حديثك (50 بيتا) ما لهذا الهجوم؟ (17 بيتا)، في الزواج (15 بيتا)، قل ما تشاء (11 بيتا)، على رسلكم صرعى الظنون (5 أبيات)، تحية وليد (38 بيتا)، فجعوها (68 بيتا)، يا صاح مهلا (48 بيتا)، شجون مكبوتة (14 بيتا)، قل لمن يبغي السفور (64 بيتا)، تهنئة بمولود (5 أبيات). 23 قصيدة</p>	
<p>الشعر العاطفي</p> <p>قل لسعدي (11 بيتا) [والأصح قل لسُعدى]، اهلا وسهلا (10 أبيات)، قل لفتاة (10 أبيات)، سر دنياي (32 بيتا)، زهرة (8 أبيات)، مُنية النفس (22 بيت)، رأيتك في المنام (7 أبيات)، [صدى موسيقى في الشعر أو إيه يا شادي حنانيك] (33 بيتا) ملهم الشدو (10 أبيات)، أجمل كائن فوق الأرض (8 أبيات)، برغمك ماي (19 بيتا)، مليكة الحسن (6 أبيات) [من غريب هو في وطنه أو حب وحنين] (48 بيتا)، [تحية العام الجديد 1958، أو هنيئا لك الحب يا أبا عبد الله] (31 بيتا)، جفوتنا (4 أبيات)، هذا الغرام (8 أبيات)، [من وحي العاطفة أو عرضت لي مسحورة النظرات] (9 أبيات) 15 قصيدة</p>	

شعر الطبيعة	أرني حسنا (35 بيتا)، بين أحضان الطبيعة (43 بيتا)، مرحبا يا ربيع (53 بيتا)، أمها البلبل غرد (11 بيتا)، الربيع الحزين (14 بيتا)، حياة راع مغمور (39 بيتا). 6 قصائد
شعر الرثاء	عزاء وسلوى (30 بيتا)، مرعى علوت إلى السماء يا ساري (40 بيتا)، إلى الله أخي (82 بيتا)، أخي إليك سلامي (33 بيتا) 4 قصائد
الأناشيد	نشيد الاستقلال (14 بيتا)، يا شهابا قد تجلى (14 بيتا)، صوت الجهاد (13 بيتا)، تحية الكشافة (6 أبيات)، ابنة العرب (14 بيتا). 5 قصائد
مختارات شعرية متفرقة	رسالة خاصة إلى إدارة جريدة البصائر (6 أبيات)، الله ما أقساك! (10 أبيات)، استقم ولا تهالك (4 أبيات)، وحي الذكرى (24 بيتا)، خواطر... وأتات (23 بيتا)، قل لبಾಗಿ (25 بيتا) 6 قصائد

يقول الدكتور جمال قنان: « لقد كان الشاعر -رحمه الله- حريصا على نشر آثاره، ولقد أوصاني وأنا لا زلت طفلا بنشر ديوانه إن لم تسعفه الظروف للقيام بذلك، وكأنه يقرأ في لوحة المستقبل، ويبدو أنه قد بدأ فعلا في انتقاء بعض القصائد لنشرها في شكل مجموعة، وهذا قبل اندلاع الثورة، ولقد وجدنا كراسة كُتِب عليها: "هذه مجموعة شعرية من نظم الربيع بن الصديق بوشامة، أتقدم بها كأعز أثر وألطف تحفة، إلى أبناء العروبة والإسلام عامة، وحمّاة الجزائر خاصة"، ولم يسجل الشاعر في هذه الكراسة سوى قصيدة: من وحي الذكرى، ومن وحي العاطفة، وخواطر وأتات، وعرضت لي مسحورة النظرات، وحياة راع مغمور»<sup>1</sup>.

وقد اجتهد جامع الديوان الدكتور المؤرخ جمال قنان، في جمع القصائد وترتيبها ضمن موضوعات، كما أعطى بعض القصائد عناوين، وأشار إلى ذلك في هامش كل قصيدة، لكن بعضا منها في غير موضعها، ومع ذلك يتقاطع تصنيفه مع تصنيفنا في بعض القصائد ويختلف في بعضها، وفي الجدول تصنيفنا الموضوعاتي بعد قراءة قصائد الديوان، ولو كان يتسع المقام لذكرنا تصنيف جامع الديوان لتتضح فروق التصنيف، وإذا جمعنا الشعر الوطني والقومي وشعر الثورة، كانت القصائد 30 قصيدة في مقابل الشعر الإصلاحي والشعر الاجتماعي معا، الذي يجمع 38 قصيدة،

أي بنسبة 39.52% للشعر الاجتماعي الإصلاحي، وبنسبة 30.2% للشعر الثوري، مما يجعلنا نقول أن الشاعر اتجه نحو النضال الإصلاحي، أكثر لعلمه بأن استقلال الأرض يبدأ من الفكر الصحيح، لكن لا تبتعد النسب المثوية عن بعضها كثيرا فهي في مجال واحد، بنسبة أكثر للجانب الإصلاحی، وهذا يؤكد أن الاستقلال والتحرر يحتاج إلى نضال مزوج وخطى المسارين معا.

وعن شعره يقول أبو القاسم سعد الله: «أما عن شعره فقد عرفته على صفحات البصائر قبل سنوات من لقائي بالشاعر، فقد كان الربيع بوشامة، ينظم الشعر في مواضيع وطنية وعربية وأخرى تتعلق بالطبيعة والعلاقات الإنسانية، شعره نظمٌ، وقلماً يحلق به في أجواء المعاني والصور البيانية، أو يبحث فيه عن جمال التعبير وفن القول، ولا شك أنه كان يتذوق الشعر بما حفظ من دواوينه وقرأ لفظاحله، ويبدو أنه كان يميل إلى المدرسة الرومانسية الاجتماعية ولكن بيئة الجزائر الثقافية الخالية عندئذ من النقد الأدبي جعلت توجيهه وتقويم الشعراء أمرا غير وارد، وكنت أتبادل معه الرأي في الشعر العمودي الذي يلازمه، والشعر الحر الذي بدأت أحاوله وأميل إليه»<sup>2</sup>.

## 2- المسار الإصلاحی:

كثفت المقاومة الشعبية حركتها منذ 1837م- إلى 1919 م مُحاولَة تكسير الاستعمار أو زلزلة أركانه -على بساطة وسائلها- لكن المستعمر استطاع أن يُخمد نيرانها، وأن يضرب الشعب في عمقه، فحرم أبنائه من التعليم، وأغلق المساجد وكتاتيب تحفيظ القرآن، وقام بالتنكيل والتجويع، حتى يصرف العقول إلى سد العوز واسكات صوت الصحوّة، وصارت هموم الشعب لقمة عيش تسد الرمق، وتكفيه الحاجة والتفكير، لكن على الرغم من ذلك لم يستطع المستعمر أن يغير عزيمة الشعب ورغبته في الاستقلال، وظهرت أسماء من العلماء والشباب وجهت المقاومة إلى الفكر الإصلاحی لتوعية الشعب وتعليمه، وتغيير اهتماماته، فكيف كان مسار الشاعر الإصلاحی؟ وكيف كان نضاله؟

لم يتبلور الفكر الثوري الذي أشعل لهيب نوفمبر، إلا بعد نيف من زمن، كان الفكر الإصلاحی أسبق في الظهور، يحاول تحسين حال الشعب وتوعيته، وقد «التحق الربيع بوشامة، وهو في ربيع عمره بمعترك الحياة العملية من بوابة الحركة الإصلاحية، مُنطلقا مما انطلقت منه

هذه الحركة في مشروعها الدعوي التربوي عن طريق الوعظ والإرشاد والتربية والتعليم والتهديب والتثقيف، فعكف على إلقاء دروس بمسجد القرية، وأسس ناديًا ثقافيًا فتح أبوابه للشباب، يلتقي فيه بهم في حلقات التوعية والتكوين، وفي سنة 1937 أصبح عضواً عاماً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رائدة النهضة<sup>3</sup>، إنَّ من يحمل قضية وأعباء النهوض بها، لا بد أن يتبنى مشروع فكر، وقد ظهر مشروع الفكر الإصلاحي في شعر الربيع بوشامة، من خلال بعض المواضيع التي جسدها حروفه، وخصص في ديوانه قصائد تدعو للإصلاح وأخرى تحتفي بالتربية والتعليم.

#### أ- الإصلاح الديني:

كان المسجد ولا يزال صرحاً للإصلاح؛ إصلاح حال المسلمين وتهذيب أخلاقهم، وإصلاح شؤون البلاد، وقد ساس قادة المسلمين الأمم من المنابر وحلقات العلم، والربيع بوشامة، حاله حال كل من بدأ مساره في الكتاب، يعلم جيداً أن المسجد أولُّ أُسُسِ الإصلاح، لذلك خص المساجد بعدة قصائد على اختلاف فحواها، لكنها تصب في مصب واحد، يقول في قصيدة شيدوا للإسلام:

إِنَّمَا الْمَسْجِدُ الْمَشِيدُ لِتَقْوَى \*\*\* مَعْقَلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْإِيمَانِ  
وَمَنَارُ الضِّيَاءِ لِلْعَقْلِ وَالرُّوحِ \*\*\* وَمَسْرَى الْحَيَاةِ لِلْوِجْدَانِ<sup>4</sup>

إلى أن يقول:

يُوقِظُ النَّائِمِينَ حِسًّا وَمَعْنَى \*\*\* وَيَحْتُ السَّاعِينَ فِي كُلِّ آنٍ  
لِتَحْرِيرِ الشَّعْبِ وَالْوَطَنِ الْعَانِي \*\*\* مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّقَا وَالْهَوَانِ<sup>5</sup>

ويذكر المؤرخ جمال قنن شينا من مساره يقول: «عند منتصف الثلاثينات كانت منطقة بني يعلى إحدى قواعد الإشعاع في البلاد في حقل العمل الوطني والإصلاحي، وفي هذا المناخ العام شب الشاعر وتفتق وعيه، لقد كان في اتصال مباشر بالحركة الإصلاحية على الخصوص، عن طريق شيوخه؛ السعيد صالح، والسعيد بن عمر، وكذلك الشيخ الفضيل الورتلاني، الذي كان كثير التردد على فترات في ذلك الوقت»<sup>6</sup>، ولأن المسجد هو القاعدة الأولى لمنبع الوعي والنور، تتلوه

المدارس، التي تُبنى وتقوم على بلورة الفكر وتحديد وجهته، ركز الشاعر على خصوصية هذا المصدر النوراني، من دون أن يُهمَل المدرسة، وفي قصيدة أسس على التقوى، يقول:

وَابْنِ الْمَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ فِي الْحِمَى \*\*\* لِلْأَنْفُسِ الْحُرَى مِنَ الضُّعْفَاءِ

إلى أن يقول:

وَأَهْضُ بِقَوْمِكَ مَهْضَةً جَبَّارَةً \*\*\* تُحْيِي بِهَا مَا كَانَ لِلْأَبَاءِ  
وَتُعِيدُ لِلْأَوْطَانِ خَيْرَ عَهْدِهَا \*\*\* فِي ظِلِّ دِينِ اللَّهِ وَالْعُلَمَاءِ<sup>7</sup>

ويستمر في محاوره المسجد محاوره شخصية أو أنسنة للمكان المقدس، لأنه يعلم جيدا دوره، وقد «أقام في بلدته سنتين وبضعة أشهر بعد عودته من قسنطينة، استغلها في التعليم والإصلاح، حتى أثار نشاطه شكوك الإدارة الاستعمارية»<sup>8</sup> يقول:

فَاضْمُمْ إِلَيْكَ جُمُوعَهُمْ فِي وَحْدَةٍ \*\*\* فَعَالَةٍ مَوْصُولَةٍ الْأَجْزَاءِ  
فَعَسَاكَ أَنْ تُحْيِي الْجَزَائِرَ مِثْلَمَا \*\*\* أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا مِنَ الْعُظَمَاءِ<sup>9</sup>

ولا ينفك الإصلاح الديني يرتبط بالإصلاح المعرفي، فكل منهما يمتد للآخر ويكمله، لذلك كان كل معلم مصلح، يتخذ منهجا خاصا لإيصال فكرة، وكل مصلح معلم يتخذ طريقة خاصة في الارشاد والتهذيب، فكيف كان مسار الشاعر المعرفي؟

## ب- الإصلاح المعرفي:

تقلد الشهيد عدة مناصب في التعليم؛ في قسنطينة (1937) أصبح عضوا عاملا في جمعية العلماء المسلمين، وفي (1938) أوفدته الجمعية العلماء إلى باريس رفقة الشيخ سعيد صالحى لمساعدة الفضيل الورتلاني، في نشاطه الإصلاحي بفرنسا، وفي خراطة (1942) معلما بمدرستها، وفي الجزائر العاصمة بمدرسة الهداية (1946) وبين (1947-1948) كافتته جمعية العلماء المسلمين وعينته مديرا ممتازا من الدرجة الأولى في سلكها التعليمي، «وتم تعيينه من طرف جمعية العلماء معلما ومديرا لمدرسة الثبات بالحراش في بداية العام الدراسي 1948-1949»<sup>10</sup>، وقد قام بدور فعال حين عاد إلى قريته، ذلك أن «مسألة تربية وتعليم الناشئة وغرس روح العروبية والإسلام

فيهم، وتثقيف الكبار بتبديد ظلام الجهل عنهم والعودة بهم إلى اصالتهم وإلى عالمهم الحضاري الذي يميزهم عن غيرهم، اكتسب لديه أهمية قصوى ورسالة مقدسة لم ينقطع عن أدائها إلى آخر لحظة»<sup>11</sup>، وقد كتب عدة قصائد يتحدث فيها عن العلم ويركز على تربية النشء، مثل: [في عيد العلم، في سبيل العلم، شهيد العلم، غن بالعلم ملهم الألمان، أقم عيدك، بالعلم والآداب، أيها المعلم حسبك الله]، وفي قصيدة في سبيل العلم، يقول:<sup>12</sup>

وُنُرِّي النِّشَاءَ بِالْعِلْمِ عَلَى \*\*\* خُلِقَ أَسْمَى لِيَحْيَا فِي أَمَانٍ  
قَدْ قَطَعْنَا الْعَهْدَ لِلَّهِ عَلَى \*\*\* أَنْ نَبْتَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَكَانٍ

إلى أن يقول:

سَوْفَ تَلْقَوْنَ نَبَاتًا مُعْجِزًا \*\*\* مِنْ رِجَالِ الْعِلْمِ أَبْطَالَ الرِّهَانِ  
وَتَعُوذُونَ بِدَرْسِ صَاخٍ: \*\*\* إِنَّ هَذَا الشَّعْبُ حُرًّا لِيُدَانَ

ثم يقول:

وَارْفَعُوا لِلشَّعْبِ بُنْيَانَ الْعِلْمِ \*\*\* وَاخْلُقُوا فِي أَرْضِهِ دُنْيَا الْجِنَانِ  
وَابْتَغُوا تَحْرِيرَهُ مِنْ ذِلَّةٍ \*\*\* سَوَدَتْ غُرَّتُهُ بَعْدَ ارْتِدْيَانِ

يقول في قصيدة أيها المعلم حسبك الله<sup>13</sup>:

أَنْتَ فِي الْأَوْطَانِ أَعْلَى مَثَلٍ \*\*\* لِيَهْدِيَ اللَّهُ وَتَحْقِيقِي رَجَاءَهُ

إلى أن يقول:

وَتَشَيِّدُ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ سَوَى \*\*\* بِنِظَامٍ بَارَكَ اللَّهُ بِنَاءَهُ  
إِنَّكَ الْمَسْئُولُ عَنْ هَذَا الْجَمِيِّ \*\*\* وَعَنْ الشَّعْبِ الَّذِي يَبْغِي سَنَاءَهُ

وفي قصيدة غن بالعلم ملهم الألمان، يقول:

لَيْسَ فِي الْأَرْضِ كَالْمَدَارِسِ نَفْعًا \*\*\* مَا اسْتَقَامَتْ عَلَى هُدَى وَأَمَانٍ<sup>14</sup>

وفي قصيدة أقم عيدك<sup>15</sup> يقول:

أَيَا بَانِي الشَّعْبِ هَذِي يَدٌ \*\*\*\* تَضُمُّ الشَّتَاتِ، وَتَشْفِي الأَحْنَ  
وَتُنْشِئُ بِالْعِلْمِ جُنْدَ الفِدَا \*\*\* يُكَافِحُ فِي السِّرِّ أَوْ فِي العَلْنِ  
وَيُخَلِّدُ صَبِيحًا رَحِيمَ الصَّدَى \*\*\* سَمَاوِيَّ سِرِّ، عَجِيبَ اللِّسَنِ  
فَخَارَ الجَزَائِرُ فِي يَوْمِهَا \*\*\* وَأَعْلَى تُرَاثِ لَهَا فِي الزَّمَنِ  
لَقَدْ كَانَ -بِالحَقِّ- خَيْرَ المُنَى \*\*\* لِشَعْبٍ مَهِيضِ القَوَى مُمْتَهَنِ

وفي قصيدة بالعلم والآداب، يقول:

بِالعِلْمِ والآدَابِ والأَخْلَاقِ \*\*\* تَسْمُو الشُّعُوبُ إِلَى المَقَامِ الرَّاقِي<sup>16</sup>

والملاحظ أن أغلب المقاطع تشيد بالعلم وأهله، وهو مبدأ جمعية العلماء المسلمين التي تركز على أهمية العلم، والطبيعي ان يتبنى الشاعر الشهيد هذا المبدأ ويكون حامل قضية يوجِّهها إلى تغذية الفكر بأهم ما يجب أن يتشبع به، فتركيزه على العلم الإصلاحي من خلال تنشئة جيل يحتفي بالعلم، ويفكر بالعلم، ويقاوم بالعلم، لأنه السبيل الوحيد والأوحد من أجل التحرر...

ج- رموز العلم والإصلاح:

لم يغفل الشاعر فضل العلم، كما لم يغفل فضل أهله، وقد خصهم بقصائد من شعر يعدد مناقمهم ويعترف بفضلهم، وفضل النور الذي أضاء حياته ودربه، وقد ذكر في ديوانه كل من ابن باديس، والابراهيمي، والورتلاني.

- العلامة عبد الحميد ان باديس:

يقول جمال قنان في مقدمة الديوان: «كانت إقامته في قسنطينة -التي لم تزد عن عشرة شهور- فترة خصبة في حياة الشاعر، لقد أثرت فيه شخصية ابن باديس وتعاليمه والمبادئ التي ينادي بها تأثيرا دائما ومستمرًا حتى آخر لحظة في حياته، لقد كان يرى فيه تجسيدا حيا للإخلاص والتفاني في خدمة الوطن ونموذجا عاليا للقيم العربية الإسلامية في أجلِّ معانمها وأنصع صورها»<sup>17</sup>،

فقد «كانت اتصالاته الأولى مع الشيخ الإمام مشجعة (...) بالنسبة للشاعر لقد أعجب ابن باديس بمستوى تحصيله وأخبره بأنه كان يتحتم عليه التوجه إلى جامع الزيتونة لاستكمال تحصيله، لكن الشاعر اعتذر بضيق ذات اليد، ووعده الشيخ بإمكانية مساعدته لهذه الغاية، لكن الأجل عاجله قبل أن تتحقق أمنية الشاعر»<sup>18</sup>، لكن هذا التحفيز شجع الشاعر وجعله يواصل المسار الإصلاحي والإبداعي لذلك خص ابن باديس بعدد من قصائده يذكر مناقبه وخصاله وهدفه الإصلاحي ويريثه بعد وفاته، نذكر منها: [في عيد العلم، كبر النفس، علم النور، فزت بالخلد، روح الوفاء، ذكرى ابن باديس] يقول في قصيدة؛ في عيد العلم:

سَاءَتْكَ حَالَةُ أُمَّةٍ مَقْهُورَةٍ \*\*\* تَحْيَا عَلَى ذُلِّ بَجْرَحٍ دَامٍ  
وَتَيْتُنُّ فِي دَرْبِ الْجَهَالَةِ وَالِدُنِّي \*\*\* وَالْبُؤْسِ بَيْنَ ظَلَالَةِ وَظَلَامٍ  
فَوُتِّبْتُ لِلتَّخْرِيرِ وَثَبَّةً مَاجِدٍ \*\*\* مَاضِي الْعَزِيمَةِ مُخْلِصَ لِقَوَامٍ<sup>19</sup>

إلى أن يقول:

وَتَرَكْتُ لِلأَوْطَانِ دُخْرًا نَامِيًا \*\*\* جَمْعِيَّةَ العُلَمَاءِ خَيْرَ قَوَامٍ  
بَادِيسُ حَسْبُكَ رِفْعَةً وَجَمَالًا \*\*\* هَذَا التَّفَانِي فِي الجِهَادِ السَّامِي

إلى ان يقول:

هَذَا بَادِيسُ أَبْوَتِ نَهْضَتِنَا \*\*\* يَرَعَى سَرَائِكُمْ فِي الجِهَادِ الحَامِي  
أَنْقِذْ حِمَاكَ مِنَ المِهَانَةِ وَالشَّقَا \*\*\* بِعَزِيمَةِ المُسْتَبْسِلِ المُقْدَامِ<sup>20</sup>

ويذكر ابن باديس بمرثية عنوانها فزت بالخلد، جاء في مطلعها قوله:

فُزْتُ بِالْخُلْدِ فِي حِمَى الرِّضْوَانِ \*\*\* يَا ابْنَ بَادِيسَ يَا فَتَى الأَوْطَانِ<sup>21</sup>

ويصفه بعدد من الكنايات في باقي القصيدة نذكر منها: (راعي الهدى، قائد الحرب، راعي الحمى، باعث الشعب، حامى الذرى، هادي الحمى...)، وكل هذه الكنايات وغيرها تدل على الدور الريادي لابن باديس في المسار الإصلاحي الذي تبناه، وأورثه طلبته، كما تدل على مكانته عند

الشاعر الذي خصص له أكثر من ثلاث قصائد في الديوان، يذكر فضله ويعدد مناقبه، ويصف مكانته ودوره الإصلاحية، ويعكس محبته له ويرثي فقده.

« تأثر الربيع بوشامة بابن باديس فسار على هداه في حياته وبعد وفاته، وفي سنة 1942 التحق بخراطة لينشر فيها التعليم العربي الحر على الطريقة الباديسية، ولكن خراطة تعرضت إلى ما تعرضت له قالمة وسطيف أثناء حوادث الثامن ماي فاعتقل بوشامة ورمي به في السجن، ووجهت له تهمة التحريض على الجهاد، وصدر الحكم بإعدامه ولكن الحكم لم ينفذ، ولما خرج من السجن في فبراير 1942 على إثر العفو العام توجه إلى العاصمة وتعاطى التعليم في مدرسة (الهداية) بحي العناصر، وهناك اتصل بإدارة جمعية العلماء واتفق مع الشيخ إبراهيمي على العمل في نطاق مدرسة الهداية، ثم تحول إلى مدرسة الثبات بالحراش ابتداء من سنة 1948، وبعد عدة سنوات انتدبتة الجمعية لتمثيلها في باريس (أغسطس 1952) حيث أصبح معتمدا ورئيس شعبتها، والمعروف أن إبراهيمي قد زار باريس في طريقه إلى المشرق في يناير من السنة المذكورة»<sup>22</sup>

#### - البشير إبراهيمي:

يقول جمال قنان في مقدمة الديوان: «خرج الشاعر من السجن في شهر فبراير سنة 1946 في حالة مرض واعياء شديد، وبعد بضعة شهور انتقل الى مدينة الجزائر اتصلت به جمعية الهداية بحي العناصر، ليعمل كمعلم في المدرسة، وفي آخر شهر جوان من نفس السنة اتصل بالهيئة الإدارية للجمعية وتم الاتفاق بينهما عن شروط العمل وهو الاتصال الذي باركه الشيخ البشير الابراهيمي والذي أوصاهم بالشاعر خيرا»<sup>23</sup> ، وقد أهداه الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، قصيدة عنوانها ملهم السجع في رياض السلام، يقول:

فِي جَرَامٍ لِلْعِلْمِ فَيَنَانُ دَوْحٍ \*\*\* طَيِّبِ الْيَنْعِ، ضَاحِكِ الْأَكْمَامِ  
يَحْتَبِي فِي مُغَنَّاةِ أَشْبَالِ مَجْدٍ \*\*\* تَحْتَ عَيْتِي أَبِي الْبِلَادِ الْهُمَامِ<sup>24</sup>

## - الفضيل الورتلاني:

يقول أبو القاسم سعد الله: «خلال الثلاثينات من القرن العشرين وصل إلى بني يعلى إشعاع الحركة الإصلاحية من رافد آخر وهو الفضيل الورتلاني كما وصلتهم مجلة الشهاب وتأثير حركة ابن باديس، وقد بدأ الربيع بوشامة، نشاطه بمساعدة شيخه السعيد صالحى على التدريس في جامع البلدة، ثم انضم إلى جمعية العلماء واعتنق مبادئها الإصلاحية، وفي سنة 1938 أوفدته الجمعية إلى باريس رفقة سعيد صالحى لبحث أفكارها في أوساط العمال الجزائريين بعد التحاق الورتلاني بالقاهرة، وقبل أن يتم سنة في فرنسا استدعي للخدمة العسكرية ولكنه أعفي منها لضعف بصره، فالتحق بالشيخ ابن باديس في قسنطينة وتعلمد عليه»<sup>25</sup>، ويهدي الشاعر صديقه الورتلاني، قصيدة عنوانها: أيها الصقر المجلى في العلا، يناجيه ويناشده كي يعود، لأن الوطن في حاجة إلى أمثاله يقول:

يَا لَكَ اللهُ، أَمَا تَأْوِي إِلَى \*\*\* وَكُرِكَ الْمَاضِي وَمَسْرَاكَ الْأَحْنَ  
 إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ قُصْوَى إِلَى \*\*\* قَائِدِ شَهْمٍ وَرَاعٍ مُؤْتَمَنٍ  
 وَنَفَادِي شَعْبَنَا الْمُنْكَوبِ مِنْ \*\*\* قَيْدِ ذُلِّ وَعَدَابٍ وَوَهْنٍ  
 إِنَّ أَوْطَانَكَ يَا "فَضْلٌ" لَفِي \*\*\* حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا مِنْ ذِي الْفَيْتَنِ  
 بَيْنَ ظُلْمٍ مِنْ قَرِيبٍ حَايِنٍ \*\*\* وَشُرُورٍ مِنْ دَخِيلِ ذِي أَحْنِ<sup>26</sup>

يقول أبو القاسم سعد الله «عرفت الربيع بوشامة أثناء الثورة عندما بدأت التعليم في مدرسة الثبات في الحراش، إحدى ضواحي عاصمة الجزائر، وكان عندئذ هو مدير المدرسة التابعة لجمعية العلماء، كان ذلك في نهاية شهر نوفمبر 1954، عرفت فيه الحزم والإخلاص، وقد حدثني عن رحلته إلى باريس لتنشيط حركة جمعية العلماء وسط العمال الجزائريين في غربتهم حتى يظلوا مرتبطين بوطنهم ولغتهم وإسلامهم، كما كان يحدثني عن أستاذه ابن باديس، وعن شخصيات الجيل السابق له من المعلمين والمصلحين وما جرى له معهم ومع الإدارة المدرسية والسلطات الفرنسية، وكيف تحمل الصعوبات والمضايقات التي كانت تضعها هذه السلطات في طريقهم، ومع ذلك كانوا مصرين على النجاح وبلوغ الهدف، وكان ينتقد بعض قادة جمعية العلماء في الجزائر نفسها وسلوك بعض معلمها، وكنت عندئذ معلما مبتدئا وصغير السن نسبيا وقليل التجربة، فلم

أكن أشاركة»<sup>27</sup>، و«رجع الشاعر إلى مدرسة الثبات بالجزائر حيث تعرفت عليه، وبقي يديرها ويدرس فيها إلى يناير 1959م، حين أوقفته السلطات الفرنسية، كان الشاعر يحب مهنته وخدمة اللغة العربية والإسلام في الجزائر وهذا هو شعار الحركة الإصلاحية، وطالما أشاد بوشامة بالعروبة والإسلام في شعره وأحاديثه، وبالإضافة إلى ذلك هناك موضوع الحرية والوطنية وأحداث الثامن مايو وقضايا فلسطين وليبيا ومصر، ولم ينضم بوشامة إلى أي حزب سياسي حسب علمنا وإنما كان قريبا من اتجاه حزب الشعب مثل العديد من معلمي الجمعية»<sup>28</sup>، والملاحظ في شعر الإصلاح، يقول محمد ناصر: أنه «انحصر هذا الشعر نتيجة تعلقه بالزوايا والمساجد في الأغراض الدينية (...). وإذ هي في الأغلب الأعم تتجه إلى مدح المشايخ والكبراء والتغني بالمتأثر»<sup>29</sup>، وقد بدا هذا واضحا في إبداع الشاعر الذي اهتم بالفكر الإصلاحي في الكثير من قصائده، وقد مدح وأشاد بالدور الريادي لرواد جمعية العلماء المسلمين.

### 3- المسار النضالي:

#### 3-1- شعر الثورة:

##### أ- التأريخ لأحداث 8 ماي 1945:

قبل أحداث 8 ماي 1945، غادر الشاعر خراطة رفقة أحد أبناء سي محمد اعراب، إلى قرية آيت مرعي، المطلة على المدينة والقريبة من جبل بابور، وعاد لما سمع بترتيب المظاهرات ليشارك إخوانه، وحدثت المجازر التي أسالت الكثير من الدماء والحبر، وبعد مجازر 8 ماي عاد الى خراطة، أين تم اعتقاله وزج به في السجن، ولم يخرج من السجن حتى شهر فبراير 1946، وكانت كل هذه الأحداث متتالية سببا في تأريخه للأحداث وكتابته للفجائع الدامية، التي كانت ولا تزال، جرحا غائرا في تاريخ الجزائر، جعلت الشاعر يخلدها في أكثر من قصيدة [في ذكرى 8 ماي، في ذكرى فواجع 8 ماي] يقول الشاعر في قصيدة في ذكرى فواجع 8 ماي:

لي فيك يا (ماي) النَّوَّائِبُ وَالرَّذَى \*\*\* ذَكَرِي سَتَبْقَى طِبْلَةَ الْأَعْوَامِ  
فُقْدَانُ خَيْرِ أَرْبَابٍ، وَأَكْرَمِ صُحْبَةٍ \*\*\* وَجَجِيمُ سَجْنٍ، حُفَّ بِالْإِعْدَامِ  
فِي ذِمَّةِ التَّارِيخِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ \*\*\* قَضَيْتُهَا فِي غَزْوَةٍ وَصِدَامِ<sup>30</sup>

ويمثل شهر (ماي) رمز الفاجعة، وعنوان المرارة، عند الشاعر، وقد سخر قلمه متحدثاً عليه علةً يجيب، يقول:

أَصْبَحْتَ زَمْرَ الْفَاجِعَاتِ بِذَا الْجَيِّ \*\*\* تَبْدُوبَيْمًا، مُفْرَعِ الْأُظْلَامِ<sup>31</sup>

إلى أن يقول:

يَا (ماي) مَا لَكَ وَاجِمًا لَمْ تَنْتَقِمِ \*\*\* أَوْ مَا سَقَاكَ الظُّلْمَ أَسْوَأَ جَامٍ؟!  
هَذَا حِرَامُكَ بِالِدِيمَاءِ مُشَوِّهٍ \*\*\* قَدْ عَجَّ بِالْأَزْوَاجِ وَالْأَجْسَامِ  
فَارْزُقْ إِلَى مَوْلَاكَ شَكْوَى ضَارِعٍ \*\*\* يَبْرَأُ مِنَ الْحُكَامِ وَالْأَحْكَامِ  
يَا (ماي) إِنَّا فِي انْتِظَارِ حُكُومَةٍ \*\*\* فَمَتَى يُسَاقُ الظُّلْمُ لِلْإِعْدَامِ؟!<sup>32</sup>

وتأبى نخوة الشاعر إلا أن تذيب تلك المرارة في شعور التحدّي وقهر الإستكانة، فإذا به يحقّز العزائم، ويشحذ الهمم، وترتفع عقيرته صداحة في قصيدة في ذكرى 8 ماي، يقول:

خَلَّ عَنكَ الْخَيَالُ وَاطْلُبْ \*\*\* عَيْشَكَ الْحُرَّ بِالتَّقْوَى وَالنِّضَالِ<sup>33</sup>

وكانت للشاعر الشهيد الربيع بوشامة، المشاركة الفعالة في أحداث 8 ماي 1945 بمدينة خراطة، هذه المشاركة التي زج بسببها في السجن ومكث به مدة تسعة أشهر، ذاق خلالها العذاب الشديد، وعند حلول الذكرى الرابعة وقف والألم يعصر قلبه ليتأسف على منظر ماي الذي تحول بجرائم جنود الاستعمار من شهر ربيعي هادئ إلى شهر للتشاؤم والظلم

وَكَسُوكَ نَوْبَ الْمُجْرِمِينَ إِهَانَةً \*\*\* مَقْصُودَةً لِسِنَانِكَ الْبَسَامِ  
مَا كُنْتُ أَهْلًا لِلْفَجَائِعِ وَالْأَذَى \*\*\* لَوْلَا هَوَى فِي دَوْلَةِ الْأَقْوَامِ

إلى أن يقول:

وَرَمُوكَ مِنْ بَيْنِ الشُّهُورِ بِوَصْمَةٍ \*\*\* شَوْهَاءَ، تَبْقَى سَبَّةَ الْأَعْوَامِ<sup>34</sup>

وراح في بداية وقفته، يناصب شهر ماي العداوة ويرسل اللعنات ويرميها بالقبح، لأنه أصبح شهر الفجائع والأهوال:

شَابَتْ لِهَوْلِكَ فِي الْجَزَائِرِ صِيبِيَّةٌ \*\*\* وَانْمَاعَ صَخْرٍ مِنْ أَدَاكِ الطَّامِي  
وَتَفَطَّرَتْ أَكْبَادُ كُلِّ رَحِيمَةٍ \*\*\* فِي الْكَوْنِ حَتَّى مَهْجَةَ الْأَبَامِ  
تَارِيخُكَ الْمَشْهُومِ سَطْرٍ مِنْ دَمٍ \*\*\* وَمَدَامَعٍ فِي صَفْحَةِ الْأَلَامِ<sup>35</sup>.

ثم يثور لدعوة ماي ومن خلاله شعبه الأسير لفك القيد والثورة على الأعداء:

وَاسْأَلْ يَدَ الْجَبَّارِ عَاجِلَ نِقْمَةٍ \*\*\* لِلظَّالِمِ الْمُسْتَهْتَرِ الْهَدَّامِ  
عَجَلٌ لِهَذَا (الغَرْبِ) مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ \*\*\* بِقَوَاصِمٍ مُجْتَاكِهٍ وَعَرَامِ<sup>36</sup>.

ب- تمجيد البطولة:

يقول شوقي ضيف «البطولة في اللغة الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عن حوله من الناس العاديين ارتفاعاً يملأ نفوسهم له اجلالاً وإكباراً»<sup>37</sup>، وإن كان هذا مفهوم البطولة في شكلها العام، فما بالك بمعترك من نوع خاص، بطولة تقود صاحبها لأعظم مرتبة، هي مرتبة الشهادة، وأي مرتبة أرفع تستحق إجلالاً وإكباراً من مرتبة الشهادة! وقد صور أبناء الثورة الجزائرية البطولة في أشجع معانيها، وأبلغ صورها، صوراً استحقت أن تخلدها الأقلام وتحفظها الأفيام، يقول في قصيدة حي البطولة، يقول:

حِي الْبَطُولَةِ فِي حُضْنِ الدَّمِ الْقَانِي \*\*\* وَابْنِكَ الدُّمُوعِ... ذُؤِبٌ وَجُدَانِ  
هَذَا ابْنُكَ الْحَرْفِيُّ سَاحِ الْجِهَادِ قَضَى \*\*\* هَذَا عَلَى الْحَيِّ مَمْدُودٌ جُثْمَانِ<sup>38</sup>

وفي معرض الحديث عن علاقة الشاعر بالبطل عميروش يقول قنان: «كان الشاعر بوشامة يعرف المناضل عميروش قبل اندلاع الثورة، منذ كانا معا في باريس، وكان عميروش يجمع بين النضال في حزب الشعب والعضوية في نادي جمعية العلماء في عهد بوشامة، لاعتقاده أن الجمعية والحزب يتكاملان في رسالتهما الوطنية، وهذه الصلة بين الرجلين هي التي جعلت عميروش، وقد أصبح مسؤولاً عسكرياً في الثورة، يريئ للشاعر منذ 1957، أوراق الخروج من الجزائر قبل إلقاء القبض عليه، ولكن الاعتقال حصل أثناء وجود الشاعر في مدرسة الثبات، ووجهت إليه تهمة تمزيق العلم الفرنسي»<sup>39</sup>، ولم ينس الشاعر معرفته بالقائد فقد ذكره كرمز بطولي، في قصيدة حي في الأبطال، يقول:

حَيَّ فِي الْأَبْطَالِ فُتَيَانَ الْفِدَاءِ \*\*\* وَأَخْصُصُ "اعميروش" مِنْهُمْ بِالثَّنَاءِ  
بَطْلَ الثُّورَةِ يُبْلِي أَبَدًا \*\*\* فِي جِهَادِ الْمُعْتَدِي خَيْرَ الْبَلَاءِ  
وَيَرُدُّ الصَّاعَ صَاعِينَ لَهُ \*\*\* بِقِتَالِ مُسْتَمِيَةٍ وَذَهَاءِ

إلى أن يقول:

يَجْمَعُ الطَّيْبَةَ وَالْحُبَّ إِلَى \*\*\* هِمَّةِ الْأَبْطَالِ بَنَائِي الْعُلَاءِ<sup>40</sup>

ج- الحث على الجهاد:

ولأن الجهاد صار حاجة ملحة في معترك الضغط والاستعباد الذي مارسه الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري، رفع الشهيد الربيع بوشامة، قلمه ليحث على مسار الجهاد يقول في قصيدة يا فتى الأوطان قم:

يَا فَتَى الْأَوْطَانِ قُمْ \*\*\* فَارْفَعْ الْيَوْمَ الْعَلَمَ  
وَتَقَدِّمَ لِلْفِدَا \*\*\* بَأْسِلْ رَاسِي الْقِيَمَ

إلى أن يقول:

وَلِلْكَفَاحِ الْوَطَنِيِّ \*\*\* الْأَعَزَّ الْمُحْتَدِمِ  
لَا يَضُرُّنَّكَ جِهَادٌ \*\*\* فِيهِ خَيْرَ الْقِيَمِ<sup>41</sup>

وفكرة الجهاد فكرة راسخة عند الشاعر، سواء كان جهادا لتحرير أرض الجزائر، أو كل أرض عربية عانت ظلما واستبدادا تتطلع لكسر قيد الظلم والتحرر، ويؤكد فكرته في قصيدة صوت الجهاد، يقول:

أَغِثْ مُرْهَقًا فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ \*\*\* يُجْرَعُ عَلَيَّ وَجْهِهِ فِي الْجَحِيمِ  
شُيُوخًا نِسَاءً وَكُلَّ يَتِيمٍ \*\*\* تُنَادِي الْجِهَادَ، الْجِهَادَ، الْجِهَادَ<sup>42</sup>

وفي قصيدة أعمل النار والظلي في الأعادي، يقول:

أَعْمِلِ النَّارَ وَالظِّلِيَّ فِي الْأَعَادِي \*\*\* إِنَّمَا هَذَا الْيَوْمُ يَوْمُ الْجِهَادِ<sup>43</sup>

وفي آخر قصيدة أقم عيدك، يقول

وَجَاهِدْ لِيُؤْتَى طِيبُ الْجَنَى \*\*\* وَيَبْقَى ظَلِيلًا نَظِيرَ الْفِتَنِ<sup>44</sup>

فالوجهة واضحة المعالم في لفظ (جاهد)، والقطف بعدها مستلذ في قوله (طيب الجنى)، والنتيجة في القصيدة وما بعدها دوام النعم، يقول في قصيدة حياة ثائر في الجبل:

إِنَّ الْجِهَادَ \*\*\* سَيِّءٌ عَظِيمٌ  
يُلْقَى الْعِبَادُ \*\*\* فِيهِ النَّعْمُ<sup>45</sup>

4- من المسار النضالي إلى الشهادة:

إنّ المعادلة التي تحمل أكثر من متغير تكون نتائجها عادة متعددة، لكن المعادلة الجزائرية تحمل أكثر من ثابت، لتكون نتائجها ثابتة؛ فالإصلاح والتعليم ثوابت أولية لمعادلة الصحوة الفكرية، والجهاد والنضال ثوابت أساسية للصحوة التحريرية، ويقف الشاعر عند هذه الفكرة والمعادلة المزدوجة ليبين طبيعة المسار النضالي في الجزائر، يقول في قصيدة يا فتى الأوطان قم:

كُلُّ مَا فِي أَرْضِنَا \*\*\* حَرْبٌ رِقِيٍّ وَنَمَمٍ  
وَدَفَاعٌ دَائِبٌ \*\*\* بَيْنَ أَطْمَاعِ النَّسَمِ  
جُنِدَتْ فِيهِ قَوَى \*\*\* مِنْ سِلَاحٍ وَقَلَمٍ<sup>46</sup>

هذا التجنيد النضالي المزدوج الذي يجمع بين القلم والسلاح يؤسس لأرضية صلبة لا تنثني، يقول في قصيدة لمن الجسم عالقا بالصخور:

سَوْفَ لَا نَنْتَنِي عَنِ السَّعْيِ حَتَّى \*\*\* يَفْضِي اللَّهُ بَيْنَنَا فِي الْمَصِيرِ<sup>47</sup>

في قصيدة حياة ثائر في الجبل، يقول في مطلعها:

سِرٌّ لِلنِّضَالِ \*\*\* فِي كُلِّ حَالٍ  
حُرَّ الْخَيَالِ \*\*\* تَبْنِي الْمَعَالِ<sup>48</sup>

فالنضال سواء كان فكرياً أو مسلحاً يبني المعالي، ويرفع أهله، وما البناء والرفعة إلا كسراً  
لحلقات الظلم والاستبداد، وهو طريق -ولو كان شائكاً- لكن قطافه مبارك ودرجاته عالية، ولا أعز  
من نضال يتناسل توأمة كلٍّ منها أجمل من الأخرى، إما عزة الاستقلال أو فخر الشهادة.

#### أ. الشهادة:

والشهادة حالة حتمية يتمناها كل مناضل مجاهد ويتوقعها في أي لحظة، وإيماناً بحالتين  
اثنتين؛ أما الشهادة وإما الاستقلال، قال جامع الديوان «إن الشاعر كان ينظم القصائد أثناء الثورة  
ثم يبعث بها إلى جيش التحرير اعتقاداً منه أنها ستظهر بعد الاستقلال»<sup>49</sup>، وحلما كان يراوده كما  
راود كل جزائري كتب الشهيد، نشيد للاستقلال قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، مستشرفاً  
حالة الفرح وعودة عز الجزائر بعد تبديد البؤس والظلم والاستعمار، يقول:

كَثِيرَ اللَّهِ وَهَلِيلٍ \*\*\* أَيُّهَا الشَّعْبُ الْمَجِيدُ  
رَجَعَ الْعِزُّ الْمَوْثِلُ \*\*\* وَأَتَى الْعَيْشُ السَّعِيدُ<sup>50</sup>

فلا عز لوطن إلا بخلاص أرضه من قيود الاستعمار، وتحرر شعبه من ظلم الاستبداد، ولا  
فخر له إلا بالنور الذي يُجمل العلم المرفرف عالياً، يقول الشاعر:

لَا يَوْمٌ لِلشَّعْبِ الْأَبِيِّ أَعَزُّ مِنْ \*\*\* يَوْمِ الْخَلَاصِ وَرُؤْيَا الْأَضْوَاءِ<sup>51</sup>

كتب الشاعر عن العلم والإصلاح والنضال والجهاد وجسد حلم الاستقلال والخلاص،  
بالنور المتدفق الذي يُجلى غشاوة وظلمة، ولم يهمل المعلم المصلح المناضل المجاهد، الذي كابد  
المشاق ليرسم ألوان الاستقلال، سواء أكمل المسار أو سلم الأمانة لبارئها بكل فخر واعتزاز، وخلد  
من استشهدوا بمقاطع شعرية كثيرة.

#### ب. الشهيد:

ومن عز النضال والجهاد الوطني، إلى أعلى عزٍ في الرتب؛ الشهادة، كتب الربيع بوشامة  
يخلد من اهدوا أرواحهم كي يحيا الوطن في قصيدة رثاء شهيد، قال:

يَا شَهِيدًا فِي زَهْرَةِ الْعُمْرِ قَضَى \*\*\* ظَامِنًا لِلْعَالِيَا وَلِلتَّحْرِيرِ

إلى أن يقول في آخر القصيدة:

يَا شَهِيدَ الْأَوْطَانِ حَسْبُكَ مَجْدًا \*\*\* أَنْ تَكُونَ الْقُرْبَانَ لِلتَّحْرِيرِ  
وَتَسَنَّ الْفِدَا لِكُلِّ هُمَامٍ \*\*\* عَبْقَرِي الْأَعْمَالِ حُرَّ الضَّمِيرِ  
نَمَّ قَرِيرًا فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَأَنْعَمَ \*\*\* بِسَلَامٍ فِي جَنَّةٍ وَحَرِيرِ<sup>52</sup>

وفي قصيدة إلى الله أخي، يقول:

إِلَى اللَّهِ أَخِي عَبْدُ الْمَلِكِ \* \*\*\* فِي الدِّمِّ، الْحُرِّ الشَّهِيدِ الْمُعْتَرِكِ  
وَالْتَحَقَّ بِالصَّحْبِ مِنْ أَهْلِ الْفِدَى \*\*\* وَالشَّهَادَاتِ، كَرِيمِ الْمَسْلُوكِ  
مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ الَّذِي \*\*\* قَدْ لَقِيتَ فِيهِ الْيَوْمَ مَصْرَعَكَ

إلى ان يقول:

وَمِنْ الْخُلُقِ الْمَتِينِ الْمُرْتَضَى \*\*\* وَالْجِهَادِ الْوَطَائِي الْمَشْتَرِكِ  
أُمَّهَا الْمَعْدُومُ عَدْرًا وَاعْتِدَا \*\*\* بِقَوَى وَحَشِيئَةِ سُودِ الشُّكِّ<sup>53</sup>

وفي قصيدة مبعث النور: "خلود الشهيد" يقول في مطلعها:

مَبَعَثُ النُّورِ فِي ذَرَا الْأَوْطَانِ \*\*\* حَسْبَكَ اللَّهُ، نَمَّ بِكُلِّ أَمَانٍ  
أَوْدَعَتْهُ الْأَقْدَارُ أَسْرَارَ خُلْدٍ \*\*\* نَامِيَةٍ فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَانِ  
لَسْتُ عَنَّا بِغَائِبٍ رَعَمَ قَمَدٍ \*\*\* كَيْفَ وَالرُّوحُ بَيْنَنَا كُلَّ أَنْ<sup>54</sup>

الشهيد الربيع بوشامة، الذي كتب بكل ما آتاه الله من فكر تعليمي وإصلاحي ونضالي، نال فخر الشهادة يوم 14 ماي 1959، إعداما رميا بالرصاص، فكان شهر ماي شهر فجيعة لأهله وللجزائر، لكن لم يَفْتَهُ أَنْ وُظِفَ قَلَمُهُ فِي خِدْمَةِ النَّصِّ الشَّعْرِيِّ الثَّوْرِيِّ، وَالَّذِي يَعْبُرُ فِي مَجْمَلِهِ عَنِ الْمَأْسَاةِ الْجَزَائِرِيَّةِ، وَكَمْ أَدَمَّتْ مِنَ الْقُلُوبِ، وَكَمْ أَهْدَرَتْ مِنَ الْأُرُوحِ، فَكَانَ شَهِيدَ نِضَالِ مَزْدُوحٍ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي قَصِيدَةٍ: حَيِّ ذَاكَ الصَّرِيعِ فِي الْمِيدَانِ:

### رُحْ شَهِيدًا مُقَدَّسَ الرُّوحِ شَهْمًا \*\*\* مُشْرِقَ الْوَجْهِ عَاطِرًا الْأَكْفَانَ<sup>55</sup>

فكان شهيدا كما تمنى، مقدس الروح شهما في نضاله، مشرق الحرف والوجه، عاطر الأكفان والمعاني، فحسبك الله أيها المعلم المصلح الشهيد، حسبك أن نلت أجر العلم، وأجر الإصلاح، وأجر الشهادة، رحمة ونورا تنزل على قبرك وعلى كل من صدق وعده وأخلص نيته لله، وقدم روحه شرفا للوطن.

#### الخاتمة:

- لم تكتب مصادر التأريخ لأعلام الجزائر معلومات كافية عن حياة الشهيد الربيع بوشامة، فكلمها تدور في فلك ما حققه المؤرخ جمال قنان، وما قدم عن مسيرة الشاعر الشهيد في بداية الديوان، وهذا الذي جعلنا نكتفي بعدد قليل من المراجع التي تناولت الموضوع.
- اشتمل الديوان على مئة وأربع قصائد (104)، تنوعت بين أغراض مختلفة، طغى الشعر الاجتماعي الإصلاح، والشعر الثوري على غالبية الديوان، كما لم يهمل اغراضا شعرية أخرى.
- كتب الشاعر قصائد عن العلم والإصلاح والنضال والجهاد وجسد حلم الاستقلال والخلاص، ولم يهمل المعلم المصلح والمناضل والمجاهد، الذي كابد المشاق ليرسم ألوان الاستقلال، سواء أكمل المسار أو سلم الأمانة لبارئها بكل فخر واعتزاز، وخلص من استشهادوا بمقاطع شعرية كثيرة.
- بعض القصائد لا تستجيب للوزن العروضي (هي نظم وليست شعرا)، والبعض الآخر يتكسر وزنها في مواضع، حين يركز الشاعر على معنى الفكرة ينفلت منه الوزن، وقد حاولنا انتقاء المقاطع الشعرية التي تستجيب للوزن.
- نأمل أن تكون هذه الدراسة فاتحة للتدقيق أكثر في الديوان والوقوف على ألفاظ بعض قصائده، وتحقيق بعض الأخطاء التي سقطت من القصائد، مع ضبط متقن للإيقاع العروضي.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (الموسوعة الثقافية الجزائرية) دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2007، المجلد 10.
2. - جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010
3. - محمد ابن سمينة: الربيع بن الصديق بوشامة، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، المجلد 04.
4. محمد ابن سمينة: الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، مجلة المصادر، العدد 18.
5. محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006.
6. - عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة، عالم مختار، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط1، 2007.
7. شوقي ضيف: البطولة في الأدب العربي، دار المعارف، ط2، 1984.
8. -خالد مرحوم: الشيخ الشهيد الربيع بوشامة -حياته وشعره، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، 2023

## الهوامش:

\* ولد الربيع بن الصديق بن الصغير بوشامة في 29 ديسمبر 1916 م، في قنات في بني يعلى ولاية سطيف، ومنذ العام السابع من عمره دخل المدرسة القرآنية (الكتاب)، فحفظ القرآن الكريم، كما التحق بالمدرسة الفرنسية فأكمل دراسته إلى السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية، ثم تفرغ لدراسة العلوم العربية والإسلامية فدرسها على شيوخ بني يعلى، منهم الشيخ سعيد صالح، أحد أعضاء جمعية العلماء البارزين، في هذه الأثناء درس النحو والقراءات والتجويد والفقهاء والتوحيد، تقلد عدة مناصب في التعليم، ناضل بالقلم حتى اثار شكوك الإدارة الاستعمارية، تم سجنه بعد احداث 8 ماي 1945، استشهد في 14 مايو 1959، عاشور شرفي: قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، ترجمة، عالم مختار، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط1، 2007، ص-ص 90-91 / خالد مرحوم: الشيخ الشهيد الربيع بوشامة -حياته وشعره، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، 2023، ص-ص 233-234

- <sup>1</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 40
- <sup>2</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (الموسوعة الثقافية الجزائرية) دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، 2007، المجلد 10، ص 530
- <sup>3</sup> محمد بن سميحة: الربيع بن الصديق بوشامة، موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، المجلد 04، ص 206
- <sup>4</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 105
- <sup>5</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 106
- <sup>6</sup> المصدر نفسه، المقدمة، ص 6
- <sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 107
- <sup>8</sup> المصدر نفسه، المقدمة، ص 8
- <sup>9</sup> المصدر نفسه، ص-ص 108-109
- <sup>10</sup> المصدر نفسه، ص 17
- <sup>11</sup> المصدر نفسه، ص 33
- <sup>12</sup> المصدر نفسه، ص-ص 96-97-98
- <sup>13</sup> المصدر نفسه، ص 113
- <sup>14</sup> المصدر نفسه، ص 101
- <sup>15</sup> المصدر نفسه، ص 103
- <sup>16</sup> المصدر نفسه، ص 111
- <sup>17</sup> المصدر نفسه، المقدمة، ص 7
- <sup>18</sup> المصدر نفسه، المقدمة، الصفحة نفسها.
- <sup>19</sup> المصدر نفسه، ص 93
- <sup>20</sup> المصدر نفسه، ص 94
- <sup>21</sup> المصدر نفسه، ص 121
- <sup>22</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص 531
- <sup>23</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 16
- <sup>24</sup> المصدر نفسه، ص 127
- <sup>25</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص 530
- <sup>26</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 131
- <sup>27</sup> أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع نفسه، ص 529
- <sup>28</sup> المرجع نفسه، ص 531
- <sup>29</sup> محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث واتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 19

<sup>30</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 69

<sup>31</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها

<sup>32</sup> المصدر نفسه، ص 70

<sup>33</sup> المصدر نفسه، ص 61

<sup>34</sup> المصدر نفسه، ص 69

<sup>35</sup> المصدر نفسه، ص 68

<sup>36</sup> المصدر نفسه، ص 70

<sup>37</sup> شوقي ضيف: البطولة في الأدب العربي، دار المعارف، ط2، 1984، ص 9

<sup>38</sup> جمال قنان: ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص 75 (ويذكر جامع الديوان أن هذا مقطع من

قصيدة لم نعثر على تتمتها)

<sup>39</sup> المصدر نفسه ص-ص 29-32

<sup>40</sup> المصدر نفسه، ص 208

<sup>41</sup> المصدر نفسه، ص 203

<sup>42</sup> المصدر نفسه، ص 197

<sup>43</sup> المصدر نفسه، ص 243

<sup>44</sup> المصدر نفسه، ص 104

<sup>45</sup> المصدر نفسه، ص 230

<sup>46</sup> المصدر نفسه، ص 204

<sup>47</sup> المصدر نفسه، ص 58

<sup>48</sup> المصدر نفسه، ص 229

<sup>49</sup> المصدر نفسه ص 34

<sup>50</sup> المصدر نفسه، ص 195

<sup>51</sup> المصدر نفسه، 110

<sup>52</sup> المصدر نفسه، ص 33

\* وقد اجتهدنا في البحث عن صاحب الاسم في المقطع الشعري، وأغلب الظن أن المقصود هو المعلم عبد الملك فضلاء (19 أبريل 1920 - 15 جويلية 1957) التحق بدروس عبد الحميد ابن باديس سنة 1937، زاول دراسته حتى وفاة ابن باديس، وعاد على مسقط رأسه، فأسس مدرسة في محيط مسجد القرية، شرع في تعليم الصغار وتوعية الكبار، شارك في مظاهرات ماي 1945، كان معلما في مدارس جمعية العلماء المسلمين [مدرسة النصيحة بالجزائر العاصمة (1947-1948)، مدرسة المرشدة بالجزائر العاصمة (1948-1949)، مدرسة القصر بالعجيبية بالبويرة (1949-1950)، مدرسة التهذيب (1955-1956)-] وقد عين عضوا في لجنة امتحان شهادة التعليم الابتدائي الذي تقرر إجراؤها بمدرسة التهذيب يوم 15 جويلية 1957، واستشهد غدرا بهذا التاريخ [ وقد باشر الشهيد الربيع بوشامة، عمله كمعلم في مدرسة الهداية منذ 1946، وهي من مدارس جمعية العلماء المسلمين، لذلك مساره

---

يتقاطع مع مسار الشهيد عبد الملك فضلاء، وبعد أن توصلنا هذه التقاطعات حصلنا على مقال للدكتور محمد ابن سمينة، موسوم ب: الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، عن مجلة المصادر العدد 18 يؤكد في ص223 ، أن المعلم عبد الملك فضلاء كان رفيق درب الشاعر بوشامة، في الإصلاح التربوي والتربية والتعليم.

<sup>53</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، المصدر نفسه، ص-ص238-239

<sup>54</sup> المصدر نفسه، ص242

<sup>55</sup> المصدر نفسه، ص63

## محمد الأمين العمودي شهيد السلاح والقلم (جدلية الدّم والحبر)

### Muhammad Al-Amin Al-Amoudi, Poet of Weapons and the Pen (The Dialectic of Blood and Ink)

الباحثة: فاطمة صك

gazelsak@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الغوص في جوانب مضيئة من حياة الشاعر الأديب والشهيد المناضل "محمد الأمين العمودي" ابن ولاية الوادي؛ حيث نحاول من خلال هذا المقال تسليط الضوء على حياة الرجل التي جمعت بين النضال الفكري والنضال المسلح، كما نعرض على إسهام الرجل في الحركة النضالية التي قادها الشعب الجزائري ضد قوات الاحتلال من خلال اتخاذ منبر الصحافة ميدانا للدفاع عن الوطن، وتسليط الدراسة الضوء على حياة الرجل، ونضاله الصحفي باعتباره صحفي بارع، وجريء، وخطيبا بليغا، وشاعرا حارب بحد قلم الصحفي وسلاح المجاهد، فحارب المستدمر بقوة الكلمة الهادفة والفكر الثاقب.

الكلمات المفتاحية: محمد الأمين العمودي، الأديب، الشهيد، النضال المسلح، النضال الفكري، الصحافة.

#### Abstract

This research paper seeks to delve into the bright aspects of the life of the poet, writer, and martyr fighter, "Muhammad Al-Amin Al-Amoudi," son of Al-Wadi Province. Through this article, we are trying to shed light on the man's life, which combined armed struggle and intellectual struggle. We also look at the man's contribution to the struggle movement led by the Algerian people against the occupation forces by taking the press platform as a field for defending the homeland, and the study sheds light on the man's life. And his journalistic struggle as a brilliant and bold journalist, an eloquent orator, and a poet who fought with the point of the journalist's pen and the mujahid's weapon. He fought the destroyer with the power of purposeful words and insightful thought.

**Key words:** Muhammad Al-Amin Al-Amoudi, writer, martyr, armed struggle, intellectual struggle, journalism.

الأدباء والمثقفون والكتاب والشعراء والفنانون الجزائريون كانوا دائماً في مقدمة الكفاح الوطني وسقط العشرات خلال النضال ضد الاستعمار وأثناء الثورة التحريرية. فمما لا شك فيه أن أيادي المستدمر الفرنسي لم تطلُ عامة الشعب فحسب، بل كانت تسعى جاهدة إلى إطفاء كل الأقدام التي تحاول إماطة اللثام عن جرائمه بشتى الطرق وتصفيتها ما أمكن لهم ذلك، نظراً لمعرفة فرنسا وحكامها بما تفعله الكلمة، فللكلمة سطوة وسلطة تضاهي سلطة وسطوة السلاح، ومما لا مراء فيه أن الشاعر محمد الأمين العمودي من الشعراء الذين جمعوا في نضالهم بين حمل السلاح وحمل القلم، وهو بهذا كان يسعى جاهداً لفضح العدو الغاشم وكشف أليعيه القذرة، السبب الذي دفع بنا للبحث في حياة هذا الرجل الفذ والقامة الأدبية والثورية العظيمة، الذي نذر حياته في سبيل الدفاع عن الجزائر وعروبها، وهو ما ستكشفه هذه الورقة البحثية.

### 1. نشأة محمد الأمين العمودي

محمد الأمين العمودي أصيل منطقة وادي سوف، مما يؤكد أن الشهيد العمودي قد عاش حياة مشابهة لحياة أقرانه من أبناء جيله جريا على عادة أهل المنطقة، إذ ولد هذا الأخير"حوالي سنة 1892م من أسرة عريقة في العلم والثقافة والوعي الوطني"<sup>1</sup>، فوالده هو الأمين بن يوسف العمودي وأمه مبروكة بنت علي لعبيدي، كما ذكر إبراهيم العوامر في كتابه "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف"، ورغم تباين الروايات حول زمن ميلاده الحقيقي فيذهب البعض من الباحثين إلى ترجيح تاريخ ميلاده إلى سنة 1890م، ومن الذين يؤكدون هذا الطرح محمد بك في مقاله الموسوم بعنوان "محمد الأمين العمودي سيرة ونضال" على أن الرأي الأرجح هو ميلاده سنة 1890م مستدلاً بذلك برسالة كان قد بعثها العمودي إلى الشيخ محمد الهادي الزاهري السنوسي صاحب كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" يقول فيها: "أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري، حياة لا يأسف على أمسه ولا يغتبط بيومه ولا يثق بغيره...تلك حياتي من يوم عرفت الحياة وها قد دخلت السابعة والثلاثين من عمري ولم أظفر بعقد هدنة مع الدهر"<sup>2</sup>، فمن خلال عملية حسابية بين تاريخ الرسالة وفحواها حاول محمد بك إثبات التاريخ الحقيقي لميلاد العمودي، وهي على أغلب الظن الرواية الأقرب للحقيقة، وهو ما يذهب إلى تأكيده أيضا محمد الأخضر عبد القادر السانجي في كتابه "محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب" بقوله: "ولد محمد الأمين العمودي سنة 1890م،

بوادي سوف بالجنوب الشرقي للجمهورية الجزائرية<sup>3</sup>. درس العمودي وحفظ القرآن الكريم في صباه بالمدرسة القرآنية وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقاه الإسلامي على يد الشيخ عبد الرحمان العمودي.

مر محمد الأمين العمودي بمراحل متعاقبة من التعليم في حياته؛ حيث "التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية (محمد بالحاج حاليا) إلى أن بلغ من العمر السادسة عشر سنة ثم التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية وهي المدرسة الثالثة في ذلك العهد بعد مدرسة العاصمة ومدرسة تلمسان التي تشرف على تكوين القضاة ورجال المحاكم الشرعية وأعاون الإدارة الأهلية"<sup>4</sup>، كما تقلد عدة مناصب إدارية و"وظائف في مساره المهني منها وظيفة كاتب عدل في (فج مزالة)\*، ثم وكيلا شرعيا في بسكرة النخيل باب الصحراء، والجزائر العاصمة، فعميد للوكلاء الشرعيين في العاصمة أيضا. كما شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السنوات الخمس الأولى من تأسيسها ما بين (1931-1936م)<sup>5</sup>، في المقابل يذهب كل من سعد العمامرة والجيلاني العوامر في كتابهما "شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف" للقول بأن حياة الأمين العمودي تنقسم زمنيا إلى حقتين زمنييتين كان لهما السبب في إبراز ملامح من حياته وقد قسما الحقب الزمنية على التوالي:

- الحقبة الأولى: وأطلقوا عليها اسم الحقبة التشاؤمية تيمنا بتلك المرحلة التي سبقت مرحلة انخراطه في الحركة الإصلاحية، وهذه المرحلة وإن دلت فهي لا تدل على نفسية العمودي بمفرده أو بمعزل عن حياة الشعب الجزائري، بل هي تدل على نفسية شعب بأكمله، وهي مرحلة تعكس سيكولوجية الشعب الجزائري من خلال كتابات الأمين العمودي.
- الحقبة الثانية: وهي مرحلة الكفاح الفعلي للعمودي من أجل إثبات مبدئه الإيجابي بدافع الإصلاح<sup>6</sup>.

## 2. الأمين العمودي صحفياً:

كتب الأمين العمودي ونشر مقالاته الصحفية متنقلا من جريدة لأخرى عبر مسيرة حافلة من العطاء الفكري، إذ يعتبر العمودي من الأقلام البارزة والواضحة في المجال الصحفي، وفي هذا

السياق برزت كتاباته على صفحات الجرائد المحلية والعربية، ويمكننا أن نقوم بسرد هذه الإنجازات على التوالي:

- كتب في جريدة الأقدام للأمير خالد كانت تصدر بالعربية والفرنسية منذ عام 1919م إلى أن أوقفها الإدارة الفرنسية سنة 1923م، وكانت تدافع وتطالب بالحقوق وإلغاء القوانين الجائرة وتحقيق المساواة لمسلمين شمال افريقيا<sup>7</sup>.
- أسس جريدة خاصة به تحت عنوان جريدة الدفاع (La Defense) سنة 1934م باللغة الفرنسية.

هذه الجريدة كان موضوعها الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين معتمدا قوة الحجة وصدق الكلمة والموضوعية في طرح الأفكار؛ حيث اتخذ الأمين العمودي منبره هذا لهجوم السلطة الفرنسية بلغتها- كانت تصدر باللغة الفرنسية- وموجها قلمه لخصوم الشعب، فاعتبرتها سلطة الاحتلال الغاشم جريدة مناهضة للحكم الفرنسي القائم، خاصة أن هذه الجريدة قد استقطبت إليها قراء فرنسيين، وهذه شهادة واضحة للرجل بقدرته وتصدره العمل الصحفي وفصاحته باللغتين العربية والفرنسية فاضطرت لإيقاف صدورها سنة 1937م<sup>8</sup>.

كما يعتبر الخط السياسي لهذه الجريدة واضحا من خلال اتخاذها منبرا " للدفاع عن الأهالي الجزائريين ضد تجاوزات وتعسف المعمرين وممثلي الإدارة الفرنسية كما اهتمت كثيرا بالدفاع عن التيار الإصلاحى ضد خصومه"<sup>9</sup>، مما يعكس التوجه الفكرى للشهيد الأمين العمودي ومحاولاته الدائمة في بث روح الإصلاح في مقالاته مما جعله محط أنظار المستعمر وعيونه.

وعقب تنقله من العمل في محكمة فج مزالة إلى محكمة بسكرة اعتبر العمودي من ركائز الأدب والصحافة والشعر مدعوما بنشاط ثلة من نشطاء الإصلاح على غرار كل من محمد العيد آل خليفة والعقبي وغيرهم "وكان نشاطهم الثقافي والأدبي له آثاره الفعالة في صحف ذلك العهد منها جريدة المنتقد والشهاب وصدى الصحراء"<sup>10</sup>، هذه الأخيرة التي كان على رأسها أحمد بن العابد العقبي حيث تأسست ببسكرة سنة 1925م، وهي تعد "أول جريدة أسبوعية إصلاحية تصدرها هذه المدينة وقد شارك العمودي في تأسيسها وكان من أبرز كتابها"<sup>11</sup>.

كما يؤكد أحمد توفيق المدني وهو أحد الرجال المفكرين وممن عرفوا العمودي عن كُتب: "أنه ما لبث أن أصبح من رجال الصحافة المبرزين وكان قلمه قلما فرنسيا بديعيا يضاهي أو يفوق أقلام مهرة رجال الصحافة الغربيين"<sup>12</sup> وهذه شهادة واضحة ومؤكدة على قدرة الرجل في اتخاذه للصحافة سلاحا يقض مضاجع المستعمر. ومما يؤكد رأي توفيق المدني هو الصدى الكبير الذي نالتها كتابات الأمين العمودي الصحفية والتي تعدت بدورها حدود القطر الجزائري، فقد كتب في صحف متنوعة على غرار: الجرائد التونسية، و"جريدة الإقدام والمنتقد والنجاح والإصلاح وجريدة الجزائر برئاسة الزاهري والصراط السوي والبرق وغيرهم من الصحف والجرائد.

كما انتهج العمودي نهج الكتابة بأسماء مستعارة مثل ما كتبه في جريدة "البرق" التي كان من "أبرز كتابها وكان يوقع كتاباته باسم سمهري، وهو بهذا يحاول إيقاظ العقول وتوجيه سهام الاتهام للمستعمر بطرق مختلفة، فضجت الإدارة الفرنسية وأعاونها من جرأته فتعرضت للتوقيف في سبتمبر 1927م<sup>13</sup>، كما كان يوقع أيضا بأسماء مستعارة أخرى "كالفتى الزيباني..."<sup>14</sup>.

- كما كتب أيضا في جريدة "المنتقد" والتي صدرت بقسنطينة يوم الثاني من جويلية 1925م وهي تصدر يوم الخميس من كل أسبوع وقد دلت منذ البداية على نهجها الإصلاحي وهي "تختلف عن سابقتها من حيث سلاسة الأسلوب ومتانة اللغة وعمق الأفكار (وعطلت بأمر حكومي بعد أن دامت أربعة أشهر في 29 أكتوبر 1925م أصدرت خلالها ثمانية عشر عددا)"<sup>15</sup>.

- كما كتب في جريدة "الجحيم" بالتعاون مع الزاهري "وهي جريدة تأسست بقسنطينة في 30 مارس 1933 كرد فعل على جريدة المعيار المهاجمة لجمعية العلماء"<sup>16</sup>، وهو من هذا المنبر قد وضع قلمه الصحفي رهنا للدفاع عن مشايخ الجمعية وعلمائها.

- و كتب أيضا في جريدة "الجزائر الجمهورية Alger Rëpublicain وهي التي كانت تصدر من العاصمة الفرنسية"<sup>17</sup>، وهذه دلالة واضحة على أن الرجل لا يهدأ ولا يركن أبدا عن كتابة مقالاته واتخذ الكتابة من عقر دار المستعمر.

- كتب في جريدة النجاح في عهدها الأول وهي جريدة صدرت "بقسنطينة يوم 14 أوت 1920م، اشترك في تحريرها وإدارتها مع السيد عبد الحفيظ بن الهاشمي واستمرت إلى غاية 1956م"<sup>18</sup>.

- كتب في صحف جمعية العلماء وهي السنة النبوية وتعتبر جريدة العلماء الأولى صدر العدد الأول منها في " الفاتح من مارس سنة 1933م كل يوم اثنين وصدر العدد من جريدة الصراط السوي في الحادي عشر من شهر سبتمبر من ذات السنة"<sup>19</sup>.

وللحديث أكثر عن نشاط الأمين العمودي الحافل في الصحافة خاصة وأنه اعتبر من الأعلام الجريئة والقوية في الدفاع عن عروبة الجزائر، والمحافظة على هويتها، فإننا حاولنا حصر بعض مقالاته التي داوم على كتابتها في بعض الجرائد العربية ومحاولة تصنيفها حسب الموضوع:

أ- مقالات ذات بعد ديني<sup>20</sup>:

عنوان المقال	اسم الجريدة	العدد	تاريخ النشر
التجنس والتفرنس	الإصلاح	06	1929/10/03م
الجمعية الدينية	الإصلاح	14	1930/09/25م
إلى الأخوين بيضاوي وتأبط شرا	البرق	06	1927/04/11م
رجال البلاغ	البرق	17-10	1927/05/09م
ليبك لكن على شرط	الشرق	113	1927/09/02م

ب- مقالات ذات بعد اجتماعي<sup>21</sup>:

عنوان المقال	اسم الجريدة	العدد	تاريخ النشر
أخطار المدينة	البرق	08	1927/03/21م
المرأة المسلمة	الإصلاح	08	1929/11/28م
كلمة على السفور	الإصلاح	11	1930/11/23م
الحركة الإصلاحية	الإصلاح	05	1929/10/03م

ج- مقالات ذات توجه سياسي<sup>22</sup>:

عنوان المقال	اسم الجريدة	العدد	تاريخ النشر
بيان وإيضاح	الإصلاح	10	1930/02/02م

من الواضح أن مسيرة العمودي الصحفية كانت تركز على جوانب ثلاث وهي:

- الاهتمام بالجانب الديني في كتاباته لما له من أهمية بالغة في استنهاض الهمم، وزيادة الوعي الشعبي حول القضية، بالموازاة مع ما تقوم به السياسة الفرنسية في طمس الهوية الجزائرية.
  - الاهتمام بالجانب الاجتماعي وهو ما يكمل الجانب الديني خاصة وأنه يسعى جاهدا في مقالاته إلى توعية المجتمع وتفطينه ببعض القضايا المهمة على غرار دور المرأة وأهمية توعيتها، لما كان يرى فيه من انعكاس إيجابي على المجتمع الجزائري.
  - الاهتمام بالجانب الإصلاحي والدعوة في كتاباته إلى التمسك بالهوية العربية والإسلامية، والبحث عن منبر يجمع المجتمع الجزائري بكل أطرافه وفئاته.
3. مسيرة من حياته النضالية:

من المؤكد أن الشهيد البطل الأمين العمودي قد جمع بين النضال الصحفي والفكري، والنضال السياسي، فكانت حياته حافلة بالإنجازات الفكرية -مقالات صحفية في جرائد مختلفة- ومشاركته في النضال السياسي "فكانت الانطلاقة الأولى في مدينة بسكرة صحبة جماعة أطلقت على نفسها (جماعة الإصلاح الديني) تحت رئاسة المرحوم الشيخ الطيب العقبي"<sup>23</sup>.

كما دعا الأمين العمودي رفقة ثلة من المثقفين والمصلحين الجزائريين إلى إنشاء منظمة فاعلة تجمع شمل الجزائريين وتقوم على إصلاح حالة الأمة المسلمة في الجزائر، وهنا أثبت "العمودي مشاركته الفعالة في تأسيس جمعية العلماء المسلمين ثم في صياغة قراراتها وتنفيذها والدفاع عنها خاصة في جريدة الدفاع"<sup>24</sup>. فمع بداية الثلاثينات توجهت أفكار المصلحين والمفكرين نحو تأسيس وإنشاء جمعية العلماء المسلمين، وكان هذا على صفحات جريدة الإصلاح في عددها الرابع، إذ تدعو لضرورة التعجيل بتأسيسها، واتخاذها منبرا للإصلاح.

وهو ما كتب عنه العمودي في تاريخ سبتمبر 1930م حيث عرض رؤيته في مقال في جريدة الإصلاح - أي ذات الجريدة - حيث رسم فيه ملامح وخصائص الجمعية الدينية والتي تجمع ستة علماء جزائريين وتسعى للتصدي للمؤامرة الكولونيالية الهادفة إلى إبقاء المستعمر جاثما على أنفُس الجزائريين<sup>25</sup>.

- " ترأس بعد ذلك جمعية شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان سنة 1937م، التي تصدت للموالين من الجزائريين والأجانب، معبرة عن طموحات الشعب الجزائري"<sup>26</sup>.

#### 4. وفاته:

توفي محمد الأمين العمودي شهيدا رغم تخليه عن مجال السياسة وانعزاله الحياة السياسية والإعلامية في أيام الأخيرة، إلا أن أيادي المستعمر لم تنس ماضيه المشرف، وكلماته المدوية فما فتأت تبرص به، وهذا "ما نجحت في تنفيذه جماعة اليد الحمراء الإرهابية وقامت بتصفيته"<sup>27</sup>.

كما أضاف الأخ أحمد العمودي الابن الأكبر للأمين العمودي أن استشهاد والده كان في قرية العجبية بالبويرة صبيحة يوم: الخميس 10 أكتوبر 1957م؛ حيث كان متجها إلى عمله بمحكمة الجزائر، إذ تم إخبار العائلة في الغد بواسطة الدرك، ويضيف أحمد العمودي: "والسبب هو أن شيخ بلدية البويرة كان من الفرنسيين الراضين للحرب ضد الشعب الجزائري، وكان يعرف النشاط الصحفي للشيخ العمودي، في كان مقرا أن يلقي ضمن مجموعة الأبرياء الذين اغتالهم الأيدي الآثمة من الاستعماريين على الطريقة البشعة المتمثلة في حفرة كبيرة تلقى فيها جميع الجثث، فلما عرف شيخ البلدية المذكورة بأن الأمين العمودي من بين حصيلة حفير ذلك اليوم رفض التصريح للدرك بالدفن الجماعي وأمرهم بالاتصال بأسرته"<sup>28</sup>.

وهكذا انطفأت شمعة من العطاء الصحفي والنضال السياسي على أيدي الاستعمار الغادرة وهي سياسة ظلت تنتهجها السلطات الفرنسية لتصفية الأقاليم الأدبية والفكرية التي تنبض بقول الحق، والسعي وراء تبيد ظلام الحقيقة.

#### خاتمة

وفي الأخير وبعد نهاية هذه الورقة البحثية وختامها، والتي كشفت لنا بعضا من جوانب شخصية الأمين العمودي رغم تنوع نشاطاته والتي تروحت بين الصحافة والأدب والنضال السياسي وكخلاصة لهذا البحث نحاول حوصلة النتائج في النقاط الآتية:

- كشف لنا البحث أن تربية العمودي في بدايته كانت تربية تقوم على تعاليم الدين الإسلامي والاعتزاز بالهوية العربية.
  - تعد شخصية العمودي شخصية فذة تتميز بالعطاء والنضال الوطني الصادق والحر، تراوحت بين تنوع وتعدد المواهب والإصرار الدائم على البحث عن الحقيقة.
  - كان نشاط العمودي دليلاً قاطعاً على كونه صحفياً بارعاً وسياسياً محنكاً وخطيباً مفوهاً يمسك بزمام اللغتين العربية والفرنسية، وأديباً مبدعاً بارعاً.
  - يعد دخول العمودي مجال الإصلاح الديني من أبوابه الواسعة بداية بالعمل الصحفي، ومعرجاً على نشاطه داخل جمعية العلماء المسلمين.
  - تنوع نشاط العمودي الصحفي خاصة في مقالاته بين المجالات المختلفة وما بين مصلح اجتماعي، ومنتقلاً إلى الجانب الديني، ولم يفوت فرصة النقد السياسي وتوجيه الرأي العام بأراءه الصحفية الثاقبة.
  - سخر العمودي قلمه الصحفي في سبيل خدمة القضية الوطنية خاصة في جريدة الدفاع، والتي عرج فيها على عديد القضايا وفتح الأفق واسعاً لطرحة الجريء لبعض القضايا الشائكة خاصة ما يتعلق بالمرأة.
  - ظل قلم العمودي الصحفي يدعو دائماً إلى التمسك بالهوية الوطنية والعربية، والالتحام حول تعاليم الدين الإسلامي.
- في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في توجيه القارئ إلى البحث في بعض الجوانب من حياة هذا الرجل الفذ والقامة السامقة نحو القراءة عن العمودي ولم لا البحث في بعض الجوانب الأخرى من حياته.

## المراجع:

<sup>1</sup> سعد العمامرة والجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، (دط)، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، 1991م، ص 64.

<sup>2</sup> محمد بك، محمد الأمين العمودي سيرة ونضال، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد 25، ص 09.

- <sup>3</sup> محمد الأخضر عبد القادر السانجي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيروت يوسف، الجزائر، 1988م، ص16.
- <sup>4</sup> سعد العمامرة والجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص64.
- \* فج مزالة: مدينة ميلة حاليا.
- <sup>5</sup> حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، مجلة عصور الجديدة، عدد09، خاص بخمسينية الاستقلال الوطني، ربيع 1434هـ/2013م، ص141.
- <sup>6</sup> ينظر: سعد العمامرة والجيلاني العوامر، مرجع سابق، ص64.
- <sup>7</sup> محمد بك، مرجع سابق، ص18.
- <sup>8</sup> ينظر: حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، ص142.
- <sup>9</sup> La Défense. N01. 26 Janvier 1934.
- <sup>10</sup> محمد الطاهر فضلاء، محمد الأمين العمودي الكاتب الشاعر الأديب والخطيب السياسي البار، الندوة الفكرية الثالثة، الوادي، أيام 04/03/02 ماي 1990م، ص14.
- <sup>11</sup> علي غنابزية، مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920-1938م، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي بالوادي، العدد01، ربيع الأول 1425هـ-2004م، ص138.
- <sup>12</sup> أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات، ج2(1925-1954م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1977م، ص499.
- <sup>13</sup> محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية 1847-1939م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص85.
- <sup>14</sup> المرجع نفسه، ص356.
- <sup>15</sup> محمد بك، مرجع سابق، ص15.
- <sup>16</sup> محمد ناصر، مرجع سابق، ص134.
- <sup>17</sup> محمد الصالح رمضان، الأديب شهيد محمد الأمين العمودي كما عرفته، مجلة الثقافة، ع43، شركة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978م، ص18.
- <sup>18</sup> خليفة بن قارة، "الصحفي الذي لم يمت محمد الأمين العمودي 46 عاما بين التناسي والنسيان"، المدونة الفكرية
- <sup>16</sup> محمد الأمين العمودي، الوادي يوم: 10/09/08 أكتوبر 2003م، ص39.
- <sup>19</sup> المرجع نفسه، ص150.
- <sup>20</sup> محمد ناصر، المقالة الصحفية (نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903-1931م)، المجلد الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص241.
- <sup>21</sup> المرجع نفسه، ص261.
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص241.
- <sup>23</sup> سعد العمامرة والجيلاني العوامر، مرجع سابق، ص64.
- <sup>24</sup> محمد بك، مرجع سابق، ص
- <sup>25</sup> المرجع نفسه، ص72.

- 
- <sup>26</sup> م ن، ص ن. حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، ص 142.
- <sup>27</sup> حمزة بوكوشة، شخصيات منسية، مجلة الثقافة، عدد 06، الشركة الوطنية للإعلام والثقافة، الجزائر، 1972م، ص 62.
- <sup>28</sup> حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص 61.

## حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة "قصة عائشة لأحمد رضا حوحو"

### مقاربة على منوال النقد الثقافي

#### The depiction of Woman in the Algerian Short story Example: "Aicha" for its writer, Ahmad Ridha Houhou A cultural Criticism

ط د/ مسغوني الأمين

أ د/ قويدر قيطون

قسم لغة وأدب عربي-جامعة حمه لخضر-الوادي(الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي.

mesghouni-elamine@univ-eloued.dz

ملخص:

تحتفي القصة الجزائرية بقضايا الهامش الاجتماعي، التي تتمثل بداية في مركزية الرجل وتمييش المرأة، إذ بدأ النقد الغربي والعربي على حد سواء في الحد من هذه الثنائية المتناحرة، وبدأت المرأة تتحرر من السلطة الأبوية التي يرسمها المركز الاجتماعي والثقافي منذ الأزل، فالقصة الجزائرية القصيرة تحتفي بحضور المرأة ودورها في الفن والإبداع والفكر، ومنها قصة عائشة لأحمد رضا حوحو التي تبرهن على دور المرأة الفعال في مختلف المجالات أهمها الفكرية والاجتماعية، لاسيما في الحقبة الكولونيالية التي عرفتها الجزائر في الماضي، وعلى هذا الأساس كيف تجلى حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة؟ وما هي مساهماتها في تطور قضايا الأدب والنقد على حد سواء؟.

الكلمات المفتاحية: الرواية الجزائرية المعاصرة؛ المرأة؛ الجمالية؛ أحمد رضا حوحو؛ نماذج بشرية.

#### Abstract

The Algerian story in literature is known by its social marginalization cases. They depict Man centerization and the neglectiin of Woman. However, the Arab and Western criticism started decreasing this feuding duality and the Woman became free from the parenthood authority which culture and society impose upon her. The Algerian short story embraces the woman's creativity and presence in Art and thought. Among

these short stories, Aicha for its writer Ahmad Rida Houhou. The latter improves woman's important roles especially ideologically and socially precisely speaking in the colonial era that Algeria witnessed in the past. So, how was the Woman depicted in the Algerian short story? And what are her contributions in literature notions and criticism alike?

**key words:** the Algerian novel; the Woman; Aesthetics; Ahmad Rida Houhou; human models.

مقدمة:

تعتبر مرحلة ما بعد الحداثة من أهم المراحل التي قلبت الفكر النقدي الغربي والعربي على حد سواء، إذ تأثر النقد بفلسفة هذا العصر، فحارب مفهوم النسق المغلق الذي سنته البنيوية في مقولات اللغة والنص والبنية كمقولات ثابتة تمثل لوغوس الأدب والنقد، فوجد النص نفسه محاصرا بين مستويات اللغة: المعجمية، النحوية، الصرفية والبلاغية، غير قادر على الإفصاح بما تواريه اللغة خلف تلك المستويات، فبرز النقد الثقافي كثورة منهجية على النسق المغلق وأدلى بدلوه في إضافة العنصر الثقافي للنقد حتى يتمكن القارئ من فهم النص وتفسيره، ومن ثم تأويله، إيماننا بأن موت المؤلف تحيل إلى ميلاد القارئ بالضرورة، فدافع النقد الثقافي عن حضور الهامش الاجتماعي والثقافي والسياسي مؤمنا بانفتاح النص على ملابسات إنتاجه وتلقيه، فكانت المرأة أولى الهوامش التي تستدعي إعادة الاعتبار لدورها في المجال الفكري عموما.

## 1- تصورات ما بعد الحداثة للأدب والنقد

### 1-1- النقد الثقافي: المصطلح والمفهوم

تبدأ مرحلة تدخل القارئ مع بداية عصر ما بعد الحداثة التي تولي اهتماما للمتلقي وتسلمه زمام أمور فهم النص وتأويله، فقد اقتصر النقد الأدبي على فهم النص وتفسيره حسب ما تقول بنياته الداخلية ومستوياته اللغوية، وحسب ما تقرره البلاغة والمؤسسة الأكاديمية، يقول الغدامي: "لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على (جماليات) النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوي، ولكن النقد الأدبي، مع هذا وعلى الرغم من هذا أو

بسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي، الشعري والبلاغي، حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكم فينا ذهنيا وعمليا<sup>1</sup>، والجلي أن النقد الأدبي اقتصر على تجلي الجميل النصي بغض النص عن مضمورات النص وما تبيحه ثنايا السطور، إذ وقف النقد الأدبي موقفا صارما ضد الأدب في علاقته بالواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وما يترتب عن ذلك من هوامش تخفيها اللغة والأنساق المقررة سلفا.

وعلى هذا الأساس، فقد عرف الأدب بقدرته الهائلة على استقطاب مختلف القضايا المتشابكة بجميع ملاساتها مثل قضية الحضور النسوي في الفكر والأدب والنقد، فقد مثل مجالا رحبا يخوض فيه المبدع ويفسح له المجال للتعلق مع مختلف تلك القضايا التي يفرضها الراهن من حين لآخر، ويعالجها في قالب فني يلتفت إلى المجتمع والإنسان ويتخلى جزئيا عن مبدأ "اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها" الذي ساد طويلا في مرحلة السلطة الكلاسيكية على مختلف مجالات الحياة، رغبة للاعتقاد بما يقابله من ضرورة فهم الأدب في علاقته بالواقع في بدايات القرن التاسع عشر، الذي بات من اهتمامات الأدباء والنقاد في العالم الغربي والعربي على حد سواء؛ فعلاقة الأدب بالواقع مثلت ثورية منهجية حدائية تحدد انغلاق النص في شاعريته المعهودة في التجلي الجميل، فالنقد الأدبي بمفهومه المتداول تحول إلى طاغية يحول بين الأدب ومختلف السياقات الأخرى.

وفقا لهذا الطرح، يضع عبد الله الغدامي ثلاث خصائص تميز النقد الثقافي تتمثل في:

- أ- لا يوطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسسي للنص الجمالي، بل ينفتح على الخطابات والظواهر التي لا تقرها المؤسسة الأكاديمية.
- ب- يستفيد النقد الثقافي من مناهج التحليل العرفية كالتأويل والتاريخ.
- ج- التركيز على أنظمة الخطاب والإفصاح كما في حفريات فوكو، ودريدا في مقولته: "أن لا شيء خارج النص"، ومفاتيح التشريح النصوي البارتي<sup>2</sup>، ويبدو أن الغدامي يثور منهجيا علة النقد الأدبي الذي يعتبره قد أفل وشاخ ويجب أن يستبدل ببديل شامل يجمع بين الأدب

والنقد والثقافة في مؤسسة فكرية لا يهتمش فيما فرع من هذه الفروع في حضور الآخر، فالنقد الثقافي البديل يسعى إلى مركزة الهامش وتهميش المركز البطريائي الذي ترسب من الثقافة الغربية في صور الميتافيزيقا وثقافة النخبة والأنا المتعالية التي صنعتها الرأسمالية.

## 2- نسق النسوية في القصة الجزائرية المعاصرة في كتابات الأدباء الشهداء

تجلت ملابسات التحرر للهامش في القصة الجزائرية القصيرة منذ أن عمد أصحاب الاتجاه الإبداعي إلى الثورة على سلطة الرواية والخوض في الكتابة القصصية القصيرة مع مجموعة من الأدباء يجمعهم مرتاض في قوله: "شهد الشهر السابع من سنة خمس وعشرين من هذا القرن ميلاد القصة الجزائرية على يد محمد السعيد الزاهري الذي نشر في جريدة "الجزائر" محاولة قصصية عنوانها "فرنسوا والرشيد". ومنذ ذلك اليوم والقصة الجزائرية تدرج، ثم تحبو، ثم تنهض على ساقيها، ثم تتطور بها الحياة، وتتقدم بها السبيل إلى غاية الفن القصصي خطوات شاسعة. فقد وجدنا هذه القصة تخطو خطوات خجولة طورا، وجريئة طورا آخر على أيدي محمد السعيد الزاهري، ومحمد العابد الجلاي، وأحمد بن عاشور، وأحمد رضا حوحو، ثم أبي القاسم سعد الله، فهؤلاء الخمسة أسهموا حتما في بناء هذا الصرح الضخم"<sup>3</sup>، فقد كان للأدباء الجزائريين عظيم الفضل في التعريف بالقصة القصيرة التي ارتبطت بالواقع بصورة مباشرة فاهتمت بمضمراته وبدأت بدور المرأة التي تجلى في تلك الفترة مع الخلافات والتدخلات السياسية على الجزائر، فقد كانت المرأة ذات باع طويل المساهمة في شؤون السياسة والمجتمع والثقافة والحفاظ على عادات الجزائر وتقاليدها وتراثها الأصيل، فكانت هناك نماذج حية لتلك المساهمات مثل: لالة فاطمة نسومر، حسيبة بن بوعلي، مليكة قايد، وريدة مداد، مريم بوعتورة،...فمارسن مهنة التمريض وتسيير جماعات مسلحة ضد الاستعمار منذ 1830 بشجاعة تضاهي شجاعة الرجل وقوته وكفاحه.

يقول حوحو في نقده للثقافة الجزائرية في الحقبة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر واصفا الحال المزرية التي بلغها هذا المجتمع من انحطاط ديني وأخلاقي وفساد اجتماعي وسياسي وتدهور مس جميع المجالات: "عائشة امرأة ككل النساء الجزائريات، واحدة من آلاف النساء

اللائي يموج بهن المجتمع الجزائري المظلم، لم تتخرج من مدرسة لا شرقية ولا غربية ولم تتلق أية تربية خاصة أو نشأة معينة، عدا التربية الفطرية والنشأة المحافظة، المفروضتين من هذه البيئة الجزائرية الوحيدة التي لا تعرف التطور ولا التغيير، وعاشت عائشة في محيطها الضيق المظلم لا تعرف عن العالم الخارجي شيئاً<sup>4</sup>، فالاسم الذي يعتمد حوحو "عائشة" مستمد من الثقافة العربية الأصيلة، يعود إلى اسم زوجة النبي ﷺ "عائشة أم المؤمنين" التي تعتبر رمز الشجاعة والأخلاق الرصينة والتمسك بتعاليم الدين الحنيف.

ثم يردف الكاتب قائلاً: "لا تعرف عن نفسها إلا أنها عورة يستحي ذوها من ذكر اسمها وأسماء والدتها وعمتها، فهن جميعاً يكون نوعاً خاصاً من المخلوقات لم تفهم كنهه، ولم تحاول أن تدرك كنهه، ولكنها تعلم حق العلم أن وتلدها وغيره من رجال الأسرة يطلقون عليهن جميعاً اسم "العباد" ولا يتلفظون بهذا الاسم إلا مقروناً بكلمة اعتذار، وكثيراً ما سمعت والدها يتحدث مع جاره فيقول "عبادي حاشاك" يقصد جميع نساء الأسرة فيعتذر عن ذكر أسمائهن كما يعتذر حينما يتلفظ بلفظ قدر أمام شخص محترم"<sup>5</sup>، والواضح أن الرجل الجزائري شأنه شأن الغربي الذي يؤمن وفرويد أن: "المرأة لا تصلح إلا لإشباع رغبات الرجل"، فأن يعتقد الرجل أن المرأة عورة، هذا إنقاص من قيمتها ومكانتها التي صانها الدين الإسلامي الحنيف، إذ يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [سورة النساء/الآية 19]، فالمجتمع العربي يسير على خطى الدول الغربية التي تحط من قيمة المرأة، ولا يمثلون لسلطة العقيدة في قضية المرأة التي كانت من أهم وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "واستوصوا بالنساء خيراً"، وفي سياق آخر يقول: "رفقا بالقوارير" وغيرها من مقامات تقديس المرأة ورفع مكانتها في الدين الإسلامي.

وفي صدد الأدب والنقد النسوي، فحتى الغرب ذاته أعاد للمرأة قيمتها التي أهدرها العصر اليوناني الذي كان يعتقد أن الفكر يقتصر على الأبوية، وأن المرأة آلة للإنجاب والمتعة والمحافظة على البيت والتربية السليمة للنساء، فالمرأة مرت بمراحل طويلة من التهميش التي استجمعتها ماري

ايجلتون في كتابها الموسوم: النقد الأدبي النسائي: "لماذا ننظر؟ كيف ننظر؟ إن الشك في جدوى النظرية منتشر في طول الحركة وعرضها، فنحن نواجه تاريخا طويلا من النظريات الأبوية التي تزعم أنها قد أثبتت بصورة قاطعة أن النساء أدنى من الرجال وليس من المستغرب إذن أن نلتزم الحذر"<sup>6</sup>، فهذا السعي الحثيث الذي تمارسه ناقدات هذا الاتجاه لدحض معتقدات النظرية الذكورية بقيادة سيغموند فرويد في ما يسميه "الحسد القضيبى" وغيره من الفلاسفة الأبويين ما يدعوا إلى التأمل في حقيقة هذا النوع من الأدب الذي يثبت نفسه في الساحة الأدبية والفكرية عموما وبصفة كبيرة، فهي: "أشبه بتيارات اجتماعية وسياسية تلتقي في النقد النسائي حول فكرة الانتصار للمرأة والمطالبة بفرص لها مساوية للرجل في النظام الرمزي، أو رفض النظام الرمزي للرجل باسم الاختلاف أو التخلص من هيمنة الرجل"<sup>7</sup>، فالحضور النسوي في إبداع الرجل يدل بصورة قاطعة على رفض المرأة لقانون العبودية والدعوة إلى التمرد على السلطة ومختلف أنماط فلسفة التمركز بصورة قاطعة.

يوصل الكاتب في عرض الهامش النسائي في المجتمع الجزائري في ستينيات القرن الماضي، فيقول: "هي إذن كائن تافه لا مسئولية له في الحياة، بل إنها أتفه، من أي حيوان من الحيوانات التي يملكها والدها الذي لا يستحي من ذكر حماره أمام الناس، ... كل هذا لا يعنىها ولم تفكر فيه، بل إنها لا تملك حق التفكير فيه، فهي تسير في طريق مرسوم محدود"<sup>8</sup>، لهذا السبب المطلق تمرد النقد الثقافي على النقد الأكاديمي، وأطلق عنان الهامش، ثم درس تأثيره على الفرد والمجتمع قبل الأدب والفن والنقد عموما، فالنسق الذي سنته البنيوية في 1961 ظل يتكرر في بصور جديدة تجلت في المجتمعات ومجالاتها التي بنت لنفسها نسقا فحوليا، وفرقت بين طبقات بنياته فالذكر ليس كالأنثى في الثقافات والحضارات بمختلف امتداداتها.

والمرأة نسق مضمر يتواجد لحظة إبداع الرجل، سواء أكان معه أو ضده، فالرجل يثور على المرأة لكن لا يتنصل من وجودها لحظة الإبداع، ما يدل على كينونتها الثابتة بطريقة أو بأخرى، فهي هامش متمركز في عقل الرجل المبدع وغيره، لذلك حاولت المرأة تمزيق قناع هذا الرجل وتجاوزت المطالبة بالنندية في المجتمع إلى النندية في الحياة الفكرية والنقدية على حد سواء، مثلما

الشأن في كتابات ليلي بلعبيكي، ومستغاني، وغيرهما من أدبيات الجزائر ذات الصيت النقدي والأدبي العالمي الذي يتجاوز شهرة الرجل بكثير، فقد جسد الكاتب لحظة الانقلاب هذه في قوله: "وهكذا تتابعت أيام عائشة في قريتها إلى أن حدث الحادث الجليل الذي خرج بها عن المألوف وجعل من حياتها صورة تختلف عن صور بنات جنسها"<sup>9</sup>، فالكاتب يحاول بطريقة أو بأخرى أن يكشف عن صوت الأنثى المضطهدة في المجتمع، والتأكيد تماما على الهوية الأنثوية التي تستدعي حالات خاصة تتلائم وطبيعتها، فعائشة نموذج المرأة الراضية لسلطة الرجل/الفكر/النقد الأبوي وترفع شعار المساواة والندية واحترام الآخر، يقول: "فخرجت بفكرها عن ذلك المحيط الضيق الذي تعيش فيه إلى محيط أوسع تبحث عن شيء ما، أي شيء كان يميزها عن الأخريات، شيء جديد وكفى، وشاء القدر أن تطرق سمعها أحاديث سياسية وأفكار وطنية. وشاعت أحاديث السياسة والوطن في تلك الأيام حتى عمت الأوساط المختلفة ووصلت إلى بيئتها، فرحبت بها واعتنقتها مدفوعة بدافع حب السمو والرغبة في أن تكون لها أفكار وأحاديث ترتفع عما تفكر فيه وتحدث به الأخريات"<sup>10</sup>، فعائشة صورة البطلة التي يولها الكاتب أحمد رضا حوحو أهمية بالغة في القصة، إذ يعدها محورا تبنى عليه يبلغ من خلالها رسالة سامية عن الهامش النسوي في الجزائر كصورة لباقي الدول العربية والغربية التي تصنع الطبقة الاجتماعية وتساهم في عمقها وتوغلها في الراهن، فيبين أن الشخصية هنا قد ذابت، وبنيت امرأة نصوبية ذات رسالة اجتماعية وسياسية، تحطم من خلالها نسق الإخضاع والهيمنة، ففي فترة الاستعمار الفرنسي على الجزائر من 1954 إلى غاية 1962 كان للمرأة دور هام في المساهمة في حركات التحرر والقيادة التي لم تقتصر في حقيقة الأمر على الرجال المجاهدين أمثال رضا حوحو بالذي جاهد بالقلم وكان مثالا يحتذى به في الالتزام بقضايا الواقع الجزائري الكولونيالي، أو غيره ممن جاهدوا بالنفس والنفيس في سبيل تحرير الوطن، فلم يغفل حوحو على الاعتراف بجميل أولئك النسوة اللاتي حاربن بطريقتهم وضحين من أجل الانتصار بشجاعة الرجل أو تفوق، فالمرأة الجزائرية مثال على الصدق والشجاعة والتضحية، لذلك كان لها نصيب في كتابات أحمد رضا حوحو رغم الصورة التي رسمها الرجل لها من ضعف وخيانة وخوف.

فمن ترسبات التلاقح الثقافي تعنيف المرأة لأنها كما يعتقد يوحنا الدمشقي أنها: "حمارة عنيدة"، إذ من خلال الاستعمار الغربي الفرنسي على الجزائر ترسبت هذه الأفكار الطبقية التي تميز الرجل عن المرأة وتنحاز للطرف الأول باعتبارها سلطوية جسدية وفكرية ونقدية ومفاضلات اجتماعية سلبية تخلق فجوة بين الرجل والمرأة.

ويبدو أن الكاتب يعتبر المرأة مقدسة كما تقر بذلك العادات والتقاليد العربية والتراث الجزائري الأصيل: "قالت عائشة أنها وطنية، وأمنت بذلك إيماناً راسخاً، واعتقدت اعتقاداً قوياً أنها لا بد من أن تجني ثمرة ذلك عاجلاً، وشاء ربك ألا تنتظر طويلاً، فقد انتشلتها هذه العقيدة المقدسة من خضم رذائلها... ثم وفقت للاهتمام إلى زوج متواضع صالح بنى بها دون أن يسألها عن ماضيها، ولم تشأ أن تسأله عن مستقبله، وإنما اكتفت بالعيش البسيط في أحضانها راضية وهي صامته كالقبر"<sup>11</sup>، فالمرأة المؤدبة المسائرة لأفكار الرجل لا تعد امرأة فاشلة، إنما هي امرأة تعتقد بسلامة ذلك وقدرة الرجل على حمايتها في سياق الود المتبادل والاحترام والوقار، ففي ذلك مسأرة مرحلة التأنيث التي مر بها النقد والأدب النسوي في بداياته 1840، لكن هو أسبق من ذلك بكثير في قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ [سورة النساء/ الآية 34]

والواقع أن علاقة الأدب بالنسوي بالواقع تندرج تحت طائلة علاقة الأدب بالواقع، كون الواقع بوتقة تضم مختلف هذه الأطراف المتصارعة، فهذه العلاقة تندرج في سياق ارتباط الأدب بالثقافة المنتجة لهذا النص والبيئة المؤثرة في إنتاجه.

وفي الشعر الجزائري المعاصر يطغى حضور المؤنث على كتابات الرجل، إذ يبرز ذلك في قول الشاعر الجزائري ميداني بن عمر:

كم مشطت شعرها

فوق نسيانه-كي يراها

وكم كتبت فوق كفيه نقالها

فتوضأ في دمعها ومحاها

ارتعى فوق ريش اليقين...

حين ترسمه امرأة تحت كتانها<sup>12</sup>، فالتأنيث مضمّر حاضر في كتابة الرجل الذي يبدي على حساب المرأة ولا يستطيع التخلي عن كينونتها في النص، إذ تعتبر بنية مركزية تحرك أحداث النص وتبلورها.

وعلى هذا الأساس فقد ركزت الدراسات النسوية بوصفها أنساقا اجتماعية متوارية خلق النسق الأكاديمي على ما يلي:

- "إرساء وتكريس صيغة التجربة الأنثوية التي يعتقدن أنها متميزة في التفكير والشعور وإدراك الذات والعالم الخارجي
- البحث عن السمات المتصلة بالتجارب الأنثوية كالحمل والرضاعة والأمور العاطفية
- محاولة اكتشاف تاريخ أدبي للموروث الأنثوي، وإبراز سمات "لغة الأنثى"
- التركيز على بعض التيمات النسائية، ومحاولة إظهار عبقرية البناء الأدبي النسوي"<sup>13</sup>، فالنسق الهامش يرتبط بالدرجة الأولى بالمرأة ومدى تحقق حضورها في الأدب والفن والنقد وسائر مجالات الحياة التي باستطاعتها مشاركتها مع الرجل، واحترام خصوصية كل طرف من أطراف هذه الثنائية الجدلية.

خاتمة

تعد المناهج النقدية الغربية ملاذاً يتحقق من خلاله معنى النص، من خلال البحث في دلالاته المختلفة التي تتنوع وتتعدد حسب مقولات المنهج النقدي الواحد، فالنص يستقبل مقولات النقد ليفصح عن خباياه وكوامنه المختلفة.

تعتبر القصة الجزائرية القصيرة وعاء يضم مختلف قضايا الراهن في رحابة، كالقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية المتعلقة بالمجتمع والبيئة التي أنتجته.

تعد قضية المرأة وحضورها في النص الأدبي قضية مركزية في كتابات ما بعد الحداثة التي قلبت موازين النقد الأدبي وأفسحت المجال أمام الهامش الأنثوي للتمركز في مختلف البنى الفنية والإبداعية التي كتبت بقلم الرجل والمرأة على حد سواء.

يدافع الكاتب أحمد رضا حوحو عن حرية المرأة ويبرز مدى قدرتها على اجتياح عالم الرجل بقوة من خلال قصته القصيرة "عائشة".

يعتبر أدب الشهداء نموذج لتضحية هؤلاء في سبيل الوطن الذي يحمل في طياته مفخرة وشجاعة أولئك الكتاب بالتزامهم بقضايا الراهن الجزائري في فترة الستينيات، فلم يقو الاستعمار الفرنسي أثناء تواجده على أرض الوطن بتثبيط هؤلاء أو منعهم من تبليغ رسائلهم الفنية التي تحمل رسائل مشفرة تتأتى بعد تحليل القارئ وتأويله، ما يعرف في النقد الثقافي بالبحث عن الهامش النصي.

#### قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013.
2. بسام قطوس، دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، جامعة الآداب، الكويت، دط، دت.
3. عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005.
4. عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 1990.
5. ميداني بن عمر، فوق أفراحه، ضمن كتاب: قبل أن تنفذ الكلمات، دار الثقافة، وادي سوف، 2007.

#### المراجع:

- عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005، ص8<sup>1</sup>  
ينظر: عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، م س، ص32.<sup>2</sup>  
عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، دط، 1990، ص16.<sup>3</sup>  
أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013، ص16.<sup>4</sup>  
المصدر نفسه، ص16.<sup>5</sup>  
بسام قطوس، دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، جامعة الآداب، الكويت، دط، دت، ص190.<sup>6</sup>

حضور المرأة في القصة الجزائرية القصيرة "قصة عائشة لأحمد رضا حوحو" مقارنة على منوال النقد الثقافي  
مسغوني الأمين/قويدر قيطون

---

المرجع نفسه، ص 186.<sup>7</sup>

المصدر نفسه، ص 17.<sup>8</sup>

المصدر نفسه، ص 17.<sup>9</sup>

المصدر نفسه، ص 17.<sup>10</sup>

المصدر نفسه، ص 18.<sup>11</sup>

ميداني بن عمر، فوق أفراحه، ضمن كتاب: قبل أن تنفذ الكلمات، دار الثقافة، وادي سوف، 2007، ص 19.<sup>12</sup>

<sup>13</sup> بسام قطوس: دليل النظريات النقدية المعاصرة، م س، ص 190/191.

## جمالية الإبداع الأدبي لشهداء الجزائر بين جدليتي المداد والدماء

### The beauty of the literary creativity of the Algerian martyrs between the dialectics of ink and blood

طالبة دكتوراه جهيدة رضوان

د-نوال قرين

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة قاصدي مرياح -ورقلة-(الجزائر)

مخبر النقد ومصطلحاته. جامعة قاصدي مرياح -ورقلة-

redouanedjahida97@gmail.com

ملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى البحث في كتابات الشهداء الأدباء الجزائريين بين الواقع النضالي والهاجس الأدبي، فقد شهد تاريخ الجزائر النضالي العديد من الشهداء المبدعين في عديد من المجالات الأدبية، ممن خلدوا أدبا عظيما عظمة استشهادهم وانتقالهم إلى الرفيق الأعلى.

تهدف هذه الورقة البحثية للوقوف عند تجليات صورة الشهيد في الإبداع الأدبي الجزائري، مسلطين الضوء على الكاتب الأديب الحبيب بناسي من خلال أعماله الأدبية بين خصوصية الإنتاج وسؤال الإبداع في ظل الظروف القاسية للاستعمار الفرنسي الهتمي الغاشم.

الكلمات المفتاحية: الأدباء الشهداء؛ صورة الشهيد؛ خصوصية الإنتاج؛ الإبداع؛ الحبيب بناسي

#### Abstract:

Through this study, we seek to investigate the writings of the Algerian literary martyrs between the struggle reality and the literary obsession. They are alive among us with their poetic works that pulsate with patriotism, with zeal for religious affiliation and Islamic identity, with short stories that establish the seed of change for the better in an Algerian Muslim society whose language is Arabic, and with novels that may be written in the language of the other, but they carry between their lines bullets aimed at the

chest of à brutal colonialist who crouched for a long time. On the breath of the Algerians Vktmha.

This research paper aims to stand at the manifestations of the image of the martyr in Algerian literary creativity, highlighting the writer Habib Benassi, through his literary works, between the specificity of production and the question of creativity under the harsh conditions of the brutal and brutal French colonialism.

**key words:** martyr writers; image of the martyr; Production specificity; creativity; Habib Benassi;

#### توطئة:

ليس بالضرورة أن يقتصر الاستشهاد على شخص بعينه أو صاحب مهنة محددة؛ إنما قد يكون الشهيد مُدرسا أو طبيبا أو عاملا أو مهندسا، كما قد يكون كاتباً مُبدعا يتقن حمل السلاح للقتال، ويحترفُ حمل القلم للإبداع، فالشهيد ظل ويبقى رمزا للبطولة والفداء، ونموذج للتضحية والعطاء من أجل الوطن، لذلك كرمه الله سبحانه وتعالى -نظرا لقدامته- بالخلود، وجعل مصيره الفردوس الأعلى؛ حيث يقول عز وجل في كتابه العظيم: "ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون" الآية 169، من سورة آل عمران، ولذلك ارتبطت الشهادة بالمعاني السامية، واعتبرت في الدين الإسلامي أرقى أنواع الموت، وارتسمت صورة الشهيد في المخيال الجمعي ناصعة البياض، تُصاحبها التكبيرات والزغاريد، وحملت الشوارع أسماءهم، وحاكت المخيلة الشعبية الأغاني والأهازيج في التغني ببطولاتهم.

وقد عرفت الساحة الأدبية أسماء بارزة لشهداء أدياء خلدوا أسماءهم بأحرف من ذهب في تاريخ الجزائر العظيم، أمثال: مولود فرعون، أحمد رضا حوجو، الأمين العمودي، عبد الكريم العقون، الحبيب بناسي، الربيع بوشامة... وغيرهم؛ ممن كانوا -دائما- في طليعة الكفاح الوطني خلال سنوات الإزهاق الماضية، حين كانوا هدفا للموت، وسقوط العشرات منهم، وقبل ذلك خلال النضال ضد الاستعمار الفرنسي، وأثناء ثورة التحرير المجيدة، كل هذه التضحيات سواء كانت بالدماء أو بالقلم دفاعا عن الحرية والوطن، وسنقفُ من خلال هذه المداخلة على الأديب الشهيد الحبيب بناسي، الذي كان ضمن أحد أبناء الجزائر الذين أخذوا مواقعهم في الطليعة من مسيرة

أمتهم، ومضوا بوجودهم بحياتهم من أجل حياتها حتى سقط شهيدا على أرضها فداء لحريةها وعزتها وأصالتها وسيادتها، حتى عُدّ واحدا من أدياء جيل الثورة، يعود له الفضل في تطوير الفن القصصي الجزائري المعاصر، وإثراء الحياة الأدبية بعد الاستقلال.

### السيرة الذاتية للشهيد الحبيب بناسي:

وُلد الحبيب بناسي بتاريخ 13 ديسمبر 1928م، بمدينة المشرية، بولاية سعيدة، ولما بلغ الثانية عشر من عمره انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري والكشافة الإسلامية التي كونت لها فرعا بمدينة المشرية.

طالب أديب تائر؛ إذ عُرف منذ نعومة أظافره بالتمرد على كل صور الطغيان والظلم والاستبداد، كان له من النضال والروح الوطنية، ما جعله يُناهض فرنسا الاستعمارية ورجعيتها بقلمه وفكره، وهو لا يزال طالبا متجولا بين الجزائر والمغرب وتونس، كتب ضدها قبل وبعد اندلاع الثورة التحريرية، إلى أن التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، لتوافيه المنية، ويسقط في ساحة الشرف، وهو لم يتعد 28 سنة من عمره.

ظهرت مواهبه الأدبية أثناء نضاله في حزب الشعب مبكرا، وكذا نشاطه النضالي، خاصة عندما وقعت أحداث الثامن من ماي 1945، وكان لنشاطه -هذا- الفضل في التعرف على شخصيات بارزة كانت في المعتقل بمدينة المشرية، مثل: الشيخ العربي التبسي والشيخ سعيد الصالحي،.... وغيرهم، وعند سفره لمدينة الجزائر العاصمة التقى بالكثير من زعماء حزب الشعب، وقد شارك بإلقاء خطب حماسية، ولما اشتد النزاع بين جناحين في حزب الشعب حول طريقة مواصلة الكفاح كان الأديب الحبيب بناسي يميلُ مع الذين يطالبون بالإسراع في الكفاح المسلح، لأن ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة، ومن أهم ما ميز نشاط الأديب الشهيد سنة 1954 هو كتابته لسلسلة مقالات على شكل مراسلات نشرها بصحف تونسية، وكان موضوع مقالاته يدور حول الثورة واحتضان الشعب الجزائري لها، وقد اتصلت به جبهة التحرير الوطني بعد أن لفت نشاطه الصحفي انتباهها له فكلفته بالإشراف على تأسيس خلية فدائية، وأصبح مُرشدا ومنظما للحركة الفدائية بمدينة سيدي بلعباس، كما شارك في أكبر هجوم شنه الفدائيون على المدينة في

نوفمبر سنة 1956، والتحق بعد هذه العملية بصفوف جيش التحرير الوطني وصعوده إلى الجبال من أجل الكفاح، إلى أن سقط شهيدا -رحمه الله- بتاريخ 15 ديسمبر 1956، في دوار تابع لدائرة تلاغ في ولاية سيدي بلعباس، وتُفيد بعض الشهادات انه استشهد حرقا، وذلك بعد معركة بين جيش التحرير وقوات الاحتلال الفرنسي.

أحمد بناسي رائدا من رواد القصة القصيرة في الجزائر:

إن الأعمال القصصية في الجزائر، بلغت درجة عالية من الوعي، وتميزت بالموهبة الفريدة والعبقرية الفذة، والذوق الحسن والمقدرة على الكتابة، والعمق في التعبير والتجاوب الكبير مع الأحداث، والمواضيع المرتبطة بالإصلاح والمجتمع، أما مضامينها فجاءت لتعكس الواقع الجزائري بمختلف مراحلها التاريخية، لأن الأدب -عموما- وليد البيئة، يعكس صورها ويُعبر عن مظاهرها، والقصة القصيرة الجزائرية الحديثة شأنها شأن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، تأثرت بالواقع والمحيط الجزائريين، وأثرت فيهما وعكست الكثير من مظاهر الفكر الجزائريين وبلورت الكثير من الأفكار والعادات السائدة في المجتمع على مراحل تطور المجتمع الجزائري، ومن أبرز المضامين التي عالجتها القصة الجزائرية الحديثة نجد المضمون الوطني، المضمون الاجتماعي، المضمون الوجداني، المضمون الديني، والمضمون الإنساني.

ثم إن المتأمل للقصص الثورية الجزائرية يرى: "تميز جيل الثورة بأنهم ذو فضل كبير على تطوير الفن القصصي الجزائري، تجاوزوا بفهم مرحلة الثلاثينات والأربعينات، وقدموا جهودا إبداعية عبرت عن ظروف الحرب، وصورت نضال الإنسان الجزائري لطرد المستعمر خصوصا أثناء الحرب التحريرية 1954-1962، وبذلك أسهم الأدب في دعم الثورة"<sup>1</sup>.

يُعد الأديب الحبيب بناسي أحد رواد كتاب القصة القصيرة بالجزائر، ويقول الأستاذ شربيط عن الآثار الأدبية للشهيد في كتابه "مباحث في الأدب الجزائري المعاصر": "أن الأديب الشهيد قد ترك عملا واحدا، طُبِعَ جزأه الأكبر بجامعة تلمسان عام 1956، وهو "صرخة القلب"؛ وهو كتاب يحتوي على لوحات قصصية يغلب عليها الأسلوب الرومنسي، كما بدا أسلوبه في هذا الكتاب قريبا من أسلوب الكاتب اللبناني جبران خليل جبران، وخصوصا في نزعتة الثورية فقد

تحدث عن الرسم بقوله: "من أنت أيها الرسم أحياتي أم روحي؟ أم ملك مقدس بعثت به أرواح الجمال من تلك السماوات الروحانية ليخاطب روحي ويعانقها فتمتزجان وتسموان معا إلى برزخ الأرواح، أم أنت روح فنيس آلهة الحب والجمال؟"

والملاحظ أن هذا الأسلوب قد تغير وصار واقعيا، ليتجلى ذلك خصوصا في مقالاته ومراسلاته التي كتبها في مرحلته الأخيرة.

ومن كتاباته كذلك "يتيم الأصنام"، "شهداء الأدب والسياسة"، "دماء ودموع"، "شهيد بلا قبر"، "لييك يا جمال"، "الحنين إلى الوطن"، "الإمام عبد الحميد ابن باديس"، و"الثورة الجزائرية... كيف نشأت؟"<sup>2</sup>.

من خلال مؤلفاته يتضح لنا أن خطابات الشهيد السردية، ومؤلفاته الأدبية كانت إضافة نوعية للأدب الجزائري الحديث من خلال أسلوبه في الكتابة، إضافة إلى المضامين المتعددة، والمواضيع المتنوعة فيها.

#### أعمال الحبيب بناسي الأدبية بين خصوصية الإنتاج وسؤال الإبداع:

يُوصف قلم الشهيد الحبيب بناسي بأنه كان خصبا، فأحسن استخدامه في الدفاع عن قضية جزائره، والتعريف بمأسها لدى الخاص والعام، كما يُعزى له الفضل في إثراء الساحة الأدبية الإبداعية والنقدية التي تعد اليوم شاهدا على الثورة التحريرية، ولعل من أبرز أعماله الأدبية -على الإطلاق- ثلاثيته القصصية المتمثلة في: "مأساة أسرة"، "شهيد بلا قبر" وقصة "الدكتور الشهيد".

"قصة "مأساة أسرة": -وهي قصة ذات طابع وطني- تجسد لنا نهاية أسرة جزائرية ثرية، تملك أراضي واسعة، وضيعة جميلة، وبضعة سيارات فاخرة، وقد ألفت السلطات الاستعمارية القبض على معيها، بعد أن أخبرها حساده بأنه يأوي في بيته مجموعة من المجاهدين نهارا، ويُقدم إليهم كل ما يحتاجونه.

أما قصة "شهيد بلا قبر": فإنها تصور قصة شاب مثقف، يحمل شهادة الليسانس، تخرج من جامعة القاهرة بمصر، تحديدا من كلية الآداب واللغات، ويعمل مراسلا صحفيا للجرائد الوطنية الجزائرية، وأثناء وجوده بالقاهرة كان يُرسل الصحف الوطنية في الجزائر، ولكنه ما إن سمع بقيام الثورة حتى عاد إلى بلاده، إلا أن سلطات الاستعمار الفرنسي، سارعت، فألقت القبض عليه بتهمة أنه همزة وصل بين القاهرة والثورة في الجزائر، لتُدخله إلى غياهب السجن، ولما رفض البوح بأسرار الثورة قُتل، ثم رموا جثته في البحر.<sup>3</sup>

وتأتي قصة "الدكتور الشهيد" لتخص بالذكر سيرة المجاهد الجزائري الحكيم "بن عودة بن زجرب" وطريقة استشهاده الفذة.

وفي قصة "الطبيب" تتجلى طريقة بناسي في الحديث عن انتشار أخبار الثورة، وتغلغلها في البيئات الجزائرية؛ حيث يُمهد لذلك بتغير طباع شخصياته، ويصنع جوا متوترا بينهم وبين المحيط، فملاح الشخصية المحورية "الطبيب" -مثلا- تتغير طباعها، فيحس عمالها بجفائه، وابتعاده عنهم، ويفقدون بذلك الجلسات الممتعة التي كان يُنظمها لهم في بيته، وفي معظم الأحيان يكون هذا التغيير دافعا قويا للناس إلى معرفة الأمور الجديدة، كما ان للكاتب أسلوبا جديدا في تقديم شخصية "المجاهد"، فهو لا يكشف أمره للناس منذ الوهلة الأولى، وإنما يُقدمه في صورة شخص غريب عن الديار أو العج، لا يعرف المواطنون عنه شيئا، فالمجاهدون يأتون إلى بيت الطبيب في ساعة متأخرة من الليل، ولا يبرحونه طوال النهار، فإذا أقبل الليل وأسدل ستائره السود، خرجوا حيث لا يعلم أحد مقصدهم، مقنعون ولا يتحدثون إلا هامسين، ويرتدون ملابس خاصة، ويحملون أنواعا من الأسلحة والذخائر الحربية.

ولقد حقق هذا الأسلوب هدفين هاميين:

الأول: أنه خلق "تشويقا" حادا في نفوس الأهالي لمعرفة هؤلاء الغريباء المقنعين أو الذين لا يتحدثون إلا همسا، ولا يخرجون إلا حين يشتد ظلام الليل من جهة، والثاني: أنه أشار إلى السرية والحذر اللذين اتسمت بهما الثورة التحريرية، وعلى كل فإن هذا العمل للحبيب بناسي يعد من أساليب العمل الفدائي، كيف لا وهو رجل الفداء وشهيد الواجب الوطني؟

بهذه التقنيات –وغيرها- حاول الأديب الحبيب "الحبيب بناسي" تطوير مفهوم الكتابة الأدبية، وتجاوز التعريف السائد –آنذاك- للأدب، مُستعينا بذوق فني رفيع، وقد قادته رؤيته الجديدة للفن أن يُواكب تطور الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر، ليكون بذلك سباقا إلى موضوعات حرب التحرير، إلا أن موضوعاته كانت قليلة، و–ربما- ينقصها الصقل.

### الخصائص الفنية المُعتمدة في قصص الحبيب بناسي:

#### أ- الأسلوب:

يُعنى بالأسلوب الصورة التعبيرية التي يصوغ بها الكاتب قصته، متضمنة اللغة، والعبارات، والصور البيانية، والحوار.... وما إليها من عناصر الصياغة، ومن خلاله تتجلى براعة القاص في العرض، ويُعتبر الأسلوب جزءا مهما من القصص الأدبية؛ إذ يسهم في بناء الأحداث، وإعطائها المزيد من الدراما والإثارة، كما أنه يعكس شخصية الكاتب، ويجعل النص مميزا وفريدا، ويمكن للأسلوب أن يعزز من قوة الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ.

وإذا ما دققنا النظر في أسلوب الحبيب بناسي، فنجد أنه يعمدُ إلى لغة بسيطة وسلسلة، وأسلوب مائع، إضافة إلى أن نصوصه تزخر بالصور البيانية كالاستعارة في قوله: "فإذا أقبل الليل وأسدل ستاره السود"، وثلتمس هذا في قصة "الطبيب"، والتشبيهات والكنائيات، وتوظيف المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة والكثير من السجع، والملاحظ أن الغاية من توظيف بناسي لألوان الزخارف والبديع والبيان لم يكن لإبراز كفاءته اللغوية، وإنما لتقريب المعنى وتثبيتته في ذهن المتلقي.

#### ب- الشخصيات:

للشخصية تعريفات عديدة، سنقتصر منها على مفهوم الشخصية القصصية فهي "أحد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة"<sup>4</sup>، ولا يجوز الفصل بينها وبين الحدث، لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث، وينتقي القاص –في معظم الأحيان- من

الشخصيات التي يوظفها للتعبير عن أفكاره وآرائه شخصية محورية تتجه نحوها أنظار بقية الشخصيات، كما أنها تقود مجرى القصة العام .

أما الشخصيات التي اعتمدها الحبيب بناسي في نسج قصصه فهي شخصيات وطنية، تمتاز بالثقافة العالية، وحسن الأخلاق، فنجد بطل قصته "شهيد بلا قبر" يحمل شهادة الليسانس من جامعة القاهرة، ويعمل مراسلا صحفيا للجرائد الوطنية الجزائرية، أما قصة الدكتور الشهيد فتمثل سيرة المجاهد الجزائري الحكيم "بن عودة بن زجرب"، وبيان طريقة استشهاده.

والملاحظ في قصص الحبيب بناسي أن الشخصيات التي يوظفها معظمها -إن لم نقل كلها- تشترك فيما الشخصيات الثورية، وتشترك في صفة عامة وهي إضافة انتماءهم إلى أسر غنية ذات جاه كبير ومال كثير وعلم غزير، ليتبين لنا ان الأديب الحبيب يكاد ينفرد بهذا الوصف في تاريخ القصة الجزائرية، لأن معظم القاصين الجزائريين صوروا شخصية الثري إلى جانب شخصية الخائن الذي يحافظ على مصالحه، وتنمية ثروته بشقى السبل والوسائل حتى وإن كانت ضد قيم بلاده، أو ضارة بشعبه، أو حتى بأهله، وأن القضاء عليه أمر لا يقل شأنًا عن القضاء على المستعمر، أو حليفه الطبيعي المعمر، كما يمكن اعتماد الملامح التي رسمها الحبيب بناسي للجندي الفرنسي في قصصه قاعدة أساسية لصورة الفرنسي في النتاج القصصي الجزائري، فالفرنسي سيء الخلق، عديم الإنسانية، قلبه خال من الرقة، لا يسمع غير صوت الباطل ونداء الظلم.

### ج- البيئة المحلية:

من العناصر المؤثرة تأثيرا كبيرا على طبيعة وأحداث الخطاب السردي، عنصر البيئة الذي يخلق الفن، ويتبلور في أجوائه، وهو لا يقل أهمية عن عنصر الحكمة وعنصر الشخصيات في الرواية أو القصة؛ ويُعنى بعنصر البيئة "حقيقة الرواية الزمانية والمكانية، أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم وأساليبهم في الحياة"<sup>5</sup>

ويمكن اعتبار زمان ومكان الحدث أسلوبا فنيا، يستعمله القاص للوصول إلى تقريب العمل القصصي إلى أذهان القراء بجعله ممكنا أو محتملا، وهذا يعني أن "وظيفة الزمان والمكان في العمل القصصي هي خلق الوهم لدى القارئ بأن ما يقرأه قريب إلى الواقع، أو جزء منه"<sup>6</sup>.

ونجد أن عنصر البيئة في قصة "شهيد بلا قبر" تمثل في القاهرة؛ يقول الحبيب بناسي:  
 "...كانت بيئته في القاهرة...أثناء وجوده بالقاهرة كان يُرسل الصحف الوطنية..."<sup>7</sup>

وفي قصة "مأساة أسرة" كانت البيئة جزائرية، وهي قصة أسرة جزائرية، تملك أراضي واسعة، وضيعة جميلة، والتي كانت تأوي في بيئهم مجموعة من المجاهدين نهارا.

### البُعد الموضوعاتي في كتابات الحبيب بناسي:

ظلت الثورة هي المرجعية الأيديولوجية والفنية التي ينطلق منها الحبيب بناسي كغيره من الكتاب الجزائريين، قصد استعادة تاريخهم النضالي؛ إذ سجل التاريخ أن أعظم ثورة شهدتها العالم العربي هي ثورة الجزائر، التي خاضها الشعب الجزائري ضد المستدمر الفرنسي الغاشم، فكانت بوابة للأدباء والشعراء للدخول إلى معركة الكتابة النضالية التي تبحث عن التغيير، وفي هذا السياق يقول شريط أحمد شريط: "حفلت القصة منذ عام 1947 بتطور الرؤية الفنية ويقظة الوعي الثوري، خصوصا بعد أن دعمت هيئة تحرير مجلة "البصائر" بانضمام أحمد رضا حوحو إليها وغيره...كما كان لأحداث الثامن من مايو 1945 أثر فعال في بلورة الاتجاهات الفكرية الوطنية آنذاك.

وهكذا جرى العمل على التأسيس الفكري للثورة، ورفض الذل والاضطهاد المسلط من قبل المستعمر، الذي لم يتوان في إخراس الأصوات وتكميم الأفواه، ليس هذا فحسب بل راحت الثورة تُشكل مادة خام للروائي والقاص الجزائري، ينهل منها ويغذي القارئ بأفكار ورؤى تنطلق منها وتعود إليها، فقد تحدث الكاتب بناسي عن ثورة التحرير الجزائرية الخالدة وبطولات المجاهدين الأبطال، مجسدا ذلك في أعماله: "صرخة القلب"، "مأساة أسرة"، "الثورة الجزائرية...كيف نشأت؟" وغيرها من الأعمال الأدبية الأخرى.

من خلال ما سبق ذكره نستخلص أن موضوع الثورة كان شغل بناسي الشاغل، إذ صور لنا من خلاله معاناة الشعب الجزائري في الثورة، وجوانب إنسانية كالتضامن والتآزر مع المجاهدين خدمة للوطن الجزائري، وهذا ما التمسناه من خلال قصصه السالفة الذكر.

## الكاتب الشهيد الحبيب بناسي في ميزان الأدب والنقد الجزائريين:

عرفت الحياة الأدبية والثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية تطورا ملحوظا، فقد كثر عدد الكتاب، ورجع بعضهم إلى أرض الوطن، وتخرج بعضهم الآخر من معاهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أفاد جيل الثورة الأدبي أكثر من غيره من التطور الذي بلغته الحياة الأدبية بعد الحرب العالمية الثانية، للتقدم الذي طرأ على مختلف الأنواع الأدبية إثر تأسيس النوادي والجمعيات الثقافية، وانتشار الصحف اليومية والمجلات الدورية التي تُعنى بالإبداع، فقد ظهر أثناء الثورة التحريرية عدد من كتاب القصة، يُعزى لهم الفضل في تطوير الفن القصصي الجزائري المعاصر، وإثراء الحياة الأدبية بعد الاستقلال .

"برز كتاب عديدون خلال سنوات الثورة التحريرية (1954 – 1962)، بعضهم استمر في ممارسة عملية الإبداع، وواصل كتابة القصة القصيرة، وبعض آخر قل إنتاجه أو توقف، مع أن كتابات هؤلاء تتوافر على الحس الفني والموهبة الأدبية الرفيعة<sup>8</sup>، والحبيب بناسي أحد أدباء جيل الثورة، والذي يعد أحد أعلام كتاب القصة القصيرة في الجزائر، إلى جانب المقالات القصصية.

الحبيب بناسي كاتب موهوب، صقلته تجارب الحياة، رغم صغر سنه، ولولا أن الموت أدركه مبكرا لكان له شأن كبير في الأدب الجزائري المعاصر؛ إذ أن كتاباته التي تركها تتصف بالثراء والجد في البحث عن أشكال أدبية جديدة.

ولعل كتابه "صرخة القلب" تدخل ضمن القصص السردية أو المقالة القصصية، فقد نوه محمد منيع بالصرخة وعرضها على القراء، قائلا: إن المؤلف بذل جهودا شاقة، وبكى وحن إلى الوطن، وواجه الحيرة والألم، لأنه جاء من غربة وحل بوطن مضطرب، وتألّم لحال أمته المعذبة، ولكن السيد منيع لم يصف لنا الكتاب ولا محتواه، فبقي محتواه غامضا على من لم يقرأه، كما أنه لم يتحدث عن حجمه ولا عن مكان صدوره<sup>9</sup>، وقد احتوى كتابه "صرخة القلب" على عدة فنون كالخاطرة، المقال الأدبي، والمقال السياسي والصحافي والمقالة القصصية، وكان على دراية واسعة بمسار الأدب الجزائري، واتجاهاته الفنية والفكرية.

حاول الحبيب بناسي تغيير مفهوم الأدب السائد في الحياة الأدبية، وخصوصا في منابر العلماء، حيث كان الأدب إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية مقصورا على الشعر ودراسته<sup>10</sup>، ووصف الأدب بأنه "أفكار وخواطر تولدت من عوامل كثيرة، وتجمعت في فرد واحد أو في أفراد متعددين"<sup>11</sup>.

كتب الحبيب بضعة قصص تعد إضافة للأدب الجزائري -عموما-ولفن القص الجزائري - خصوصا-، واكب من خلال هاته القصص أحداث الجزائر الاجتماعية والسياسية، منها قصة بعنوان "يتيم الأصنام" وأخرى بعنوان "الحب والشرف".

وكتب في السياسة ثلاث قصص قصيرة، وهي عبارة عن مقالات صور من خلالها بعض جوانب الوضع السياسي في الجزائر بعد اندلاع ثورة نوفمبر العظيمة في 11/11/1954.

عالج في خواطره موضوع "الحب"، الذي كان شبه محظور في عهده، وقد كتبه برؤية وأسلوب رومانتيكيين حادين، يفيضان بأفكار الكاتب العربي المبدع جبران خليل جبران، فهذه الألفاظ المشهورة في كتاباته: الهيكل والناموس، الغيب، المحراب، الخمر، والمواكب. إذ لا تكاد تخلو منها أية خاطرة من خواطر الحبيب بناسي؛ ويقول في إحدى خواطره: "إنك بعد حين ستلتقي بالحبيب في عالم ما وراء الغيب، وستفرفر بجناحك إزاءه، وهناك تدخل محراب الحب، وتنحني لذاته المقدسة، وتشرب من خمره، وتسمع أناشيد ترتلها مواكب المُحِبِّين..."<sup>12</sup>

بالإضافة إلى هذا، فقد حاول الحبيب بناسي تغيير مفهوم الأدب السائد في الحياة الأدبية، وخصوصا في منابر العلماء، حيث كان الأدب إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية يقتصر على الشعر ودراسته، ووصف الكاتب الأدب بأنه "أفكار وخواطر تولدت من عوامل كثيرة، وتجمعت في فرد واحد أو في أفراد متعددين"<sup>13</sup>.

وليس هذا فحسب، بل راح الحبيب يكتب بضعة قصص تعد فتحا في القصة الجزائرية المعاصرة على صعيد الموضوع والفن، واكب بها أحداث الجزائر الاجتماعية والسياسية، منها قصة بعنوان "يتيم الأصنام"، وأخرى بعنوان "الحب والشرف"<sup>14</sup>؛ إذ تُصور الأولى طفلا فقد والده أولا، ثم والدته التي هوت عليها جدران العمارات أثناء طوافها بشوارع المدينة بحثا عن طعام له، بينما

تُصور الثانية وبرؤية رومنسية عاطفية الحب في الريف الجزائري، وفيها وصف ملامح الشخصية المحورية، ويقوم هذا الوصف بوظيفة هامة من حيث الكشف عن صفات البطل النفسية والجسمية، ونلاحظ في هذه القصة ضعفا فنيا، قد يعود سببه حديثه الطويل عن حب القائد الرئيسي "نابليون" لزوجته "جوزفين"، وثأر نابليون من زوجته عندما علم بخيانتها، فقد اتخذه بطل القصة عبرة ومثلا احتذاه عندما اكتشف أن خطيبته تخونه مع شاب آخر، فسارع إلى طلاقها، وجاء ضعف القصة في خاتمتها الوعظية التي جاءت على لسان صديق البطل، وهي بذلك لا تختلف عن نهايات القصص الإصلاحية في المرحلة الأولى.

وقد واصل الحبيب بناسي في عملية التأليف والإبداع؛ إذ نشر قصصه الحيوية الجميلة في تونس، بعد اختفاء البصائر، وتفرق قرائها وكتابها على الصحف الأخرى، ومنها الصحف التونسية أيام الثورة، فنشر بناسي ثلاث قصص في جريدة الزيتونة بتونس سنة 1957، ومنها "مأساة أسرة"، و"شهيد بلا قبر"، و"الدكتور الشهيد"، وكانت تشترك كلها في أنها ذات طابع سياسي؛ حيث صور فيها الكاتب بعض جوانب الوضع السياسي في الجزائر بعد اندلاع ثورة نوفمبر الخالدة في أول نوفمبر 1954.

#### خاتمة:

لم تكن الكتابة الأدبية والإبداع الفني في الجزائر حكرا على شريحة معينة من الأشخاص دون غيرهم؛ بل شهدت الساحة الأدبية والثقافية في تاريخ الجزائر أدياء وهم شهداء، صنعوا تاريخا بطوليا مجيدا مزيجا بين ثنائية الدم والقلم، فحملوا السلاح لتحرير وطنهم المفقود، وإلى جانب السلاح راحوا يدنون بيراعهم ومدادهم ما جادت به قرائحهم، رغم محاولة المستعمر الفرنسي تشديد الخناق عليهم، واضطهاد الثقافة الوطنية ومحاربتها بكل الوسائل الممكنة، وخاصة أنها تعتمد على اللغة العربية أداة للتعبير والتفكير، فأزعم على طمس معالمها وتدنير بنيتها، والتشكيك في كفاءتها، لكن الشعب الجزائري استطاع ان يتجاوز هذه المحنة التي فرضها عليه الاحتلال.

أسماء كثيرة لشهداء أدباء صنعوا تاريخ جزائرهم العظيم عظمة أبطاله، وخلدوا أسماءهم بأحرف من ذهب في تاريخ البشرية، ولعل الكاتب الأديب الحبيب "بناسي الحبيب" واحد من هؤلاء، الذين ثاروا في وجه المستعمر بالقلم والسلاح؛ فعد رائدا من رواد الأدب الجزائري، مصنفا واحدا من أدباء جيل الثورة بكتابات القصصية ومقالاته السردية، التي تحتسب إضافة للأدب العربي -عموما-والجزائري -خصوصا-.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول.
2. الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 2، 1984.
3. شريط احمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، (1947-1985)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د، ط 1998 م.
4. عايدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925-1967، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية 1982.
5. عبد الله خليفة الركبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، (ليبيا، تونس)، الطبعة الثالثة، 1978.
6. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وأنواعا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د، ط، 1925 م.
7. فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للتوزيع والنشر، الموصل، العراق، الطبعة 1، الجزء 1، 1410-1989.
8. محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.

### الهوامش:

<sup>1</sup>: شريط احمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، (1947-1985)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، د، ط 1998 م، ص 120.

- <sup>2</sup>: عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تاريخاً وأنواعاً وأعلاماً)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د، ط، 1925 م، ص 185.
- <sup>3</sup>: الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، ط 2، 1984، ص 65.
- <sup>4</sup>: عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار العرب للكتاب، تونس، ص 152.
- <sup>5</sup>: محمد يوسف نجم، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955.
- <sup>6</sup>: فائق مصطفى، في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للتوزيع والنشر، الموصل، العراق، الطبعة 1، الجزء 1، 1410-1989.
- <sup>7</sup>: شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947، 1985، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، ص 5.
- <sup>8</sup>: شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 110.
- <sup>9</sup>: أبو القاسم سعد الله، كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص 132.
- <sup>10</sup>: عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، (ليبيا، تونس)، الطبعة الثالثة، 1978، ص 26.
- <sup>11</sup>: شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 110، 111.
- <sup>12</sup>: عائدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1967-1925، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية 1982.
- <sup>13</sup>: الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 2، 1984، ص 139.
- <sup>14</sup>: عبد الله خليفة الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص 26.

## الأديب الشهيد الشيخ العربي التبسي

### The martyr writer Sheikh Al-Arabi Al-Tebssi

طالبة دكتوراه زغيب سعاد

أ.د. هواوي نهيان

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي (الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية - جامعة الوادي

souadzagbibe@gmail.com

ملخص:

تعددت أشكال مقاومة الجزائريين للإستعمار الفرنسي وتنوعت أساليبهم فمنهم من صاوله بسلاحه ومنهم من دافعه بإصلاحه ومازالت جمعية العلماء راية في جحفل هؤلاء. ومن زمرة من استماتوا تحت عجاج تلكم الولاية.

فهذا البحث يتحدث عن مسار حياة أديب شهيد وإحدى الشخصيات الجزائرية المجاهدة والثائرة والمصلحة في آن واحد، رائد من رواد الفكر الإصلاحي في الجزائر وعضو مؤسس لجمعية العلماء المسلمين ألا وهي شخصية الشيخ العربي التبسي: مجاهد القلم وشهيد السلاح الأديب الشهيد الذي لا قبر له تمت الاستعانة بالسيرة الذاتية للشيخ وبعض المقالات الصادرة عنه وبعض المراجع التي تناولت نشأته وجهاده، ونظهر أيضا سيرة وإبداع العلامة الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي وتكوينه العلمي منذ أن كان طالبا في جامع الزيتونة المعمور ثم جامعة الأزهر الشريف وحتى عودته للجزائر وبداية نشاطه فيها وتطبيق العلم الذي سعى إليه خارجها والتحاقه بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كعضو سنة 1931م ثم كاتب ثم نائب ثم كرئيس فعلي في غياب الرئيس الرسمي الشيخ البشير الإبراهيمي وآخرها اختفاؤه وشهادته في سبيل الله ثم الجزائر يوم 04/رمضان/1377هـ - 04/04/1957م.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، بطل الثورة، العربي التبسي.

**Abstract:**

There were many forms of the Algerians' resistance to the French colonialism and their methods varied. Some of them used their weapons and some of them motivated them to reform it, and the Association of Scholars is still a banner in the crowd of these. And from a group of those who died under the banner of that flag.

This research talks about the life path of a writer, a martyr, and one of the Algerian personalities who struggle, rebel, and interest at the same time. One of the pioneers of reformist thought in Algeria and a founding member of the Association of Muslim Scholars, which is the personality of Sheikh Al-Arabi Al-Tepsi: Mujahid Al-Qalam and the martyr of the weapon, the martyr who has no grave. The biography was used. The sheikh's biography, some articles issued by him, and some references that dealt with his upbringing and struggle. We also show the biography and creativity of the scholar Sheikh Al-Arabi Bin Belkacem Al-Tebsi and his scientific formation since he was a student at Al-Zaytouna Al-Ma'mur Mosque, then Al-Azhar Al-Sharif University, until his return to Algeria and the beginning of his activity there and the application of the knowledge he sought outside it, and his joining the Algerian Muslim Scholars Association as a member in 1931 AD, then a writer, then a deputy, then As an actual president in the absence of the official president, Sheikh Al-Bashir Al-Ibrahimi, the last of which was his disappearance and his martyrdom for the sake of God, then Algeria on 04 / Ramadan / 1377 AH - 04/04/1957 AD.

**key words:** The Algerian revolution, the hero of the revolution, the Arab Tepsy.

**مقدمة:**

لقد كان احتلال فرنسا للجزائر شر خالص جاس خلال الديار، ولعل أنكى ما كان منه هو جعل هذه الأمة المسلمة. أمة اقرأ. أمة أمية الحرف، ترى ولدانها لا يستطيعون حيلة للتعليم، ولا يهتدون سبيلا إلى ذلك، لقد لبثت في هذا ومثل هذا مئة عام غير منقوصة حتى بلغ البلاء أشده واستوى، فكان للأدباء دور كبير في الثورة الجزائرية خاصة ومحاربة ظلم الاستعمار خاصة من كان

يتمتع بمكانة عالية وعلم وافر في كل المجالات كالشيخ العالم المصلح المجاهد العربي التبسي فما هي سيرته وأهم مقالاته وإبداعه في تاريخ الجزائر؟

### 1- المولد والنشأة:

هو التبسي الجزائري الزيتوني الأزهري السلفي المصلح الثائر والأديب الشهيد الملقب نفسه بالكوكب التبسي، وصاحب الامضاء، وهو العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات الجدري الملقب التبسي، وأمه هي السيدة آمنة بنت عبيد بن فرحات الجدري التبسي، اصوله الأسرية تنتمي إلى قبيلة النمامشة العريقة عشيرة الجدور، والنمامشة قبيلة أمازيغية كبيرة تمتد من مدينة خنشلة إلى شرق تبسة، حيث اختلف في تحديد تاريخ ميلاده فذكر محمد على دبور أنه ولد في سنة 1895م<sup>1</sup>، أما احمد العيساوي فذكر انه ولد سنة 1881م حسب شهادة الميلاد المستخرجة من بلدة تبسة<sup>2</sup>. رغم أن عقد ازدياد الشيخ من بلدية العقلة، يُنص على أن ميلاده كان سنة 1888م، حسب ما ذكره مطروح العيد وهذا التاريخ نفسه ذكره شقيقه الأصغر الحفصي، الذي كان يقول أن والده لم يرد تسجيله في قوائم المواليد الرسمية الموجودة بالبلدية التي كانت تديرها إدارة فرنسية بدوار السطح كعادة سائر الجزائريين الناقمين على هيمنة الإدارة الاستعمارية خشية تجنيده الإجمالي في الجيش الفرنسي<sup>3</sup>.

ولكن حسب شهادة الميلاد المستخرجة له بتاريخ 20/10/1927م والمسجلة تحت رقم (239/1927م) فإنه ولد في الفاتح جويلية 1891م بقرية اسطح من أحواز بلدية العقلة دائرة الشريعة - الواقعة جنوب غرب مدينة تبسة -<sup>4</sup>، كان يعرف في سجلات الإدارة الفرنسية بلقب الجدري وفرحات واشتهر بلقب العربي التبسي وكان العربي وحيد والديه فلم ينجباه إلا بعد عقد من زواجهما.

ولما بلغ العربي قرابة الست سنوات توفي والده بلقاسم وهو في عقده الخامس، ليصبح العربي يتيما منذ طفولته، وسرعان ما تزوج عمه عمار من أرملة أخيه بلقاسم بحسب أعراف قبيلة النمامشة، فكان له نعم الأب العطوف الرحيم معوضا ابن أخيه حرمان عاطفة الأبوة الذي فقدته ورزق العربي بعد زواج أمه بعمه عمار خمسة إخوة هم (الحفصي، البشير، بلقاسم،

الهادي، عبد المجيد<sup>5</sup>، وقد كان من عائلة فلاحية فقيرة لكنها متدينة، فأبوه وجدته من حفاظ كتاب الله ومدرسيه، عالمين بالدين واللغة العربية.

حفظ العربي القرآن الكريم على يد والده (ت 1320هـ/1903م)، والتحق سنة (1324هـ/1907م) بزاوية سيدي ناجي بالأوراس ومنها انتقل بتوصية من شيوخه فيما إلى زاوية مصطفى بن عزوز بنفطة سنة (1327هـ/1910م)، والتي كانت ذائعة الصيت، خاصة ان خريجها كان بإمكانهم الالتحاق مباشرة بالزيتونة وبغيره وهو ما حدث للعربي، فبعدها اتم تكوينه بالزاوية في مختلف العلوم من فقه ومنطق واصول، وفنون اللغة العربية، والادب، وعلم الكلام....

التحق بعدها بالزيتونة سنة (1331هـ/1914م)، ونال شهادة الأهلية بعد بضع سنوات من الاجتهاد والمثابرة والتحصيل، ورحل إلى القاهرة في حدود سنة (1339هـ/1920م)، حيث انضم لطلبة الأزهر الشريف وحصل على شهادة العالمية، واستغل فرصة وجوده بمصر ليحضر حلقات العلم، ويزور المكتبات وذلك إلى غاية سنة 1347هـ/1927م حيث عاد فيها إلى تونس للحصول على شهادة التطويح المؤهلة لمباشرة مهنة التدريس.<sup>6</sup>

كان الشيخ التبسي أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البارزين، وقد تولى العديد من المهام فيها فهو كاتبها العام في منتصف الثلاثينات، ونائب رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي بعد وفاة ابن باديس، ولما تأسس معهد ابن باديس سنة 1947م كلف بإدارته، وعندما سافر البشير الإبراهيمي إلى المشرق العربي سنة 1952م أُسندت إليه رئاسة الجمعية بالنيابة، واستمر على ذلك إلى قيام الثورة واستشهاده سنة 1957م.

عُرف الشيخ العربي باتساع معارفه العلمية في علوم الشريعة الإسلامية وفنون اللغة العربية وآدابها، صاحب شجاعة في إبداء الرأي ومحاربة البدع وفي تصديه لخصوم الاصلاح من المستعمرين وأعاونهم كان متفانيا في خدمة أهداف جمعية العلماء، يشارك بقلمه ولسانه وجهده في تبليغ رسالتها العلمية والإصلاحية، كان مربيا فاضلا، وكاتباً قديراً، ومديراً ناجحاً، وقد شهد بفضلته وكفاءته في العلم والعمل والإمامان ابن باديس والإبراهيمي.

وكان الشيخ التبسي عالماً ملتزماً بمقتضيات علمه في فكره وسلوكه، يسعى جاهداً لجعل هذا العلم واقعا ملموسا في حياة الناس وثقافتهم وسلوكهم، لا مجرد معلومات تملأ عقولهم دون أن تحدث أي أثر في واقعهم.

كان وطنيا صادقا، ثائراً بطبعه، يحارب الاستعمار ويعاديه إلى النهاية، ومما كان يوصي به مواطنيه قوله: "من عاش منكم فليعيش بعداوة فرنسا، ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر"<sup>7</sup>.

## 2- تكوينه العلمي:

نشأ - رحمه الله- في أحضان أسرة فلاحية فقيرة، في غاية الحفظ والصيانة، وكان أبواه في شدة الغرام بالعلم، فغرسا فيه حب العلم بوجودهما وحديثهما وعملهما في طفولته الأولى، فنشأ محبا للعلم كأبويه.<sup>8</sup>

أما مسيرته في طلب العلم فهي تمتد لأكثر من 30 سنة متواصلة فقد تعلم على يد والده وأعمامه، (1895\_1902) فقد كان والده إلى جانب عمله في الزراعة يتولى تحفيظ أولاد القرية القرآن الكريم في كتابه.<sup>9</sup>

بدأ حياته العلمية على يد والده بعد أن بلغ السادسة من العمر، فتعلم القراءة والكتابة، وبدأ حفظ القرآن، وبعد وفاة والده بقي أربع سنوات بكتاب بلده يحفظ القرآن حتى بلغ الثانية عشرة من عمره، وفي سنة 1324هـ/1907م انتقل إلى زاوية سيدي ناجي الرحمانية بالخنقة جنوب شرق خنشلة، أين حفظ القرآن كاملا في ثلاث سنوات.

وبعد أن حفظ القرآن وكان قد بلغ الخامسة عشرة من عمره انتقل إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة جنوب غرب تونس وذلك سنة 1327هـ/1910م، وكان من شيوخه فيها: الشيخ إبراهيم بن الحداد، والشيخ محمد بن أحمد، والشيخ التابعي بن الوادي، وفيها أتقن رسم القرآن وتجويده، وأخذ مبادئ النحو والصرف والفقه والتوحيد. وفي سنة 1331هـ/1914م التحق

بجامع الزيتونة بتونس العاصمة ليتم دراسته الثانوية، فنال شهادة الأهلية، واستعد لنيل شهادة التطوع لكنه لم يتقدم إلى الاختبار.

وبعد سبع سنوات من التعلم في الزيتونة رحل إلى القاهرة حوالي سنة 1339هـ/1920م، ومكث فيها يطلب العلم في حلقات جامع الأزهر ومكتباتها الغنية إلى سنة 1927م، وحاز على الشهادة العالمية.

وفي مصر وجهه علماء الأزهر إلى كتب أبي إسحاق الشاطبي، فدرس كتاب الموافقات وكتاب الاعتصام، وفهمهما فهما عميقا، وكان لهما أثر كبير في حياته العلمية ومسيرته الدعوية.

ثم عاد الشيخ -رحمه الله- إلى الجزائر عام 1347هـ/1927م؛ ليبدأ نشاطه الدعوي في مدينة تبسة التي أصبح ينسب إليها.<sup>10</sup>

### 3- عودته إلى للجزائر ونشاطه بها:

قضى العربي حوالي سبعة عشر (17) سنة خارج الجزائر، وهما لتحصيل العلم وتوسيع المدارك والتفقه في مختلف الفنون والعلوم لاسيما الشرعية منها، وكأنه ابتغى بناء قاعدة فكرية وروحية في نفسه، أولا من اجل مهمة شاقة ونبيلة يحققها لوطنه لاحقا، وهو ما حدث فعلا بعودته للجزائر سنة 1347هـ/1927م، حيث شرع في الوعظ والتدريس للكبار والصغار في مسجد صغير (ابن سعيد) بمسقط رأسه، ولما ضاق بالناس انتقل إلى مسجد المدينة (العتيق) الذي تشرف عليه الادارة الاستعمارية، فضايقته ووقفته فعاد ثانية إلى المسجد الأول.

واشتملت دروسه تلك على مختلف علوم الفقه والسيرة والتاريخ الاسلامي... إلخ، وجمع بين الحديث في امور الدين والدنيا، لكنه سرعان ما تعرض مرة اخرى للمضايقة من قبل اعداء الدعوة الاصلاحية من طرقيين، واعوان للإدارة الاستعمارية، خاصة لما كثر عدد المواظبين على حضور دروسه، والمتأثرين بأفكاره.

ولما ضاق به الحال عمل بنصيحة الشيخ ابن باديس له وانتقل إلى مدينة سيق بالغرب الجزائري ابتداء من سنة 1930م مديرا لإحدى مدارسها الابتدائية، ومدرسا بها، وكان له أكبر الأثر

في بث روح الإصلاح في تلك الجهة من الوطن، وكان قد انضم إلى مجموعة العلماء الرواد في إطار مساعي تكوين جمعية دينية إصلاحية.

وقد لفت الشيخ التبسي الأنظار إلى نشاطه الحثيث قبل وبعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي كان له دور ومساعي في تأسيسها وكان نائبا لكايتها العام وقد طلب إليه أهل تبسة بالرجوع إليهم فعاد سنة 1933 م، وشرع في التحضير لافتتاح مدرسة {التهذيب} للبنين والبنات في السنة الموالية (1934 م).

ولم يلبث الشيخ التبسي أن اختير لتقلد منصب الكاتب العام للجمعية خلفا للشيخ الأمين العمودي وذلك سنة 1935 م، وتولى أيضا رئاسة لجنة الإفتاء نظراً لزاده الفقهي والعلمي، واستمر على ذلك إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية.

وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1940 م انتخب الشيخ التبسي نائبا للشيخ البشير الإبراهيمي وكانت له مساعي كبيرة باسم الجمعية داخل ائتلاف حركة احباب البيان والحرية (AML)، مما عرضه للسجن بتهمة التآمر مع الألمان ضد الدولة الفرنسية وسجن لمدة ستة اشهر، وتكرر اتهامه بالتحريض على تمرد في ماي 1945 م فاعتقل ولم يفرج عنه إلا مع صدور قانون العفو في العام سنة 1946 م.

عاد الشيخ بعد إطلاق سراحه إلى التدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة، كما أنه تولى الإشراف على جمعية التربية والتعليم التابعة للجمعية، والتي تم نقل مقرها مؤقتا إلى تبسة، وبعد افتتاح معهد الشيخ ابن باديس سنة 1947 م عين التبسي مديرا له، ومما قال في الكلمة الافتتاحية ما يلي: {أيها الإخوان إن التعليم بوطنكم هذا في أمتكم هذه ميدان تضحية وجهاد، لا مسرح راحة ونعيم فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى ولنسكن في المعهد كأبنائنا، ولنعش عيشهم، عيش الاغتراب عن الأهل فانسوا الأهل والعشيرة، ولا تزورهم إلا لماما، أنا اضيقكم ذرعا بالعيال وعدم وجود الكافي ومع ذلك فما أنا فاعل فاعلوا وما أنا ذا بادئ فاتبعوا}.

وقد اعترض أهل تبسة على ذلك إلى أن خاطبهم الشيخ الإبراهيمي، وقال هذا الأخير عن ذلك {أرضينا أهل تبسة الكرام الذين كانوا يعدون انتقال الأستاذ التبسي عنهم كبيرة يرتكبها من

يتسبب فيها، وإقناعهم بأن الشيخ العربي رجل أمة كاملة لا بلدة واحدة، ورجل الاعمال العظيمة لا الأعمال الصغيرة فاقتنعوا، وأمنا لهم مشاريعهم العلمية والدينية بإيجاد من يخلف الأستاذ فيها فرضوا مخلصين...}} (وبقي مديرا للمعهد حتى إغلاقه أواخر سنة 1956م من طرف الإدارة الاستعمارية).

ورغم أنه قد جمع مسؤوليات عدة في آن واحد ابتداءً من سنة 1952م حين تولى رئاسة الجمعية نيابة عن الشيخ الإبراهيمي الذي كان في المشرق فإنه استمر أيضا في متابعة شؤون التعليم بالعاصمة وأشرف على جريدة " البصائر"، بالإضافة إلى ادارة المعهد الباديبي كما سبق وذلك إلى غاية اختطافه.<sup>11</sup>

#### 4- موقفه من الثورة:

تجب الإشارة إلى استجابة الشيخ التبسي السريعة لنداء الثورة، وفي هذا الشأن تذكر المصادر حدوث اتصالات بينه وبين قادة الثورة لاسيما أنه شخصيا دعا إليها منذ امد بعيد، وقد دعا إلى تلبية نداء الجهاد الذي رفعه الثوار المجاهدون وقد رصد التبسي أحداث أول نوفمبر 1954م على لسان الجمعية في مقال {{حوادث الليلة الليلية}} حيث كتب قائلا:

{فوجئت البلاد الجزائرية بعدد عظيم من الحوادث المزعجة وقعت كلها ما بين الساعة الواحدة والساعة الخامسة من صبيحة الاثنين غرة نوفمبر وهو عيد ذكرى الأموات ولقد بلغ عدد تلك الحوادث ما يزيد عن الثلاثين ما بين الحدود التونسية وشرقي عمالة وهران، إلا أن عمالة قسنطينة وخاصة جهتها الجنوبية كانت صاحبة المقام الأول فيها، وكادت تتركز الحوادث في جهات جبال أوراس في خط يسير من باتنة إلى خنشلة ثم يشمل الجنوب.. إننا لحد هذه الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث وأسبابها وليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار. فلا نستطيع أن نعلق عليها أدنى تعليق إلى أن تتبين لنا طريق الصواب، فليس من شأن {{البصائر}} أن تتسرع في مثل هذه المواطن.. لكننا من جهة أخرى رأينا أنه لا يمكن أن يخلو هذا العدد من جريدتنا من ذكر هذه الحوادث التي تناقلت صحف العالم بأسره تفاصيلها فقرنا الاكتفاء بذكر أهمها، ولسوف نتبع ذلك بغاية الدقة والاهتمام..} وفعلا تابع الشيخ التبسي

باهتمام مستجدات الساحة السياسية بالجزائر، وكتب في نهاية نوفمبر 1954م ما يلي: ((ما هذا أيها القوم؟، أن الساعة ساعة جد وليست ساعة هزل، إنني لا أدافع عن مدياع القاهرة، ولا عن مدياع واشنطن، لكنني أقول وأؤكد أنه لا يوجد مدياع في الدنيا بلغت قوته ما بلغت أن يحدث حركة انتفاض في أي أمة من الأمم وفي أي بقعة من بقاع الأرض، فإذا ما أردت أن تعرف سبب وقوع الحوادث ففتش عن تلك الأسباب بكل دقة، وبكل حكمة، وبكل نزاهة فوق أديم الأرض التي وقعت عليها، وبين ما تنطوي عليه جوانح أهلها من آلام الحرمان والبؤس)).

وكتب مقالا بعنوان {{كتاب الأدغال}} نشر على صفحات {{البصائر}} بتاريخ 18 فيفري 1955م، مما قال فيه: "وتململوا وتحركوا، ودبت فيهم روح الحياة الحرة الجامحة التي تحطم كل معترض مهما كان قويا عاتيا، وتقدموا إلى الأمام يخوضون معركة الحياة وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم فيزحفون إلى الأمام، ولا يتقهقرون أبدا إلى الخلف، وقد علموا أن الحياة لا عزة ولا شرف، ولا علم فيها ولا عمل، ولا حكم فيها ولبنها، ولا سلطان فيها لذويها، إنما هي حياة خسة ومذلة أفضل منها الموت العزيز والفناء الشريف"<sup>12</sup>.

##### 5- الكتابة والتأليف والخطابات:

كتب الكثير من المقالات في الصحف، خاصة صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العديد منها حماسية منها:

- هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فانقذوها.
- ألا أيها النوام هبوا.
- الجزائر تصنع بك أيها الجزائري أينما كنت.
- دعوة الى تحرير الوطن ونبذ الاستعمار.

وكمثال على ذلك نورد ما يلي:

سنة 1954 رحل إلى البقاع المقدسة رفقة صديقه الشهيد أحمد بوشمال العضو الإداري في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبعد العودة عُقدَ اجتماع أعيد فيه انتخاب الهيئة الإدارية لجمعية العلماء يوم 23 جمادى الأولى 1375 هـ الموافق لـ7 جانفي 1956م وألقى فيه الشيخ التبسي خطاباً هاماً، وصدر بلاغ رسمي جاء فيه ما يلي:

"...ويعلن بكل صراحة أنّ النظام الاستعماري المفروض بقوة السلاح على القطر الجزائري منذ 1830 هو المسؤول الوحيد عن كل المآسي والمصائب والويلات التي وقعت في القطر الجزائري، وذلك بما أحدثه فيه من ميز عنصري مخضل، وما سلكه فيه من سياسة التفجير والتجهيل والحرمان من كل نعم الحياة بالنسبة للعنصر الإسلامي، وما حارب به الدين الإسلامي في أقدس مقدساته، وما أجهز على التعليم العربي القرآني في كل جهة من جهاته...وما تعمدته من محق جنسية الأمة الجزائرية، ومحاولة ابتلاعها، ومحو كل مظهر من مظاهر سيادتها.

"ويترحم على الشهداء الأبرار الذين ذهبوا ضحية القمع الأعشى الفظيع، ويدعو الأمة للقيام بواجبها نحو أبنائهم وعائلتهم، وكفالتهم كفالة يوجبها الإسلام، وتفرضها المروءة والشرف".<sup>13</sup>

وفي مجال البدع فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

ففي كتاب بدعة الطرائق في الإسلام هناك أيضا مقالات منيرة وصفحات أنيقة، للشيخ المصلح العربي التبسي- أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المبرزين- أبطل فيها ثلاثا من أهم بدع الطرقية وهي:

- بدعة تحديد الأذكار.

- بدعة إعطاء العهود للأتباع.

- وبدعة التصدي للدعوات.

وقد أجاد الشيخ في طريق استدلاله على بدعة الطرائق في الإسلام، وأبان بالبراهين الواضحة منافاتها لما كان عليه هدي السلف الصالح. وهذه المقالات (ثلاث) نشرت في مجلة

الشهاب الجزائرية، التي أنشأها رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله (مج 4 عدد 166، 168 و 169 سنة 1347هـ/928م)، فما كان من كاتب هذه السطور إلا جمع ما تناسب وافترق في هذه الرسالة لتكون في متناول العام والخاص.

ثم إنني بعد جمعي لهذه المقالات وقفت على مقالة للشيخ بعنوان ((إن كنت حاملا فلدي غلاما)) نشرتها مجلة الشهاب في عددين (مج 4 عدد 177 و 178 سنة 1347هـ/92م) رد فيها على المدعو (ناصر معروف) أحد أنصار الطرقيين الذي كتب مجموعة من المقالات في جريدة البلاغ رد فيها بزعمه على مقالات الشيخ التبسي ((بدعة الطرائق في الإسلام)). ولقد ألحقت هذه المقالة بالمقالات الثلاث تكميلا للفائدة.<sup>14</sup>

وعلى العموم نجده كتب على صفحات مجلة {{الشهاب}} في الفترة ما بين سنتي 1962 و 1933م وبلغت مقالاته بها 15 وكتب في جريدة {{النجاح}} وفي {{البصائر}}.

وقيل أنه من أصدر جريدة {{السنة النبوية}} التي صدرت في الثلاثينات باسم الجمعية والتي سرعان ما عطلت بسبب هجومها الشفوي على أهل الطريقة الضالين وأعوانهم.<sup>15</sup>

أما بالنسبة للكتابات الثورية عند الشيخ العربي التبسي التي هي نوع من الجهاد يتمشى مع ظروف العصر وتطوراتها لنشر الوعي القومي. فالمتتبع لهذه الكتابات يجد روح الثورية متجذرة من خلال الدعوة إلى الجهاد وتحرير البلاد بتهيئة البيئة الخصبة للعمل الثوري عن طريق نشر الأفكار الثورية في كتاباته التي عالج فيها عدة قضايا وتجارب لمعاناة يومية يعيشها الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار وتطلعه لاسترجاع الكرامة والحرية المغتصبة التي لا سبيل لانتزاعها إلا بالقوة السلاح والجهاد، لأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة. كما ترك لنا مجموعة من المقالات الثورية المتنوعة في أطروحاتها يجمعها قاسم مشترك واحد هو الدفاع عن الإسلام والدود عن حمى البلاد وصون كرامة العباد.<sup>16</sup>

## 6- استشهاداه:

أمام هذه الصلابة التي أبدتها الشيخ التبسي أمام المستعمرين، وإدراكا منهم لخطورة بقاء

مثل هذه الشخصية العلمية البارزة إلى جانب الثورة، رأوا أنه من الضروري التخلص منه، لكن كيف؟ إن اعتقال الشيخ أو قتله علنا سوف يزيد من حماس الشعب للجهاد وحقده على المستعمر لذلك كان من مكرهم أن عهدوا إلى منظمة "اليد الحمراء" باختطافه واغتياله، وهذه المنظمة الإجرامية التي تضم غلاة الكولون صنعتها المخابرات الاستعمارية لتنفيذ جرائمها ضد الجزائريين عامة والمثقفين منهم بالخصوص، ثم استبعاد أية تهمة عن السلطات الفرنسية، ومحاولة إلصاقها بالمجاهدين لزرع الشكوك وإثارة الغموض وتشويه صورة الثورة لدى الشعب.

روى الشيخ عبد اللطيف سلطاني، أمين مركز جمعية العلماء، أنه قبل حادث الاختطاف بخمسة أيام وصلت الشيخ التبسي رسالة إنذار إلى مركز الجمعية عن طريق بريد (الجزائر المحطة) جاء فيها: {{إلى الشيخ العربي التبسي، نطلب منك أن تخرج من الجزائر حينا قبل أن يفوت الوقت}} وهذه ربما نصيحة من أحد المطلعين على المكيدة المدبرة والمشفقين على الشيخ، عرف تدبيرة المكيدة فحاول أن ينصحه بهذه الرسالة، كما يمكن أن تكون محاولة أخيرة من المخابرات الاستعمارية لدفع الشيخ التبسي إلى مغادرة البلاد لتتفادى تداعيات تصفيته بالطريقة المدبرة، ومهما يكن مصدر هذا الإنذار، فإن الشيخ العربي التبسي اختار البقاء ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.<sup>17</sup>

في مساء يوم الخميس، وليلة الجمعة 4 أفريل 1957 اقتحم الجنود الفرنسيون (أو جنود تلك العصابة السرية) منزل الشيخ بمدرسة حي بلكور وانتزعوه من فراش مرضه انتزاعا، وعومل بغلظة وفظاعة، وأهين أمام أعين ابنه الكبير، فقد بعثوا كتبه، وداسوا بأقدامهم مصاحفه، وحجزوا محفظته بما احتوته من مستندات وأموال قد تكون له أو للجمعية، ثم اخرجوه حافي القدمين، حاسر الرأس، في ثياب النوم (لا يكاد يستر جسده شيء)، ولم يراعوا فيه مكانته الدينية العالية، ولا سنه المتقدمة، ولا حالته الصحية المتدهورة، واقتادوه الى مصير مجهول، واغتالوه في مكان ما بعد ما أيام من التعذيب، وأخفوا جثته فلم يُعرف له قبر إلى الآن.<sup>18</sup>

أما طريقة إعدام الشيخ رحمه الله فإن الحقيقة التي توصل إليها المؤرخ أحمد عيساوي نقلا عن أحد مجاهدي وقيادي المنطقة الخامسة والسادسة، الذي روي له قصة اختطاف الشيخ نقلا

عن صديقه إبراهيم الجوادى البوسعادي الذي تعرف عليه بعد الاستقلال في الأكاديمية العسكرية بشرشال، حيث كان لصديقه إبراهيم صديق أيام الثورة التحريرية ومن قبلها كان صديقه في جيش الاستعمار الفرنسي في فرقة القبعات الحمراء وعن خلفيات إلتحاقها بالثورة التحريرية يقول السيد أحمد إبراهيم: "لقد كنت أنا وصديقي القبائلي ليلا في حي بلكور بقيادة السفاح "ريمون لاغايارد Larayard Raymoune" وكنت أنا وصديقي في تعداد فرقة الجيش الذين راقبوا العملية، واستمروا يشاهدون ما حدث للشيخ العربي التبسي، حيث بقي نزيلا في سجن القبعات الحمر بالعاصمة طيلة أربعة أيام من غير طعام ولا شراب ولا لباس وقد تكفل بتعذيبه جنود السنيغاليين، والشيخ بين أيديهم صابر لا يتكلم، حتى نفذ صبر ريمون منه، وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أعدت للشيخ التبسي طنجرة كبيرة مليئة بزيت السيارات والشاحنات العسكرية وأوقدت النيران من تحته حتى درجة الغليان. ثم طلب ريمون من الجنود السنيغاليين حمل الشيخ وهو عاري الجسد وأوثقوا يداه ورجلاه ثم رفعوه فوق الطنجرة وطلبوا منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهديئة الثوار والشعب لكن الشيخ ظل يردد بهدوء الشهادة فخابت مساعهم في انتزاع منه الاعتراف، ثم وضع وهو معلق من رجليه داخل الطنجرة فأغى عليه فأنزل شيئا فشيئا إلى أن أدخل بكامل جسده الطاهر، فأحترق وتبخر إلى أن تلاشى رحمه الله، وذلك اليوم كان على وجه التحديد بين 11-12 أبريل 1957 وهو اليوم الذي قرر فيه الالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية.

وينطبق استشهاده بقوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾، (سورة الأحزاب: الآية 23).

وأيضا في نفس السياق كان قد سجل المجاهد محمد زروال شهادة أسندها إلى المجاهد "أحمد الزموي"، عن أحد الجزائريين كان يعمل في الجيش الفرنسي، قال هذا الأخير {كنت حاضراً عندما رجال العدو صهريجاً كبيراً وضعوا فيه مادة الزيت، ثم أشعلوا النار في تلك المادة، ثم تضافرت جهود أربعة من أفراد العدو على الشيخ العربي التبسي فحملوه بين أحضانهم ورموه في ذلك الصهريج، قال الراوي: "وقد رأيت كيف تطاير شعر رأس الشيخ من شدة لهب النار وألسنتها المتطايرة في عنان السماء، قبل أن يسقطه أولئك الأربعة في قعر الصهريج...}}<sup>19</sup>.

- وقد حاولت السلطات الفرنسية التنصل من هذه الجريمة الشنعاء، فزعمت أن الذين اختطفوه هم "الارهابيون" أي رجال جيش التحرير وجمعية العلماء كذبت هذا التضليل، وأعلنت للرأي العام العالمي أن فرنسا هي التي قامت بهذا الفعل الشنيع.

وظل مصيره مجهولاً، وقبره غير معروف إلى أن اتضح مؤخراً من بعض الشهادات التي قد تكون صحيحة أنه مدفون في "عين ذهب"، ولاية تيارت.

#### الخاتمة:

إن الأديب الشهيد الشيخ العربي التبسي وسماته الوطنية ومساره العلمي وإبداعه في تاريخ وعهد الثورة الجزائرية والجزائر يكمن أنه من ابرز من ناضلوا عن عروبة الجزائر ودعوا إلى تحررها وتقدمها وفي نطاق الحضارة العربية الإسلامية فهو العضو الفعال بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد كان فيها شيخ ليس كبقية الشيوخ وعالم ليس كسائر العلماء، شيخ شغل الناس بسيرة موته. على أنهم مع العتب لم يشغلوا بسيرة حياته.، إنه الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي الجزائري، الذي كانت له البصمة الظاهرة والوصمة الباهرة في ديوان الجمعية تعليماً وتأديباً وإدارة وتوجيه.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
2. أحمد سنتي وعبد الرؤف عاشور، البعد التربوي في فكر الشيخ العربي التبسي من خلال آثاره ومواقفه، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة تبسة، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022.
3. أحمد محمود عيساوي، البعد العالمي لشخصية الشيخ العربي التبسي 1891-1957م/1308-1377هـ، مجلة المنهل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة العدد (02) - السنة (01) - ديسمبر 2015.

4. الحاج بوشعيب، علم الكلام والفكر الإصلاحية عند الشيخ العربي التبسي ومساهمته في صناعة البعد الحضاري في المجتمع الجزائري، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة عين تموشنت المجلد 06 عدد خاص 2022.
5. بشير سعدوني، الشيخ "العربي التبسي" والقضية الوطنية الجزائرية، مجلة الدراسات الإسلامية جامعة الجزائر2، قسم التاريخ-العدد الثامن - جانفي 2017.
6. دويدة نفيسة، شخصية العربي التبسي قراءة في التنشئة والمسار(1891-1957م)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، قضايا تاريخية العدد01-1437هـ 2016م.
7. سعيد بورنان، الشيخ العربي التبسي والثورة الجزائرية، مجلة الإحياء، جامعة تيزي وزو المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر 2020.
8. محمد بن إبراهيم السعيدني الشيخ العربي التبسي العالم المصلح المجاهد، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات 2018، أعلام السلفية 10.
9. محمد شايب شريف، بدعة الطرائق في الإسلام للشيخ المصلح العربي التبسي ((عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين))، الجزائر، من سنة 1424هـ، صف ونشر الكتاب أبو عمر الدوسري.

### الهوامش:

- <sup>1</sup> دويدة نفيسة، شخصية العربي التبسي قراءة في التنشئة والمسار(1891-1957م)، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، قضايا تاريخية العدد01-1437هـ 2016م، ص99.
- <sup>2</sup> أحمد محمود عيساوي، البعد العالمي لشخصية الشيخ العربي التبسي 1891-1957م/1308-1377هـ، مجلة المنهل، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1 العدد(02)- السنة (01)- ديسمبر 2015، ص08.
- <sup>3</sup> الحاج بوشعيب، علم الكلام والفكر الإصلاحية عند الشيخ العربي التبسي ومساهمته في صناعة البعد الحضاري في المجتمع الجزائري، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة عين تموشنت المجلد 06 عدد خاص 2022، ص528.
- <sup>4</sup> دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص99.
- <sup>5</sup> أحمد محمود عيساوي، مرجع سابق، ص08.
- <sup>6</sup> دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص99.

- <sup>7</sup> سعيد بورنان، الشيخ العربي التبسي والثورة الجزائرية، مجلة الإحياء، جامعة تيزي وزو المجلد: 20، العدد: 27، نوفمبر 2020، ص 647-648.
- <sup>8</sup> محمد بن إبراهيم السعيد العربي التبسي العالم المصلح المجاهد، إعداد مركز سلف للبحوث والدراسات 2018، أعلام السلفية 10، ص 02.
- <sup>9</sup> أحمد شني وعبد الرؤف عاشور، البعد التربوي في فكر الشيخ العربي التبسي من خلال آثاره ومواقفه، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة تبسة، المجلد 13، العدد 02، ديسمبر 2022، ص 765.
- <sup>10</sup> محمد بن إبراهيم السعيد، مرجع سابق، ص 02-03.
- <sup>11</sup> دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص 100، 101.
- <sup>12</sup> دويدة نفيسة، مرجع نفسه، ص 101-102.
- <sup>13</sup> بشير سعدوني، الشيخ "العربي التبسي" والقضية الوطنية الجزائرية، مجلة الدراسات الإسلامية جامعة الجزائر 2، قسم التاريخ - العدد الثامن - جانفي 2017، ص 427.
- <sup>14</sup> محمد شايب شريف، بدعة الطرائق في الإسلام للشيخ المصلح العربي التبسي ((عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين))، الجزائر، من سنة 1424هـ، صف ونشر الكتاب أبو عمر الدوسري، ص 03.
- <sup>15</sup> دويدة نفيسة، مرجع سابق، ص 102-103.
- <sup>16</sup> الحاج بوشعيب، مرجع سابق، ص 531.
- <sup>17</sup> سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 660-661.
- <sup>18</sup> بشير سعدوني، مرجع سابق، ص 43.
- <sup>19</sup> سعيد بورنان، مرجع سابق، ص 661.

منسوب الحنين وثورة الأهواء قراءة في قصيدة "حب وحنين" ضمن سيمياء الأهواء

للشاعر الشهيد الربيع بوشامة

**Mansubalhaninwathawratal'ahwa' qira'at fi qasida "hubinwahanin"  
dimnsiamya' al'ahwa' lilshaaeirshahidrabiiebushama**

الأستاذة/ نزهة زهواني

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي (الجزائر)

مخبر الدراسات النقدية، جامعة الوادي.

[nahlladoga@gmail.com](mailto:nahlladoga@gmail.com)

ملخص:

إن الحرب ظاهرة إنسانية طبيعية لكننا نتسم بالعنف والتدمير، كما أنها تؤدي إلى معاناة الانسان في كل مكان، ولأن الشعر يعبر عن مشاعر الانسان في مختلف الظروف فإنه يعكس أيضا مشاعر الحنين إلى الماضي الجميل ولحظات السلام في زمن الحرب . ووفقا لسيمياء الأهواء فإن الحنين عاطفة تنشأ من الشعور بالفقد والغياب والتباعد، وتتميز برغبة الانسان في العودة للماضي . وفي الحرب يكون الحنين إلى الماضي أكثر حدة بسبب الشعور بالفقدان الذي يسببه الموت والدمار . تصف القصيدة رموز الحنين والحب بشكل عميق والعواطف والأحاسيس التي يعيشها الشاعر إبان الثورة التحريرية المظفرة، فتنقل القارئ إلى عالم الذكريات والأحاسيس المتجددة .

الكلمات المفتاحية : الحنين – سيمياء الأهواء – الغياب – العواطف.

#### summary:

War is a natural human phenomenon, but it is characterized by violence and destruction, and it leads to human suffering everywhere. Because poetry expresses human feelings in various circumstances, it also reflects feelings of nostalgia for the beautiful past and moments of peace in times of war. According to the semiotics of desires, nostalgia is an emotion that arises from a feeling of loss, absence, and distance, and is characterized

by a person's desire to return to the past. In war, nostalgia for the past is more intense because of the feeling of loss caused by death and destruction. The poem describes the symbols of nostalgia and love in a profound way and the emotions and feelings that the poet experiences during the victorious liberation revolution, transporting the reader to the world of renewed memories and feelings.

**key words:** nostalgia – semiotics – absence – emotions.

مقدمة:

لقد وقع العالمان الفرنسيان ألجيرداس غريماس ALGIRDAS JULIEN GREIMAS و جاك فونتن JACQUES FONTANILLE في أواخر القرن العشرين سيمياء الأهواء الذي يعد أهم المناهج النقدية المعاصرة من خلال الكتاب الذي أصدره سنة 1991 بعنوان " سيميائيات الأهواء "، وتستند سيمياء الأهواء إلى فكرة أن الخطاب الأدبي يعبر عن المشاعر والأحاسيس الانسانية، وأن هذه المشاعر والأحاسيس هي التي تحدد مسار الخطاب وتطوره، وبمعنى آخر الاهتمام بالمشاعر الجسدية والأهواء الذاتية بعد أن كان التعامل سابقا مع سيميائية الفعل والعمل؛ فظاهرة الهوى مألوفة تنتهي إلى المعيش اليومي، كما يمكن أن تتجسد في صفات يتداولها الناس ويصفون بعضهم بعضا، استنادا إلى إمكاناتها في الدلالة، وفي التوقع الانفعالي كالبخل والغيرة والحسد وغيرها، كما أن الهوى جزء من كينونة الانسان وأحكامه وتصنيفاته . والنص موضوع الدراسة يعكس حالة شعورية تتأسس على الشوق الذي يشكل حالة من الهوى أو الأزمة الإستهوائية ؛ هذا الشوق والحنين الذي تولد عن طريق الفراق والتباعد لأسباب عدة مما يرشح سيمياء العواطف على قدرتها في البوح عن الدلالات الكامنة في النص وتبيان الأبعاد الإيحائية فيه، " مما يمثل حالة من التطور في الدراسات السيميائية التي لا تقف عند دوسوسير، وبيرس، وموريسا، وإمبرتو إيكو، إنما أرادت أن يعتمد على معاينة العواطف والانفعالات من منظور مغاير لمنطوقات علم النفس لأن سيمياء الأهواء تركز على الحالة العاطفية التي تعبر عنها الذات المبدعة (موسى، 2018)

وقد سيطر هوى الحنين على ذات الشاعر في قصيدة حب وحنين، فكان له الأثر البالغ في إنتاج الخطاب، وجاءت القصيدة شحنة عاطفية واحدة تشبعت بها الذات تحت تأثير الاستهواء .

سأحاول في هذا المقال الكشف عن أثار هوى الحنين ذلك من خلال الكشف عن تجليه في الخطاب، وكيف تشكل في الذات قبل التجلي؟ وما الذي ساعده على التشكل؟

سيمياء الأهواء:

إن السيمياء علم يدرس العلامات وما تتضمنه من شفرات وأنظمة خطابية، والموضوع الرئيسي للسيمياء بكل اتجاهاتها هو العلامة بكل مظهراتها وتجلياتها، وتُعرَّف بأنها العلم الذي يدرس الإشارات أو العلامات، وتُعرَّف بأنها "دراسة العلامات وكل ما يُحيل عليها: عملها وعلاقتها مع العلامات الأخرى، وإنتاجها وتلقي المستعملين لها." (عياشي، 2004، صفحة 38) فالعلامة هي الموضوع الأساسي الذي تتمركز حوله السيمياء.

وسيمياء الأهواء هي امتداد للسيمياء العامة، حيث اعتمدت على البعد المعرفي والمبادئ العامة لها، والبناء النظري الخاص بالأهواء يستمد مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسية من "السيمياء الكلاسيكية" (فونتي، 2010) على حد تعبير فونتي: غير أن "الأساسي عند غريماس في دراسة الهوى ليس هو التعرف على العلاقات الدالة على الأهواء، بل الاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب". فهي ترى في الهوى عنصراً فاعلاً ضمن عناصر أخرى تنتج الفعل، والهوى عنصر أساسي في إنتاج الفعل، "وإذا كانت سيمياء الفعل تهتم بالفعل في علاقته بالموضوع، فإن سيمياء الأهواء تهتم بالحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء (غير أنها)... لا تهتم بالهواء في نفسه ولكن بآثاره في المعنى كونه ينتج معاني مشفرة و متمظهرة في النصوص." (الملجي، 2016)

والاستهواء La phorie هو الباب الذي تلج منه سيمياء الأهواء في تحليل النصوص وهو "المادة التي تُشكّل منها الأهواء فيدون هذا الاستهواء لا يمكن الحديث عن أهواء" (الأحمر). إذ هو تلك الرغبة الداخلية للانفعال، أو استعداد الذات للقيام بفعل الهواء.

كما تُعنى بالتوتير protensivite الذي هو تلك القصدية في التوجه نحو الرغبة أي استهداف تلك الرغبة والسير بها إلى التحقق "إنه استهداف للكثلة الانفعالية، والدفع بها إلى

التجسد في حقل التوتيرات المرئية... والتوتير هو الممر الضروري لولادة التكييفات ( أرغب في / أستطيع / أعرف ...) وهي الصيغ الأساسية التي تحدد علاقة الذات بعالمها. " (أجرعام، 2015)

وتُعنى أيضا بالمصير؛ الذي هو حاصل التوتيرات نتيجة الانشطار الاستهوائي، مما يمهّد الطريق إلى بروز الدلالة أي الانتقال من حالة إلى أخرى . والنظير الذي هو تلك المحددات الفعلية التي تفرض على الموضوع؛ أي القيمة التي تمنح في حاله الهوى إلى الموضوع، وبمعنى آخر فإن " التوتير الاستهوائي الذي يدفع إلى تصنيع الذاتي وربطها بالموضوع، فالتوتير يولد الاستهواء، والاستهواء يولد الانفعال، الذي يقف وراء الكفاءة الذاتية، وهو ما ينتج عنه عناصر عاملية أو فعل تلفظي خطابي كما هو موضح في الشكل الآتي :

توتر ← استهواء ← هوى ← كفاية ذاتية ← فعل " (الملجعي، 2016)

هذا المخطط يوضح كيفية تشكل الهوى في الخطاب .

وعلى حد قول فونتني " هكذا أصبحت الغيرة والحسد والتحدي والبخل والاستفزاز والحب وكل الطاقات الانفعالية المصنفة ثقافيا واجتماعيا ضمن الأهواء موضوعا من موضوعات السيميائيات، وقابلا للدراسة من منظور الخطاطة نفسها. " (بنكراد، 2012 / 1433)

من خلال ما سبق نعي أن سيمياء الأهواء تركز على المشاعر والأحاسيس الانسانية التي هي من أهم الجوانب التي تحدد قيمة العمل الأدبي، كما تعد من المناهج النقدية الشاملة التطبيق لأنها أضافت بعدا جديدا للدراسة النقدية للأدب، بحيث تساهم في الكشف عن الجوانب العاطفية للخطاب الأدبي .

والحنين وفقا لسيمياء الأهواء هو عاطفة تنشأ من الشعور بالفقد والغياب، وتتميز برغبة الانسان في العودة إلى الماضي، حيث يكون الحنين الى الماضي في زمن الحرب أكثر حدة بسبب الشعور بالفقدان الذي سببه الموت والدمار وحتى السجن والتعذيب ... ويمكن ملاحظة تجليات الحنين في زمن الحرب وأيام الثورة التحريرية من خلال القصيدة التي جادت بها قريحة الشاعر الربيع بوشامة في زمن محفوف بالدمار والفقد والفواجع المتتالية، والتي تعكس مشاعر الشوق إلى

الزوجة والأهل والأصدقاء، والرغبة في العودة إلى الحياة الطبيعية، أو بالأحرى الحنين والتوق إلى الحرية.

إن البحث عن العواطف في النص لم يعد بالأمر الهين كما كان معروفا سابقا، " فالأمر يتجاوز هذا النوع من الملاحظات إلى مقاربات أكثر عمقا فالمقاربة التي تتغى الاشتغال على سيمياء العواطف تجسد أبعادا قارة في أعماق النص " (موسى، 2018، صفحة 328) لأن التركيز على الأهواء والعواطف والأحاسيس كونها خاصية من خصائص الذات لا بد أن " تفضي إلى شيء ما وبناء على هذا فإن ما يتم التركيز عليه في تعاطي الأهواء هو الاهتمام بآثارها المعنوية كما يتجلى في الخطاب، لا التعرف على العلامات الدالة عليها " (فوننتي، 2010، صفحة 10) وهذا ما سأحاول التحدث فيه.

يستهل الربيع خطابه بالمساءلة والمناجاة بقوله :

زوجتي كيف أنتم والقرابة يا حبيبا أفدي بعمرى شبابيه

(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بشامة، 1994)

حيث تتلبس الشاعر حالة قلق ناتجة عن عاطفة البعد أو الفقد والغياب ... التي تنشأ من الشعور بالألم والمعاناة وعدم الاستقرار التي سببتها الحرب، وهو هنا يعبر عن هذه العاطفة من خلال مساءلته ووصفه لزوجته، فقد قدم الشاعر السؤال لأنه ناتج عن قلقه وتوتره المولد لشحنة الحنين والاشتياق.

هوى الحنين :

حنين ← يرجع إلى المدونة الهاوية

شعور داخلي يتجه نحو المحبوب ← اتصال

فالفائض العاطفي الذي تشعر به ذات الشاعر أذكي رغبته في البوح بهذا الشوق، ومن خلال القصيدة فقد تجلى الحنين في علامات تشي بدلالات تتجسد من خلالها الحالة النفسية

للذات وهي: (غبت عنكم، لست أعلم مسرة أو كآبة/ خافق مشوق/ يوالي اضطرابه/ يخشى يقاسي/ تفكر فيكم/ تطير عنه صوابه... إن الرجل الذي يخط هذه الأبيات هو ثوري متنكر عن قبضة العدو، الذي أجبره أن يترك خلفه زوجة وأطفالا لا يهتم بهم أحد حيث؛ أن العدو قد ركز اهتمامه وتتبع تحركاته لاتصاله بالجيش " فظهر اسمه في إحدى الجرائد الاستعمارية عند أواخر شهر مارس 1957. لقد نشرت الصحافة الاستعمارية رسالة عثرت عليها عند أحد الفدائيين ولحسن الحظ لم يكن الاسم صحيحا في جزئيه، فبدلا من بوشامة الربيع كتب بوشامة طالب ومع ذلك فقد اتخذ احتياطاته بالرغم من كونه حَمَرْتَه فكرة عدم تمكن السلطات الفرنسية من الاهتداء اليه لأن اسم بوشامة منتشر بكثرة في البلاد". (بوشامة، ديوان)

كان الشاعر متنكرا بهويته المهنية كمفتش لمدارس جميعه العلماء المسلمين وقد اتفق وزوجته على مراسلتها واعطائها العنوان الذي ستراسله عليه لتخبره بمن سأل عنه وقد اتفقا على "استخدام كلمات كوديه بهذا الشأن" (بوشامة، ديوان، صفحة 20) وفي هذه الظروف ولدت قصيدة حب وحنين.

يقول:

غبت عنكم ولست أعلم ماذا      نالكم من مسرة أو كآبة  
إن قلبي لخافق ومشوق      لنجواكم دائما يوالي اضطرابه  
وهو يخشى من كل شيء عليكم      ويقاسي في حاله كل صبابه  
ويرى كلما تفكر فيكم      بدوات تطير عنه صوابه

ولعل الأقدار تحنو عليكم      وتريكم خيرا وحسن إجابة. (بوشامة، ديوان الشهيد الربيع  
بشامة، 1994، صفحة 210)

إن الحنين الحاضر في هذه الأبيات ما هو الا نقيض للتلاقي الذي ولده التباعد، ومما عمق هذا الشعور استحضار الشاعر علامات مقرونة بحاله وهي خفقان القلب، وشوقه لنجواهم، فهو دائم خائف مضطرب مشغول البال ؛ وهذا الاضطراب بدوره يرمي بذات الشاعر لفتح صندوق

الثقافة الروحية في الوقت ذاته، حيث تتناجى الأرواح وتتحدث شيفرات الكتابة لتكون هذه الشيفرات بدورها من يزيل غيمة الكآبة ولو لثوانٍ وتبعث الحياة في ذات الشاعر كما بهوى، حيث تتداخل الرومانسية مع المأساة بين ثنايا الكتابة؛" وقد يتصور الشاعر نفسه .. سطرًا في كتابه ليمثل أقصى درجة للجسدية المتحولة إلى كتابية خالصة، تتجاوز الكتابة المادية إلى رغبة الشاعر في أن يقرأه الآخر بوصفه كتابة متخيلة، تنوب عنها كتابته في شعره ؛ كما قال ابن تمام :

كُتبت ولو قدرت جوى وشوقا      إليك لكنك سطرًا في كتابي

فوعي الشاعر الكتابي يأتي ... [في ثنايا ] ليُحيل القصيدة إلى رسالة واعية بذات كاتبها أو إلى ذات واعية برسالتها." (البنأ، 2003، صفحة 237)

إن هذا القلق وتوالي الاضطراب أصبح علامة تتلاطم بها ذات الشاعر وتهتز بعنف فيتشكل التوتير عبر انتقاء مفردات تترجم الشحن الإستهوائية المولدة للحنين، ذلك أن هذا الحنين متولد من الهم والقلق والفراق.. مما يؤدي الى كدر الذات التي لا تقوى على فعل شيء سوى الكتابة يقول:

أي بالله يا "فطيمة" قلبي      حدثيني بالروح طي الكتابة

إن حرفًا من فيك يسعد حالي      ويجلي عني أشد سحابة

ويعيد الحياة في كأحلى ما تكون الحياة ربا حباية(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بشامة، 1994، صفحة 210)

إنه فعل الهوى وفعل الكتابة ؛ حيث " أن محصلة كل هذا هي أن كتابة الهوى ... ليست بالكتابة الذاتية بالمعنى الشخصي أكثر منها كتابة تنأى بصاحبها أن يضع نفسه موضع الرقابة المنغصبة للعيش سواء كان الرقيب الأنا أو الآخر ... وبين الرقيب والحبس يعطي... [الشاعر] الهوى الملتبس بالكتابة معنى آخر .(البنأ، 2003، صفحة 226)

ثم يقول:

ليت شعري هل تذكرين عهودي أم تناسيتي وأطرح الصبابة  
وتشاغلت بالأحبة من أولادنا والأحداث ذات الغرابة  
إن تكوني سلوتي عني فإني حافظ الود لن أضيع كتابه  
كيف أنسى عهد لحب كريم قد فتحنا بالنور والنار بابه  
وجعلنا الله الرقيب شهيدا من يخنه يُجزى عذابه.

(بوشامة، ديوان، صفحة 210)

وفي المقابل لا يمكن تجاهل نبرة اللوم النابع دائما من موجة الحنين؛ فاستهوائية الشاعر ممزوجة باستهوائية الملامة وذلك من خلال علامات خطابية تقودنا إليها في كلمة سَلَوْتُ (التهيت عني)... عتابه/طيب العفو إن أسأت إليه ...

إن هذه الملامة في الحقيقة هي الشحنة المنبثقة من ذلك الاضطراب والقلق والخوف من النسيان وهذا ما يؤجج طاقة الاستهواء لانبعاث الحنين والاشتياق، وهنا تتشكل وترتسم بشكل واضح ويتجلى الفعل المؤدي إلى عاطفة الحنين بل والبيت الرئيسي في قهر الذات وانحصارها مما جعلها تجبر على الفراق لتدخل في حاله اغتراب.

يقول :

لوملكت الخيار كنت دوما عنكم لا أروعكم بالغيابه  
غير أن الظلم الشنيع أبي الا شقاء الورا وبسط المهابة  
ارتكاب التفريق بين صحاب وشريك عمر وأهل نِسَابَة  
فرق اليوم بيننا فكلانا مُبعد عن أخيه يشكو اغترابه

(بوشامة، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، 1994، صفحة 211)

وتزداد الأزمة الإستهوائية تعمقا فالشاعر لا يملك خيارا ليكون قريبا بل الاستعمار هو الذي أدى إلى هذا الفراق والتباعد ليسود الحزن والكآبة، ويغمر الذات طوفان القلق والخوف فتصطدم المشاعر ضمن علامه تدل على قهر الذات خوف الرقابة... وكل هذه العلامات تدل على أن لا مفر من التباعد والتفارق حيث أن التوتير هنا ينبثق من هذه الاحاسيس .

إن هذا الهوى لا يسير وفق وتيرة واحدة، حيث تعتريه حالات من المعاناة والحزن والألم دل على ذلك وجود الاستفهامات المتوالية في خطاب القصيدة ؛ مما يؤكد حاله قلقه وتوجسه وحيثته وتشظيه، غير أنه يعلن الالتزام والمثابرة والمجاهدة، ويحفظ عهد الوفاء . غير أن بريق الأمل ينبعث لينير ذات الشاعر المؤمنة باللقاء ولو طال التباعد ؛ مؤمنة بالحرية التي تحلم بها رغم كل شيء ولو بعد الموت.

هوى الخوف:

شكوى ← مدونه هوائية

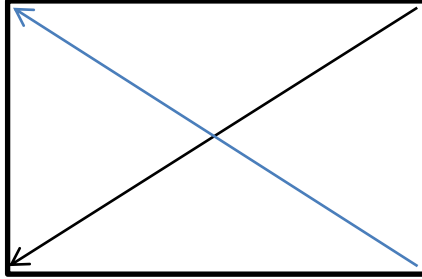
انزعاج يظهر على الشاكي ← انفصال اغتراب حاله قلق .

والشاعر في الحقيقة هنا يحن الى حرية وطنه، وذاته تتوق شوقا إلى تلك الحرية والأمن والسلام والاستقرار والسعادة فهنا عندها بوجوده العائلي وسلامه النفسي، كل ذلك تكشف عنه حزمه من الدلالات من بداية القصيدة، إلى استرجاع اللحظات المبهجة في الأزمه من أجل توازن الذات وشحن النفس بمقومات وتقوي الفاعلية، ويضع المشاعر بنفسه من أجل أن يكشف لنا عن هذه الحالة التوتيرية في هذا النص، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هل استطاع الشاعر تجاوز هذا القلق ؟ هل استطاع الانتصار عن الزمن؟

إن وجود الحرب جعل الشاعر في حاله نشاط دائم من أجل الحرية ؛ إذ يعرف جيدا أن هذا الكيان غريب عن أرضه وعرضه ودينه، مما جعله في صدام دائم معه، فيتولد التنافر الذي جعل الشاعر الشهيد بعيدا عن ذويه، مما يستدعي هو الحزن والخوف في عدة مواطن من القصيدة، وهنا تتجسد الشكوى في منتهاها ويبلغ الحنين ذروته، وهذا ما وشت به الدوال . وعلى الرغم مما يحس به الشاعر من مراره الشكوى الا أنه استطاع أن ينظر إلى الجانب الآخر من هذا

الصراع النفسي، ويحول الأزمة الاستوائية \_ الحنين \_ ، إلى جانب مضيء ويختمها بالتضرع إلى الله  
مجيب الدعاء ويمكن تمثيلها كما يلي:

الحنينت ضاد الجهاد ( استثمار هوى الحنين في جهاد المستعمر)



حزن ( حالة البعد تضاد واندفاق البعد وفراق الأهل) الشوق أنتج القصيدة

ويختتم الشاعر القصيدة بهوى التضرع قائلا :

رب إنا نرجوك لطفًا ورُحْمى بضعاف ملوا حياة الذبابة  
وأرادوا \_ من غير ظلم وبغي \_ أن ينالوا حرية وحسابه  
ويحوزوا استقلالهم وعلاهم ويكون في العاملين ذؤابة  
ويعيشوا كالناس في كل أرض بسلام وعزة ومهابه  
ونظام يسوده روح عدل واخاء وحكمة وندابة

(بوشامة، ديوان، صفحة 211)

حاولنا أن نتلمس المداخل التي يمكن أن ندخل فيها إلى النص، وهو نص حيوي خاضع للتكييف مع الزمن، ولا يزال قادرا على الاستجابة للنقد الحديث، وقد انكشف الشعور بالذات المتلبسة في حالة استهوائية وهي القلق الاستعداد للتعبير على حالة الاستهواء، وذلك متوفر عنده من خلال الحديث عن الهم والتباعد وكثرة السؤال ثم روح الحنين والشوق إلى الأهل بل إلى الحرية ولو بعد الموت والفاء . ثم تضرع الى الله سبحانه وتعالى في أن يعم السلام وينتصر الوطن ويسترجع حريتهم.

إن العواطف هي مبعث التأثير والتأثر، وهي المسؤولة عن انبثاق الدلالات المختلفة، وهي بمثابة المحرك، كما تعتبر المشاعر والأحاسيس القاعدة التي يبني عليها أي عمل فني ؛ فعلى أساسها

يبلور الحس الانساني الحقائق الذاتية بمشاعره وخياله وأبعاده المختلفة، وعليه لا يمكن تجاهل هذا النوع من الدراسات السيميائية فعالم المشاعر يشكل مرحلة هامة لا يمكن تجاوزها لأنها المسؤولة عن توليد المعاني والدلالات، وهكذا فإن قصيدة حنين وحب للشاعر الربيع بوشامة مثال واضح على تجليات الحنين في زمن الحرب، وترجمة لحمولة من دلالات ذاتية في ظاهرها وطنية في عمقها.

### المراجع:

1. \_ ا معجم السيميائيات. الأحمر. (بلا تاريخ).
2. \_ ديوان الشهيد الربيع بوشامة، الربيع بوشامة. (1994).. (المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، المحرر) الجزائر،، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد .
3. \_ سيرور التأويل من الهرموسية الى السيميائيات، سعيد بنكراد. (2012/ 1433). (المجلد 1). الجزائر، الجزائر: منشورات الاختلاف.
4. \_ الشعرية والثقافة، حسن البنأ. (2003).. المركز العربي الثقافي.
5. \_ سيمياء العواطف قراءة في قصيدة نام الخلي للأسود بن يعفر. ربابعة موسى. (نيسان / شعبان، 2018). مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب(مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب)، (327-353).
6. \_ سيمياء الحزن في ديوان مبتدأ لبكاء آخر دراسة في ضوء سيميائية الأهواء. علوي أحمد صالح الملجمي. (24 مارس، 2016). مجلة الأثر، صفحة 145.
7. \_ سيمياء الأهواء من حالاتالأشياء إلى حالات النفس، غريماس، فونتتي. (2010). (المجلد 1). (سعيد بنكراد، المترجمون) دار الكتاب الجديد المتحدة.
8. \_ سيمياء الأهواء. تم الاسترداد من ديوان العرب. مريم أجرعام. (الأحد اغسطس، 2015).
9. \_ العلاماتية وعلم النص (منذر عياشي، المترجمون) (المجلد 1). (2004). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

## الشيخ محمد السعيد الزاهري، حياته وأدبه

### Sheikh Muhammad Al-Saeed Al-Zahri, his life and literature

د. عنتر رمضان

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة غرداية-الجزائر-

مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري

ط. د. سهي حيمور

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة 8 ماي 1945 قلمة

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

ملخص:

يعتبر الأديب محمد السعيد الزاهري أحد أبرز العلماء الذين أنجبهم الجزائر، علما وأدبا وجهادا، ويشهد له سجله الحافل بالمنجزات التاريخية والأدبية بذلك، فقد كان قلما سيلا دفاعا عن الأمة الجزائرية، وردًا لسياسات الاستعمار الغاشمة، فجمع رحمة الله عليه، بين الجهاد والأدب، ولم تمنعه سيرته الجهادية الكبرى، ومشاغله والمهام الموكلة إليه في الجانب الصحفي من أن يسجل اسمه في طبقات الأدباء بالجزائر، بل بذل جهده من أجل ذلك أيضا، حتى غدا أحد أركان الأدب في الجزائر المحروسة.

الكلمات المفتاحية: محمد السعيد الزاهري، الجهاد؛ الأدب؛ الصحافة؛ الإبداع.

#### Abstract;

The writer Mohammed said Zahiri is considered one of the most prominent scholars that Algeria has produced, science, literature and jihad, and his track record of historical and literary achievements testifies to this. he was a fluent pen in defense of the Algerian nation, and in response to the brutal policies of destruction, God's mercy on him, he combined jihad and literature, and his great jihadist biography, his concerns and the tasks

assigned to him in the journalistic side did not prevent him from registering his name the pillars of literature in Algeria are guarded.

**key words:** Muhammad Al-Saeed Al-Zahri, Al-Jihad; literature; the press; creativity.

إن الدارس والمتتبع للحركة الأدبية في الجزائر، ليجد الكثير من الأقلام المبدعة، والبراعات السليمة، كانت تخوض مضمار الإبداع والكتابة في فترة صعبة هي فترة الاستعمار الغاشم، الذي ضيق على الكثير ممن رفعوا أقلامهم منددين به، ورافضين للعبودية الغاشمة الظالمة، ولم يتوقف الأمر عند هذا بل راحوا يؤلفون، وينشرون بما أتاحت لهم الظروف من سبل وطرق، ويجمعون بين الجهاد باللسان، والجهاد باليد، حتى يعبروا عن قضاياهم، أو عما يخالج أفئدتهم في تلك الفترة، إما تنديدا بالأوضاع الراهنة أو حضا على التغيير في الجزائريين، أو بعثا للقيم النبيلة وإحياءاً للمبادئ الفاضلة التي اتصف بها الجزائري، أو تسليية ونفثا لمعاناة خالجت قلوب أولئك الكتاب والشعراء، لأن الأدب الجزائري مرّ بنكبات ومحن لم تطل أديبا غيره، حيث مست كيانه وروحه، وقبل هذا دينه ولغته، فلم شارك المجاهدون والعلماء في ميدان المعركة فحسب، بل تعداه للمشاركة بالقلم تعليما وتأييفا وتصنيفا، ومن هؤلاء الأعلام الشهداء والأدباء نجد الأديب محمد السعيد الزاهري رحمه الله، الشاعر والصحفي الأملعي، الذي سخر علمه وثقافته في سبيل تحرير بلادنا، فكتب وألف وصنف وحرر وديج المقالات والقصائد خدمة لهذه الأرض الطاهرة ودفاعا عنها.

مولده وسيرته:

ولد محمد السعيد الزاهري بليانة<sup>1</sup>، وقد اختلف في تحديد تاريخ ميلاده، فأغلب الذين ترجموا له بحصرون تاريخ ميلاده بين سنتي (1897-1900م)<sup>2</sup>، يقول الزاهري في ترجمته الموجودة في كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر): "ولقد سألتني عن ترجمتي فخذها مجملة مما يأتي: في 25 شعبان 1344 هـ، نفضت يدي من ستة وعشرين عاما تمت لي من عمري وما أنا بأسف على شيء فيها، مثل ما أنا أسف على أيام الصبا. أيام كنت لا أعرف شأنا من شؤون الحياة ولا أشعر بتكاليف الدنيا. كنت خالي البال أحسب أن الدنيا كلها نعيم وأن العيش فيها هنيئا مريئا<sup>3</sup>.

تربى الزاهري في أسرة متدينة عالمة ومحافظة، فهي أسرة عريقة تمتد في العراق وتدعي النسب الشريف بانتمائها لآل البيت<sup>4</sup>. انتقلت كفالاته لجدته لأبيه (علي بن ناجي الزاهري) الذي اعتنى به عناية خاصة، واكتشف فيه صفات النجابة والذكاء والهمة والشجاعة، يقول الزاهري: "كنت في صغري أسأل أمي مسائل كثيرة في الكون ومكونه وكانت تجيبني كما تفهم فإن سألتها عما ليس لها به علم أسكتتني كرها فأفر إلى جدتي لأمي أسألها عن تلك المسائل فأجدها أرفق بي لأنها لم تكن مستولة عن تربيتي.

بلغ خبري إلى مسامع الجد الأستاذ الشيخ علي بن ناجي الزاهري فخف غبطة وارتياحا وأنشد:

وإذا رأيت من الهلال بدوه \*\*\* أيقن بأن سيصير بدرا كاملا

وأمر أن يكثر من إحضاري بين يديه فكان يأمرني بكل لين أن أسأله عما يخطر ببالي فيجيبني بما يملا صدري يقينا وإيمانا. نظف عقلي من تلك الخرافات التي احسب أن المسلم لا يعتد بإسلامه ما لم يعقد فؤاده على صحتها واحسب أنها دين من لم يدن الله به فقد خسر الدنيا والآخرة وباء بغضب من الله<sup>5</sup>.

حفظ القرآن في مسقط رأسه، وتلقى المبادئ الأولى على يد علماء عصره، في لياقة يقول الزاهري: "تلقيت على يد هؤلاء الأساتذة جميع معلوماتي الابتدائية بحرية تامة في البحث وإبداء الأفكار، فكنت أرى في وجه أحدهم طلاقة مشرقة وابتسامة عذبة إذا عارضته في فهم مسألة وأراه تعروه خفة وانسراح مهما طلعت بنظر غير نظره، فكانوا يزيدوني بذلك إقداما ونشاطا في طلب العلم ومضاء في العزيمة عليه"<sup>6</sup>، ثم التحق بقسنطينة، وبقي فيها بضعة أعوام يستمع إلى علم وأدب الشيخ عبد الحميد بن باديس، حتى نال بغيته، بالرغم من الضغط الشديد عليه بسبب سياسة ابن باديس الصارمة، يقول الزاهري: "قد كان لي شغف شديد بدروس هذا الأستاذ وما كنت أقوى على ترك القراءة عليه لولا الضغط الذي كان يضغطه على حريتي في التصريح بإفهامي وقد برمت بسوء التأديب الذي كان يأخذني به ويأخذ به تلاميذه أجمعين"<sup>7</sup>. فضافت نفسه بسبب حزم الشيخ ابن باديس في تربية طلابه، وتقبيد حرياتهم، فانتقل لجامع الزيتونة بتونس، ولقي هناك جمعا غفيرا من الطلبة الجزائريين أمثال: مبارك الملي والعربي التبسي وغيرهم"<sup>8</sup>. يقول

الزاهري: "قرأت بتونس على أشياخ كثيرين أعلام وغير أعلام، واتخذت أعلاما لازمتم صحبتهم مدة مقامي مثل: الشيخ محمد النخلي، والأستاذ عثمان بن الخوجة، والشيخ معاوية التميمي وغيرهم"<sup>9</sup>.

وقد كانت تونس آنذاك ملاذا خصبا لمن رام تعلم العلم والآداب، لما توفرت عليه من مناخ فكري وثقافي، نشطه أدباء تونس آنذاك، فالتف الزاهري حول الأستاذ معاوية التميمي، وأطلق على مجموع الطلبة اسم "النادي الأدبي"، وظل يراسلهم ويبعث لهم إسهاماته الأدبية كل ما سنحت له الفرصة، وله قصيدة مشهورة بعنوان إلى نادي الأدب يقول في بعض أبياتها:

يحاربي دهري ويبغي بي الشرا \*\*\* كأن له عندي بأبائه وترا  
فأونة تلقى وثاقي بكفه \*\*\* ويوما ترى أيامه بيدي أسرى  
فيا ليت هل صحبي بتونس حافظوا \*\*\* ذمامي فإني ما برحت بهم برا  
ويا ليت شعري هل هم يذكروني \*\*\* إذا كانت الكاسات جد بها المجرى  
فما زلت أبقى العزما عشت جاهدا \*\*\* وذو القلب يبقى العزأويسكن القبرا<sup>10</sup>

وإلى جانب دراسته بالزيتونة فإن (للزاهري) نشاطا أدبيا وفكريا كبيرا وبية ذلك تلك القصائد الشعرية والمقالات الفكرية والأدبية التي نشرها في الصحف التونسية، خاصة جريدة النهضة التي احتفت بإنتاجه الأدبي، بل وقصر إنتاجه على تلك الجريدة بين (1923-1925م)، وظل يثابر على مراسلتها حتى بعد تخرجه في جامع الزيتونة وعودته إلى الجزائر<sup>11</sup>.

وكان أكثر من لازمهم من الشيوخ في جامع الزيتونة: الشيخ معاوية التميمي العالم الجليل والمتبحر في علوم اللغة يقول عنه الزاهري: "وكنت ألزم الشيخ معاوية التميمي من ظله في كل كتاب يدرسه من كتب الأدب، مثل الكامل للمبرد وغيره، ثم صاحبتة حتى تخرجت عليه في الأدب العربي، ذلك أنني ما وجدت أحدا أوسع منه خبرة بكلام العرب، ولا أبصر منه بمواقع النقد، ولا أصح منه ذوقا، ولا أحزم منه في تمحيص الحق من الباطل في كل مشكلة تنزل"<sup>12</sup>.

يذكر أنه كتب قصيدة يهنئه فيها نشرت في جريدة النهضة العدد 572، 03 ماي 1925م،

يقول في بعض أبياتها:

- «معاوي» إن ترزق ذكاء وفطنة \*\*\* فإنك في التبيان سحبان وائل  
 «معاوي» إن ترزق من العلم بسطة \*\*\* فإنك قد أوتيت لطف الشمائل  
 طباع كما شاء الجليس رزقتها \*\*\* نسيم الصبا جاءت بريا الخمائل  
 «معاوي» إن من يجاريك للمدى \*\*\* فذاك لعمر الحق ليس بعاقل

فكانت رحلته العلمية لتونس خصبة وثرية، أعانت على تشكل شخصية محمد السعيد الزاهري الشاب المحب للعلم ولوطنه، والذي يعمل جاهدا وبكل ما أوتي من قوة ليدفع عن وطنه كل ما يشينه من سياسات القمع والاستعمار التي حزت في نفسه وفي نفوس غيره من العلماء الأجلاء، ليعود في صيف عام 1924 لمسقط رأسه، بعد أن نال شهادة التطوع في سائر العلوم برتبة متوسط، وقد تخرج معه زملاؤه من أمثال مبارك المليبي وعبد السلام بن سلطاني، وقد كتب أحد شعراء تبسة قصيدة نشرت في مجلة النجاح بإمضاء: م ص ج تبسة، يمدح فيها الطلبة المتخرجين في جامع الزيتونة وعلى رأسهم الزاهري والمليبي وعبد السلام يقول فيها:

- دع المنازل هذا الفخر حن له \*\*\* أولوا الحجا سبروا الأحوال والمال  
 مبارك وسعيد والسلام بهم \*\*\* قطر أرضيم يهني إذ بهم كفلا  
 إنني لكم نخبة الأبرار والنبلا \*\*\* مهنئ من فؤادي شاكرًا جزلا<sup>13</sup>

كما نشرت جريدة النهضة التونسية تهنئة لأسرة الزاهري خصوصا، والجزائر عموما، بنجاحه، معلقة عليه الأمل الكبير في بث العلم في ربوع الجزائر، مشيدة بتلك القصائد التي شاد قوافيها، وازدانت بها معاصم الجريدة<sup>14</sup>.

ومما يدل على اعتراف الزاهري بفضل الزيتونة عليه وعلى مسيرته العلمية الحافلة، كتب مقالا بعد تخرجه معترفا بفضلها عليه وعلى متنوري الجزائري يقول فيه: "أنا مدين لكلية جامع الزيتونة بتونس، فقد تخرجت فيها وأحرزت (شهادة التطوع)، وما تراه في الجزائر من حركة العلم والأدب والإصلاح الديني هذه أيضا مدينة لجامع الزيتونة ... ومنزلة جامع الزيتونة هذا في قلوبنا

وقلوب الأمة الجزائرية كلها هي منزلة عالية جدا، فكلنا نحبه ونرضاه ونهفو إليه، ونتمنى له الخير وزيادة العمران"<sup>15</sup>.

عاد محمد السعيد الزاهري لأرض الوطن هو يحمل هموم الإصلاح مع ثلة مباركة من العلماء والأقران الذين درسوا معه في الزيتونة وغيرها، يحمل هم وحال وطنه الذي نهشه الفقر والجهل والاستعمار، ولكن سعى واجتهد كي يزيل كل مظاهر البؤس بما استطاع إلى ذلك سبيلا، ويدفعه لذلك ما أصبح متاحا من وسائل كالصحافة والنوادي والجمعيات، فقد كان سابقا لذلك، خاصة في افتتاح عدد كبير من الصحف والمجلات التي تعنى بشؤون الوطن ونشر الثقافة والوعي.

عضويته في جمعية العلماء المسلمين:

كان محمد السعيد الزاهري ممن حضروا اجتماع الجمعية الأولى بنادي الترقى بالجزائر العاصمة، ولكنه لم ينتخب في مجلسها الإداري الأول، وقد انتخب في السنة الثانية لقيام الجمعية، ولما كان الزاهري صاحب ثقافة عربية إسلامية، وذا أسلوب أدبي مشرق في الكتاب، فقد أسندت إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رئاسة تحرير صحفها الناطقة بلسانها بجمعية الشيخ الطيب العقبي رحمه الله<sup>16</sup>. وللعلم فإن نشاط الزاهري في الجمعية لم يقتصر على رئاسة الصحف وديج المقالات الضافية في شتى قضايا المجتمع الجزائري آنئذ، بل تعداه إلى تمثيل جمعية العلماء في الداخل والخارج في بعض الأحيان، (مثل انتقاله لتلمسان ممثلا عنها هناك، ثم وهران، وفي خارج الوطن مثل الزاهري الجمعية في مؤتمر طلبة شمال أفريقيا الذي انعقد سنة 1934م في المدرسة الخلدونية بتونس وقد ألقى الزاهري تقريرا في الجلسة الأولى للمؤتمر عن حالة التعليم العربي في الجزائر<sup>17</sup>).

واختيار ابن باديس للزاهري عضوا في الجمعية يدل على مكانته العلية، ومنزلته السمية عند وعند علماء الجمعية ككل، وسيرته العلمية وجده واجتهاده شاهد على حسن سيرته وهمته العالية.

## منزلته بين الأدباء:

للزاهري مكانة عالية في قلوب الجزائريين، وعند علمائها على وجه الخصوص فابن باديس رحمه الله كان يثني عليه خيرا، وشهد له بالفضل والخير والثقافة والعلم غير واحد من العلماء الأفاضل داخل وخارج الوطن، قال عنه أحمد حماني: "كان الشيخ الزاهري أديبا ممتازا، غزير الإنتاج، يشير عليه قول الشعر الجيد، ولكنه يكتب النثر بأسهل وأيسر مما يكتب الشعر، شهد له بطول الباع في الكتابة الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره"<sup>18</sup>، وقال عنه العلامة عبد الحميد بن باديس يقول: "عرفنا الشيخ السعيد الزاهري شاعرا خنذيذا، وعرفناه كاتباً رحب البيان بليغا، وعرفناه في هذا الكتاب (يعني كتاب الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير) داعية إسلاميا كبيرا، وقد خاض مسألة الحجاب، والمرأة الجزائرية، ومسألة الإسلام والتغريب، والشبيبة المتعلمة، فأبان الحقائق، وأقام الحجج ما لا يلقاه أشد الخصوم -إذا اتصف- إلا بالإكبار والتسليم"<sup>19</sup>.

وفي مقدمة كتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ثناء عاطر من عطفة الأمير شكيب أرسلان وقد أعجب بفصول من كتابه يقول: "إنه يرى أن أركان الأدب العربي في الجزائر اليوم هم أربعة: الزاهري وباديس والعقبي والميلي"<sup>20</sup>، وفي شهادة الشيخ زهير الزاهري رحمه الله يقول: "عاش محمد السعيد الزاهري فقيرا ومات فقيرا، لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئا، ولو أراد أن يعيش حياة مترفة ومنعمة لسلك طريق الممالة؛ ممالة السلطات الاستعمارية القائمة"<sup>21</sup>.

ويقول عنه الأديب حمزة بوكوشة رحمه الله: "كان عفيف النفس، لا يقيم وزنا للمستقبل القريب -بله البعيد- وما يستدعيه من إعداد يواجهه به مطالب الأيام"<sup>22</sup>.

ويقول عند الناقد الكبير عبد المالك مرتاض: "الزاهري من الكتاب المقتردين الذين ملأوا الصحف المشرقية طولا وعرضا، فرفعوا رأس الجزائر، ورسوموا لها صورة مشرفة في ربوع الشرق العربي كله"<sup>23</sup>.

هذه كلا شهادات شاهدة ودالة على منزلة الأديب محمد السعيد الزاهري، وأنه صاحب فضل عميم، على هذا الوطن، فقد قدم تضحيات جسام، في سبيل نشر العلم والثقافة والوعي، والدفاع عن هذا الوطن، ضد الاستعمار الغاشم.

فأصبح معلما ومربيا وصحفيًا وأديبا وشاعرا يدبج المقالات، ويرتجل الخطب، ويسهم في الكتابة الأدبية فكان بذلك أحد رواد الأدب في الجزائر، وقد أصدر جرائد عديدة من بينها، الجزائر، البرق، الوفاق، المغرب العربي وغيرها<sup>24</sup>.

#### آثاره ومؤلفاته:

قبل أن نعرض على جهوده في ميدان الصحافة ونشر الثقافة والجهاد ضد الاستعمار، نذكر ما ألفه وصنّفه من مؤلفات ضاع منها الكثير، ولو بقيت ليومنا هذا لكانت شهادة على طول باع الرجل، وثقافته العالية. رغم انشغاله بالثورة والإعداد والتخطيط للاستقلال، وكان مزعما أن تطبع هذه المؤلفات ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا فقد ضاعت كلها ولم يبق منها إلا شتات فصول منها خاصة مؤلفه شؤون وشجون الذي نشر بضع مقالات في الصحف الوطنية، وهذه المؤلفات<sup>25</sup> هي:

- حاضر تلمسان: وهو كتاب لم يوضع مثله في العربية عن أي بلد من بلدان الجزائر، وهو وضمف دقيق مستوعب لمدينة تلمسان (العاصمة التاريخية) وبيان واف عن أحوالها الحاضرة كلها، وقد كتب بأسلوب يشوق القارئ ويستهويه، وهو مشتمل على عدة فصول منها: (جوهرة المغرب)، و(الحياة الاجتماعية) وغيرها، ويقع في قراب 300 صفحة، وهو مزين بكثير من صور أجمل المناظر في تلمسان.
- بين النخيل والرمال: هي فصول مغرية رائعة في وصف الواحات بالجنوب الجزائري كبلاد (الملمثمين) ووادي سوف ووادي ميزاب، والأغواط وغيرها.
- حديث خرافة: هذا الكتاب كله لذة ومتاع، وهو نظرات وأفكار في الأدب والحياة والاجتماع، في أسلوب رائع وجميل.
- شؤون وشجون: هو فصول مختلفة في موضوعات مختلفة تسر القارئ بعذوبتها وطلاوتها.
- كتاب الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير: وهي سلسلة مقالات نشرها في مجلة الفتح لمحِب الدين الخطيب، جمعت في ما بعد.

وفاة تسبق أمانيه: استشهد رحمه الله بعد أن اغتالته أيادي الغدر، وقررت تصفيته بعد أن دبروا له عملية اغتيال غادرة، زوال يوم 19-05-1956م، حيث رمي بوابل من الرصاص، ثلاث في الظهر واثنان في الرأس، كانت كافية لترديه قتيلا بالقرب من كاتدرائية العاصمة في مكان غير بعيد عن الفندق الذي يسكنه، وسط جموع غفيرة كانت وقتها في الشارع، ليعم الرعب والصخب وسط المارة ويلوذ القاتل بالفرار دون أن تعرف وجهته<sup>26</sup>.

وأيا تكن أسباب وفاته ورحمة الله عليه، فقد خسرت الجزائر رجلا بأمة، بذل كل شيء من أجل أن يرى هذا الوطن مستقلا محررا، يعيش رغد العيش مثله مثل بقية الشعوب العربية والإسلامية في العالم.

#### جهوده الصحفية في مقاومة الاستعمار:

بذل الشيخ محمد السعيد الزاهري قصارى جهوده في سبيل العناية بالمجلات ونشرها، فعندما تخرج من الزيتونة سنة 1924 عاد إلى الجزائر وواصل نشاطه في الصحف العربية والجزائرية، كما شرع في تأسيس عدة صحف أهمها: صحيفة الجزائر عام 1925م، التي كتب عنها ابن باديس رحمه الله في مجلة المنتقد قائلا: "جريدة سياسية أدبية أخلاقية اجتماعية تصدر بالجزائر لصاحبها الشاعر الشيخ السعيد الزاهري، جلا علينا العدد الأول منها مقالات بليغة في متانة التعبير وسمو الفكر، ونبالة المقصد، وثقة لبلوغ الغاية، وجدير بها إذا كان السعيد واضعها أن يكون السعد طالعها"<sup>27</sup>.

لقد كانت جريدة "الجزائر" ميدانا للنثر والشعر معا، ومن شعرائها الكبار الزاهري نفسه، يقول الزاهري مخبرا عنها: "ولما لم يعد لي من غرض أقعد به في تونس رجعت إلى عاصمة الجزائر في سبيل صحيفة وطنية عربية القلم أسسها بعاصمة البلاد فأنشأت جريدة «الجزائر» وجعلت شعارها «الجزائر للجزائريين». أصدرت منها أعدادا ثلاثة لم تصبر الإدارة على حرارتها وصدق وطنيتها فعطلتها وشيكاً"<sup>28</sup>. وقد أوضح الزاهري في العدد الأول منها أنه إنما أصدرها لتكمل الرسالة الوطنية التي بدأتها جريدة "الإقدام" للأمير خالد رحمه الله<sup>29</sup>.

ثم أنشأ بعد ذلك صحيفة البرق 1927/1933م، ذات الاتجاه الإصلاحية وهي لسان حال جمعية العلماء الديني، حيث تعتبر جريدة "البرق" الجريدة الثانية من حيث الأهمية، وقد ظهر عددها الأول في 7 مارس 1927 تحت إشراف محمد السعيد الزاهري وإدارة محمد عبد المجيد رحموني، وكُتِبَ في أعلى الجريدة: "صحيفة اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاوية"، وقد سارت على نهج إصلاحي فكانت تشبه جريدة "المنتقد" للشيخ عبد الحميد بن باديس، وكانت "البرق" تُطبع في قسنطينة لتوزع في بسكرة، ولكن منذ العدد السابع عشر صارت تطبع في تونس وتُنقل عبر القطار لتوزع في بسكرة وقسنطينة، وقد صدر من جريدة البرق سبعة وعشرون عدداً، وقد ضمت كبار الكتاب المصلحين أمثال السعيد الزاهري (تأبط شرا)، العمودي (سمهري)، العقبي (السلفي)، وفعلاً فقد كان ركنها الدائم "قوارص" وأسلوبها اللاذع سبباً في تعطيلها في سبتمبر 1927<sup>30</sup>.

كما اشترك الزاهري مع الشيخ الطيب العقبي و برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس في انشاء ثلاث مجلات على التوالي هي: السنة، الشريعة، والصراط، وتميزت كتابات محمد السعيد الزاهري في المجالات الثلاث من حيث الأفكار، مواصلة الهجوم على الطرقية وكشف سلوك شيوخها، أما من حيث الأسلوب فقد طبع مقالاته الأسلوب القصصي الشيق الجميل<sup>31</sup>.

ومن المجالات التي أنشأها الزاهري أيضاً جريدة "عصا موسى"، التي كانت تجمع مجموعة من الكتاب الشباب، وطالت انتقاداتها شخصيات سياسية وطنية وفرنسية، كانت مجلة نصف شهرية، صدر العدد الأول منها سنة 1950 م، وقد حكى الكاتب الطاهر بن عيشة عن علاقته بمحمد السعيد الزاهري وجريدة عصا موسى قائلاً: "لقد كان لي شخصياً شرف الأخذ عنه، والتعرف على تقنيات فن وعلم الصحافة، وذلك عندما عملت سكرتير جريدة "عصا موسى" التي كانت تصدر تحت إدارته، وبنسبة 80% من تحريره، وهي صحيفة وطنية تهتم بالنقد السياسي والاجتماعي، وفي هذا النقد يستعمل الزاهري الشعر الهجائي، والقصص القصيرة المحبوكة فنياً، ويستعمل مراسلين وهميين ليس لهم وجود محدد في المجتمع، ولكن الأفكار التي يطرحها على ألسنة المراسلين هي أفكار مطروحة فعلاً على الرأي العام الجزائري

وهذه الأفكار في الغالب تتعلق بالاستعمار وعملائه وما يفعلون من مضرة وإساءة للمجتمع الجزائري، وبعد صدور 11 عددا من الجريدة، صدر قرار استعماري بمنعها وسجن الشيخ السعيد الزاهري في السجن العسكري<sup>32</sup>.

كما أنشأ الزاهري أيضا صحيفة "الجحيم" التي كانت تصدر في المطبعة الجزائرية بقسنطينة في حدود قصيرة جدا ما بين مارس وماي عام 1933، وكانت بداية تأسيسها متزامنة مع صحيفة السنة، ليكون آخر عدد منها وهو العدد السابع 11 / 05 / 1933<sup>33</sup>.

كما أنشأ جريدة "الوفاق" عام 1938م لتجسيد أفكاره بعد انسحابه من جمعية العلماء المسلمين بسبب عدم توافق توجهه وفكره مع ما عرض في المؤتمر الإسلامي آنذاك، بالإضافة إلى جريدة المغرب العربي التي أسسها سنة (1947-1956)، والتي كان يديرها ويحرر ألب صفحاتها<sup>34</sup>.

#### كتابات محمد السعيد الزاهري (المدونة الشعرية والنثرية)

لم يكتف الزاهري بالنشر في الصحف الوطنية فحسب، بل تعدت إبداعات حدود الوطن لتصل المشرق العربي وغيرها من بلدان العالم، رغم تضيق الاستعمار عليه، وذكر محمد الهادي الزاهري في كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر قائلا: "فلم تستطع المراقبة الاستدمارية منع الشيخ الزاهري من الاطلاع على الصحافة الشرقية ومراسلتها والمساهمة في تحريرها<sup>35</sup>، وقد كانت بدايات ذلك مع الزاهري في الصحف التونسية التي نشر فيها مجموعة كبيرة من القصائد والمقالات المهمة، والتي عنيت بالكثير من القضايا السياسية والأدبية والثقافية، فقد نشر في صحف الوزير والنهضة، والزهاء أكثر من 20 مقالا وقصيدة نوعت بين أعدادها وصفحاتها، وهو مما يدل على طول باع الزاهري في الكتابة والنشر أيضا.

والراصد لأعداد هذه المجالات منذ تأسيسها في عشرينيات القرن الماضي يجد أن القلم الزاهري لم يلبث إلا وأن شارك في تحبير قصائد، نشرت في صفحاتها، أو تدبج مقالات زينت بها أعدادها، خاصة وأنه كان اسما معروفا آنذاك، وقلم يعتد به في النخبة التونسية عامة، والجزائرية خاصة، وقد حازت جريدة النهضة أكثر عدد من منشورات الزاهري، وفي الجدول الآتي رصد لبعض ما تم جمعه منها:

المقالة	الجريدة
13 مقالا	النهضة
أربع مقالات	الوزير
قصيدة شعرية	الزهراء
مقال واحد	الزمان

بالإضافة إلى مقالات أخرى في مجلة الزمان والأمة لم نستطع الحصول عليها، فهذا الثراء والكثرة في ما كتبه الزاهري تدل على مقدرته وموهبته البيانية، وسعة اطلاعه وثقافته الكبيرة، فقد كتب في جل المجالات والقضايا المهمة آنذاك، هذا كله في جرائد تونس فقط.

فكيف لو جمعنا كل مقالاته التي نشرها خارج تونس أيضا، فقد ذكر الدكتور عبد المالك مرتاض في كتابه (الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر) أن الشيخ محمد السعيد الزاهري كتب في ثماني جرائد عربية هي: المقتطف (1876)، والمقطم (1888) ليعقوب صروف، وفارس نمر، المنار (1898) لمحمد رشيد رضا، الفتح (1926) لمحبة الدين الخطيب، الجهاد (1931) لتوفيق دياب، الرسالة (1933) لأحمد حسن الزيات، القلم الحديدي لجورجي الحداد، السمير لإيليا أبي ماضي<sup>36</sup>. ويعلق الدكتور مولود عويمر على ثراء المدونة الزاهرية المنشور خارج الجزائر بأنه لم يشبهه أحد في كثر النشر إلا اثنان هما: عمر بن قذور، وأبو يعلى الزواوي اللذان كتبا في الصحف المشرقية<sup>37</sup>، وقد كان شرفا عزيزا أن يكتب الجزائري في الصحف المشهورة المشرقية، برغم الظروف الصعبة التي يعانها والتضييق الثقافي والفكري آنذاك، وهذا الجدول يبين لنا المجالات التي نشر فيها الزاهري وبلدانها:

الجزائر	تونس	سوريا	مصر
السنة، الشريعة، الشهاب، الشهاب، الصراط، الإصلاح، البرق، الجزائر، المغرب العربي، الوفاق، النجاح، المنتقد، النور، وادي ميزاب، الأمة.	الزمان، الوزير، الزهرة، النهضة.	المجمع العلمي العربي	الرسالة، الزهراء، الفتح، المقتطف،

			الحديقة، المعرفة، المقطم.
--	--	--	---------------------------------

ومن العجيب أن كاتباً يمثل هذا القدر لا يحظى باهتمام الدارسين والمهتمين بالشأن الأدبي والتاريخي إلا في القليل النادر، وقد نقل الدكتور مولود عويمر تساؤلاً حق له أن يطرحه، عن الكاتب الكبير والبحاث الأستاذ (أنور الجندي) لم يتطرق في كتابه الضخم موسوعة (تاريخ الصحافة الإسلامية) إلى الشيخ الزاهري ومقالاته السابقة على الرغم من تعمقه في البحث عن هذه المجلة، ودراسة كتابها من المشرق والمغرب<sup>38</sup>.

وللإشارة فإن جهود الزاهري لم تقتصر على الجانب الصحفي فحسب، بل تعدته للجانب التربوي أيضاً، فقد بنى مجموعة كبيرة من المدارس وأشرف عليها، وشجع على إنشاء النوادي والجمعيات أيضاً، من ذلك: مدرسة التربية والتعليم بسكرة 1927م، جمعية "الإصلاحية" بوهران 1934م، مدرسة الشبيبة القرآنية بالأغواط 1926م<sup>39</sup>.

#### المدونة الشعرية للشيخ محمد السعيد الزاهري:

تعتبر مسيرة الزاهري الشعرية ثرية بكل المقاييس، رغم ضياع الكثير من قصائده خاصة المنشور في الصحف المشرقية، ولا نملك دليلاً قاطعاً بعناوين ما نشره في تلك الصحف خاصة (مجلة القلم الحديدي، والسمير، والمنار، والجهاد)، بيد أن القلم الزاهري يعد من الأقلام الشاعرة والتي لان لها القول الشعري، يقول الزاهري في حديثه عن الشعر: "أما إن سألتني عن شأني في الشعر، فإني كنت أول مرة أفتش عن الكلمات الغربية أينما كانت لأصور بها ما أريد من المعاني، وكنت أراني في ذلك من المحسنين ولم ألبث حتى أصبحت الغرابة أبغض ما يكون إليّ، فظفرت طفرة واسعة من أسلوب في الشعر إلى أسلوب آخر بلا تدريج. إنني إذا لمن يقولون في الشعر بطفرة الناشئين (راجع قصيدي «أنين الجزائر» و«الشرق والغرب»<sup>40</sup> قبل الطفرة وساو بينهما وبين ما لي غيرهما من القصائد تر صدق ما قلت لك)<sup>41</sup>. وأما قصيدة (أنين الجزائر) فقد ظفرت بها منشورة في

مجلة الإقدام للأمير خالد، وقد شحنها بجملة من المفردات الغربية والتي تحتاج في شرحها أن تعود للقواميس والمناجد، يقول في بعض أبياتها:

يا للجزائر منها ضها وسطاً<sup>42</sup> \*\*\* حكما عليها، وكانت أمة وسطاً  
 للملكا كانت الأيام صاغرة \*\*\* أكان أقسط ذلك الملك أم قسطا  
 لكنها وعيون العدل تحرسها \*\*\* جرت على الدهر من أعجابهاريطا<sup>43</sup>

فكتب الزاهري في شتى المواضيع، ولكن للأسف لم يجمع شتات أشعاره إلى الآن بصورة تستوعب كل إبداعاته، ورغم محاولة الأستاذ عبد الكريم طيبش المتخصص في أدب الزاهري، إلا أنه لم يجمع سوى 17 قصيدة فحسب، في الديوان الذي نشره مؤخراً عن دار خيال، وله في ذلك مسوغات جعلته يجمع هذا القدر الضئيل من الديوان حيث يقول: "لا ندعي أننا استطعنا جمع كل آثار الزاهري الشعرية في هذا الديوان، وإنما ثمننا بثبت كل قصائده التي وقعت عليها أيدينا، وهي موزعة في جرائد وطنية وعربية، وأعترف أنني لم أبذل جهداً كبيراً في البحث عن الإبداع الشعري لهذا الأديب الذي ربما يكون قد نشر في جريدة الإصلاح والوفاق وعصا موسى التي لم يتيسر لي الاطلاع عليها"<sup>44</sup>. وصدق الأستاذ طيبش، فجمع شتات شعر الزاهري من الصحف لا يحتاج جهداً فردياً لباحث تتلقاه الصعوبات من كل جانب، خاصة من ناحية غياب أرشيف يستوعب ما نشره خاصة في الصحف الجزائرية، في انتظار ما يحنّ به موقع (غاليجا) الفرنسي الذي في كل مرة ينشر بضع جرائد كانت تصدر قديماً، بل هو ف حاجة لجهد مؤسسات تتبنى مثل هذه المشاريع الوطنية، وأعتقد أن هناك آخرين مثل الزاهري في حاجة لجمع آثارهم وكتاباتهم.

وقد يسر الله لي هذا الأمر بعد لأي وجهد كبيرين، سعيت من خلالها لاستيعاب كل ما نشره في الصحف الجزائرية والصحف المشرقية وخاصة التونسية، في رحلة بحث دامت أكثر من خمس سنوات، جمعت فيها أشعار الزاهري ما يربو عن: 30 قصيدة، منشورة في نسخ أصلية لصحف جزائرية وعربية.

وعن شعر الزاهري يقول طيبش: "يعتبر شعر الزاهري مرآة حقيقية لما يجول ويختمر بخلده، ويغلي في صدره، إنه الأداة الأفصح -من خلالها- عن حبه لوطنه وذوبانه فيه، فإذا بكى

فبكاؤه لوطنه، وإذا فرح فله، ومن أين يأتيه الفرح ويدخله السرور وهو يرى بلاده بين أنياب البؤس يعضها مضغاً، وفي فقر يأكلها أكلاً<sup>45</sup>، فالشعر بالنسبة إليه هو الشعور الداخلي المفعم بالأحاسيس الجياشة التي تتولد من خلال ظروف الإنسان، فيترجمها في قالب لغوي، ولهذا يتعجب الزاهري من أبناء الجزائر كيف لا يتأثرون بالواقع المرّ فيندفعون للتعبير قائلاً: "وأبناء الجزائر يشعرون بهذه الآلام، فما لهم لا يكونون شعراء؟"<sup>46</sup>.

ويمكن تصنيف أشعار الزاهري ومنتجه الشعري عموماً في المواضيع الآتية:

- القضايا الوطنية.
- شعر المدح والمواساة.
- شعر الانحراف الديني.
- الشعر الذاتي (الشخصي): الرثاء، الوصف، الغزل.

ويمكن تقسيم مجموع القصائد التي جمعها إلى ما يأتي:

الموضوع	القصائد
القضايا الوطنية	07 قصائد
شعر المدح والمواساة	07 قصائد
شعر الانحراف الديني	05 قصائد
الشعر الذاتي (الشخصي): الرثاء، الوصف، الغزل.	11 قصيدة

على أن القصيدة الواحدة قد تجد فيها مواضيع أخرى قد تكون وطنية أو شعر مواساة، أو انحرافاً دينياً أو ما شابه ذلك، وقصائد الزاهري كما يقول طيبش: "تفيض حبا وحنان وشفقة ورحمة بالوطن الجزائري، وتزخر بوعوده على أنه سيبعث في قومه الحياة بأعماله الصالحة، وأقواله الصادقة، وأنه سيسعى وراء الحق المسلوب والضائع لاسترداده من براثن الاستعمار الغاشم"<sup>47</sup>، يقول الزاهري في قصيدة (الجزائر تحيي الجزائر):

وأطلب حَقّاً للجزائر ضائعاً \*\*\* ولو كان محمياً بأنيابِ أغالٍ  
فَلَيْسَتْ حُقُوقٌ جَدَّ فِيهِنَّ طَالِبٍ \*\*\* تفوتُ ولو صينتُ ببابٍ وأقفالٍ

وأركب متن الجدّ واللّين إنني \*\*\* رأيت ركوب الجدّ واللّين أوّلى لي  
 وأنشُر فهم ما انطوى مِن مفاخرٍ \*\*\* وفضلٍ لِلأجدادِ أوائلٍ أقبال<sup>48</sup>

وبعد قراءة فاحصة لمنتج الزاهري الشعري وجدت أنه تناول في الشعر الوطني عدة قضايا هامة، تتمثل في الالتفات إلى الماضي المجيد لتحفيز الشعب على الاستبداد والنهوض بالأمة ضد المستدمر، والاستمداد من الماضي التليد وتاريخ الأمة العظيمة، كما شخص الزاهري الأمراض الفاشية في المجتمع خاصة منها الاجتماعية والأخلاقية، منها: الجهل والفقر، والتنافر وغيرها، كما تحدث عن الاستعمار وما جنته يدها في الجزائر، وما جلبته سياساته الغاشمة والظالمة من خراب في الواقع الوطني، حيث استولى على ثروات الوطن، كما سعى لنشر القيم المنحرفة، والديانات الفاسدة، ثم بلغت به الدناءة لتسخير الجزائريين خدمة لقضايها، ولهذا علق الزاهري الأمل على مثقفي الجزائر خاصة الذين درسوا خارجها وتثقفوا وتشبعوا بالقيم العربية والإسلامية لمواجهة هذا الاستدمار الغاشم، كما حارب في شعره الطرقية والتصوف المذموم الخادم لقضايا الاستعمار، والذي يعينه بدوره على نشر الجهل والخرافة، في حين أن الشعب محتاج لمن ينور دربه، وينشر العلم الصحيح، يقول رابع فروجي: "تتضح لنا حقيقة أن شعر الزاهري اتجه لمعالجة قضايا وطنه، ونقد الواقع، والثورة على عوامل الهدم فيه، وحتى الأغراض الذاتية (كالغزل والرثاء والوصف) لم تكن أغراضا لذاتها بل استعملت ووظفت لصالح الوطن لا من أجل الذات وهو تجديد يحسب للزاهري"<sup>49</sup>. فكان كل ما كتبه من أجل القضية الكبرى هي قضية تحرير الوطن، فرأى الزاهري أنه يجب تسخير كل القضايا والمواضيع والظروف من أجل ذلك، وهو هدف أسمى وعزيز قلما فكر فيه غيره آنذاك.

وفي خاتمة هذا البحث نقول إن الشيخ محمد السعيد الزاهري أديب بحق، وحرّي بالمهتمين بالتاريخ والأدب أن يلتفتوا لهذه الشخصية المهمة، التي شكلت جزءا من تاريخنا المجاهد والمبدع في الوقت نفسه، فقد سطر بقلمه أرقى المقالات، وديج أروع القصائد التي طارت بها الصحف الجزائرية والعربية في الأفاق، ودون الزاهري اسمه في كبرى المجلات العربية المشهورة، فهو يستحق التفاتة جادة من لدن المهتمين لجمع بقية آثاره، والعمل على نشرها ودراستها، فهو إن كان مجاهدا

ضد المستدمر ومن أكبر المعاندين لفرنسا، فهو في الوقت نفسه معلم ومرّب وصحفي وأديب وشاعر شهد له القاضي والداني بالهمة العالية والإبداع الأدبي.

### قائمة المراجع:

#### الكتب:

- 01 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، ج05.
- 02 أحمد بالعجال، الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وآراؤه السياسية (1900-1956م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، 2017-2018م.
- 03 أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحمدي بن باديس)، دار البعث، قسنطينة، ط01، ج02.
- 04 عبد الكريم طبيش، ديوان محمد السعيد الزاهري، دار خيال، برج بوعريبيج، الجزائر.
- 05 عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط02، 1982.
- 06 محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب بالجزائر.
- 07 محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ط01، 1344هـ-1926م.
- 08 محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، تونس، 1345هـ-1926م.
- 09 مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، ط01، 2015م.

#### الجرائد والمجلات:

- 01 جريدة المجاهد الأسبوعية العدد: 1666 بتاريخ 10 جويلية 1992.

- 02 جريدة النجاح: العدد 167، الجمعة 25 جويلية 1924م.  
 03 جريدة النهضة، السنة الثانية، العدد 564، 1925.  
 04 مجلة الشهاب، مج 09، ج 13 شعبان 1352هـ-ديسمبر 1933م.  
 05 جريدة المحقق. عدد 8 من 7 ماي إلى 13 ماي 2006.  
 06 المنتقد، الجزائر، السنة الأولى، العدد 05.

### مذكرات التخرج:

- 01 رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، مذكرة مقدمة ليل درجة الماجستير، جامعة عين شمس مصر، 1409هـ-1989م.  
 02 عبد القادر قوبع، العلاقات الصحفية بين منطقة الزيبان وتونس 1920-1934، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م.  
 03 عبد الكريم طيبش، أدب المقاومة عند الزاهري من خلال جريدة البرق، دراسة إحصائية فنية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ-2007م.  
 04 عبد الكريم طيبش، الإبداع الأدبي والفكر النقدي عند محمد السعيد الزاهري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة قسنطينة 1، 1434هـ-2013م.

### الهوامش والإحالات:

- 1 - ليانة إحدى قرى الزاب الشرقي ولاية بسكرة حاليا.  
 2 - ينظر ذلك في: فوزي مصمودي أعلام من بسكرة، محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر (ج01)، عبد القادر السائحي (روحي لكم، تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث، وعبد العالي رزاق، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر (شعر ما قبل الثورة).  
 3 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس، ط01، 1344هـ-1926م، ص63.  
 4 - ذكر ذلك محمد الهادي السنوسي الزاهري في كتابه شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص184. وقال بأن جده الأكبر (أبي زاهر) الحسيني نسبة إلى الحسن السبط ﷺ حفيد النبي ﷺ.

- 5 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 01، ص 64.
- 6 - المرجع نفسه، ص 65.
- 7 - المرجع نفسه، ص 65.
- 8 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحمدي بن باديس)، دار البعث، قسنطينة، ط01، ج02، ص 132.
- 9 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 01، ص 66.
- 10 - نشرت في جريدة النهضة، السنة الثانية، العدد 564، 1925، ص 03.
- 11 - رايح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، مذكرة مقدمة ليل درجة الماجستير، جامعة عين شمس مصر، 1409هـ-1989م، ص 12.
- 12 - محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1، المطبعة التونسية، تونس، 1345 هـ- 1926م، ص 56.
- 13 - جريدة النجاح: العدد 167، الجمعة 25 جويلية 1924م، ص 03.
- 14 - رايح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 13.
- 15 - مجلة الشهاب، مج 09، ج 13 شعبان 1352هـ-ديسمبر 1933م، ص 520.
- 16 - ينظر: رايح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 31-32.
- 17 - ينظر: المرجع نفسه، ص 34.
- 18 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة (أو القصة الكاملة للسطو بالإمام الرئيس عبد الحمدي بن باديس)، ص 133.
- 19 - محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، دار الكتب بالجزائر، ص 09.
- 20 - محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ص 07.
- 21 - رايح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 59.
- 22 - المرجع نفسه، ص 59.
- 23 - عبد المالك مرتاض، الجدال الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط02، 1982، ص 112.
- 24 - محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ص 7.
- 25 - ذكرت هذه المؤلفات في آخر كتاب الإسلام في حاجة لدعاية وتبشير، طبعة دار الكتب بالجزائر، ص 123.
- 26 - أحمد بالجمال، الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وأراؤه السياسية (1900-1956م)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 02، 2017-2018م، ص 124.
- 27 - عبد الحميد بن باديس، المنتقد، الجزائر، السنة الأولى، العدد 05، ص 23.
- 28 - محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 01، ص 67.
- 29 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط01، ج05، ص 258.

- 30- ينظر: عبد القادر قوبع، العلاقات الصحفية بين منطقة الزيبان وتونس 1920-1934، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص124.
- 31- عبد الكريم طيبش، أدب المقاومة عند الزاهري من خلال جريدة البرق، دراسة إحصائية فنية، مذكرة مكتملة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ-2007م، ص50، 51.
- 32- ينظر بن عيشة الطاهر "شيخ الأدب والصحافيين"، جريدة المحقق. عدد 8 من 7 ماي إلى 13 ماي 2006، ص32.
- 33- وقد ذكر السائحي تفاصيل مكان وظروف طباعة، فقال: إن جريدة الجحيم كانت تطبع في مطبعة بن باديس ليلا بقسنطينة دون علمه. وأن العمال يقومون بذلك خارج أوقات عملهم، وفي سرية تامة لأن الشرط الأساسي بينهم وبين أصحاب الجريدة هو ألا يعلم الإمام بذلك. جريدة المجاهد الأسبوعية العدد: 1666 بتاريخ 10 جويلية 1992 ص:20.
- 34- أحمد بالعمال، الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وأراؤه السياسية (1900-1956م)، ص135.
- 35- نقلا عن: مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، شركة الأصاله للنشر، الجزائر، ط01، 2015م، ص42.
- 36- مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، ص43. وقد جمعت أكثر هذه المقالات عدا ما نشره الزاهري في جرائد: المنار، والقلم الحديدي، والجهاد، والسمر، وقد راسلت المهتمين بالمخطوطات والجرائد والمجلات، ولكن لم أستطع الحصول عليها لعدم توفر أعدادها، خاصة مجلة القلم الحديدي التي ربما ضاعت وأتلفت بسبب سياسة دولة البرازيل التي حتمت عليهم مصادرة كل ما نشر بغير لغتهم، ولعل الله يفتح لنا البحث مرة أخرى ونحصل عليها.
- 37- المرجع نفسه، ص43.
- 38- مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مسارات وبصمات، ص45.
- 39- ينظر: الشيخ محمد السعيد الزاهري فكره وأراؤه السياسية (1900-1956م)، ص126 وما بعدها.
- 40- لم أظفر بقصيدة بهذا العنوان، ولعل لها عنوانا آخر كما هي عادة الزاهري في تغيير العناوين، مثل قصيدة يوم أنس أو اجتماع الضدين.
- 41- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص67.
- 42- هاض: أي كسر بعد جبر، سطا: يَسْطُو سَطْوًا، وَالْأَسْمُ السَّطْوَةُ، وَسَطَا الْفَحْلُ، إِذَا صَالَ.
- 43- ريطا: كل ملاءة ليست بذات لفقين، كلها نسج واحد، وهي قطعة واحدة؛ أو كل ثوبٍ لينٍ رقيق؛ قال الأزهري: ولا تكون الریطة إلا بياض.
- 44- عبد الكريم طيبش، ديوان محمد السعيد الزاهري، دار خيال، برج بوعريبيج، الجزائر، ص31.
- 45- عبد الكريم طيبش، الإبداع الأدبي والفكر النقدي عند محمد السعيد الزاهري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة قسنطينة 1، 1434هـ-2013م، ص79.
- 46- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج01، ص62.
- 47- عبد الكريم طيبش، الإبداع الأدبي والفكر النقدي عند محمد السعيد الزاهري، ص79.

- 
- 48- محمد الهادي الزاهري، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 01، ص 70.  
49- رابح فروجي، أدب محمد السعيد الزاهري دراسة فنية، ص 130.

## حفريات في أدب الشهادة وتأملات في متون أدبية جزائرية

### Excavations into the literature of martyrdom and reflections on Algerian literary texts

طالبة الدكتوراه/ فاطمة عسول

الأستاذ الدكتور/ حمزة حماده

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي (الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي

assoul-fatma@univ-eloued.dz

hamada-hamza@univ-eloued.dz

ملخص:

تروم هذه الورقة البحثية إلى التعريف بما يعرف بأدب الشهادة أو أدب المقاومة، انطلاقاً من الحفر عن مفهومه ومضمونه الأول، هذا الأدب الذي جاء بمثابة وثيقة تاريخية حتى يُعرف ويخلد أسماء كان من الأجدر أن تنقش أسماؤهم بحروف من ذهب وهذا أقل ما يمكن أن يقدم لهم كعربون محبة اعترافاً لما قدموه خدمة للجزائر والجزائريين، أدباء بل نقول شهداء حاربوا ودافعوا عن أرض المليون ونصف المليون شهيد بأرواحهم ورفعوا أعلامهم في وجه العدو الفرنسي رافضين له ومنددين بأعماله الاجرامية، وهذا ما سنتطرق له دراسة وتحليلاً في بعض المتون الأدبية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: حفريات؛ أدب الشهادة؛ مفدي زكرياء؛ عبد الكريم العقون؛ الحبيب بناسي.

#### Abstract:

The objective of this research paper is to introduce the concept of what is commonly referred to as the literature of martyrdom or the literature of resistance, drawing from a comprehensive analysis of its initial conceptualization and content. This literature, serving as a historical testament, aimed to preserve and immortalize the names of those individuals, ideally memorializing their contributions in a manner worthy of

their sacrifices. With a profound appreciation for their dedicated service to Algeria and its people, these individuals, deemed not just writers but martyrs, courageously fought and defended the nation against the French oppressors, sacrificing their lives and using their pens to confront and condemn the enemy's atrocious deeds. This will be the focus of our study and analysis of select Algerian literary works.

**key words:** Excavations; Literature of Martyrdom; Mufdi Zakaria; Abdul Karim Al-Aqoun; Al-Habib Benassi.

### مقدمة

تنوعت الكتابات الإبداعية الجزائرية في فترة الاستعمار وبعدها، حتى عُدت كسلاح في يد كل أديب مساند لثورته وشعبه، فكانت كلماتهم ومواقفهم بارزة في كتاباتهم شعرا ونثرا، فحتى بعد رحيلهم ظلت آثارهم باقية كيف لا وهم من دونوا أفكارهم ومواقفهم إزاء الاستعمار الفرنسي، فنددوا بالجرائم التي ارتكها هذا المستعمر ووقفوا صامدين في وجهه بل ظلت مواقفهم ثابتة، بالرغم من محاولة المستعمر تصفية هذه النخبة المثقفة إلا أن أدباءنا أكملوا مشوارهم كتابة ونشرا، حتى أنهم لم يستعملوا أسماء مستعارة فكل نص جاء مقرونا باسم مؤلفه الحقيقي وبهذا كانت المكتبة الجزائرية غنية بالمنجزات الأدبية والفكرية وبارث ثقافي وأدبي عظيم يعود الفضل فيه لثلة من الأدباء الشهداء ممن كتبوا شعرا ونثرا؛ رواية وقصة؛ مسرح وأدب شعبي؛ فكانت صورة الشهيد بارزة في الإبداع الأدبي الجزائري وظلت محفورة وخالدة في الذاكرة تنطوي ضمن ما يُعرف بأدب الشهداء.

ومنه نتساءل: ما هو أدب الشهادة؟ وما مضمونه؟ وما هي أبرز المصطلحات التي تمثل هذا

الأدب؟ ومن هم أبرز من كتبوا في هذا الأدب؟

## 1- أدب الشهادة -حفريات في المصطلح.-

## أ- مفهوم الأدب.

يعرف الأدب على أنه "الفن اللغوي الجميل الذي يعبر شعرا أو نثرا عن تجربة تتخذ شكلا من الأشكال الأدبية المتعارف عليها، كالشعر والقصيدة والرواية والمسرحية، وقد تعرض الجذر الثلاثي لكلمة (أدب) على مدى تاريخ الأدب العربي لتطورات متعاقبة في صياغتها ومعناها: فظهرت في العصر الجاهلي بصيغة اسم (آداب) الذي يحمل دلالة حسية تعني الدعوة إلى الطعام، وفي العصر الإسلامي اتخذت دلالة تهذيبية أخلاقية كما في قول الرسول ﷺ (أدبني ربي فأحسن تأديبي)"<sup>1</sup> أما في "العصر الأموي عرفت كلمة (مؤدب) وأطلقت على معلمي اللغة والأخبار والشعر والثقافة العربية بوجه عام، ومنذ أواخر العصر الأموي شاعت كلمة (أدب) بكلتا الداليتين الخلفية والتعليمية العامة، ووردت في عناوين العديد من الكتب"<sup>2</sup>.

أما في معجم النقد الأدبي فيعرف الأدب على أنه<sup>3</sup>:

- مجموعة من الأعمال المكتوبة والتي تنطوي على هدف ذي طبيعة جمالية (وفلسفية وأخلاقية أيضا...الخ).
- فن كاتب، وعمله، وفي سبيل المثال أن يكرس حياته للأدب.
- مجموعة من المعارف المتعلقة بالآداب وتاريخها، ومضمونها وشكل وصيغ الأعمال الأدبية، محاضرات أدبية وغيرها.
- وهناك معنى آخر يفيد الابتدال ويعني كل من لا علاقة له مع المعيش، وهو مصطنع، فيقال نظرياته الجميلة، نظريات أدب.

## ب- مفهوم الشهادة.

نقصد بمصطلح الشهادة "أن نقص حدثا، نؤكدده، نوثقه، ندينه، ننقله وتهدف الشهادة إلى النقل أكثر من التواصل فالشاهد يملك حقيقة أكثر من امتلاكه رأيا، والشهادة هي العلاقة بين

الحقيقة ونقلها"<sup>4</sup> وكثيرا ما تكون الشهادة حقيقية، وللشاهد "حرية بناء شهادته وترتيب أفكارها وأحداثها... يستطيع أن يتذكر أو ينسى واقعة ما وتضخيم أو تهميش حدث... استبعاد أو إضافة عنصر من العناصر، فمشكلة الذاكرة تظل باقية لأنه يشهد على حدث في الماضي القريب أو البعيد"<sup>5</sup> فالشهادة توثيق ونقل لحدث ما وتتطلب وجود شاهدا.

وعلى الشاهد أن يكون ذو "لغة تثير الإعجاب ومقنعة، فله أسلوبه الخاص وطريقة عرضه للأمور، وإعطاء قيمة لبعض التفاصيل أو على العكس من ذلك الحد من أهميتها، فالشاهد العيني ينقل ما يعتقد أنه رآه وسمعه، فقولته يكون صدقا أو كذبا ولا نستطيع قياس المسافة بين الواقع وشهادته"<sup>6</sup>

### ج- مفهوم أدب الشهادة.

يرتبط أدب الشهادة، بتدوين ما كتبه الأدباء شعرا ونثرا أو عمل مسرحي وغيرها، ويأتي هذا الأدب كشهادة على حدث ما في فترة من الزمن إنّه أدب "يرتبط بالجرائم التي ترتكب في حق شعوب بكاملها، أو في حق اثنيات متخالفة في العرق والدين داخل أمة واحدة وقد ازدهر انتشار هذا الأدب، في العصر الحديث، لانتشار الحروب والمجاعات وأحوالها الفظيعة في الحياة العامة للناس، وقد كتب أدب كثير حول الحربين العالميتين الأولى والثانية، وبقيت المرويات حولها شاهدة على ما خسرته الانسان في حياته الحضارية"<sup>7</sup> ومن هنا يكون أدب الشهادة شاهدا على أحداث ومعاناة أمة فقد "كتب أدباء عالميون حول محنة الانسان في حروب أخرى، اندلعت بعد الحرب العالمية الثانية، كما نجد عند الأديب الفرنسي (جان جينييه Jean Genet) في كتابه (صبرا وشتيلا) أو ما كتبه الأديب الاسباني (خوان غويتيسولو Juan Goytisolo) حول سراييفو، لقد كان هذان الأديبان مشدودين إلى محنة الانسان الإنسان باعتباره انسانا يعاني وجوده الحياتي معاناة أليمة تصطرع فيها قوى التدمير وقوى البناء، ولا خلاف في كون الأدباء الفلسطينيين هم أكثر انتاجا في (أدب الشهادة)"<sup>8</sup> وغيرهم من الأدباء ممن عان شعبيهم الاضطهاد والظلم، والأدباء الجزائريين عينة منهم، هؤلاء الذين كان لهم ارتا أدبيا عظيما مدافعين فيه عن أفكارهم وعن شعبيهم وأرضهم وصامدين في وجه العدو الفرنسي، أدباء كتبوا وهم أحرارا وكتبوا وهم بين قضبان السجون وهذا مثال

للتحدي والصمود، ومن بين هؤلاء الأدباء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: العربي التبسي؛ الربيع بوشامة؛ أحمد رضا حوحو؛ مولود فرعون، محمد الأمين عمودي وغيرهم كثر.

#### د- أدب الشهادة والتعدد الاصطلاحي.

مصطلح أدب الشهادة كغيره من المصطلحات يشوبه التعدد في التسمية ولكن مضمونه يظل واحدا وثابتا ففي البحث في المصطلح وخلفياته ومضمونه المعرفي، نلاحظ قلة الدراسات فيه والبحوث التي تتخذة كموضوع للدراسة، بالرغم من الأهمية الكبيرة التي يكتسبها هذا الأدب، هذا الأخير الذي يصطلح عليها أيضا (بأدب الحرب؛ أدب ما بعد الكولونيالي؛ أدب الاستعمار؛ الأدب الزنجي والأدب المقاوم) إلا أن المصطلح الأكثر شيوعا هو أدب الشهادة أو أدب المقاومة.

قبل الحديث عن مصطلح أدب المقاومة، وجب الإشارة إلى اللفظ المركزي في هذا المصطلح وهو (المقاومة) والتي "تعني رد الفعل، ومواجهة العناصر الدخيلة، ورفض تقبلها والتصدي للاعتداءات التي تقع من طرف أي أجنبي، وما دام الجزائريون لم يتقبلوا الأمر الواقع فهم من عام 1830 إلى 1962 في مقاومة.. عرفت بنبالتها واصرارها وروحها الوطنية طوال القرن والثلث من الوجود الفرنسي، اتسمت بالرفض المطلق للوجود الاستعماري المطلق واتخذ هذا الرفض في بعض الأحيان مظهر التحدي المتصلب لكل القرارات والإجراءات الاستعمارية، سواء كانت قانونية أو إدارية أو عسكرية، بل حتى لو كانت حضارية ثقافية"<sup>9</sup> وأدب المقاومة يتمثل في تلك المنجزات الأدبية والفكرية التي كتبها الأدباء الشهداء يجسدون من خلالها مقاومتهم لذلك الاستعمار الفرنسي وبهذا يكون أدب المقاومة بمثابة "مزاوجة بين التاريخ من حيث هو فعل وحدث وبين الأدب من حيث هو خيال وتصوير"<sup>10</sup> وبالبحث في ذاكرة مصطلح (أدب المقاومة) نجد أن "لحظة جريانه الأولى على أقلام الكتاب والنقاد، نجد الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني أول من أطلق المصطلح وأشاعه قبل أن يحذو حذوه الناقدون والدارسون ويصبح مصطلحا قارا وفاشيا في الأدب والصحافة وذلك من خلال كتابيه (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة سنة 1966 والأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال سنة 1968"<sup>11</sup>.

أما (أدب الحرب) فيقصد به ذلك الأدب الذي يتخذ من الحروب موضوعا له، فكثيرا ما كانت هناك الكثير من المنجزات الأدبية التي صورت العديد من الحروب وربما القضية الفلسطينية واحدة منها، ومن هنا نلاحظ أن مضمون أدب الشهادة لا يبتعد عن مضمون أدب الحرب، أما الأدب (ما بعد الكولونيالي) فهو الأدب الذي "يعبر عن الأدب الذي وجد في الدول المستعمرة خلال فترة الاستعمار"<sup>12</sup> وهذا ما يرمي له أدب الشهادة أيضا، كانت هذه بعضا من المصطلحات التي تتداخل مع مصطلح أدب الشهادة، إلا أن هذا الأخير الأكثر شيوعا بالرغم من أن العناية بهذا الأدب قليلة جدا والدراسات فيه تكاد تكون نادرة.

## 2- تمظهرات أدب الشهادة في بعض من المتون الأدبية الجزائرية

كثيرا ما كتب الأدباء الجزائريين عن الثورة الجزائرية وخلدوها في كتاباتهم شعرا ونثرا، فحتى بعد استشهادهم خُلدت هذه الثورة وخُلدت أسماءهم معها، حتى عدَّ أدبهم -أدب شهادة- بامتياز، وإذا أردنا أن نستحضر بعض الأسماء ممن تركوا بصمة واضحة بعد وفاتهم نذكر شاعر الثورة الجزائرية (مفدي زكرياء) الذي قدر له "أن يصف الثورة الجزائرية من موقع المناضل الممارس، والسجين المجرب، والوطني المتابع، والمتقف المطلع أيضا، على مسار الحركة الوطنية وتطور أحداثها، وتضحيات رجالها، وما ألحق بهم الاستعمار الفرنسي الضاري من الأهوال الهائلة"<sup>13</sup> فقد كان يحتل "المنزلة الأولى في طبقة شعراء الثورة الجزائرية بلا منازع يذكر، كما يجب أن يصنف في الطبقة الأولى من الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ولعله الشاعر الأكثر شهرة في الداخل والخارج في تاريخ الشعر الجزائري إطلاقا، ولعل ذلك يعود إلى قصائده الغر التي خُلد بها الثورة الجزائرية فخُلد بها، يضاف إلى ذلك النشيد الوطني الذي كتبه وهو في سجن بربروس في خامس وعشرين من أبريل سنة 1955 فيما يذكر الشاعر ذلك شخصا"<sup>14</sup>.

الفخر الأكبر للشاعر الجزائري مفدي زكرياء والشرف الأعظم الذي ناله هو أن أحد قصائده اختيرت لتكون "الشعر الوطني الذي يردده الجزائريون جميعا، وكفى بذلك له فخرا وهو شرف تنقطع دونه أعناق الشعراء الجزائريين فاستبد به وحده والله يؤتي الفضل من يشاء من عباده"<sup>15</sup> فقد كانت قصائده من أروع القصائد "في وصف الثورة الجزائرية والتغني بها، أو التغني

بشهادتها وأبطالها، وهي كلها مطولات يزيد عدد أبياتها عن خمسين بيتا (وهذه خاصية أخرى يتفرد بها أيضا، إذ استثنينا مطولات محمد الصالح باوية في الثورة، ولكنها مطولات من الشعر الحر (الذبيح الصاعد، زلزلة العذاب، قال الله، تعطلت لغة الكلام، اقرأ كتابك، وقالو نريد) ولأمر ما وضع الشاعر هذه القصائد المطولة في صدر ديوانه، فهي من عيون شعره حقا، كما تعد في الوقت ذاته من روائع الشعر العربي الثوري<sup>16</sup>.

أما عن خصائص شعر الشاعر الجزائري مفدي زكرياء، فمن يقرأ له يلاحظ ما يلي<sup>17</sup>:

- أن شعره يستميز بجملة من المميزات لعل أهمها جمالية الإيقاع وغناه.
- تناسق لغته مع القرآن والتراث الأدبي العربي القديم والحديث.
- بساطة اللغة على ما فيها من أناقة ورشاقة.
- العمد إلى استعمال الطريقة المباشرة في عرض الأفكار والقضايا.
- دأب القصيدة العمودية والميل أثناء ذلك إلى الخطابية المقعقة.

إضافة إلى النشيد الوطني (قسما) الذي ذاع به صيت شاعر الثورة الجزائرية والمجاهد والمناضل مفدي زكرياء، نستحضر ما كتبه عن ليلة أول نوفمبر، ليلة اندلاع الثورة الجزائرية وبداية الجهاد من أجل نيل الحرية، ليلة فضل فيها الشعب الجزائري أن يناضل بالنفس والنفيس حتى تبقى الجزائر بلدا شامخا برجاله ونسائه هؤلاء الذين لم يتوانوا في الدفاع عن وطنهم والتضحية من أجله، ليلة شهها الشاعر الجزائري بليلة القدر هذه القصيدة يقول فيها<sup>18</sup>:

وَهَلْ سَمِعَ الْمُجِيبَ نِدَاءَ شَعْبٍ	فَكَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الْجَوَابَ
تَبَارَكَ لَيْلُكَ المَيِّمُونَ نَجْمًا	وَجَلَّ جَلَالُهُ هَتَاكَ الحِجَابَ
زَكَتْ وَتَبَّأَتْهُ عَن أَلْفِ شَهْرٍ	قَضَاهَا الشَّعْبُ يَلْتَحِقُ السَّرَابَ...
بِنَاشِئِهِ هُنَاكَ أَشَدُّ وَطْأً	وَأَقْوَمُ مُنْطَلِقًا، وَأَحَدَ نَابَ
مَلَائِكَ بِالْفَوَاتِكِ نَازِلَاتٍ	بِإِذْنِ اللَّهِ أُرْسِلَهَا خَطَابَ
تَنْزِلُ رُوحَهَا مِنْ كُلِّ أَمْرٍ	بِأَحْزَانِ الْجَزَائِرِ قَدْ أَهَابَ

فمن عظمة تلك الليلة (ليلة اندلاع الثورة التحريرية) شهِبها الشاعر الجزائري بليلة القدر، وعن الثورة التحريرية ما عاناه الشعب الجزائري من وحشية الجيش الفرنسي وأعماله الوحشية، ومع كل هذا كان هذا الشعب على إيمان تام بكسر شوكة الوحش الظالم وعن ذلك يقول مفدي زكرياء<sup>19</sup>:

لا النار، لا التقتيل يثني عزمه	لا السجن لا التنكيل، لا الإعدام
لا الذاريات، الماحقات هواطلا	لا الشامخات تدكها الألفام
لا القاصرات الفاقلات كواعبا	ديست قداستها وقض ختام
لا الحاملات بطونها مبقورة	ذبحت أجنحتها وفك حزام
لا والمراضع عوضت أئدائها	بفم المسدس والرصاص فطام
والأم يهتك عرضها وفحولها	حول الفضيحة شاخصون قيام
يا للفضاحة من وحوش جوع	تسمو على أخلاقها الأنعام
وضعت فرنسا في النذالة بدعة	لم تروها الإعصار وهي ظلام
يا لعنة الأجيال أنت شهادة	إن التمدن للشـرور ورتام

بالرغم من البشاعة والاجرام الذي عاشه الشعب الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي من قتل وسجن وتنكيل واعدام إلا أنه بقوته وبسالته كسر شوكة ذلك المستعمر المستبد وظل ثابتا في مواقفه وصامدا حتى نال حريته.

إضافة إلى الشاعر الجزائري مفدي زكرياء نذكر الشاعر (عبد الكريم العقون) الذي كان من بين أبناء الجزائر الذي وهب حياته لخدمة وطنه فقد كان المعلم والإمام والمرشد والمصلح السياسي والمنضال والشهيد فقد بدأ جهاده بالكلمة ومن ثم انتقل إلى الجهاد الثوري وكتاباته شاهدة عن ذلك فقد "تجاوب عطاؤه الشعري مع الأحداث السياسية، والقضايا الوطنية والعربية التي استحوذت على اهتماماته حيث واكب شعره حركة النضال الوطني التي عايشها الشعب الجزائري في محنته أسام فترة الاستعمار الحالكة"<sup>20</sup>.

لقد عايش عبد الكريم العقون الثورة الجزائرية بأبعادها المختلفة، وعان ويلاتها، فتناولها في شعره، فخصص بعض القصائد منها "للثورة ولكفاح الشعب الجزائري، والتنديد بالاستعمار وسجل بعض الأحداث الوطنية كمجازر 08 ماي 1945، وأشاد بثورة الجزائر وبتاريخها المجيد، ودعا إلى الوحدة الوطنية والمحافظة على مقومات الشخصية والهوية الجزائرية حتى تتحقق الآمال، ولهذا فقد تنوعت موضوعات شعره بين الاتجاه الوطني والاتجاه القومي والاتجاه الذاتي ... والنزعة الإصلاحية الوطنية قد طغت على أشعاره شأنه شأن أقرانه من الشعراء الجزائريين"<sup>21</sup> حتى أنّ المطلع على كتاباته يلاحظ أنّه "لم تظهر قضية أو حادثة أو مشكلة تعرض لها الشعب إلا وأبدى الشاعر الجزائري رأيه فيها، ووقف يناضل في إصرار عنيد عن حقوق شعبه ضد الاستعمار وأطماعه"<sup>22</sup> وبالرغم من كل المضايقات التي تعرض لها الكتاب الجزائريين أيام الثورة التحريرية من طرف المستعمر الفرنسي إلا أنّ الشاعر الجزائري (عبد الكريم العقون) كان يقرن كتاباته دوماً باسمه الحقيقي ولم يضع اسماً مستعاراً أبداً، وفي هذا دليل على شجاعته "فمعظم نتاجه الشعري منشور على صفحات البصائر حيث نشر قصيدة واحدة بعنوان (يا شباب انهض) في العدد 95، عام 1938، في السلسلة الأولى (1935-1939) وحوالي أربع وعشرين قصيدة في السلسلة الثانية (1947-1956) كما نشر قصيدة واحدة بعنوان (أخيرة العقبي لازالت ملجأ) في مجلة المنار العدد 39، عام 1941 كما نشر عام 1984 قصيدتين (روحي تناديك) و(عبرة) في مجلة افريقيا الشمالية، ونشر آخر قصيدة في جريدة البصائر قبل بضعة شهور من اندلاع الثورة بعنوان (مسجد أعظم من مسجد)<sup>23</sup> وبعدها توقف عن النشر ولكن لم يتوقف عن الكتابة.

ومن بين الأقلام الأخرى التي خلدت الواقع المير للشعب الجزائري ابان الثورة التحريرية نذكر "محمد العباد الجيلالي في قصة (أعنى على الهدم أعنى على البناء) المنشورة في جريدة الشهاب عام 1930 ومحمد السعيد الزاهري في قصة (المساواة) المنشورة في جريدة الجزائر، ومن أصحاب الأقلام أيضاً أحمد بن عاشور في مجموعته (طلقات البنادق) وأحمد رضا حوحو في مجموعته القصصية (نماذج بشرية) المستوحاة من الواقع الاجتماعي وملاحمه... والحبيب بناسي مؤلف قصتي (شهيد بلا قبر) و(مأساة أسرة) حيث نجده يصور الجندي الفرنسي سيئ الخلق عديم الإنسانية"<sup>24</sup>.

لقد كانت هذه نماذج قليلة عن بعض المتون الأدبية الجزائرية التي تنطوي ضمن ما يصطلح عليه بأدب الشهادة، كتابات استطاع من خلالها مؤلفوها أن يدونوا أحداث الثورة من جهة وأسماءهم من جهة أخرى فقد كتبوا في الشعر والنثر وشتى الأجناس الأدبية وسعوا جاهدين إلى التنديد بالأعمال الإجرامية التي مارسها العدو الفرنسي في حق الشعب الجزائري.

صفوة المستخلص: في ختام ما تم ذكره توصلنا لجملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ أدب الشهادة أدب خلد الأدب والأدباء، وحفظ شهادات دونها كتابها حتى نالوا معاً شرف الخلود.
- ✓ تنوعت مصطلحات أدب الشهادة ولكن مفهومها ظل واحداً، فهناك من يصطلح عليه بأدب الحرب وهناك من يطلق عليه أدب المقاومة وغيرها من المصطلحات الأخرى، ولكن مصطلح أدب الشهادة الأكثر استعمالاً وشيوعاً.
- ✓ ما يلاحظ أيضاً أنّ المكتبة الجزائرية غنية بهذا كتابات، حفظت تاريخ أمة وشعب ضحى بالنفس والنفيس حتى ترفع راية الجزائر عالياً.
- ✓ بالرغم من المكانة الكبيرة التي يحتلها أدب الشهادة إلا أن الدراسات فيه قليلة بل تكاد تكون نادرة.
- ✓ مفدي زكرياء؛ عبد الكريم العقون؛ أحمد رضا حوحو والحبيب بناسي وغيرهم من الأدباء ممن نالوا شرف الشهادة ودونت أسماءهم في سجل الأدباء الشهداء.

### قائمة المصادر والمراجع

1. رامي أبو شهاب: ما بعد الكولونيالية: المنظور النقدي والمقاربة المنهجية، مجلة أبوليوس، المجلد 06، العدد 02، جوان 2019.
2. شريط أحمد شريط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 2007.
3. عبد اللطيف الزكري: أدب الشهادة، تاريخ الزيارة 2023/09/20، التوقيت 13:20،  
<https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A9>

4. عبد الله شطاح: أدب المقاومة قراءة في الأدبية والالتزام، مجلة المدونة، المجلد 01، العدد 02، 2015، الجامعة البليدة.
5. عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، 2009.
6. غراء مهنا: أدب الشهادة.. ظل الواقع وذاكرة التاريخ، تاريخ الزيارة 2023/09/20، التوقيت 12:30، <https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/246502.aspx>
7. فاروق شوشة، محمود علي مكي: معجم مصطلحات الأدب، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 2007.
8. كامل عويد العامري: معجم النقد الأدبي، دار المأمون للنشر، بغداد، ط1، 2013.
9. محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1985. عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، د.ط، 2009، ص03.
10. مليكة بن بوزة: الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون -المسيرة والنضال-، المدونة، المجلد 01، العدد 02، جانفي 2015.
11. مليكة فريحي: المقاومة في الأدب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، مجلة عود الند، العدد 107، 2015.

### الهوامش:

<sup>1</sup> فاروق شوشة، محمود علي مكي: معجم مصطلحات الأدب، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط، 2007، ص06.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص06.

<sup>3</sup> كامل عويد العامري: معجم النقد الأدبي، دار المأمون للنشر، بغداد، ط1، 2013، ص262.

<sup>4</sup> غراء مهنا: أدب الشهادة.. ظل الواقع وذاكرة التاريخ، تاريخ النشر 07 ديسمبر 2013، تاريخ الاطلاع 2023/09/20، <https://gate.ahram.org.eg/daily/NewsPrint/246502.aspx>

<sup>5</sup> المرجع نفسه.

<sup>6</sup> المرجع نفسه.

- <sup>7</sup> عبد اللطيف الزكري: أدب الشهادة، تاريخ النشر 22 فبراير 2017، تاريخ الاطلاع 20/09/2023، <https://www.alquds.co.uk/%EF%BB%BF%D8%A3%D8%AF%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D8%A7%D8%AF%D8%A9>
- <sup>8</sup> المرجع نفسه.
- <sup>9</sup> محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى نوفمبر 1954، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1985، ص17.
- <sup>10</sup> عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، ج1، دار هومة للنشر، الجزائر، د.ط، 2009، ص03.
- <sup>11</sup> عبد الله شطاح: أدب المقاومة قراءة في الأدبية والالتزام، مجلة المدونة، جامعة البليدة، المجلد 01، العدد 02، 2015، ص41.
- <sup>12</sup> رامي أبو شهاب: ما بعد الكولونيالية: المنظور النقدي والمقاربة المنهجية، مجلة أبوليوس، المجلد 06، العدد 02، جوان 2019، ص68.
- <sup>13</sup> عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، مرجع سابق، ص427.
- <sup>14</sup> المرجع نفسه، ص428.
- <sup>15</sup> المرجع نفسه، ص428.
- <sup>16</sup> المرجع نفسه، ص429.
- <sup>17</sup> المرجع نفسه، ص429.
- <sup>18</sup> عبد الملك مرتاض: أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962 رصد لصور المقاومة في النثر الفني، مرجع سابق، ص437.
- <sup>19</sup> شريط أحمد شريط: دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، منشورات المكتبة الوطنية، الجزائر، د.ط، 2007، ص58-59.
- <sup>20</sup> مليكة بن بوزة: الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون -المسيرة والنضال-، المدونة، المجلد 01، العدد 02، جانفي 2015، ص91.
- <sup>21</sup> المرجع نفسه، ص91.
- <sup>22</sup> المرجع نفسه، ص91.
- <sup>23</sup> مليكة بن بوزة: الشاعر الشهيد عبد الكريم العقون -المسيرة والنضال-، مرجع سابق، ص91-92.
- <sup>24</sup> مليكة فريحي: المقاومة في الأدب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، مجلة عود الند، العدد 107، 2015.

## صورة الشهيد في قصيدة "الذبيح الصاعد" لمفدي زكرياء

### The image of the Martyr in the poem " The Rising Sacrifice"

of Moufdi Zakaria

طالبة دكتوراه: بعطوط نور الهدى

إشراف: أ.دنبيل مزوار

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

nourelhouda-baatout@univ-eloued.dz

ملخص:

تروم هذه الدراسة إلى بيان تشكل صورة الشهيد في قصيدة الذبيح الصاعد، لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، حيث تركز هذه الورقة البحثية على تقديم صورة الشهيد البطل أحمد زبانه ماديا ومعنويا، من خلال ما ورد داخل هاتاه القصيدة، نظرا لما تتميز به هذه الشخصية دون غيرها من صفات ومزايا نبيلة تنم على المكانة العالية والصورة النقية الطاهرة التي يحظى بها هؤلاء الشهداء لا غير، وبطولاته التي قدمها في سبيل تحرير أرضه الجزائر وشعبها، ونيل حريتها. بالإضافة إلى البحث واستخراج التناص، إذ ركزت هذه الدراسة على نوع واحد من أنواع التناص وهو التناص الديني.

الكلمات المفتاحية: صورة الشهيد، البطل، الجانب المادي، الجانب المعنوي، التناص، التناص الديني.

#### Abstract:

This study aims to demonstrate the shaping of the martyr's image in the poem of the Rising Sacrifice to the poet of the Algerian Revolution, Moufdi Zakaria, where this paper focuses on presenting the image of the hero martyr Ahmed Zabana physically and morally Through Mourd within this poem, given the character's exclusively noble qualities and advantages, the high standing and immaculate pure image of these witnesses. liberation of Algeria's land and people and freedom. In addition to research and

extraction of degradation, this study focused on one type of degradation, namely religious adherence.

**key words:** image of martyr, hero, material side, moral side, redemption, religious stigma.

### مقدمة:

يعتبر أدب الشهادة من الروائع الخالدة التي انبثقت عن أدب المقاومة أو أدب الحرب، في الجزائر خاصة والعالم العربي عامة، سواء أثناء النكبة أو بعد النكبة أو قبلها، لأنه يصور بطولات ومآثر الشهداء والإبطال، سواء كان هذا الأدب شعرا أو نثرا، إذ تناول العديد من الكتاب الثورة الجزائرية ومهدوا بطولات أبطالها الشهداء، ومنهم شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء في قصيدته الخالدة الذبيح الصاعد التي ذكر مآثر الشهيد أحمد زبانه، أثناء إعدامه من طرف العدو الفرنسي الغاشم، والبعد الديني الذي يتميز به هذا البطل وهو ما أعطى للقصيدة مسحة جميلة من التناص الديني الذي تجلى داخل القصيدة.

إذن، ما الصّورة التي رسمها شاعر الثورة للشهيد؟ وكيف قدم الشاعر الشهيد البطل أحمد زبانا داخل القصيدة؟

وما الأبعاد الدلالية التي دلت على وجود التناص الديني في قصيدة الذبيح الصاعد؟.

### 1- قراءه عامه في قصيده الذبيح الصاعد:

تعتبر قصيده الذبيح الصاعد من الروائع الخالدة في تاريخ الأدب الجزائري خاصة والعالمي عامة، إذ تبين من خلال هاته المنظومة الشعرية حس الشاعر الثوري، والتزامه بالدفاع عن القضية الجزائرية أثناء مرحلة الاستعمار الفرنسي وبعد انقضائها بواسطة القلم، وتمجيد بطولات شهدائها الأبطال وذكر مآثرهم.

القصيدة ذات نفس طويل حيث تقع في حوالي 68 بيتا نظمت على الطريقة التقليدية في شكلها، لكن في مضمونها مجددة لأنها تطرح فكره الشهيد البطل داخل القصيد وتخلده كما تبين حماس الشاعر وغضبه تجاه بلده، هذه القصيدة تخلد ذكرى الشهيد أحمد زبانه الذي أعدمته

يد جنود الاحتلال الفرنسي الغاشم حيث أنها تصف المشاهد لحظه إعدام البطل الثوري قبل استشهاده، في مشهد تاريخي تقشعر له الأبدان.

نظم الشاعر مفدي زكريا هذه القصيدة بسجن بربروس في الليل أثناء تنفيذ حكم الإعدام على الشهيد البطل أحمد زبانه أسطورة الثورة الجزائرية

## 2- البناء المادي لصورة الشهيد:

إن القارئ لقصيده الذبيح الصاعد لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، يكتشف بأن البطل هنا هو الشهيد أحمد زبانه، إذ باتت شخصيته شخصية تاريخية وممجة ورمزا ثوريا بطوليا فقد رصده الشاعر وما تميز به من مواصفات فريدة لحظه ذهابه إلى المقصلة لتنفيذ حكم الإعدام عليه من طرف المستعمر الفرنسي، الذي ارهبه هذا الجندي وبث في صفوفهم الرعب فهم لم يكلوا ولم يملوا حتى زجوا به إلى السجن لقتله لكن البطل هنا لم يهب أو يخشى الموت بل كان قلبه عامرا بالإيمان وعلى راحة نفسية تامة وكأنه لن ينتظر الموت، وهذا ما زاد من خوف العدو أكثر وإسراعهم في تنفيذ حكم الإعدام عليه كي يتخلص منه ومن بطولاته في أقرب وقت ممكن، المستعمر الفرنسي لم يدري في أن كل لحظه يموت فيها شهيد يولد شهيد آخر وكأن الجزائر أم الشهداء ولا تلد إلا الإبطال

قدم الكاتب للقارئ الجانب المادي لشخصية الشهيد البطلة بكل موضوعية وذلك لأن القارئ يدرك قوة الشهيد وصلابته الجسمانية، فقد قدم الشاعر بعضا من صفاته وذلك بقوله:

قام يختال كالمسيح ونيدا      يتهادى نشوان، يتلو النشيدا  
باسم الثغر، كالملائكة، أو كالأط      طفل، يستقبل الصباح الجديد  
شامخاً أنفه، جلالاً وتمهاً      رافعاً رأسه، يناجي الخلودا

هنا تظهر الشاعر صور مختلفة للشهيد البطل ومقتطفات من صفاته الجسمانية وما يتميز به الأبطال، وتتجلى الصورة بوضوح عندما يمشي بتبخر وبكل ثقة حيث شبهه الشاعر وكأنه هو المسيح عيسى عليه السلام في مشيته، وثقته جعلت العدو وهو في وكره يهابه لأن هذا البطل

الشهيد الشهم يتكبر ويتأنى واثق الخطى ورأسه مرفوع وشامخا أنفه للسماء الذي لم ولن ينحني  
لآخر رمق له في حياته، إضافة إلى الابتسامة التي على شفاهه ولم تغب لحظه واحده وهذا ينم عن  
قدرات الشهيد البطل أحمد زبانه" من خلال إيمانه بنفسه وبالقدر وبخلود القضية التي يدافع  
عنها"<sup>2</sup>

فصوره البطل الشهيد أحمد زبانه هي صورة حقيقية وليست خيالية ومقوماته الجسمانية  
المادية حقيقية أيضا، وهي فكرة موجودة عند الجزائري والعربي والعالمي هذه الحقيقة القوية  
الجميلة التي ولدت من رحم الثورة والمعاناة.

الكاتب يعطي بعض الصفات النبيلة التي يتميز بها هذا البطل الشهيد ويمدحها ويتجلى  
ذلك في قوله:

وامتطى مذبح البطولة معاً      راجاً، ووافى السماء يرجو المزيداً  
وتعالى، مثل المؤذن، يتلو      كلمات الهدى، ويدعو الرقوداً<sup>3</sup>

ففي هذا النسق يُظهر جلياً عدم خوف البطل من الموت لأنه يعلم بأنه سيكون شهيداً عند  
الله تعالى فهذا فخر ليس ليست كل الناس تحظى به، عندما وصفه الكاتب وكأنه سيمتطي صهوة  
الجواد وركوبه وليس الذهاب إلى المقصلة كما أنه لم ينسى ذكر الشهادة وتلقيها لنفسه وقراءة ما  
تيسر له من السور قبل نيل الشهادة أحمد زبانه ما زال حتى آخر رمق يدافع عن القضية الجزائرية  
حيث وجه كلمات مدوية في وجه العدو هزت جميع الحاضرين ومن بينهم الخونة عليهم يفيقون من  
غفوتهم وسباتهم ويتوعددهم وهو أمام حافة الهاوية، حيث قال كلماته الخالدة:

اشنقوني، فلست أخشى جبلاً      واصلبوني، فلست أخشى حديداً  
واقضي يا موتُ فيّ ما أنت قاضي      أنا راضي، إن عاش شعبي سعيداً  
أنا إن متُّ، فالجزائر تحيا      حرةً مستقلةً، لن تبيداً<sup>4</sup>

فهو أسلوب التهديد والوعيد والتقليل من شأن العدو الفرنسي

هي آخر أقوال البطل الثوري الشهيد أحمد زبانه قبل تتويجه بالشهادة والتحاقه بركب إخوانه الشهداء، فمن خلال صدى هذه الكلمات التي تحمل نسقين أحدهما ظاهري والآخر مضمّر.

فالنسق الظاهري هو أسلوب التهديد موجه لفرنسا للدلالة على أن الشعب الجزائري لا يهاب الموت وسيظل يدافع عن قضيته حتى يستعيد حريته وحرية أرضه المسلوبة منه ورضائه بالموت في سبيل أن نحيا الجزائر وشعبها حرة مستقلة سعيدة.

أما النسق الثاني وهو الخفي المضمّر وهو موجه لأشباه الجزائريين الخونة الذين تخلوا عن أرضهم وقد قال هذه الكلمات عسى ضميرهم النائم يستيقظ.

إن شاعر الثورة مفدي زكريا الذي قدم للقارئ في قصيدته الذبيح الصاعد صورة الشهيد البطل أحمد زبانا المادية أثناء ذهابه للمقصلة لتنفيذ حكم الإعدام فيه، حيث قدم لنا صورة حقيقية للبطل وليست خياليه، وتميزه بالصفات التي تدل على الشموخ والكبرياء والتعالي والشجاعة وعدم الخوف والسيطرة وبث الرعب في بيت العدو لآخر نفس، إضافة إلى المدح الذي خصه به الشاعر وهو ثناء نابع من صدق ما في داخل قلب الشاعر من أحاسيس ومشاعر صادقه تجاه الشهيد البطل أحمد زبانه.

### 3- البناء النفسي لصوره الشهيد البطل:

إن صورة الشهيد أحمد زبانه قد تميزت في هذه القصيدة بعده صفات معنوية وهي صفات الأبطال الشهداء لا غير، بما في ذلك عدم الخوف من الموت حيث تتجلى في قول الشاعر:

اشنقوني، فلست أخشى جبلاً واصلبوني، فلستُ أخشى حديداً<sup>5</sup>

هنا تهديد واضح من قبل أحمد زبانا للفرنسيين الذين الذي يدعوهم بتعجيل إعدامه لأنه لا يخشى الحبل ولا المقصلة التي دلت عليها كلمه حديد أو أي وسيلة من الوسائل التي سيقتل بها، كما قدم صفته الخلقية التي يتميز بها المؤمن وهي ترديده للشهادتين وتلاوته ما تيسر من السور والآيات ليجعل فمه معطرا بكلام الله سبحانه بقوله:

وتعالى، مثل المؤذّن، يتلو كلمات الهدى، ويدعو الرقوداً<sup>6</sup>

فهذا ينم عن البعد الديني الذي يتميز به البطل احمد زبانا الذي لم ينس ذكر الله حتى آخر لحظه له في حياته بالإضافة إلى تميزه بصفات الحلم، حيث شبهه الشاعر بموسى عليه السلام عندما قال:

حالمًا، كالكليم، كلمه المجد - دُ، فشدّ الحبالَ يبغى الصّعوداً<sup>7</sup>

الشهيد هنا لم يكلمه الله تعالى لكن كلمه المجد الذي سيصل إليه بعد لحظه قليله حيث كسر الشاعر توقع القارئ.

المتن الشعري اعتنى بتقديم الصفات النبيلة المعنوية النفسية والأخلاقية لشخصية الشهيد، وهي التواضع والتحدي والثقة بالنفس وبالاستعلاء والرفعة والتكبر على المستعمر والشجاعة وعدم الخوف من الموت لأن من صفات المسلم عدم الرهبة من الموت والرضاء بقدر الله وحكمته فذلك ذلك نابع من صميم الإيمان.

إذن الشاعر قدم لمحات مركزة عن الصفات التي يتمتع بها أحمد زبانا شهيد الثورة الجزائرية الذي ناضل من أجل الحرية وتحرير أرضه التي هي أرض الجزائر، من وطأة الاستعمار الفرنسي وكسر القيد والثورة على الظلم والاستبداد... هي بعض من المشاهد التي حفلت بها هذه القصيدة التي خلدت بطولات البطل الشهيد أحمد زبانه " كلما كانت الشخصية- البطل- قريبه من الواقع حافلة بعناصر الإقناع، مكتملة الملامح والسّمات، أصبحت أكثر جاذبيه وأعمق تأثيراً"<sup>8</sup>.

#### 4- تقديم البطل ونهايته:

قدم لنا الكاتب الشاعر في قصيدته الشهيد البطل الذي سيتحول بعد لحظات إلى شهيد للثورة الجزائرية بصورة ايجابية وليست نمطية، إذ بدت هذه الصورة أن البطل يتميز بالعديد من الصفات الجسدية التي جعلت من العدو يهابه مرة أخرى حتى وهو في عقر داره ومكبل بالقيود،

إضافة إلى أن الشهيد الذي واجه جلاده وهو مكبل واسمعه وعيده وكلماته التي كان وقعها يدوي إلى الآن عندما قال:

وامتثلُ سافراً محياك جلا دي، ولا تلتئم، فلستُ حقودا9

إذن من خلال تقديم الشاعر لأحمد زبانا يظهر بأن شخصيته شخصيه قويه مميزه، لاحظنا من خلالها عدم خوفه ورهبته بل كان في كل لحظه تزيد لديه الشجاعة ويطغى لديه الكبرياء مع مسحه الابتسامه التي أريكت العدو الغاصب ولم يبالي بأي جند مهما كانت رتبته وقيمته لديهم.

أما نهايته فقد وصفه الشاعر بكل صدق وأمانه حيث بدا بطلا مغوارا شهما زعزت له أركان ووحدات العدو الفرنسي بل هو من دعاهم إلى شنقه أو ذبحه أو بأي طريقه تحلو لهم لأنه لن يذعن لهم أبدا ولن ترهبه هذه الترهات أبدا، وقوله بكل استعلاء وثقه في النفس وشموخ لم يسبقه إليه احد من قبل:

أنا إن متُّ، فالجزائر تحيا حرّة مستقلةً، لن تبيدا10

هنا يظهر روح التلاحم بين زبانا الشهيد وأرضه وشعبه.

بهذه الصورة انتهى الحضور المادي للشهيد البطل أحمد زبانه غير أن حضوره المعنوي لم ينقطع بل هو راسخ في ذهن وقلب كل جزائر وعربي، فقد باتت شخصيته شخصيه تاريخية رمزيه ترمز الكفاح والتحرر من القيد والأمل والشجاعة، فالبطل الشهيد هو جزائري مسلم يتحلى بالصفات الإسلامية والأخلاقية النبيلة كذلك، كما يقول أ حمد الكيلاني في كتابه الأدب الإسلامي أن البطل إسلاميا هو القدوة أو النموذج أو المثال الحي الذي يحتذى به.

ابتسمت صورة الشهيد من العديد من المبادئ والقيم الإسلامية النبيلة والتي هي مثال يحتذى بها، وهذا تصبح " القيم التي تدعو إليها الشخصيات وتناضل من أجلها وتعمل على إبرازها من خلال سلوكها ليست سوى تعبيرا عن بناء نظري يعود إلى ما يسترعن طبقه أو فئة أو منظومة عقائدية ما"<sup>11</sup>.

## 5- التناس:

يعتبر التناس من المصطلحات النقدية التي اختلفا بين الناقدین والدارسين لها و التي تطورت مع مرور الزمن، فهناك من اعتبر أن التناس ما هو إلا امتداد للسرقاۃ الشعرية القديمة ولكن يوجد في المقابل من اعتبره مخالف ولا يمت إليه بصلة.

التناس هو قراءة لنصوص سابقه وإسقاطها في نص جديد لإعادة إحيائه و بثه وكتابته بطريقة إبداعية أخرى لأن "النص إنتاجية وترحال للنصوص وتداخل نص، ففي فلاء نص معين تتقاطع ملحوظات مقتطعه من نصوص أخرى بواسطة الامتصاص والتحويل"<sup>12</sup>

عرفته جوليا كرسنيفا بأنه تقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى، أي هو إبداع وإعادة إنتاج نص آخر.

فالتناس بطريقه مبسطه هو تعايش نص مع نص آخر؛ مثلا نسقط آية من القران الكريم على نص شعري فينتج لنا صوره جديدة لنص جديد إبداعي وهكذا، فهو "كل نص تعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى"<sup>13</sup>

زخرت قصيده الذبيح الصاعد لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء بالتناس الديني؛ وذلك يرجع إلى الذخيرة اللغوية والكم الكبير من الرصيد الإسلامي؛ لأن الشاعر حافظ لكتاب الله ولديه أفق واسع من الثقافة الإسلامية وهو ما نلمحه في هذه القصيدة التي كانت مثقله بالتناس الديني الإسلامي عندما يقول الشاعر في مطلع قصيدته:

قام يختال كالمسيح وئيدا      يتهادى نشوان، يتلو النشيدا<sup>14</sup>

إذن لفظه المسيح هو تناس ديني وهي تدل على سيدنا عيسى عليه السلام الذي شبه الشهيد أحمد زبانا به في ركازته وشموخه وعدم الخوف وهو على حافة الموت، هو تناس مع قوله سبحانه وتعالى عندما يقول في (سورة النساء) ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ الآية:171، الشيء المشترك بينهما هو التضحية في سبيل الله وعدم الخوف من الموت.

ينقلنا الشاعر إلى مظهر آخر من مظاهر التناسخ مع سيدنا عيسى عليه السلام في قوله:

زعموا قتله...وما صلبوه، ليس في الخالدين، عيسى الوحيد!  
لقه جبرئيل تحت جناحيه إلى المنتهى، رضيًا شهيداً<sup>15</sup>

هنا تناسخ مع قوله سبحانه وتعالى في (سورة النساء) ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ الآية 157.

الشهداء لا يموتون بل هم في جنات النعيم خالدون هنا شبه الشاعر الشهيد زبانه بسيدنا عيسى عليه السلام الذي لم يموت، بل رفعه الله سبحانه وتعالى بجواره. الشهيد هو ميت في الدنيا لكنه حي في الحياة الآخرة.

ينتقل الشاعر بنا إلى قصة أخرى وهي ليلة القدر التي تنزل فيها الملائكة والروح أي سيدنا جبريل عليه السلام إلى سماء الدنيا في قوله:

وتسامى، كالروح، في ليلة القدر، سلاماً، يشعُّ في الكون عيداً<sup>16</sup>

الملائكة رمز للسلام والأمن والاستقرار الذي يعم الكون وكأنه عيد، من جديد ينقلون الشاعر إلى رحلة جديدة من التناسخ الديني وهي مع قصه سيدنا موسى عليه السلام عندما قال الشاعر:

حاملاً، كالكليم، كلمه المجد، فشدَّ الحبالَ يبغي الصَّعوداً<sup>17</sup>

بين مفدي زكريا عظمه ما قدمه الشهيد من بطولات أمام الاستعمار الفرنسي وهو يتناسخ كذلك ما قدمه سيدنا موسى عليه السلام في رسالته الإلهية العظيمة أمام قومه بني إسرائيل وجبروت الطاغية فرعون إذن هي تناسخ مع قوله تعالى في (سورة النساء): ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ الآية 164.

واقض يا موت في ما أنت قاضٍ أنا راضٍ إن عاش شعبي سعيداً<sup>18</sup>

البطل يبين ردة فعله أمام المستعمر بأنه لا يهاب الموت ولا يهيم لأن الذي يهيم هو سعادة شعبه في أرضه إذن جاءت لفظه اقضي ما أنت قاضي مع ما ورد في الآية 72، من (سورة طه) في قصه سيدنا موسى عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

إذن فقد ترك الشهيد البطل صورة مشرفة عن الإنسان الجزائري، حيث جمعت شخصيته بين القوة والشجاعة والأخلاق الإسلامية التي هي صفات المؤمن الحق، وهو شخصية ستضل في ذكرى الإنسان الجزائري ومرجعا للشهامة والخلق الديني

#### خاتمة:

إذن ومن خلال ما سبق نستنتج بأن صورة الشهيد هي صورة خالدة ومقدسة في مخيال كل الجزائري من خلال مواقفهم البطولية ومآثرهم التي تركت أثرا طيبا، فالشهيد يرحل من الحياة الدنيا لكن يبقى أثره حافلا وراسخا معنا، من خلال الكتابات مثل الشهيد أحمد زبانا في قصيدة الذبيح الصاعد لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء، التي وصف فيها الشهيد من ناحيتين المادية والمعنوية وصورته الناصعة البياض التي لن تندس مهما طال الزمن، بالإضافة إلى التناص الديني الذي أعطى مسحة إسلامية وقيم نبيلة للشهيد أحمد زبانا، وهذا يدل على الخلق الإسلامي الرفيع والراقي الذي يتمتع به الشهيد الجزائري حتى وهو في أصعب الحالات.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات الأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996.
2. شيماء نزار عايش، صورة البطل في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد السابعون، 2016.
3. عبد الستار أحمد فراج، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، دار الإرشاد والأنباء، مصر، د.ط، 1965.
4. مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، د.ط، 1987.
5. مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، الجزائر، د.ط.

6. نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، ط1.

الهوامش:

<sup>1</sup>-مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، الجزائر، د.ط، ص 17.

<sup>2</sup>- شيماء نزار عايش، صورة البطل في الشعر العربي، مجلة ديالي، العدد السابعون، 2016، ص 353.

<sup>3</sup>- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 17، 18.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 18.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، ص 18.

<sup>6</sup>- المصدر نفسه، ص 18.

<sup>7</sup>- المصدر نفسه، ص 17.

<sup>8</sup>-نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطابع الدوحة الحديثة، الدوحة، قطر، ط1، ص 50.

<sup>9</sup>- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 18.

<sup>10</sup>- المصدر نفسه، ص 18.

<sup>11</sup>- سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات الايديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص 99.

<sup>12</sup>- عبد الستار أحمد فراج، تاج العروس من جواهر القاموس، ج3، دار الإرشاد والأنباء، مصر، د.ط، 1965،

ص 93.

<sup>13</sup>- مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

العراق، د.ط، 1987، ص 461.

<sup>14</sup>- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 17.

<sup>15</sup>- المصدر نفسه، ص 18.

<sup>16</sup>- المصدر نفسه، ص 17.

<sup>17</sup>- المصدر نفسه، ص 17.

<sup>18</sup>- المصدر نفسه، ص 18.

## محمد الأمين العمودي حياته الأدبية ونضاله الثوري

Muhammad Al-Amin Al-Amoudi his literary life and his revolutionary

طالبة الدكتوراه: وردة مجول

الأستاذة المحاضرة: د/ عقيلة قروور

قسم اللغة والأدب العربي جامعة الوادي ( الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وأدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

medjouel-ouarda@univ-eloueddz

الملخص:

دونت أحداث الثورة التحريرية بالدماء والأقلام ؛ إذ لم يكن النضال مقتصرًا على أطياف معينة من الشعب بل شمل كذلك المفكرين والمبدعين الذين جاهدوا بكلماتهم الحرة، وعبروا عن مآسي وجرائم المستعمر، ورفعوا قضية الوطن الجزائر حراً مستقلاً هدفاً أولاً عالياً، وأوصلوا صوتها إلى طاولة الأمم المتحدة، ولم يمنعهم مانع من الكفاح الفكري إلا الشهادة لتسجل أسماءهم في تاريخ الفكر والأدب الجزائري، ومن أهم هؤلاء برزت أسماء خالدة أمثال رضاء حوحو والربيع بوشامة وعبد الكريم العقون ومولود فرعون ومحمد الأمين العمودي هذا الأخير الذي سنحاول التعريف به وبأعماله الأدبية التي جعلته ينال شرف الشهادة من أجل الدفاع عن حق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية: محمد الأمين العمودي، الشهيد، الحياة الأدبية، نضال، استشهاد.

### Abstract:

The events of the liberation revolution were recorded with blood and pens; the struggle was not limited to certain categories of the people, but also included thinkers and creators who fought with their free words, and expressed the crimes of the colonizer, and raised the case of a free and independent Algeria as a high first goal, and brought its voice to the United Nations table, and the only thing that prevented them from intellectual struggle except Martyrdom to record their names in the history of Algerian thought and literature, among the most important of these, immortal names

have emerged, such as Reda Houhou, Al-Rabie Bouchama, Abdelkrim El-Agoune, Mouloud Feraoun, and Mohamed El-Amine El-Amoudi, this latter, we will try to introduce him and his literary works that made him receive the honor of Martyrdom in order to defend the right of the Algerian people in freedom and independence.

**Key words:** Mohamed El-Amine El-Amoudi; The Martyr, literary life, a struggle, Martyrdom.

## المقدمة

إن أرقى مستويات العلاقة بين الأدب والثورة هو مستوى الالتزام المطلق، الذي يبيده الأديب تجاه الفعل الثوري، الذي يؤمن به بحيث يمتزج فيه الجبر مع فعل المقاومة، بواسطة سلاح البندقية والرصاص أي الدم، فيكون الأديب على استعداد تام ليفدي قضيته بالجسد إلى درجة التضحية بالنفس والروح، أي الموت والاستشهاد ويعد الشهيد محمد الأمين العمودي رمزا خالدا في الذاكرة.

إذ يعد من أبرز الأدباء الشهداء الذين سجلوا أسماءهم بحروف من ذهب، أمثال رضا حوحو، الربيع بوشامة، العربي التبسي، عبد الكريم العقون، مولود فرعون وغيرهم. فقد ناهض محمد الأمين العمودي كغيره من الأدباء الجزائريين، بإبداعاتهم ومقالاتهم على اختلاف ألسنتهم، ومستويات لغاتهم العربية والفرنسية والعامية القضية الوطنية، وقد قدم حياته لمواقفه وكتاباته، ونال شرف الشهادة لأنه آمن بتحرير الوطن وانخرط في الثورة واستشهد في ميدان الشرف.

ومن بين أبرز من ضحى من أجل الجزائر، وخلد بطولاتها وكان الأديب والصحفي، والمترجم والمناضل الشهيد الرمز ابن مدينة الوادي محمد الأمين العمودي. فمن هو هذا الأديب الشهيد الذي سجل شهادته بين المليون والنصف شهيد؟

## 1- نشأة محمد الأمين العمودي:

إن أسماء الشهداء في سماء الجزائر المحررة كالنجوم الساطعة فما أن تتصفح شعاعا حتى يهرك وهج التضحيات، فتتأهب على الفور لمعرفة مناقب أمجادنا من الشهداء البواسل<sup>(1)</sup>، ومن ابرز ما أنجبت من نجوم الجزائر محمد الأمين العمودي ولد عام 1990<sup>(2)</sup>. إختلفت الآراء حول أصوله حيث قيل أنه من أصل عرب اليمن الذين جاءوا إلى المغرب العربي، واستقروا في منطقة الجريد التونسي وبعدها هاجرت أسرته إلى مدينة واد سوف بالجزائر<sup>(3)</sup>.

توفي والده وهو لا يزال طفلا صغيرا فربته أمه، وكفله عمه وكعادة الأيتام إذا، وجودوا الرعاية تحفيزا للاعتماد على أنفسهم، وإظهار قدراتهم ومواهبهم، يقول العمودي عن نفسه "تربت في أحضان أم حنون وعم أشفق علي من نفسي، وتعلمت بالمكتب الفرنسي الابتدائي وبالمكتب القرآني"<sup>(4)</sup> عمه الشيخ عبد الرحمان العمودي، كان سببا في دخوله لتعليم مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم<sup>(5)</sup>، ثم بالمدرسة الأهلية حيث حفظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة، والفقهاء والنحو فنجح فيها، بعدها التحق بمدرسة التعليم عام 1902م، وحصل فيها على شهادة الابتدائية عام 1905م ثم التحق بثانوية بسكرة وسنه 15 عاما.

وفي سن 16 من عمره التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية، وقد كانت هذه بالإضافة إلى مدرسة تلمسان تخرج الشخصيات، من أصحاب المهن والوظائف الحكومية وبعد أربع سنوات من العناء يتخرج منها بشهادة تسمح لصاحبها بتولي منصب عون قاضي أو وكيل لدى المحاكم الشرعية، أو عدلا بمحكمة القاضي<sup>(6)</sup>.

ورغم صدامه مع نظام تلك المدرسة، تحت إشراف فرنسي حاقدا، وشتى المشاكل فقد استطاع بذكائه أن يتحلى بثقافة واسعة إسلامية وفرنسية، في المواد الشرعية والقانونية، وكان الاستعمار يستطيع أن يخرب البلدان إلى حين، ولكن لا سبيل له على نفوس الأحرار، فكل ما استطاع أن يفعله مع النابغة محمد الأمين العمودي أن دبرت الإدارة الاستعمارية مكيدة، بالاتفاق مع بعض الطامعين من الطلبة وبعض الطامعين من الأساتذة، واستهدفت إسقاطه في الامتحان النهائي، وهو ما سجله في بعض شعره منه:

حالي استحال وفاقني الأقران \*\*\*\*\*مذ غاب عني الأصفر الرنان (7).

## 2- الحياة المهنية والأدبية لمحمد الأمين العمودي:

عقب تخرجه من مدرسة قسنطينة تقلد عدة وظائف في مساره المهني، منها وظيفة كاتب عدل في \*فج مزالة\*، ثم وكيلا شرعيا في بسكرة النخيل باب الصحراء، والجزائر العاصمة، فعميدا للوكلاء الشرعيين في العاصمة.

كما شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في السنوات الخمسة الأولى لتأسيسها من 1931 و1936، وهو منصب لا يفوز بيه إلا من أثبت جدارته، وأجمعت الأوساط العلمية والفكرية من الطبقة المثقفة على أحقيته لهذا المنصب، ثم ترأس بعد ذلك جمعية شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان من سنة 1937، التي تصدت للموالين لفرنسا من الجزائريين والأجانب، معبرا عن طموحات الشعب الجزائري.

وساهم العمودي في صناعة الكلمة لإبراز صورة الإعلامية، الحقيقية للجزائر في مرحلة جد حساسة، حيث أرادت سلطة الإحتلال وإدارته وأد الجزائر العربية الإسلامية، ومحو صورتها من الوجود بلباسها لباس الإدماج، و الإلحاق بفرنسا ما وراء البحر، ليتم لها اجتثاث الجزائر من جذورها، وبقائها إلى الأبد فرنسية بكل ما تحمله الكلمة من معان تدل نجاح المستعمر في احتلاله للجزائر.

### أ- مقالاته:

انتج في مقالاته منهج الدعوة إلى إصلاح أوضاع الشعب وذلك من خلال مقالاته، التي حررها سنة 1925 باللغتين العربية والفرنسية في صحف وجرائد مختلفة منها "الإقدام" الصادرة عن الأمير خالد، وجريدة المنقذ الصادرة عن ابن باديس وجريدة "الإصلاح" التي كان يصدرها الطبيب العقبي. دون أن ننسى جرائد أخرى مثل "النجاح"، و "الشهاب" و "الجزائر" و "صدى الجزائر"، و"الجزائر الجمهورية"<sup>(8)</sup>.

بالنظر إلى أعمال محمد الأمين العمودي نجدتها تنوعت، بين مقالات وخطب وأشعار، وكان بعضها من أجل إصلاح أوضاع الجزائر والبعض الآخر من أجل التعبير عن موقفه اتجاه واقعه وما عرفتة الجزائر من أوضاع، سياسية وثورية فكانت كتابته بذلك تنحو منحاً نضالي، من أجل قضية الوطن نشرها في جرائد ومجلات زمنه، ولم يكتب لهذه الكتابات أن تجمع في كتاب واحد.

كما وردت بعض الشهادات من المؤرخين، حول براعته في هذا الميدان منها، ما قاله عنه الأستاذ محمد الصالح رمضان " كان العمودي صحافياً بارعاً، مارس الكتابة في الصحف الجزائرية، بالعربية والفرنسية في الأمور الأدبية والشؤون الاجتماعية، والسياسية والوطنية.

كتب العمودي ونشر مقالاته الصحفية، واستقل بتجربة خاصة به هي جريدة \*الدفاع\*، التي أسسها سنة 1934 باللغة الفرنسية، وكانت موضوعاتها تتمحور حول الدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، بقوة الحجّة وصدق الكلمة وموضوعية الطرح، كما هاجم السلطة الجائرة وخصوم الشعب، وكشف نشاطهم بأسلوب لاذع و متميز، فاعتبرتها الإدارة الفرنسية جريدة منكرة للحكم القائم، وأوقفت صدورها سنة 1937<sup>(9)</sup>.

كما كان للمرأة الجزائرية المسلمة، حظ من الكتابة فقد كتب عن الناشئة الإسلامية الجزائرية في المقال الأخير، يقول محمد الأمين العمودي إن الشبان الداخلين في القسم الأول المتخرجين في المدارس الفرنسية، يدعون إلى التفرّس المطلق محتجين بأنه الوسيلة الوحيدة، لنهوضنا وإنقاذنا من المصائب التي نحن نتخبط فيها منذ أحقاب زاعمين أن تعاليم الدين لا تتفق مع قواعد الرقي، ولا أكتّم القارئ أن تلك اليقظة التي أتت على حين غفلة، قد أزعجت الفكر العام الذي ألف الخمول والجمود في جميع أوقاته وأثارت غضب السواد الأعظم، حتى أن الشبان المتخرجين في المدارس الفرنسية وقعوا في حيرة شديدة لما رأوه، من الخلاف العظيم بين ما تعلموه وما وجدوا عليه آباءهم، وأمّاتهم وقد نسبوا ذلك الخلاف إلى الدين الإسلامي الذي لم يزل أهلهم متمسكين به. بسبب ذلك هو جهلهم دين الإسلام وما أمر به، لصالح الدارسين فأشدت بغضهم للإسلام كما اشتدت العداوة بينهم وبين ذويهم<sup>(10)</sup>.

ما نلاحظ أن هذا المقال يحاول معالجة مسألة انقسام نفسية المثقف الجزائري، نتيجة ذلك الصراع الداخلي بين ما هو موروث فكري يظهر أصالته، وشخصيته الإسلامية وبين ما يتطلبه ويفرضه عصره من انفتاح حضاري، على الآخر الذي يجبره على إتباع النمط الأوروبي الذي يلبس، فيه ثوبا فكريا غريبا عنه ويتغلى بذلك عن عناصر شخصيته، التي يرى بأنها لم تعد تتماشى ووضعه الراهن.

وهنا يتعلق الأمر بانشطار النفس إلى موقفين متباينين وهو الأمر الخطير الذي عانى منه المثقف الجزائري في حقبة استعمارية معينة، فأثرت على البعض منهم ودفعت بهم إلى اختيار موقف الإدماج بينما أدى، البعض الآخر إلى التمسك بالأصالة مع الاندفاع إلى تحقيق مبادئ، الحرية والاستقلال والكرامة<sup>(11)</sup>.

#### ب- شعره:

هذا عن كتابات محمد الأمين العمودي الأدبية في جانب الخطب والمقالات، أما في جانب الشعر فشعرية محمد الأمين العمودي ترجع إلى فترة شبابه أين كان طالبا بقسنطينة، حيث صور الشقاء والمعاناة التي عاشها المواطن الجزائري في ذلك الوقت، ولكن سرعان ما حول شعره إلى الشعر الاجتماعي الهادف، الذي يمتزج بالسخرية المرة فدعا إلى وحدة شعبية الجزائري ورفض الاستعمار الفرنسي<sup>(12)</sup>، ولكن للأسف الشديد، فإن الكثير من إنتاج الشيخ ألفتته السلطات الاستعمارية قبل الثورة، وخاصة أثناءها كما أن بعضها الآخر يوجد متفرقا في الصحف الجزائرية التي لم تجمع إلى الآن. وبعضها من إنتاجه يوجد في حوزة أشخاص كانوا يزورونه، فيملي عليهم ويأخذون معهم ما أملى وهم معروفون لدى الأسرة، ولكنهم إلى الآن لم يستجيبوا لطلبها بتقديم ما لديهم من نصوص، حتى يتم جمعها<sup>(13)</sup>.

وعلى الرغم من ذلك فإنّ محمد الأمين العمودي له قصائد في كتاب، "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وله قصائد في مجلة "آمال" الجزائر (ب.ت)، وله قصائد نشرتها مجلات عصره منها قصيدة (وخيرهم وأنت بهم خيرا) جريدة العصر الجديد تونس 13 ديسمبر 1920 وقصيدة الأمير خالد جريدة الإقدام عدد 103، وأرجوزة نشرتها مجلة الثقافة عام 85 الجزائر<sup>(14)</sup>.

وشعر العمودي يدعو إلى إصلاح المجتمع الجزائري عن طريق، نقد الأوضاع التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة وقد غلب على نقده طابع الفكاهة، والسخرية والطرافة. والحق أن العينات التي احتفظت بها الأيام من شعر الأمين الاجتماعي تعد ذات وزن عظيم، في ميدان الإصلاح المجتمعي والسخرية من الأوضاع القائمة في غير صلاح المجتمع، ورقبه والنهوض بالأمة جمعاء<sup>(15)</sup>. من أجل الخروج بها إلى الحرية والتخلص من تبعات الاستعمار من تبعية، وطمس للهوية الوطنية وغيرها.

يقول في قصيدته (أمر دبر بليل) مظهرا فيها معاناة الشعب، من فساد شاع في المجتمع الجزائري الذي لم يسلم منه الشاعر خاصة من أصحاب المكاتب، من تجاوزات واحتيايل واستغلال إلى غير ذلك في قوله:

لم أدرك حين وقفت  
 هذا يشير لتلك وهي تجيبه  
 لهما اتفاق ليس بكشف سره  
 لهما اتفاق ليس بكشف سره  
 عبثا يحاول من يؤمل منها  
 حقا هما سبب الخيانة والخنا  
 حقا هما و-البيانات كثير-  
 هو يكتفي للاختلاس لماله  
 هي روح كل بلية فتاكة  
 أسفي على قوم لهما دين وهم  
 صم ولو خاطبتهم ووعظتهم  
 ما الفرق بين وكيل ووكيل  
 كلاهما يصطاد للتحصيل  
 ويحال فيه الجيل بعد الجيل  
 إسداء إحسان وفعل جميل  
 وخراب هذا العالم المخدول

مهده الظلال ومصدر التضييل

بلسانه البادي كتابة الفيل

حتى بري التاج والاكليل

عن دينهم في غفلة وذهول

بفصاحة الخنساء وفقه الخليل<sup>(16)</sup>

ج- عمله في الترجمة:

هنالك الكثير من الوثائق، والأقوال التي تشير إلى تعاطي العمودي للترجمة ببراعة فائقة، ومن ذلك أنه اشتغل في فترة فح مزالة وبسكرة مساعد الترجمان الشرعي، فكان يقوم بفرنسة المطالب والشكاوى والعقود، وما يتقدم به المواطنين من وثائق، زيادة على الترجمة الفورية بين المواطنين وأعوان السلطة الاستعمارية، الذين كانوا لا علم لهم باللغة العربية، ويكفيه شهادة الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما عارض بعض الأشخاص، تعيين العمودي ضمن وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري، فقال ابن باديس يومها: "لا أرضى بغير العمودي ترجمانا لي، فهو الذي يستطيع تبليغ أفكاره و ترجمته كلامي إلى المسؤولين الفرنسيين، وينقل إلي كلامهم بأمانة وإخلاص فالأمين العمودي هو لساني (الأمين) الذي لا أبغي به بديلا<sup>(17)</sup>".

كما نعرف أنه تخرج من مدرسة قسنطينة الفرنسية - الإسلامية، التي تؤهله للقيام بأعمال الترجمة الرسمية، والنقل من لغة إلى أخرى بين العربية، والفرنسية (يستويان عنده في النقل منها وإليها)، ونظرا لاضطلاحه الواسع على الثقافتين العربية والفرنسية، "فهو يمثل بأفكاره أبعد ما وصل إليه التفكير الإصلاحي من تحرر بالنسبة لقضية تعليم المرأة، ولعله الوحيد بين الكتاب الإصلاحيين ممن يجمع بين اللغتين بتمكن، وقد اعترف له الأصدقاء والأعداء بالمهارة والألمعية، مسه رشاش من نظريات المترنسين ولكنه لم يبخل وحاول جاهدا أن يعبر عن تمسكه بالروح الإصلاحية السلفية، وموافقته لنظريات رجالها<sup>(18)</sup>".

## د- أسلوب كتاباته:

جمع العمودي مواهب عدة، فهو كاتب صحفي، ولكتابات نثرية، بالإضافة إلى كونه شاعر متميزا، واستطاع أن يفرق بين أسلوبه في كل ذلك، مستعينا بثقافته الواسعة، وإدراكه العميق لما يناسب كل فن من فنون الكتابة المختلفة، فاهتم في كتاباته الصحفية بالمعنى المباشر، مدركا الفرق بين القصيدة الشعرية والنصوص النثرية، فبينما تتطلب القصيدة عاطفة عارمة وديباجة لفظية، فالمقالة الصحفية تتطلب معرفة واطلاعا على المجتمع وأحواله.

كما ميز أسلوبه بالمنطق والموضوعية، والتحليل الدقيق المقتنع بأفكاره، عاكسا بذلك رصانة عقله دون مبالغة أو تضليل، ودون اعتبار للعواطف والجلبة المحيطة به، بهذا الأسلوب عرض وناقش قضايا مثل: التجنيس، والسفور في الحجاب والتعليم و المرأة... ولم يتهرب يوما من الواقع، فكان يطرح الأمر للدراسة فيبحث عن أسبابه وآثاره من جميع الجوانب، ويرصد مساوئه ومزاياه، ويعرض آراء الآخرين ولا يستسهل الأحكام العابرة، ولا يركن لرأي الأفراد دون أدلة، وكذلك كان يعتمد على الواقع المحسوس، فيستمد منه الدليل ولا يقف عند الشواهد الموجودة في الكتب يفعل ذلك كله بقدرة لغوية ومعرفة قانونية راسخة<sup>(19)</sup>.

ومختصر القول حول هذه المقالات والخطب أنها نابعة عن " فكر منظم وإدراك عميق، وإصابة لكبد المعنى مباشرة دون موارد وراء زخرفة لفظية، أو تصنع لمحسنات جمالية استطاع به أن يوازن بين أسلوبه ومعانيه موازنة دقيقة، فلا هو متهافت على الأصباغ الفنية على حساب معناه، ولا هو مزور الجانب عن ألفاظه ومبناه<sup>(20)</sup>.

## 3- محمد الأمين العمودي حياته النضالية واستشهاده:

أما الجانب النضالي، قال الأمين العمودي عن نفسه: " أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري، حياة بلا غاية، ولا أمل حياة من لا يأسف على أمسه، ولا يغتبط بيومه، ولا يثق بغده<sup>(21)</sup>، ففضية وطنه كانت شغله الشاغل حيث طغت على تفكيره، فلا شيء يغريه لأن مصير وطنه المجهول أكبر همومه وحياته النضالية حافلة بالنشاط، حيث كانت العلاقة بينه وبين الشيخ عبد الحميد ابن باديس متينة جدا.

وبتولي العمودي الأمانة العامة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد مثل دوره على أكمل وجه في توعية الناس، والنشر بالفرنسية حتى يوصل أفكارها إلى المستعمرين والمثقفين غير المعربين.

هذا وقد تمثل الدور السياسي للعمودي في بذله لجهود مضيئة لتنظيم المؤتمر الإسلامي، فكان واحدا من المبعوثين إلى باريس لوضع مطالب المؤتمر الإسلامي إلى الحكومة الفرنسية، شارحا لهم هدف ذلك المؤتمر<sup>(22)</sup>.

اجتمعت جهود الرجال من علماء الإصلاح في أرض الوطن، ودعوا إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931، فانتقل من بسكرة إلى الجزائر، وكان في طليعة الملبين والمؤسسين لهذه الجمعية، وعندها وجد نفسه يخرج من قوقعته ويتخلص من همومه، ويتسلح بالحزم والجد والإخلاص والأمل مع العمل، لمواجهة الاستعمار الفرنسي وأذنابه.

وتبرز عبقريته أكثر في صبيحة الاجتماع العام الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932، عندما لاحظ امتلاء القاعة بأصحاب السبح "الشيخ أحمد بن عليوة" والطرقين، فأدرك أنهم يحاولون تفجير الجمعية من الداخل والاستيلاء عليها، فأشار واتفق مع الشيخين محمد خير الدين والسعيد الزاهري، بأن أوراق الانتساب إلى الجمعية ستغير، بناء على امتحان يقوم شيخان من العلماء لإثبات علمية المنتسب أو جهله، ونجحت هذه الخطة في إفشال محاولة الطرفين للتدخل في شؤون جمعية العلماء بصورة قانونية.

ويشير الشاعر والمترجم الأستاذ الطاهر بوشوشي، إلى أن الأمين العمودي قام بتحرير، وترجمة التقرير الذي قدم في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة، عن التعذيب الجهنمي والأساليب الوحشية التي كانت السلطات الفرنسية تستعملها ضد الشعب الجزائري.

هذا التقرير الذي قدمه الأخ عبد القادر شندرلي، إلى لجنة تصفية الاستعمار بالأمم المتحدة سنة 1957، وقد كانت المعلومات تجمع بواسطة مناضلي الجبهة، ويقدمها الشيخ الصديق مصباح إلى العمودي، ليصوغها في تقرير أفحم الدبلوماسية الفرنسية، وفضح ادعاءاتها وأكاذيبها.

وبعد حصول القضية الجزائرية على حق التسجيل في الدورة 11 للأمم المتحدة، المنعقدة خلال شهري جانفي فيفري من سنة 1957، توصلت السلطات الفرنسية بعد بحث مدقق إلى صاحب التقرير، فألقي القبض على الشيخ الصديق مصباح، وتأكدوا أن صاحب التقرير هو الأمين العمودي.

ويذكر الأخ بوشوشي أن مصباح أكد له بعد الاستقلال، أن العمودي هو صاحب التقرير بنصه العربي والفرنسي، أما المعلومات الواردة فيه من جمع مناضلي جبهة التحرير الوطني.<sup>23</sup>

فكان ذلك التقرير القطرة التي أفاضت الكأس، الذي قدم في ملف القضية الجزائرية للأمم المتحدة عن التعذيب والأساليب الوحشية التي كانت تمارسها السلطات الاستعمارية ضد الشعب الجزائري الأعزل، وقع ما يقع فيه كل بطل لا يهاب الموت فتم اختطافه يوم 10 أكتوبر 1957، وبعد أيام عثر على جثته في قرية العجيبة الكائنة شرق البويرة ولم يكن قد لفظ أنفاسه فنقل على جناح السرعة إلى مستشفى البويرة هناك أستشهد لأن عصابة (اليد الحمراء)، كانت قد أذاقته ألوانا شتى من التعذيب فدفن في مقبرة سنتوجان بالجزائر العاصمة. فضل الاستشهاد على أن يقبل بطلب السلطات الاستعمارية أن يذم الثورة، والثوار في كتاباته فرفض ذلك مما جعلهم يكتنون له العداوة والشر مع هذا، ولذلك فقد حصلت القضية الجزائرية على حق التسجيل، في دورة الأمم المتحدة الحادية عشر سنة 1957 حينما قامت فرنسا بالتفتيش عن صاحب التقرير واغتياله.<sup>24</sup>

#### الخاتمة :

لنخلص في الأخير للقول أن محمد الأمين العمودي ناضل من أجل قضية وطنه، وسخر تعليمه من أجل الدفاع عن حرية أرضه، وكرامة شعبه. فهو بطل من أبطال الجزائر، والثائر عن الأوضاع التي كانت سائدة من ظلم وحرمان وتجويع وشتى أنواع العذاب، وقد قال عنه الشيخ جلول البدوي : "الأستاذ الأمين العمودي رحمه الله رجل نادر المثال في خفة روحه، وفصاحة تعبيره وجرأته على القول متى أراد بارع النكتة حاضر البديهة عصبي المزاج، يكاد ينفجر حدة على من يحاول معاكسته في القول الذي يبديه له من الرأي"<sup>(25)</sup>.

ونتيجة لتلك الطاقة فجر إبداعاته، وسخر شبابه ثائرا على الأوضاع وجل كهولته مناضلا، لا يخشى في قوله الحق من بطش المستعمر فعرضه لسانه، وقلمه إلى السجن، ثم الاغتيال على يد جماعة اليد الحمراء الإرهابية لينال بذلك شرف ووسام الشهادة مسجلا اسمه ضمن المليون ونصف مليون شهيد فالمجد، والخلود لشهدائنا الأبرار.

### المراجع :

- 1- إبراهيم بن ساسي، الشيخ محمد الأمين العمودي أحد رواد الصحافة الجزائرية، 07 يونيو 2011.
- 2- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات) دار البصائر الجزائر ج 2.
- 3- جريدة الشعب، مقال بعنوان، "مناضل، شاعر، وصحفي، اعتنى بالإصلاح، الشهيد محمد الأمين العمودي" عدد 18300 articles www.vitamniedz.com
- 4- حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، مجلة عصور الجديدة، \*عدد خاص بخمسينية الاستقلال الوطني، العدد 09، ربيع 1434 هـ/2013 م.
- 5- حمزة بكوشة، شخصيات منسية، (الأمين العمودي)، في مجلة الثقافة، الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الأولى، العدد 6، ذو القعدة 1391 هـ/جانفي 1972 م.
- 6- حورية بوشريخة، محمد الأمين العمودي: مسيرة حياة أدب وثورة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة الجزائر 2، العدد الثاني، ربيع الثاني 1436 هـ الموافق ل:جانفي 2015.
- 7- عثمان الطاهر علية، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الروبية، الجزائر، 1996.
- 8- مجلة الثقافة عدد 43 فيفري مارس 1978.
- 9- محمد الأخضر السانجي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 10- محمد الصالح رمضان، الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته، العدد 43، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، فيفري مارس 1978.
- 11- محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مطبعة النهضة، تونس 1346 هـ/1927 م.

12- محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، المجلد الأول، الشركة الوطنية للطبع والنشر

والتوزيع، الجزائر، 1978.

https://hadramout.center/articles/6920 -13

histoire de la wilaya d'eloued www.wilaya-eloued.dz -14

الهوامش:

<sup>1</sup> - عثمان الطاهر علي، الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة مؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة الطباعة الروبية، الجزائر 1996، ص 7.

<sup>2</sup> - الشيخ محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مطبعة النهضة، تونس 1346هـ/1927م، ص 19-20.

histoire de la wilaya d'eloued www.wilaya-eloued.dz - 3

https://hadramout.center/articles/6920 - 4

<sup>5</sup> - ينظر، المرجع نفسه.

<sup>6</sup> - حمزة بكوشة، شخصيات منسية، (الأمين العمودي)، في مجلة الثقافة، الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الأولى، العدد 6، ذو القعدة 1391هـ/جانفي 1972م، ص 49.

<sup>7</sup> - مرجع سابق، https:// hadramout.center /articles/6920.

<sup>8</sup> - ينظر، جريدة الشعب، مقال بعنوان، "مناضل، شاعر، وصحفي، اعتنى بالإصلاح، الشهيد محمد الأمين العمودي" عدد 18300 articles www.vitamniedz.com.

<sup>9</sup> - حاج عبد القادر يخلف، محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة، مجلة عصور الجديدة، \*عدد خاص بخمسينية الاستقلال الوطني، العدد 09، ربيع 1434هـ/2013م، ص 141-142.

<sup>10</sup> - جريدة الإصلاح ع 4 بتاريخ 03 أكتوبر 1929 أو محمد ناصر " المقالة الصحفية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 278، 279.

<sup>11</sup> - ينظر، محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص 18.

<sup>12</sup> - ينظر، جريدة الشعب عدد 18300.

<sup>13</sup> - ينظر، محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ص 47.

<sup>14</sup> - ينظر، حورية بوشريخة، محمد الأمين العمودي: مسيرة حياة أدب وثورة، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة الجزائر 2، العدد الثاني، ربيع الثاني 1436هـ الموافق ل: جانفي 2015، ص 113.

<sup>15</sup> - ينظر، محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ص 46.

<sup>16</sup> - المرجع السابق، ص 25-27.

<sup>17</sup> - محمد الصالح رمضان الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته العدد 43 مجلة الثقافة وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية فيفري مارس 1978 ص 19.

- <sup>18</sup> - محمد ناصر، "المقالة الصحفية الجزائرية" المجلد الأول، الشركة الوطنية للطبع والنشر والتوزيع الجزائر 1978، ص 243.
- <sup>19</sup> - <https://hadramout.center/articles/6920>
- <sup>20</sup> - محمد الأخضر السائحي، "محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، ص 64.
- <sup>21</sup> - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح\*مذكرات\*، دار البصائر الجزائر، ج 2، ص 499.
- <sup>22</sup> - محمد ناصر، "المقالة الصحفية الجزائرية"، ص 243.
- <sup>23</sup> - محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، ص: 24.
- <sup>24</sup> - حورية بوشريخة، محمد الأمين العمودي: مسيرة حياة أدب وثورة، ص 109-110.
- <sup>25</sup> - ينظر، المرجع السابق، ص 34 والقول مأخوذ من مساهمة الأستاذ البدوي في ندوة الموقار 14 نوفمبر 1977.

## جماليات الأسلوب في الخطاب الشعري عند الشاعر الربيع بوشامة

## Aesthetics of style in poetic discourse according to the poet Rabie

## Bouchama

قصيدة "عجبًا لوجهك كيف عاد لحاله" أنموذجا

طالبة الدكتوراه/ حميدي سهيلة

الأستاذ الدكتور / يوسف بديدة

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الوادي (الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي، جامعة الوادي.

suhila-hmidi@univ-eloued.dz

bedida-youcef@univ-eloued.dz

## ملخص:

يقوم البحث على قراءة أسلوبية في قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" للشاعر الربيع بوشامة في مستويات ثلاثة: الصوتي ويتمثل في: الوزن، القافية والتكرار مع تحديد دلالاتها الصوتية، ثم التركيبي القائم على دراسة تركيب الجمل وكذا أسلوب النفي ودورها في ترابط النص، وصولا إلى المستوى الدلالي الذي يضم المعجم الشعري والصورة الشعرية، دون أن يغفل السياق بما يكتنزه من حملات إيحائية، والهدف من ذلك استنطاق النص من خلال الكشف عن التواحي الجمالية وإظهار الخصائص التعبيرية لكل مستوى على انفراد، وذلك ضمن مقاربة نصية إستوعبت أبعاد القصيدة كافة من خلال رصد العلاقات القائمة بين أنسجة النص.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الشعري، الأسلوب، الجمالية، الظواهر الأسلوبية

**Abstract:**

The research is based on a stylistic reading of the poem "It is amazing how your face came back to itself" by the poet Rabie Bouchama at three levels: the vocal, represented by: meter, rhyme, and repetition with

determining their phonetic connotations, then the synthetic, based on studying the structure of sentences as well as the style of negation and their role in the coherence of the text, up to the semantic level, which includes the poetic lexicon and the poetic image, without neglecting the context with its suggestive loads. The aim of this is to interrogate the text by revealing the aesthetic aspects and showing the expressive characteristics of each level separately, within a textual approach that comprehends all dimensions of the poem through monitoring The relationships existing between the fabrics of the text.

**key words:** Poetic discourse; style; aesthetics; stylistic phenomena

### 1- تمهيد:

يعدّ المنهج الأسلوبيّ من أبرز المقاربات التّقديّة في دراسة النصّ الأدبيّ وتحليله، إذ ينطلق أساساً من مفهوم نقديّ يجعل من النصّ وسيطاً لغويّاً يحمل في طيّاته هويّة المبدع وبصمته الفكرية و شحناته العاطفية، والتي يتلقّفها القارئ على شكل شفرات مؤثّرة، يحلّلها ويفكّكها ويتفاعل معها أثناء أو بعد قراءة النصّ، ومن هذا المنطلق يأتي تعريف الأسلوبية بكونها "علم يعنى بدراسة الخصائص اللّغوية التي تنتقل بالكلام من وسيلة إبلاغ عاديّ إلى أداة تأثير في"<sup>1</sup>، مستندة في ذلك إلى مقولات علم اللّغة التي تكسيها فاعليتها في وصف النصّ، و بالاعتماد على "أدواتها التحليلية الإجرائية التي تسهم بشكل مرّن في إبراز مواطن الجمال والبناء والتّصوير في النصّ الإبداعيّ، ضمن حدود مستويات ثلاثة هي: المستوى الصّوتي، المستوى التّركيبيّ، والمستوى الدّلاليّ"<sup>2</sup>، و إنّ تخصيص هذه المستويات الثلاثة بالتّحليل يهدف إلى إثراء البحث الأسلوبيّ لتخصيص فاعلية كلّ مستوى وتأثيره في تعالق الأنساق التّعبيرية وترابطها.

وانطلاقاً من هذه الرّؤية الأسلوبية حاولنا استنطاق قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" للربيع بوشامة في مستوياتها الثلاثة، من أجل استظهار مواطن الجمال و تحديد الخصائص التّعبيرية لكلّ مستوى، ساعين للإجابة عن الإشكال التالي: كيف تجلّت فرادة الأسلوب عند الشّاعر الربيع بوشامة؟ وما هي أهمّ الصّور الجمالية المكوّنة للخطاب الشعريّ عند الشّاعر؟

ولد الربيع بن الصديق بوشامة، "ببلدة قنزات بمنطقة بني يعلي بولاية سطيف بالشرق الجزائري، حفظ القرآن الكريم في الثانية عشرة من عمره، وكان يجالس العلماء ويخالط أصحاب العلم منذ صغره، قبل أن يلتحق بدروس الإمام عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، كان عنصرا بارزا في الحركة الوطنية وفي سنة 1937 أصبح عضوا عاملا في جمعية العلماء المسلمين، ومثل جمعيتها في أوساط المغتربين في فرنسا،<sup>3</sup> شارك في مظاهرات الثامن من ماي 1948 بمدينة خراطة، حيث زجت به سلطات الاحتلال في السجن، بتهمة التحريض على الانتفاضة وحكم عليه بالإعدام، "وبعدها تم الإفراج عنه سنة 1946، لينتقل إلى العاصمة ويعمل بها معلما، ومع اندلاع ثورة التحرير المباركة في الفاتح من نوفمبر عام 1954 التحق الشاعر بصفوف المجاهدين، يجند الشباب، يجمع الأموال، ويوثق صلاته بجيش التحرير الوطني، يواكب بشعره مسيرة الثورة بصور ملاحمها ويخلد مآثرها"<sup>4</sup>، إلى أن ارتقى شهيدا \_رحمه الله\_ يوم 13 ماي 1959، بعد أن ألقى عليه المحتلون القبض وهو في مكتبه بإدارة المدرسة، حيث اقتيد إلى السجن وظلّ به لخمسة شهور كاملة، يقاسي ألوان العذاب وصنوف التنكيل البشعة.

## 2- المقاربة الأسلوبية لقصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله"

تندرج قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" ضمن الديوان الشعري للشاعر الكبير الربيع بوشامة، وقد أنشأت هذه القصيدة عقب الأحداث المأساوية الدامية التي خلفتها مظاهرات الثامن من ماي سنة 1948، والتي شارك الشاعر في تنظيمها وإحيائها، وقد ضمّتها مشاعره وأحاسيسه الجياشة تجاه الوطن و الشهداء وكلّ الذين عانوا من ويلات الاحتلال الغاشم، وبالاستعانة بالقراءة الأسلوبية سنقوم بتحديد البنى الأسلوبية البارزة داخل النصّ وإحصاء مختلف مظهراتها على مستوى التركيب والصوت والدلالة، بغية إضاءة والوقوف على مميّزاته الفنيّة والجماليّة.

### 1-2- المستوى الصوتي:

تنظم اللغة الشعرية في نسيج صوتي متميّز يفوق اللغة الاعتيادية ويجعل النصّ زاخراً بالإشارة الجمالية ومشحوناً بالدلالة الإيحائية التي لم تكن لتثار لولا هذا الاتّساق الإيقاعي بين

الوحدات اللغوية، "ذلك أن" الشعر تشكيل خاص منقولٌ بموسيقى الإيقاع واللفظ، فهو يولد أولاً كإيقاع قبل أن ينتظم في جملٍ وتعابير<sup>5</sup>، والأسلوبية تولي اهتماماً خاصاً بتحليل الجانب الصوتي بحيث "تبرز خصوصية العمل الأدبي من خلال تقصي الأثر الصوتي التابع عن الانتظام بين الأنساق المكوّنة للنص، وقد انماز نصّ القصيدة بإيقاع سلس واضح يعكس جوّ الحزن وحالة الألم التي اعتصرت الشاعر، على نحو يستشفّه القارئ بسهولة ويتلمّسه أثناء قراءته التفاعلية، ومن أبرز الظواهر الصوتية الألفطة الظهور، نجد الوزن، القافية والتكرار.

#### أ- الوزن:

تنتهي القصيدة إلى الشعر العمودي التقليدي على اعتبار أن الشاعر الربيع بوشامة ينتهي إلى مدرسة المحافظين، وقد اعتمد في بنائها وزن بحر الكامل، فهي تقوم على تفعيلية "مفاعِلن".

طلبوه للهيجاء حتى حرّروا بكفاحه فجزوه بنت حسام

0/0// /0/ /0/// 0//0/// 0//0/ 0/0/ /0/0/0/ /0///

مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن مفاعِلن

مع حدوث بعض التغييرات نظرا لورود الزحافات والعلل بكثرة، بخاصة زحاف الإضمار إذ تتغير التفعيلية وتصبح "مفاعِلن" وهو تسكين الثاني المتحرك، وكذا علّة القطع وهي حذف آخر الوند المجموع وتسكين ما قبل آخره، فتغدو التفعيلية "مفاعِلن"، فنجد

قُبِحت من شهرمدى الأعوام يا مائي كم فجّعت من أقوام<sup>6</sup>

0/0/0/ 0/ /0/0/ 0/ /0/0/ 0/0/0/ 0/0/0// 0/0/ 0/ /0/0/

مُفاعِلن مُفاعِلن مُفاعِلن مُفاعِلن مُفاعِلن مُفاعِلن

ويستمرّ الشاعر في تشكيل إيقاع بحر الكامل إلى آخر القصيدة محمّلا إيّاه شحناته العاطفية المختلفة حزنا وغضبا وألما وحسرة، يشتدّ تارة ويتصاعد ثمّ يهدأ تارة أخرى ويسكن اضطرابه، تبعا للموقف الشعوري، ويمكن القول عامة أنّ بحر الكامل بحر جميل الإيقاع،

موسيقاه الثابتة تتناسب مع تصاعد حركية الأحداث التي صاحبت مظاهرات الثامن ماي الشرعية، وهي مع ذلك أيضا انعكاس لشدة انفعال نفسية الشاعر وتأجج عاطفته.

### ب- القافية:

للقافية إسهام كبير في خلق التشابه الصوتي داخل النص، لما تخلقه من متعة ولدّة عند القارئ، وبما تكتسبه من أهمية دلالية ضمن سياق البيت، إذ "تبرز القافية عند التقاد في أنها تلعب دور مولّد صوتي معنوي"<sup>7</sup>، والقصيدة بنيت على روي (الميم) وهو حرف شفهي مجهور شديد يتسم بوضوح سمعي عالٍ "لما فيه من ترددات عالية تثير أذن السامع"<sup>8</sup>، فنلاحظ ذلك

لي فيك يا ماي النوائب والردي	ذكرى شقي طيلة الأعوام
فقدان خير أب، وأكرم صحبة	وجحيم سجن حُفّ بالإعدام
في ذمة التاريخ تسعة أشهر	قضيتها في عزة وصدام
وشربت منها كأس كل شديدة	صنعت - خصيصاً - للفقى المقدم
قابلتها بشجاعة جبارة	وتجلّد يسطو على الألام <sup>9</sup>

ومع تواتر تردد روي الميم يتأكد ترسيخ قيم الجهر والشدة في التعبير عن الأحاسيس المندفعة، كما وظّف الشاعر مع حرف الروي صوتا صائتا فجعل الردف (حرف مدّ أو حرف لين ساكن يسبق الزوي مباشرة)، لازمة ترافق حرف الروي حدّ الالتصاق به، بحيث سيطر على القوافي سيطرة تامة، الأمر الذي مكّن النصّ الشعري من استيعاب كلّ المشاعر التي تفتقر إلى أصوات صائتا في الأداء.

### ج- التكرار:

لم يعد التكرار في المقاربات الحديثة تقنية مملّة، بل بات أحد المقاييس المؤشّرة على جمالية النصوص وحسن إبداعها، بحيث يضيف على النصّ طابعا موسيقيا متفردا، إذ أن "الأصوات و توافقاتها والكثافة والاستمرار والتكرار يتضمّن طاقة تعبيرية فدّة"<sup>10</sup>، وأول ما يطالعنا في القصيدة هو تكرار الأصوات (الحروف) التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمضمون النصّ

وأبعاده الدلالية، ففي متن القصيدة تراوحت الحروف والأصوات بين المهموسة والمجهورة، ويمكن القول أنّ النسبة بينهما فيها اعتدال مع أفضليّة طفيفة للأصوات المجهورة، حيث عزّز وجودها تكرار رويّ القصيدة ممثلاً بحرف "الميم"، وقد تواتر ورود الأصوات المجهورة من بداية القصيدة ليتصاعد ويتضاعف بروزه أكثر مع نهايتها، وذلك استجابة لقوّة المشاعر واندفاع العواطف الجارفة، التي تدلّل على معاني الغضب والسخط والرغبة الجامحة في الثّورة على الطّغيان ورفض الظّلم، أمّا الأصوات المهموسة فقد كثر ذكرها وترديدها في بداية القصيدة فجاءت تمهيدا للحدث الأبرز في النصّ، وهو مجازر وفضائع الفرنسيين بحقّ الجزائريين الأبرياء يوم الثّامن من ماي الخالد، فنقلت هذه الأصوات مشاعر الحزن والأسى والألم والحسرة، وعبرت عن مأساويّة الحدث وسوداويته وشدّة تأثر الشّاعر بهذه الأحداث الدّامية. وبهذا نصل إلى أنّ تكرار الأصوات المهموسة والمجهورة وتحديد صفاتها قد حقّق التّناغم والانسجام بين دلالة الحرف ونفسيّة الشّاعر وبين مبنى النصّ من ناحية الشّكل والمضمون.

أمّا على مستوى الألفاظ فإنّنا نلاحظ بسهولة لجوء الشّاعر إلى تكرار لفظة "ماي" في القصيدة، حيث تكرّرت ستّ مرّات، وهذا الأمر بدهيٌّ فالقصيدة وثيقة تأريخ خالدة لأحداث الثّامن من ماي المأساويّة، وما تكرار لفظة ماي إلا دلالة على أهميّة هذا الحدث وتأكيد على هول الفاجعة التي ألمّت بالشّعب البريئ الأعزل، وإثبات لشدّة تأثر الشّاعر وإصراره على التّفاعل عاطفيّاً وأدبيّاً مع أبناء وطنه في هذه المحنة، لكنّ المتعمّن في القصيدة يدرك جيّداً أنّ تكرار لفظة ماي لم يكن اعتباطيّاً، بل يعكس ذكاء الشّاعر وقدرته في بناء نصّه وهندسته بشكل يبرز أفكاره و يحمل رسالته وينقل عواطفه، ونتأكّد من ذلك حين نلاحظ طريقة تواتر لفظة ماي وتوزيعها المدروس في النصّ، فعلى الرّغم من كون القصيدة كتلة واحدة لا فواصل بينها ولا مقاطع تجزئها شكليّاً، جاء تكرار هذه اللفظة لمفصلة النصّ وتحديدده ضمن أفكار أساسيّة مجزأة تتشكّل معا داخل النصّ، فتكرار الكلمة ستّ مرّات يعني وجود ستّ أفكار ومن ذلك ما حملته الفكرة الأولى من معانٍ تدرج ضمن عنوان "(وصف الحدث "مجازر الثّامن ماي" وبشاعة المحتلّ) في قوله:

قَبِحت من شهرٍ مدي الأعوام يا (ماي) كم فجّعت من أقوام  
شابثٌ لهولك في الجزائر صبيّةً وانماع صخرٌ من أذاك الطّامي<sup>11</sup>

أما الفكرة الثانية ففيها حديث عن معاناة الشاعر الشخصية في هذا الشهر حيث سجن وقتل والده وفقد أعزّ أصدقائه إذ يقول:

لي فيك يا (ماي) النوائب والردي وذكرى شقيّ طيلة الأعوام  
فقدان خير أبٍ وأكرم صحبة وجحيم سجنٍ حُفّ بالإعدام<sup>12</sup>

وفي الفكرة الثالثة يلعن الشاعر شهر ماي لأنه أصبح في نظره رمزا للتكسات والمصائب، فيعترف قائلاً:

يا(ماي) قد ظلموك حقاً مثلما ظلموا الضّعافَ وشوّهوك بدام  
هلاً غربتَ عن الزمان وأهله فتريح هذا الناس من إيلام<sup>13</sup>

إنّ تكرار لفظة(ماي) ستّ مرّات يؤكّد ما تختزنه هذه اللفظة من مدلولاتٍ سلبية، تكشف العبء الثقيل الذي خلفه هذا الشهر على نفسيّة الشاعر، وكأنيّ به يريد التخلص منه نهائياً لا من خلال مخاطبته وحسب، بل من خلال التكرار التراكبيّ بحيث يكون عائناً زمنياً يحول بينه وبين الأمان والاستقرار.

## 2-2- المستوى التركيبي:

تأتي فاعلية التّركيب في البحث الأسلوبي من "أنّ الأسلوبية ترى فيه عنصراً ذا حساسية في تحديد الخصائص التي تربطه بمبدع معين، ولأنّها تعطيه من الملامح ما يميّزه عن غيره من المبدعين"<sup>14</sup>، وعليه تغدو الأدوات اللغوية تركيباً هاماً يؤدي إلى صياغة الصّورة المنشودة و ترجمة الانفعال النفسيّ المقصود ممّا يسمح للشاعر بالإفصاح عن حسّه وتصوّره للوجود.

إنّ المتمعّن في قصيدة "عجبا لوجهك كيف عاد لحاله" يستشفّ بجلاء دور العناصر التّركيبية في بناء نسيج متجانس للنصّ، وعن طريق ربط هذه العناصر الأسلوبية سيكون من السهل الوصول إلى مختلف الدلالات ومعرفتها تأثيرها في بنية النصّ وعلى المتلقّي أيضاً.

## أ. دراسة تركيب الجمل:

"الجملة هي عنصر الكلام الأساسي، إذ يحصل بواسطتها الفهم و الإفهام بين مختلف المنتفعين باللّغة. و يحوّل المنتفع مادة، فكرة إلى كلام معبّر، بواسطة الجمل، و يتكلّم و يتواصل بواسطتها كذلك. و اعتبر علماء الألسنية الجملة، الصورة الصغرى للكلام المقيد، أي الكلام الذي يخضع لمتطلبات اللّغة و نواميسها"<sup>15</sup>، وقد كان لحضور الجمل في القصيدة بنوعها الفعلية والاسمية دلالات وإيحاءات هامة، خاصة في تحديد التجربة الشعرية عند الشاعر

تواتر ورود الجمل الفعلية والجمل الاسمية في القصيدة بنسب جدّ متقاربة، مع تفوق طفيف للجمل الفعلية حيث بلغت نسبة التكرار فيها 56%، ويرجع هذا التفوق إلى طبيعة الموضوع المعالج، فالنصّ يضحّ بأحداث سياسية وعسكرية واجتماعية، انجرت عن الحدث الأبرز في القصيدة وهو مجازر الثامن من ماي 1948، وكما هو معلوم فإنّ الجمل الفعلية تدلّ في العموم على معاني التقلّب والتغيّر وعدم الثبات فهي تمتاز بالحركية، وفي هذا دلالة واضحة على انقلاب حياة الجزائريين بعد المظاهرات ومعاناتهم اليومية مع الاحتلال، وتغيّر أوضاعهم إلى أوضاع أكثر سوءاً، الأمر الذي يستدعي القيام بثورة تهبّ معها رياح التّغيير والتّحرير، ومن أمثلة الجملة الفعلية نذكر:

شابتُ لهولك في الجزائرِ صبيبةً - يُوحى الشجى ويصبح مثل الهام  
 إن أعلنوا فيك السلام لقد رموا - شويتُ وكانت من الدّ طعام

أمّا الجمل الاسمية فقد وظّفها الشّاعر بكثرة في النصّ، وإن بدرجة أقلّ من نظيرتها الفعلية حيث بلغت نسبة حضورها في النصّ 44%، ويلاحظ في القصيدة اقتران الجمل الاسمية بالتعبير عن العواطف وإظهار مختلف المشاعر، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية الجمل الاسمية في نقل المعنى وتشكيل الصّورة، إذ من المعروف أنّها من الناحية اللغوية والتركيبية تدلّ على معاني الثبات والاستمرار والديمومة، وبإسقاط ذلك على القصيدة، نجد أنّ حالة الحزن والألم والحسرة قد ظلّت مخيمة على جوّ القصيدة، وذلك بسبب تأثير الأحداث المؤلمة بعد الفظائع المرتكبة بحق الشعب الجزائري، ومن أمثلة الجمل الاسمية نورد:

تاريخك المشؤوم سطر من دمٍ      ما يوم حنّوز وجرح مصابه  
حصن الرجولة في أعزّ صفاتها      في عنفوان العمر، لم يدنوا إلى

### أسلوب النّفي:

يشكّل أسلوب النّفي \_ الصّريح والضّمّي\_ أحد أبرز الظواهر الأسلوبية في القصيدة، "فالنّفي يحدّد أسلوب الشّاعر في قول ما يريد، على أساس انعدام التّشابه الإراديّ والتّمائل المقصود بين عالمه والعوالم الأخرى، لأنّه عندما يتلاعب بالنّفي يبغي الإثبات بطريق المخالفة"<sup>16</sup>، وقد اعتمد الشّاعر النّفي بتشكيلات متنوّعة داخل النصّ ( لا، لم، لن، ما، لولا)، بحيث تواتر حضور أدوات النّفي داخل النصّ في إحدى عشر موضعا. سنعرض أهمّها:

فمن المواضع الأثيرة التي تجلّت فيها بنية النّفي دائرة الحزن والألم بعد المجازر المرتكبة بمنطقة "حنّوز" أين يقطن الشّاعر، حيث بلغت مشاعر الأسى والحسرة ذروتها وكأنّ الزّمان توقّف عند ذلك اليوم، الذي سبق جرحا غائرا لا يلتئم ولا يندثر ولا يمكن نسيانه أو تجاوزه، فيقول:

ما يوم حنّوز وجرح مصابه      بمحجّب أبدا ولا ملتام  
لن يقدر الحدثان أو طول المدى      أن يطويه كعارض الأحلام  
لا بدّ أن يبقى كرمز خالدي      يوحى الشّجى ويصيح مثل الهام<sup>17</sup>

إنّ كثافة النّفي هنا (ما، لا، لن) تؤشّر على كثافة الدّلالة، حيث "تأخذ الصّيغة بعدا حكاثيا يتلازم مع زمن الماضي، معنى هذا أنّ هناك تصادما كبيرا بين زمن النصّ وزمن الدّلالة في لحظة فريدة تتوحّد فيها الدّات بالواقع فيكون جديها جدبا له"<sup>18</sup>، وعليه فالنّفي يعكس حالة القلق الذي يعتمر الشّاعر، وهو ما يتأكّد في باقي الأبيات حين يورد قائلا:

ما كنت أهلا للفجائع والرؤى      لولا يدّ من ناقم غشام  
ما كنت أهلا للنّقائص والأذى      لولا هوى في دولة الأقوام<sup>19</sup>

إنّ الشّاعر يحاور معاتباً شهر "ماي" ويعبّر عن تلك الحالة بمحاولة رصد أبعادها، من موقع يصبح فيه النّفي وسيلة لغويّة تفتح على دالتين متقابلتين هي ثنائيّة النّفي والإثبات، فبقدر ما يلجّ الشّاعر على تبرئة "شهر ماي" من دمّ الجزائريين ويثبتهما للمحتلّين الغاصبين، فإنّه بالقدر نفسه يؤكّد على شؤم هذا الشّهر ونحسه، وبهذا يتّضح أنّ النّفي والإثبات قيمتان خلافتان تظهران المفارقة بين حالتين متقابلتين<sup>20</sup>.

### 3-2- المستوى الدلالي:

يولي التحليل الأسلوبّي أهميّة بالغة في رصد الدلالات الكامنة في النصّ، ذلك أنّ "النصّ يتحرّك ضمن دلالاته، ولا شيء يقوى على ضبط هذه الدلالات وتحديد مواقعها أو رسمها وبنائها قدر ما يقوى الأسلوب عليه"<sup>21</sup>، وهذا بما يختزنه من طاقات تعبيرية تشكّل فاعليّة دلالية في النصّ على مستوى البنية العميقة، ولابدّ لصاحبها أن يتسلّح بثقافة أدبيّة واسعة تمكّنه من فكّ شفرات النصّ والقبض على إحياءاته ودلالاته للوصول إلى لذّة اكتشاف المعاني والأحاسيس المكتنزة في أيّ نصّ.

#### أ. المعجم الشعري:

يتنوّع المعجم الشعريّ عند الربيع بوشامة بشكل يعكس ثراء روافده الثّقافيّة والأدبيّة والدينيّة والتّاريخيّة، على نحو يجعل للشّاعر فرادة أسلوبية خاصّة يمتاز بها عن غيره من الشعراء تبدو جليّة في قاموسه اللغويّ، وبالعودة إلى نصّ القصيدة سنحاول استخلاص أبرز الحقول الدلالية المكوّنة لخطابه الشعريّ، وهي كالتّالي:

■ حقل الألم والحزن: (فجّعت، تفتّرت مدامع، أم، مفجوعة، تبكي، الشجي، حزن)

وفيه يعبّر الشّاعر عن حالة الأسى والتفجّع من هول المجازر، ويصف صورة الحزن التي خيّمّت على الجزائريين.

■ حقل التّعذيب: (الأغلال، الإعدام، قاتل، سجن، شوّهوك، اعتدوا، داسوا، شويت)

ونلاحظ أنّ الشاعر هنا قد تخبّر ألفاظا بالغة التعبير، ليصوّر وحشية المستعمر التي فاقت مقدرة البشر على التحمل والجلد، محتلّ يقتل ينكل يشوّه ويشوي أكباد الشعوب.

■ حقل الزّمن: (ماي، شهر، أعوام، الأيام، يوم حنّوز، لحظة، تسعة أشهر، الشّهور، الزّمان)

يعكس هذا الحقل صدمة الشاعر من هول المجزرة، حتّى بات زمانها وتاريخها أشدّ عدّوين له لا يستطيع تجاوزهما، فتاريخ هذا الحدث سيظلّ وصمة عار في جبين الإنسانيّة الغافلة ورمزا ليوم نحس لا يمعى من التّاريخ.

■ حقل الألفاظ الدينيّة: (الله، مولاك، ربّ السّما، ضارع، يد الجبّار، الإسلام)

يرمي الشاعر من وراء توظيف هذا الحقل، إبراز مدى تمسّك الجزائريين بدينهم وإيمانهم بنصر الله الآت لا محالة، وفيه تذكير للمحتلّ المغتّر بقوّته بأنّ يد الله أقوى وأنّ الله بجانب الجزائريين.

ب. الصّورة الشعريّة:

انطوت القصيدة على مجموعة من الصّور الشعريّة المتزنة لوظائف دلالية وجمالية وفنيّة، تثير متعة المتلقّي وتستثير عقله ونفسه لتذوّقها، و من ذلك نجد:

■ الاستعارة:

إنّ الاستعارة تتدخّل في "تشكيل بنية اللّغة الشعريّة لا من أجل إزالة المنافرة الدلالية التي قد تحدث بين الدالّ والمدلول فحسب بل تحويلها إلى الملاءمة في السّياق الاستبدالي"<sup>22</sup>، ومن هذا المنطلق راح الربيع بوشامة يستخدم اللّغة الاستيعاريّة في قصيدته من أجل القبض على ناصية المعاني، ويتلمّس القارئ أولى هذه الصّور في مطلع القصيدة أين يلجأ الشاعر إلى توظيف تقنية التّشخيص، فيجعل من الآخر غير العاقل ذاتا عاقلة يحاورها ويحادثها ويستنطقها ويعاتبها فيقول مخاطبا شهر "ماي":

قَبَحْتُ من شهرمدى الأعوام      ياماي كم فجّعت من أقوام  
يا ماي قد ظلّموك حقًا مثلما      ظلّموا الضّعاف وشوّهوك بدام  
داسوا حرامك واعتدوا بنذالة      في حرزه وجنّونا أحسنّ أنام  
وكسوك ثوب المجرمين إهانة      مقصودة لسنائك البسام  
قرونا اسمك المحفظ باسم جريمة      نكراء عاثت في الذرى والهيام  
فمثّلت مكروها ولست بمذنب      ورمالك موتورّبهم حام  
عجبا لوجهك كيف عاد لحاله      من بعد أحداث عرتك جسام<sup>23</sup>

من خلال هذه الأبيات نشعر بدقّة الصّورة وبلاغة التّصوير ونغوص مع الرّبيع بوشامة في لوحته الشعريّة، وهو يرسم "شهر ماي" ويوصّفه ويشخصّه وينقل في عتابه لكأنّه إنسان عاقل يرتقي إلى صفة العدو، وبهذا الشّكل يصبح التّشخيص لدى الشّاعر لا مجرد تقنيّة بلايّة تعبيريّة بل يستحيل رؤية داخلية ترسم أبعاد الصّورة الهجائيّة المثيرة.

#### ■ الكناية:

تتّكئ القصيدة الشعريّة على الكناية باعتبارها عنصرا بيانيا يفضي إلى المعنى ويؤدّيه أداء غير مباشر، وقد حفلت القصيدة بهذا اللون البيانيّ الجميل من ذلك قول الشّاعر:

شابت لهولك في الجزائر صبية      وانماع صخرمن أذاك الطّام  
وتفطّرت أكباد كلّ رحيمة      في الكون حتّى مهجة الأيام

يلجأ الرّبيع بوشامة إلى التكنية كوسيلة بلاغيّة لتصوير أثر ووقع أحداث الثّامن من ماي على الجزائريين، فيعرض شدّة هولها في شكل مشاهد ولوحات حيّة، فمن شدّتها شاب الصبية والأطفال من قبل المشيب، وتفطّرت الصّخر واستحال ذرّات منثورة من شدّة الأذى، وذابت القلوب وتآكلت الأكباد حزنا وحسرة على فقد الأحبة والأولاد والأقرباء، كلّ هذه الصّور البليغة التّركيب تشكّل كنايات مختلفة تصف بشاعة أحداث شهر وشدّة وقعها على البلاد والعباد.

ويوظّف الشّاعر الكناية توظيفا ذكيا حين يعتمد الكناية عن موصوف، لأجل اختصار معان كثيرة واختزالها في عبارات بليغة تحمل معان وإيحاءات شتى، من ذلك قوله:

جزوه بنت حسام إشارة إلى غدر الاستعمار ونكته لعهوده و مقابلة بسالة الجزائريين  
بالسيف والحرب.

رموا بابن الجزائر وهي كناية هنا على الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم فداء للوطن  
أنت بن ذي الأهوال وهي دلالة على شهر الشؤم والنحس شهر ماي الذي اجتمعت فيه  
المصائب متتالية على الشاعر.

### 3- خاتمة:

لقد أفرز تحليلنا الأسلوبى لميمية الربيع بوشامة مجموعة من النتائج أبرزها:

- أسلوب الشاعر والأصوات التي وظفها في قصيدته أعطت انطبعا وتوازنا مع نفسية الشاعر
- التي انغمست في حالة الحزن والحسرة والألم.
- ينسجم الإيقاع النمطي المتمثل في الوزن والقافية (البحر الكامل، الروي الميم) مع الحالة  
الشعورية الطاغية على النص.
- يأتي توظيف الجمل الفعلية والاسمية إضافة إلى أسلوب النفي بتواترهما وتكائفهما ملمحا  
أسلوبيا بارزا في القصيدة له دوره الدلالي وأهميته في إثارة المعاني الإيحائية داخل النص.
- نجح استخدام الاستعارة والكناية في تكثيف الدلالات السلبية ورسم صورة خاصة داخل  
النص، إضافة إلى اعتماد الربيع بوشامة للتشخيص .
- انماز المعجم الشعري للربيع بوشامة بالشمول والكثافة، وقد ارتقى بلغته اليومية إلى لغة  
مشعة بالإيحاء عميقة الدلالة.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، 1988.
2. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 : 6
3. راشد بن حمد الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري، ط1، لندن دار الحكمة، 2004.

4. مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف، إسكندرية، 1987 م
5. جمال قنان، ديوان الشهيد، الربيع بوشامة، جمع وتحقيق، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
6. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1985.
7. عبد السلام المسدي، في جدل الحدائث الشعرية. نموذج المفاصل: مجلة الأقلام، العدد (1)، السنة (21)، 1986.
8. محمّد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة/ 1995 م
9. منذر عياشي مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990.
10. قاسم البريسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري. الآفاق النظرية وواقعية التطبيق، دار الكنوز الأدبية، ط 1، 2000.
11. صلاح فضل نبرات الخطاب الشعري. الطبعة الأولى دار قباء للطباعة والنشر. القاهرة 1998. م.
12. سعيد بورنان نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، دار هومه، الجزائر، 2012.

## الهوامش:

<sup>1</sup> يوسف حامد جابر، النص الأدبي في اللسانيات البنيوية، مجلة علامات، المجلد (7)، الجزء (29)، سبتمبر، 1998 ص: 23.

<sup>2</sup> توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، 1988. ص 81.

<sup>3</sup> سعيد بورنان، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، دار هومه، الجزائر، 2012. ص 186-

<sup>4</sup> سعيد بورنان، المرجع السابق، ص 195

<sup>5</sup> منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1990. ص 7

<sup>6</sup> جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994. ص 55

- <sup>7</sup> توفيق الزبيدي ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، 1988: 81
- <sup>8</sup> قاسم البريسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، الأفاق النظرية و واقعية التطبيق، دار الكنوز الأدبية، ط1، 2000: 188 .
- <sup>9</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص55
- <sup>10</sup> صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط1، 1985: 25.
- <sup>11</sup> جمال قنان، المرجع السابق، ص55
- <sup>12</sup> المرجع نفسه ، ص 55
- <sup>13</sup> المرجع نفسه، ص55
- <sup>14</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984: ص 6
- <sup>15</sup> راشد بن حمد الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري ، ط1، لندن دار الحكمة، 2004. ص33.
- <sup>16</sup> صلاح فضل، نبرات الخطاب الشعري. الطبعة الأولى دار قباء للطباعة والنشر. القاهرة. 1998. ص.193
- <sup>17</sup> جمال قنّان، المرجع السابق، ص 55
- <sup>18</sup> محمّد عبد المطلب، قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة/ 1995 م ص/ 184-185
- <sup>19</sup> جمال قنّان، المرجع السابق، ص 55
- <sup>20</sup> مصطفى السّعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، منشأة المعارف ،إسكندرية ، 1987 م ، ص225
- <sup>21</sup> منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، المرجع السابق. ص 89
- <sup>22</sup> عبد السلام المسدي، في جدل الحدائث الشعريّة، نموذج المفاصل، مجلة الأفلام، العدد (1)، السنة (21)، 1986.
- <sup>23</sup> ديوان الشهيد الزبيح بوشامة، المرجع السابق، ص56.

## الشهيد الحبيب بنّاسي - حياته ونضاله السياسي والأدبي-

the martyr Habib Benassi -His life and political and literary struggle-

طالبة الدكتوراه: باحدي مباركة

أ/د قوني زينب

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

bahdi-mebarka@univ-eloued.dz

ملخص:

في هذه الورقة البحثية سندسلط الضوء على شخصية أدبية كافتت بقلمها وبروحها إلى آخر رمق فيها للدفاع عن وطنها من الاستعمار الغاشم، فأفنت بذلك شبابها بين المعارك والحروب والجهاد؛ ولم تكتفي فقط بالدفاع جسدياً بل دافعت بالكلمة والصوت في كتابات كان لها صدى بين الصحف الجزائرية والعربية، وهي شخصية الأديب الشهيد والكاتب الحبيب بنّاسي، الذي لم يحظ بالتعريف الوافي بين الكتب الجزائرية، كما لم تنل آثاره الأدبية العناية الكافية في الدراسات الجزائرية لإبراز مدى جمالية كتاباته الأدبية التي صورت الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر، ليكون سباقاً في إطلاق شرارة بدايات ظهور القصة الجزائرية والموضوعات الثورية.

الكلمات المفتاحية: الشهيد؛ الأديب؛ بنّاسي، النشاط السياسي؛ القصة الجزائرية؛ حزب الشعب الجزائري.

### Abstract:

In this research paper, our primary objective is to illuminate the literary figure who engaged passionately with his pen, spirit, and intellectual prowess, persevering until his final moments to safeguard his nation from the shackles of colonial domination. His commitment led him to expend his youth amidst the crucible of battles, wars, and resistance, transcending the mere realm of physical defense to employ the power of the written word and

resonating voice. This exceptional persona is none other than the martyr and revered writer, Habib Benassi, a luminary whose comprehensive recognition within the annals of Algerian literature remains notably absent. Regrettably, his literary oeuvre has been somewhat overlooked within the realm of Algerian studies, despite the profound aesthetic appeal of his literary compositions, which intricately delineated the tapestry of social and political life in Algeria. Notably, Benassi stood as a trailblazer in kindling the nascent flame of the Algerian short story and the exploration of revolutionary motifs.

**key words:** Martyr ; Writer; Bennisy; Political Activism; Algerian Short Narrative; Algerian People's Party.

#### مقدمة:

أثارت الثورة الجزائرية قريحة العديد من الأدباء والشعراء، فما كان منهم إلا بثّ صداها وإيصال شرارتها إلى الشعب بالكلمة الأدبية للدفاع عن وطنهم من الاستعمار الذي طالت يده كلّ الأماكن، وكلّ المجالات السياسية، والاجتماعية، والدينية والاقتصادية، وحتى الأدبية منها؛ لإغفال العقول ونشر الأمية في البلاد، فلم يكن لهم إلا صوت القلم الذي دوى صداها كلّ أرجاء العالم، ومع تعدّد سنوات الكفاح تعدّدت أسماء هؤلاء الكتّاب كما تعدّدت معها موضوعاتهم، حيث ظهر اسم الحبيب بنّاسي من الأسماء الجليلة في الكتابات الثورية، ولم يتوقف كفاحه فقط بالكتابة بل كافع ودافع عن وطنه من خلال الجهاد بالسلاح، فصنّف بذلك من الأدباء الشهداء الجزائريين البارزين الذين دافعوا بالقلم والسلاح عن وطنهم، وفي هذه الورقة البحثية كان لزاماً علينا التعريف بهذا الأديب الشهيد وتسليط الضوء على آثاره الأدبية والتعرّف على موضوعاته وأسلوبه الفني في الكتابة.

#### 1. حياته:

"الشهيد الحبيب بنّاسي السّمغوني" كاتب وشهيد من شهداء الثورة التحريرية وأديب موهوب ولد في 13 ديسمبر 1928م، ببوسمغون<sup>1</sup> مدينة المشريّة ولاية النعامة، لما بلغ الثانية عشر من عمره انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري والكشافة الإسلامية فرع مدينة المشريّة،

ظهرت مواهبه الأدبية أثناء نضاله في حزب الشَّعب مبكراً وكذا نشاطه النضالي وخاصةً عندما وقعت أحداث الثامن من ماي 1945م، كان لنشاطه هذا الفضل في أن يتعرّف على شخصيات بارزة في المعتقل بمدينة المشريّة مثل: الشَّيخ العربي التَّبسي، والشَّيخ سعيد الصّالحي، ولما سافر للجزائر العاصمة التقى بالكثير من زعامات حزب الشَّعب، وقد شارك بإلقاء خطب حماسية عندما اشتدَّ الصِّراع بين طرفي حزب الشَّعب حول طريقة مواصلة الكفاح؛ فقد كان الأديب الحبيب بنّاسي يساند الذين طالبوا بالإسراع في الكفاح المسلَّح ففي نظره ما أُخِذَ بالقوّة لا يستردُّ إلا بالقوّة.<sup>2</sup>

كُرِّمَ الأديب من طرف "الرئيس السّابق اليمين زروال بوسام العشير من مصاف الاستحقاق الوطني في حفل كبير جدّاً، وقد كان ذلك سنة 1997م<sup>3</sup> باعتباره من الشَّهداء الأديب الذين ساهموا في الدِّفاع عن الوطن أدباً ونضالاً.

## 2. وفاته:

استشهد الحبيب بنّاسي رحمه الله "في 15 ديسمبر 1956م، وتفيد بعض الشَّهادات أنّه قد استشهد حرقاً، وذلك بعد معركة بين جيش التَّحرير وقوَّات الاحتلال الفرنسي"<sup>4</sup>.

## 3. نشاطه السّياسي:

بدأ الحبيب بنّاسي "يتميّز بنشاطه السّياسي منذ سنة 1954م، وكان ذلك من خلال كتابته لسلسلة مقالات على شكل مراسلات نشرها بصحف تونسية، فكان موضوعها يدور حول الثَّورة واحتضان الشَّعب الجزائري لها، وقد اتصلت به جهة التَّحرير الوطني بعد أن لفت نشاطه الصَّحفي انتباهها له فأوكلته مهمة الإشراف على تأسيس خلية فدائية، وأصبح مرشداً ومنظماً للحركة الفدائية بمدينة سيدي بلعباس، كما شارك في أكبر هجوم شنّه الفدائيون على المدينة في نوفمبر سنة 1956م، والتحق بعد هذه العملية بصفوف جيش التَّحرير في الجبال."<sup>5</sup>

وكان لهذه المقالات الأثر البالغ في لمعان اسمه بين جلّ الأسماء السياسيّة الأخرى؛ فهذه المقالات هي التي دفعت به إلى أحضان التّجمّعات السياسيّة والانطلاق في المسار الثّوري، ليصبح اسمًا بارزًا من أسماء الشّهداء الثّوار الخالدين في ذاكرة الشّعب الجزائري وتاريخ الثّورة العريق.

#### 4. آثاره الأدبيّة:

لكل ثورة من الثّورات العربيّة أو في أرجاء العالم تاريخ ثوري، كما لها تاريخ أدبي يخلّد الأدياء الذين عاشوا تلك المرحلة وحاولوا التّعبير عنها لإيصال صدى صوتهم للعالم سواء كان ذلك في الإذاعات أو الصّحف أو المجلّات، وكان لكلّ أديب وجهة نظر خاصّة به في مفهومه للأدب؛ إلّا أنّ المفهوم السائد في الأدب يتغيّر بحسب السّنوات والمراحل الثّوريّة ومن بلد إلى آخر.

انحصر الأدب في الجزائر إلى ما بعد الحرب العالميّة الثّانية في دراسة الشّعور؛ لذا حاول الحبيب بنّاسي تغيير مفهومه المتعارف عليه في الحياة الأدبيّة وخصوصاً في منابر العلماء، فوصف بنّاسي الأدب بأنه أفكار وخواطر تولّدت من عوامل كثيرة، وتجمّعت في فرد واحد أو في أفراد عدّة.

إنّ وصفه هذا تخطّى حدود الأدب المتعارف عليه بأنّه تعبير عن خوالج تتبادر إلى ذهن الأديب؛ فالحبيب بنّاسي يرى أن الأدب يتعدّى حدود التّعبير عن الذات، بل هو تعبير عن الواقع المعاش بكلّ أبعادها وتساهم الظّروف في تدوينه في شكل آثار أدبيّة، وكثيراً ما يكون الأديب قد عاصر هذه الظّروف أو تشاركها مع مجموعة أخرى من الأدياء أو العامة من أبناء وطنه، وهو بذلك يشير إلى أنّ الظّروف الاجتماعيّة والسياسيّة أسهمت بفاعلية في بلورة شخصيته الأدبية في إبراز حسّ روح الكتابة الأدبيّة عنده للتّعبير عن القضايا الجزائريّة.

كان قلم الأديب الشّهيد بنّاسي خصباً لحسن استخدامه في الدّفاع عن قضيّة بلاده والتّعريف بمآسيها لدى الخاصّ والعام، فأثري الحياة الإبداعية والنقدية التي تعدّ اليوم شاهداً على الثّورة التّحريريّة، "ويقول عنه الأستاذ شريط في كتابه « مباحث في الأدب الجزائري المعاصر » أن الأديب الشّهيد قد ترك عملاً واحداً طبع جزؤه الأكبر بتلمسان عام 1956م، وهو « صرخة القلب » (1ط، 1956م)، (ط2، 1984م)<sup>6</sup> وهو كتاب تضمن حياة الشّهيد الحبيب بنّاسي، كما احتوى على عدّة فنون كالخاطرة والمقال الأدبي والمقال السّياسي، والصّحفي، وعلى لوحات

قصصية"<sup>7</sup>، إذ يعتبرها بعض النّقاد مجرد محاولات في الكتابة القصصية، كما تحدّث عن الرّسم، وله كتابات أخرى تضمّنها هذا الكتاب وتمثلت في:

(«الحبّ» - «أيتها الحبّ» - «حقل الذّكريات»- «شمعة تحترق» - «عواطف وأحلام» - «العصفور السّجين» - «أيتها الرّسام» - «نشيد الوداع» - «أطباق الذّكري» - «من بعيد يا أمّاه»- «من الذّكريات الّتي لا تنسى»- «فضل الزّيتونة على القرويين» - «الدّكتور الشّهيد» - «فاس يوم أوّل نوفمبر» - «فاس يوم 12 جانفي 1951»- «نيران وثلوج» - «أقصصة من الرّيف» - «فلسفة الشّابي» - «انبعاث الأدب الجزائري» - «الحركة الأدبية بالجزائر» - «مأساة أسرة» - «يتيم الأصنام» و«شهداء الأدب والسّياسة» و«دماء ودموع» و«شهاد بلا قبر» و«لبيك يا جمال» و«الإمام عبد الحميد ابن باديس» و«الثّورة الجزائريّة..كيف نشأت»<sup>8</sup>)، و«الحنين إلى الوطن»: نشر هذا المقال بجريدة المنار عدد 45 بتاريخ 1953/07/10م.<sup>9</sup> وبالرّغم من صغر سنّ الحبيب بنّاسي إلّا أنّ تجارب الحياة صقلته جيّدًا فجعلت منه أديبًا متميزًا، ولو لم توافيه المنية سريعًا لكان له صيت كبير في الأدب الجزائري المعاصر.

##### 5. موضوعاته:

اتّصفت كتاباته بالثّراء والجدّ في البحث عن أشكال أدبية جديدة، حيث كان على علم واسع بمسار الأدب الجزائري واتّجاهاته الفنيّة والفكريّة؛ فعالج في خواتمه موضوع الحبّ الّذي كان شبه محظور في عهده<sup>10</sup> وذلك بسبب تأثره بأسلوب جبران خليل جبران، فكتب بضعة قصص تعتبر انطلاقةً لظهور القصّة الجزائريّة المعاصرة على صعيد الموضوع والفنّ فواكب بها أحداث الجزائر الاجتماعيّة والسّياسيّة، ومن بين هذه القصص:

- قصّة "صرخة القلب": تدخل هذه القصّة ضمن القصص السردية أو المقال القصصي، حيث نبّه الكاتب محمد منيع الرّضاء لهذا الكتاب كما أشاد بالكاتب الحبيب بنّاسي؛ فقال: أن الكاتب الحبيب بنّاسي قد بذل جهودًا كبيرةً في كتابتها وضّمّ فيها الحنين والشّوق للوطن والبكاء على فراقه كما واجه الحيرة والألم وذلك عند عودته من ديار الغربة<sup>11</sup> وانصدامه بالواقع المأساوي للبلاد ومعاناة الشّعب في ظلّ هذا الوضع الاستعماري.

لم يتوقف الكاتب الحبيب بنّاسي عن الكتابة في حدود قصّته السّابقة في ظلّ الاستعمار؛ بل واصل الكتابة القصصيّة المبدعة في تونس بعد اختفاء مجلة البصائر التي كان ينشر فيها مقالاته الصحفّية، ولكن توقّفت هذه المجلّة بسبب تفرّق كتّابها على الصّحف الأخرى، ومنها الصّحف التّونسيّة أيام الثّورة، فنشر الشّهد الحبيب بنّاسي ثلاث قصص في جريدة الرّيتونة بتونس سنة 1956م،<sup>12</sup> وهي قصص قصيرة تناولت موضوع السياسة، كما حاول فيها الأديب بنّاسي تصوير بعض جوانب الوضع السياسي في الجزائر بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م<sup>13</sup>، وقد تمثلت هذه القصص في:

- قصة "مأساة أسرة": (وهذه قصة وطنيّة) وصور فيها نهاية أسرة جزائريّة كانت ثريّة، حيث تملك أراضي واسعة وضيعة جميلة وسيارات فاخرة، إلّا أنّ السّلطات الاستعماريّة ألقت القبض على الأب، بسبب بلاغ من بعض من كانوا يحسدونه على ثروته بتهمة أنّه كان يؤوي في بيته مجموعة من المجاهدين نهاريّاً، ويقدم لهم حاجياتهم ومستلزماتهم من قوت العيش والسّلاح، وفي هذه القصة تجلّى أسلوب بنّاسي في الحديث عن كينيّة تفشّي أخبار الثّورة وانصهارها في البيئة الجزائريّة، فمهدّ بذلك إلى تغيير طباع شخصيّاته حيث خلق جواً متوتراً بينهم وبين الوسط المعاش.<sup>14</sup> ففي هذه القصة تتجسد شخصيّة الطّبيب المتقلّبة الطّبائع، حيث بدأ عمّاله يشعرون بجفائه وابتعاده عنهم، ويفقدون بذلك الجلسات الممتعة التي كان ينظمها لهم في بيته، كما كان بيته مقصداً لمجاهدين مجهولين بالنّسبة لسكّان المنطقة، فهؤلاء المجاهدون غرباء عن الدّيار والحيّ ولا يقصدون بيت الطّبيب إلّا في ساعة متأخّرة من اللّيل، ولا يغادرونه طوال النّهار، وعند حلول اللّيل يخرجون؛ حيث لا يعلم أحد مقصدهم مقنّعون ولا يتحدّثون إلّا بالهمس ويرتدون ملابس خاصّة ويحملون أنواعاً من الأسلحة والذّخائر الحربيّة ممّا ولّد رغبة في نفوس الأهالي لمعرفة هؤلاء الغرباء المقنّعين، الّذين لا يخرجون إلّا حين يشتدّ ظلام اللّيل.<sup>15</sup>

- قصة "شهيد بلا قبر": تصوّر هذه القصة شاباً مثقّقاً تحصّل على شهادة اللّيسانس من كليّة الآداب بجامعة القاهرة، وكان يعمل مراسلاً صحفياً للجرائد الوطنيّة الجزائريّة، أثناء تواجده بالقاهرة، ولكنّه ما إن سمع بقيام الثّورة حتّى عاد إلى الجزائر، ولكنّ السّلطات الاستعماريّة

سارعت بإلقاء القبض عليه بتهمة أنّه كان وسيطاً بين القاهرة والثّوار في الجزائر، فأُخذ إلى متاهات السّجن، ولما رفض البوح بأسرار الثّورة قتلوه ورموا جثّته في البحر<sup>16</sup>.

- قصة "الدكتور الشّديد": وهي قصة في سيرة المجاهد الجزائري الحكيم: "بن عودة بن زحرب" وكيفية استشهاده<sup>17</sup>.

كما للأديب بنّاسي قصة في مجلة (هنا الجزائر) ذات عنوان طويل وعاطفي وهو: "صراع بين العاطفة والعقل" أو "دمعة القلب الجريح"، وهي قصة غرامية حزينة ذات حبّ أفلاطوني تنتهي بمأساة<sup>18</sup>، وللشّديد بنّاسي قصصاً أخرى للأديب الشّديد الحبيب بنّاسي تمثلت في:

- قصة "تيمم الأصنام": تصوّر طفلاً فقد والده أولاً، ثم والدته التي هوت عليها جدران العمارات أثناء طوافها بشوارع المدينة بحثاً عن طعام له<sup>19</sup>.

- قصة "الحبّ والشّرف": وهي قصة تصوّر رؤية رومانسيّة عاطفيّة للحبّ في الرّيف الجزائري، ففيها وصف ملامح الشّخصيّة المحوريّة، وقام هذا الوصف بوظيفة رئيسيّة تمثّلت في الكشف عن صفات البطل النّفسيّة والجسميّة، إلّا أنّ هذه القصة اتّسمت بالضعف الفنّي الذي قد يكون سببه اسبابه في الحديث عن حبّ القائد الرّئيسي "نابليون" لزوجته "جوزفين"، وقرار نابليون الثّأر منها عندما علم بخيانتها؛ فقد اتّخذها الأديب بنّاسي عبرة ومثالاً احتذاه عندما اكتشف أنّ خطيبته تخونه مع شابّ آخر، فسارع إلى طلاقها، إلّا أنّ هذا الضّعف في القصة ظهر في خاتمها الوعظية التي جاءت على لسان صديق البطل، وهي بذلك لا تختلف عن نهايات القصص الإصلاحية في المرحلة الأولى<sup>20</sup>.

## 6. أسلوبه الفنّي:

غلب على كتابه "صرخة القلب" الأسلوب الرّوماني القريب من أسلوب الكاتب اللّبناني جبران خليل جبران وخصوصاً في نزعته الثّوريّة، فتعبيره عن الحبّ تميّز برؤية وأسلوب (رومانتيكيين) يغدقان بأفكار جبران، فهذه الألفاظ المشهورة في كتاباته: الهيكل والنّاموس والغيب، والمحراب، والخمر، والمواكب، تكاد لا تخلو منها أيّة خاطرة من خواطر الحبيب بنّاسي<sup>21</sup>، كما كتب

عن الطَّبِيعَة بأسلوب رومانسي حالم، لكنّ هذا الأسلوب تغيّر وصار واقعياً وتجلّى ذلك خصوصاً في مقالاته ومراسلاته التي كتبها في مرحلته الأخيرة.

وأما في قصّة "الدكتور الشهيد" فقد غيّر الحبيب بنّاسي أسلوبه، حيث اتّبع أسلوباً جديداً تمثّل في الغموض الذي يحيط بشخصياته التي لم يكشف عنها للوهلة الأولى؛ بل تركها تكشف عن نفسها بنفسها مع تتابع الأحداث تدريجياً، فملاح الشخصيّة المحوريّة (الطبيب) مثلاً تتغيّر طباعها وهذا التّغيير يعطي دفعةً قوياً للنّاس لمعرفة الأمور الجديدة، كما أنّ شخصيّة (المجاهد) يتخلّلها الغموض؛ باعتبارها أنها تصوّر شخصيّة مجهولة الهوية، وقد حقّق هذا الأسلوب هدفين مهمين هما: الأول تشويقاً شخصيات القصّة للتعرف على هذا الشخص المجهول، والثاني التعبير عن السريّة والحذر اللذان تميّزت بهما الثّورة التّحريريّة، وهذا العمل يعدّ من أساليب العمل الفدائي<sup>22</sup>.

وكل هذه المعطيات تدلّ على أنّ الحبيب بنّاسي كانت له رؤية سبّاقة في مجال الكتابة القصصيّة، كما كان له أسلوب فريد يميّزه عن غيره من الكتاب في ذلك الوقت؛ فهو من الكتاب الثّوار المتفردين بأسلوبه الخاص؛ إذ ابتعد عن التّقليد والتأثر الذي ساد في ذلك الوقت.

## 7. صورة الشهيد وصورة العدو في قصص بنّاسي:

تتميز جلّ الشّخصيات الوطنيّة والثّوريّة في قصص الحبيب بنّاسي بانتمائها إلى أسر ذات سيادة وسلطة وجاه، كما تتصف أيضاً بالثقافة العالية وحسن الأخلاق، حيث يكاد بنّاسي يتفرد بهذا الوصف في تاريخ القصّة الجزائريّة؛ لأنّ معظم القاصّين الجزائريين صوّروا شخصيّة الغنيّ بجانب شخصيّة الخائن- وهو يمثّل العدو أيضاً- الذي يحافظ على مصالحه من أجل زيادة تنمية ثروته بجميع الطّرق والوسائل حتّى وإن كانت هذه الأعمال تضربّ بلاده أو شعبه أو أهله، كما صوّر الكاتب أنّ القضاء على هؤلاء الخونة أمر لا يقل قيمة من القضاء على المستعمر<sup>23</sup>، أو حلفائه المعمرين في البلاد سواء أكانوا مستوطنين أو من خونة المواطنين.

وهذا يعكس الخلفيّة المرجعيّة للكاتب الذي تربّى في كنف التّعليم العالي في مصر، فالدّارس لمثل هذا المستوى في ذلك الوقت ما هو إلّا فرد من أفراد الأسر العريقة وذات جاه في البلاد أو من

مستوى معيشي مرموق كفيل بتدريس أبنائهم خارج البلاد، كما يعكس الخلفية الأيديولوجية للأديب الذي يصر على تطبيق القوة على الاحتلال لأن القوة في نظره هي الحل الوحيد لاسترجاع الاستقلال.

كما اعتمد الحبيب بنّاسي أيضًا في رسمه لصورة وملامح الجندي الفرنسي في قصصه قاعدةً أساسية في نتاجه القصصي، وذلك باعتبار الجندي الفرنسي سيئ الخلق عديم الإنسانية ومتحجر القلب لا يهيمه إلا الافتخار بجبروته ولا يشفي غليله إلا التّعاون مع العدو<sup>24</sup> وإحباط محاولات التّحرّر منه، وهذا يؤكّد أنّ بنّاسي يُكِنُّ كرهًا كبيرًا للاستعمار الفرنسي الذي صوّره في أسوأ صورته داخل كتاباته الأدبية.

## 8. مقتطفات من كتاباته:

لم يحظ النّتاج القصصي للكاتب الحبيب بنّاسي بدراسات نقدية؛ وهذا ما لمسناه من خلال البحث والتقصي، كما لاحظنا أن نصوصه الأدبية أيضًا غير متوفرة، ومن مثال ذلك كتابه "صرخة القلب" الذي لم نجد منه إلا بعض المقتطفات التي سنعرضها من أجل إظهار أسلوبه في الكتابة.

مما جاء في قصّته هذه قصة صرخة قلب: ".....وما كادت تجلس حتّى التفتت إليّ قائلة: هل طالعت مجلّة (المجاهد) لهذا الأسبوع؟ . ... أجبت لا يا أختاه...لم تسمح لي فرصة الرّاحة بذلك لأوّل مرّة.. وحاولت أن تقوم من مكانها ولكنها....."<sup>25</sup>

كما تحدث عن الرّسم بقوله: " من أنت أيّها الرّسم أحياتي أم روحي؟ أم ملك مقدس بعثت به أرواح الجمال من تلك السّماوات الرّوحانية ليخاطب روحي ويعانقها فتمتزجان وتسموان معاً إلى برزخ الأرواح، أم أنت روح فنيس آلهة الحبّ والجمال."<sup>26</sup>، كما هو واضح هنا أسلوبه الرومانسي بامتياز، ويواصل في أسلوبه الرومانسي قائلاً: "شعاع الأرض، أم أنت نجم هوى من العلى ليعيد إلى الأرض تطهارة السماء؟ ما أشقاك أيها الرّسم، وما أشقاني منك، إني أناديك وأهمس بلسان قلبي إلى آذان قلبك لعلك تجيب إلى نداء القلب."<sup>27</sup>

كما يقول أيضًا عن الرسم: " رباہ مالی آخاطب رسما لا يفہم كلامي ولا يردد صدى شكواي وأحزاني في قلبه الفتي، إنك أيها الرّسم الجميل كجمال صاحبك، بعينيه الساحرتين، وأهدابه."<sup>28</sup>

ومن كتاباته عن الطبيعة قوله: " وأنى للجبال أن تصلح، وأنى للهياكل أن ترمم، لقد جئت أتقيل تحت شجراتك الوارقة أيها الحب، واستريح من هذه الأشواط التي قطعتها مع الأجيال، فكانت الذكريات تدفعني، والأمل يرافقني....."<sup>29</sup>.

ويقول أيضًا: " أيها القلب فإن ذلك الماء المقدس الذي أنزلته الطبيعة من سماءها ليطفئ جذوتك، ويكسر من شدة إتهابك، وهو بعيد عنك لا ينوب عنه نائب، لأن ماء هذا القلب المحترق لا يطفئ قلبا آخر."<sup>30</sup>

ويقول متحدثا عن الحبّ: "...الضعيف تحت ستار الإشفاق تارة، وتحت ستار المحافظة على النفس والشرف تارة أخرى، إنها الغريزة، غريزة الذين يتلذذون بألم المتأملين وشقاء المحرومين، إنه الحب، حب امتصاص الدماء....."<sup>31</sup>.

إن المتتبع لحياة الأديب وملاحظته مدى إصراره عن حمل السلاح والدفاع عن الوطن بقوة يعتقد للوهلة الأولى أنّ كتاباته أيضًا سيكون فيها حس الجفاء والعنف؛ ولكن من خلال المقتطفات السابقة يظهر أن الأديب بنّاسي يختلف تمامًا عن المجاهد الثوري، فأسلوبه الرومانسي جليّ جدًا من خلال وصفه للطبيعة والرّسم وكذا في طريقته في التعبير عن الحبّ، وهذا يدلّ على أنّ الكاتب ينتمي للزرعة الرومانسية كما يؤكد تأثره بالأديب جبران خليل جبران صاحب الحسّ الرومانسي الرقيق.

#### الخاتمة:

من خلال التعريف بحياة الأديب الشَّهيد الحبيب بنّاسي نلاحظ أنّ هذه الشّخصيّة لم يسלט عليها الضّوء في الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة، رغم كونها شخصيّة اتّصفت بالجهاد سلاحًا وأدبًا؛ فقد حاول الحبيب بنّاسي تطوير مفهوم الكتابة الأدبيّة متخطيًا بذلك المفهوم السائد للأدب في تلك الآونة ومعتمدًا على ذوقه الفتيّ المتميّز، وقد أخذته رؤيته الجديدة للفن لأن يسير مع تطوّر

الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة في الجزائر، فكان بذلك أوّل من برز في الكتابة عن موضوعات الثّورة والحبّ، كما دعا إلى التّحرّر بالسّلاح فالقوّة هي الوحيدة الّتي ترجع الاستقلال للبلاد، وله محاولات قصصيّة قليلة ينقصها الصّقل؛ مما جعل النّقاد يتجاهلون كتاباته الّتي لم تر النّور؛ إلى أن بادر أخوه أحمد بنّاسي إلى جمع قصصه في كتاب واحد هو "صرخة القلب" منمّا الباحثين إلى وجود أعمال أخيه الحبيب الأدبيّة، فيما تناثرت باقي قصصه بين ثنايا المكتبات أو لظروف أخرى غير معروفة؛ وهذا لا ينفي أنّ لهذه الأعمال أهمية أدبية واضحة.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### الكتب:

1. الحبيب بنّاسي، صرخة القلب، ط2، 1984م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
2. شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنيّة في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، 1954م-1962م، طبعة خاصة، 2007م، دار البصائر، الجزائر.
4. مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، اشراف رايح خدوسي، ج1، منشورات الحضارة.

#### المواقع الإلكترونيّة:

1. موقع جزايريس اليوم، لقاء مع الأديب أحمد بنّاسي في حصة هذا المساء، الساعة: 19:22، <https://www.djazairiss.com>
2. موقع موسوعة أعلام الجزائر، منتدى الشخصيات الجزائرية/اللغة الجزائرية، 16 سبتمبر 2011م، الحلقة التاسعة والعشرون، الساعة: 19:01 <https://www.4algeria.com>
3. موقع يهتم بتراث جوهرة الجنوب الوهراني بالجزائر (ابراهيم سلامي)، 2010/12/05م، المصدر جمعية أقلام المشريّة، الساعة: 16: 20 <http://brahimsalami.blogspot.com/2010/12/blog>

## الهوامش:

- <sup>1</sup> - مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، اشراف رايح خدوسي، ج1، منشورات الحضارة، ص 377.
- <sup>2</sup> - ينظر، موقع يهتم بتراث جوهرة الجنوب الوهراني بالجزائر (ابراهيم سلامي)، 2010/12/05م، المصدر جمعية أقلام المشرية، الساعة 20:16، <http://brahimsalami.blogspot.com/2010/12/blog>
- <sup>3</sup> - موقع جزائريس اليوم، لقاء مع الأديب أحمد بناسي في حصة هذا المساء، الساعة: 19:22 ، <https://www.djazairess.com>
- <sup>4</sup> - موقع (ابراهيم سلامي)، 2010/12/05م، المصدر جمعية أقلام المشرية، الساعة 20:16 <http://brahimsalami.blogspot.com>
- <sup>5</sup> - موقع موسوعة أعلام الجزائر، منتدى الشخصيات الجزائرية/اللغة الجزائرية، 16 سبتمبر 2011م، الحلقة التاسعة والعشرون، الساعة: 19:01 <https://www.4algeria.com>
- <sup>6</sup> - مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص 377.
- <sup>7</sup> - شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1985)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 1998م، ص 114.
- <sup>8</sup> - الحبيب بناسي، صرخة القلب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984م، ص 173-176
- <sup>9</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 115.
- <sup>10</sup> - ينظر، شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947-1985)، ص 114.
- <sup>11</sup> - ينظر، د. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، 1954م-1962م، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2007م، ص 480.
- <sup>12</sup> - ينظر، المصدر نفسه، ص 480.
- <sup>13</sup> - ينظر، شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ص 115.
- <sup>14</sup> - ينظر، المرجع نفسه ص 116.
- <sup>15</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 116.
- <sup>16</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 115.
- <sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص 116.
- <sup>18</sup> - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 481.
- <sup>19</sup> - ينظر، شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، ص 115.
- <sup>20</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 115.
- <sup>21</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 114.
- <sup>22</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 116.
- <sup>23</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 116.
- <sup>24</sup> - ينظر، المرجع نفسه، ص 117.

<sup>25</sup> - الحبيب بنّاسي، صرخة القلب، ص 83.

<sup>26</sup> - موقع موسوعة أعلام الجزائر، الساعة: 19:01 <https://www.4algeria.com>

<sup>27</sup> - الحبيب بنّاسي، صرخة القلب، ص 54.

<sup>28</sup> - المصدر نفسه، ص 55.

<sup>29</sup> - المصدر نفسه، ص 27.

<sup>30</sup> - المصدر نفسه، ص 35.

<sup>31</sup> - المصدر نفسه، ص 45.

## القصة الجزائرية القصيرة- المفهوم والتصورات-

مقاربة سوسولوجية لقصة "الشيخ زروق" للكاتب أحمد رضا حوحو

**The Algerian Short Story "The concept and perceptions" are a  
sociological approach to the story of sheikh Zarouk by "Ahmed Reda  
Houhou"**

ط د / مباركية شيماء

أ د / نوال بومعزة

قسم لغة وأدب عربي- جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي (الجزائر)

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده جامعة الوادي.

mebarkia-chaima@univ-eloued.dz

ملخص:

عرفت الجزائر سنوات عديدة من الاستعمار الذي سبب تدهورا شاملا في جميع المجالات:  
السياسية والاقتصادية والسياحية والأخلاقية... لذلك انتفض أدباء الجزائر في محاولة منهم لتبليغ  
القضية الجزائرية للمحافل الدولية والالتزام بقضايا الواقع وما يمليه من ضرورة ماسة لفك  
مشكلاته العويصة تجاه الآخر المستعمر، فكانت تضحيات هؤلاء بالنفس والنفيس في سبيل  
تحرير الوطن بالقلم وتبليغ رسالة نبيلة ظلت صامدة تشهد لهم بالشرف والشجاعة أمثال العربي  
التبسي وأحمد رضا حوحو وغيرهم كثيرون، وفقا لهذا يطرح الإشكال الآتي: إلى أي مدى ساهمت  
إبداعات الأدباء الشهداء شعرا ونثرا في تقرير مصير الجزائر بعد عقود من الاستيطان العثماني  
والفرنسي على حد سواء؟.

الكلمات المفتاحية: الأدباء الشهداء؛ الإلتزام؛ النقد الاجتماعي؛ القصة القصيرة؛ أحمد رضا  
حوحو.

## Abstract

Algeria witnessed many years of colonialism which caused a great devastation in various domains of life: political, economic, touristic and ethical. Due to this, the Algerian writers protested in order to universalize the Algerian cause in the universal festivals. They aimed to depict reality problems as they are and how to solve them in the existence of colonialism. They, as the martyrs sacrificed everything in search for freedom and establish it in reality in Algeria. They are hence, a symbol of bravery and honour like, Sheikh Laârbî Tebessi, Ahmad Ridha Houhou and many others. So, to what extent the Algerian literature, poetry and prose contributed in deciding Algeria's destiny after decades of the Ottoman colonialism and the French colonialism alike?

**Key words:** The martyr writers, commitment, social criticism, the short story, Ahmad Ridha Houhou.

مقدمة:

مثلت ظاهرة الالتزام قضية هامة من قضايا النقد الأدبي الحديث، إذ يقارب النص وفق مدى انعكاسه على قضايا الواقع وتصويرها، وأدب الشهداء صورة حية على انعكاس الواقع في الأدب، إذ راح هؤلاء يصورون الحياة الاجتماعية في ظل التواجد الكولونيالي في الجزائر ومدى تأثيرها السلبي على بنية المجتمع، لذلك مثلت آداب هؤلاء انتفاضة لرد ما تم نهبه بالقوة، وقد مثل أحمد رضا حوحو أحد الأدباء الذين كان لهم صيت ذائع في تقرير مصير الجزائر في مجموعة قصصية عنونت بـ "نماذج بشرية" شهدت على تضحيته في سبيل الوطن والالتزام بطوارئه التي يفرضها الراهن.

### 1- الأدب في علاقته بمقولات النقد الأدبي الحديث

لا شك أن المنهج النقدي الحديث ببعديه الداخلي والمقامي يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقا من العناصر التي تقوي طريق فهمه وتفسيره والاستنباط منه، ذلك أن العلم

بخلفيات النصوص وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها ينفي الاحتمالات والتفسيرات التي تختلف حسب طبيعة النص ذاته.

والمناهج الخارجية هي المناهج التي عاينت النص من خلال إطاره التاريخي، الاجتماعي، أو النفسي، وتؤكد على السياق العام للمؤلف ومرجعياته، فالمنهج الاجتماعي خصيصا يقارب النص في علاقته بسياقه الاجتماعي، فقد ساهم في ظهوره وتلقيه مجموعة من النقاد أهمهم: جورج لوكاتش، جوليا كريستيفا، كارل ماركس، جون ستيوارت.. ممن آمنوا بانعكاس الأدب على قضايا الواقع.

### 1-1- النقد الاجتماعي: المفهوم والمصطلح

المنهج الاجتماعي من أهم المناهج السياقية التي ظهرت في فرنسا في بدايات القرن التاسع عشر: «منذ أن أصدرت مدام دي ستايل Mme de stael كتابها الموسم ب "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" عام 1800، فأدخلت بذلك المبدأ القائل بأن الأدب تعبير عن المجتمع»<sup>1</sup>، يعد الأدب نشاط إنساني، يسعى جاهدا ليقدم نفسه في الإطار الاجتماعي الذي أنتج فيه، فالأديب لا يعيش في فراغ خارج حدود الزمان والمكان إنما يعيش بالقوة في مجتمع ما تتصارع فيه القوى وتتناقض، فهو ينتهي إليه بالضرورة، مما يفرض عليه النأي عن الفردية والانغلاق على النص في صورته النسقية، وقد عملت الواقعية الاشتراكية مع كارل ماركس وغيره ممن وقفوا في وجه الرأسمالية على بلورة أسس المنهج الاجتماعي الذي يربط بين النتاج الأدبي بأنماطه وأنواعه المختلفة، ولعل أهم القضايا الاجتماعية والنقدية التي أثارها هذا المنهج قضية الالتزام أو ما يسمى بمبدأ الفن للحياة الاجتماعية، فكيف يتفاعل الأديب مع قضايا مجتمعه وهل له القدرة على إحداث تغيير لواقع مأساوي كولونيالي؟

والمنهج الاجتماعي في حقيقته هو: «إعادة قراءة ثورية ولدت قوى بدت جديدة وربما كانت كامنة أو مخبوءة»<sup>2</sup>، فهذا المنهج يربط النص بسياق إنتاجه الاجتماعي، الذي يتيح للقارئ إدراك

العلاقة بين الأديب وواقعه، الذي يلتزم طوعا أو كرها بالأحداث والوقائع الراهنة ويتأثر بها فيبدع على منوالها.

## 2-1- آلياته تطبيق المنهج:

ينطلق المنهج الاجتماعي من مبدأ مفاده أن: «لكل مجتمع بنيتين، دنيا: ويمثلها النتاج المادي المتجلى في البنية الاقتصادية للمجتمع، وعليها: وتمثلها النظم الثقافية والفكرية والسياسية المتولدة عن البنية الأساسية الأولى، وأن أي تغيير في قوى الإنتاج المادية وعلاقاته لا بد أن يحدث تغييرا في العلاقات الاجتماعية والنظم الفكرية. وصحيح أن الخطاب الأدبي أو الفني ينتهي على وفق النظرية الماركسية إلى البنية العليا للمجتمع، وهو منعكس عن البنية الدنيا ومتأثر بها، إلا أنه صحيح أيضا أن مهمة الأديب لا تقف عند حد تصوير الواقع مجردا أي تسجيله وإنما يتعدى التصوير إلى الاختراق والنفوذ إلى بنيته التحتية وكشف ما يكتمل نسيجه من صراعات»<sup>3</sup>، فالنقد الاجتماعي يقوم بمقارنة النصوص الأدبية وفق مرحلتين، يهتم في الأولى بالواقع الملموس من قضايا طارئة وانشغالات اجتماعية وسياسية واقتصادية.. ثم يقوم في مرحلة لاحقة برصد تأثيرها على عالم الأفكار والمعرفة والأدب على حد سواء، فالعلاقة بينهما جدلية يستدعي حضور البنية الواحدة حضور الأخرى بالضرورة في عملية الفهم والتفسير ثم التأويل في مقام آخر، لذلك نجد الأديب يلتزم بقضايا الراهن، ويحاول طرحها في قوالبه الفنية حتى يكون مثقفا عضويا ينشغل بقضايا أمته، على اعتبار أن الأديب ابن بيئته يخترق مضمراته ويبرزها للقارئ.

## 2- القصة الجزائرية القصيرة ونقد الواقع الاجتماعي

بلغ التطور الأدبي والنقدي الساحة الجزائرية متأخرا بعض الشيء بسبب الأحداث المتتالية على الوطن من قبل الاستعمار العثماني والفرنسي، فقد: «شهد الشهر السابع من سنة خمس وعشرين من هذا القرن ميلاد القصة الجزائرية على يد محمد السعيد الزاهري الذي نشر في جريدة "الجزائر" محاولة قصصية عنونها "فرنسا والرشد". ومنذ ذلك اليوم والقصة الجزائرية تدرج، ثم تحبو، ثم تنهض على ساقيها، ثم تتطور بها الحياة، وتتقدم بها السبيل إلى غاية الفن القصصي

خطوات شاسعة. فقد وجدنا هذه القصة تخطو خطوات خجولة طورا، وجريئة طورا آخر على أيدي محمد السعيد الزاهري، ومحمد العابد الجلاي، وأحمد بن عاشور، وأحمد رضا حوحو، ثم أبي القاسم سعد الله، فهؤلاء الخمسة أسهموا حتما في بناء هذا الصرح الضخم<sup>4</sup>، ويبدو أن الاستعمار لم يكن عائقا لهؤلاء لدفع عجلة التطور الاستومولوجي في البيئة العربية عموما والجزائر بوجه الخصوص، إذ لا تنفك القصة الجزائرية القصيرة تنتشر في رحاب العالم العربي والغربي، من خلال الترجمة والطباعة اللذان ساهما بطريقة أو بأخرى في رواج الأعمال الأدبية الجزائرية.

## 1-2- البنية السطحية للقصة

يبدأ الجانب الإجرائي في تحليل القصة القصيرة للكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو الذي ينطلق في هذه القصة الموسومة: "الشيخ زروق" في نقد لاذع لفئة اجتماعية تأثرت بالفساد الكولونيالي وباتت تنشره في المجتمع المحلي الشعبي، يقول: «الشيخ زروق رجل في العقد السادس من عمره، ضخم الجثة، كثيف اللحية، أسمر اللون، ذو مهابة ووقار، يخشاه الناس ويحترمونه، تدور حول سيرته شبهات لم يصدقها إلا نفر قليل؛ حيث يهتمونه بالقيام بأعمال مالية غير مشروعة ويقولون أن في استطاعته أن يحرم الابن من إرث أبيه إذا ما قدم له مبلغ من الأوراق المالية... ولكن أغلبية مواطنيه تعتقد أنها مجرد إشاعات كاذبة يروجها حساد الشيخ وناكرو فضله، فهو لا يعرف سوى داره، والمسجد، والطريق بينهما»<sup>5</sup>، يمثل الشيخ زروق صورة السلطة الفاسدة التي تستدعي تدخلا سريعا للكف عن انتشارها في المجتمع، إذ يبرز الكاتب مقام من مقامات تواطؤ المعرفة مع السلطة في أعمال التخريب ونشر الفساد الأخلاقي، ويبدو أن الشيخ زروق الشخصية البتلة في القصة مصدر السلطة الدينية القابعة في أعمال لا أخلاقية يستوجب إزاحتها ومحاربتها، وإن صعب الأمر فمكافحة السلطة الدينية تستوجب وعيا دينيا أعمق من اعتقاد السلطة ذاتها، إذ يصدق فيه قوله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة/ 205].

ومن ترسبات السلطة الحاكمة الفاسدة في المجتمع الجزائري يستطرد رضا حوحو فيقول:  
«وما كادت زوجة الساذج تعي هذه المواعظ حتى تأثرت وخشيت بطش ربها ونقمه إذا ما صدت هذا  
الرجل الصالح عن القيام بأعماله الربانية، وانهالت على يده تقبلها وهي تردد: ربنا يبقيك ويحيطك  
بعنايته يا سيدي، حقا أن هذه الدنيا لا تساوي جناح بعوضة»<sup>6</sup>، وفي هذا المقام تبرز المصالح  
المشتركة بين السلطة والشعب، فعند فساد الأولى تتأثر الثانية بالضرورة، فيساهم كلاهما في  
تعميم الفساد الديني والأخلاقي وهضم حقوق الفئات المستضعفة في المجتمع، فيقع الظلم وتنتج  
فئات اجتماعية متناحرة.

وفي مقام آخر، ينوه الكاتب إلى قضية "الرشوة" الاجتماعية التي تتسبب في خلق التمايز  
الطبقي في المجتمع الواحد، يقول: «ترجع الشيخ زروق على سجداته بعد ما قام ببعض الصلوات،  
وما كاد يستقر به المقام حتى تقدم نحوه شاب في ربيع الحياة رحب به الشيخ وانكب هذا على يده  
يلثمها، وفي نفس الوقت دس فيها شيئا رمقه الشيخ بنظرة فاحصة حتى إذا ما تأكد من ارتفاع  
قيمه أسرع إلى إخفائه في طيات جيبته الفضفاضة وقابل هذه التحية بابتسامة لطيفة، وأقبل على  
الزائر يسأله ويمزحه وهو يتوسم الخير العميم من ورائه»<sup>7</sup>، فالرشوة ظاهرة اجتماعية متفشية  
في المجتمع تدفعه للتدهور والانحطاط لأنها تدفع لأشخاص بغير وجه حق للقيام بأعمال دينية،  
فهي نوع من السحت الذي يهلك صاحبه وواقعه، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن الراشي  
والمرتشي كلاهما تسلط عليهم اللعنة في الدنيا والآخرة، ويقول عز وجل فيهم: ﴿وترى كثيرا منهم  
يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون﴾ [سورة المائدة/62]، ثم يواصل  
السارد تسليط الضوء على فساد السلطة الدينية في زمن ما، فبالإضافة إلى الاحتلال العسكري  
والسياسي الفرنسي على الأرض، ما خلق نزعة تشاؤمية مأساوية مست طبقة مناقضة لهذه الآفة  
التي تمس بالأدب والفطرة السليمة للفرد المسلم المعتقد اعتقادا سليما بالدين والأخلاق الذاتية  
والاجتماعية على حد سواء، فكانما يقول "أينما تكون المصلحة فثمة شرع الله"، فهذا الانزلاق  
الأخلاقي تسبب في أضرار اجتماعية مست أعلى سلطة المتمثلة في الدين والعقيدة، يقول حوحو:  
«استمر الشاب يقول: ورثت أختي قسطا وافرا من مخلفات الوالد وهي الآن تنفق من ريعها على

ابنها ولا مانع لدي في ذلك، ولكن إذا ما أدركتها الوفاة يوما- وهي مصابة بمرض خطير استعصى  
علاجه على الأطباء- فإن ابنها يرثها؟

- وما في ذلك شك، يرثها، حقه يا بني لا يمنعه مانع

- وبهذا يستولي هذا الأجنبي على جانب كبير من ثروتنا ومخلفات والدنا

وسكت الشاب، فقد اختنق صوته، ولكنه تشجع أخيرا وقال: إني أريد منع هذا الولد من إرثنا..

استغرق الشيخ في لجة من التفكير دامت بعض ثوان، ثم قال: إنك قادم على أمر خطير.. إنك قادم  
على منع وارث شرعي من إرثه الشرعي

نعم يا سيدي، أنا أعرف جيدا ما أنا قادم عليه، وإني مستعد لدفع اللازم لذلك...

الحقيقة أن هذا الطفل يعد أجنبيا دخيلا على أسرته<sup>8</sup>، يحاول السارد من خلال هذا  
المقطع القصصي رسم معالم الصراع الاجتماعي وبروز الطبقة الاجتماعية من خلال تصوير  
طبقة ظالمة تتمثل في الشيخ زروق والشاب كعينة من عينات الفساد الأخلاقي، ثم طبقة أخرى  
مستضعفة تتمثل في الأخت وابنها اليتيم ممن يتشبثون بخيط أمل أن تتحسن أوضاع الراهن،  
لذلك يتدخل الكاتب الملتزم في السعي لإيجاد حلول لهذه المظاهر بعد الكشف عن الأسباب التي  
أدت إلى لجوء تلك الفئة إلى الأعمال غير الشرعية بالرغم من معرفة مؤثراتها السلبية على الفرد  
والمجتمع.

ومن الواقع الاجتماعي المنحل ينفذ الكاتب إلى تصوير الواقع الاقتصادي المتدهور الذي  
أرخب ستاره على الواقع آنذاك، فكان الإنسان خرج من حرب سياسية دامية بشق الأنفس فصادف  
لعنة المسؤول التي فاقت لعنة المستعمر أضعاف مضاعفة، والجلي أن وضع البنية الاجتماعية  
يتأثر مباشرة بالبنية الاقتصادية، بوصفها بنية كبرى تتحكم في مجموعة أخرى من البنى المندرجة  
تحتها المتمثلة عرضا في: البنية السوسولوجية، السيكلوجية، الاستومولوجية، فالأدب  
الجزائري بطبيعته: «لا يبتعد عن مخاض الأحداث التي يعيشها المجتمع الجزائري، بل إن روحه لا

تحيا إلا بالاحتكاك بالواقع وقضاياها<sup>9</sup>. والجدير بالذكر أن استمرارية الأدب وحياته ترتبط بمباشرة اهتمامه بقضايا الراهن وطرحها على اعتبارها قضايا تحدد مصير الفرد والمجتمع على حد سواء، إذ ساهم الأدب في تنشيط الحركات التحررية والانتفاضة من أجل الحرية الفكرية والاعتقادية والعيش الكريم، فالكولونيال تسبب في إحداث فجوة بين الفرد وواقعه، فابتعد عن القيم والمبادئ التي كانت سائدة، وبات يحارب المجتمع مساندا للكولونيال، فكانت القصة بقلم أحمد رضا حوحو خير دليل على مدى الانحطاط الأخلاقي والديني الذي بلغه الفرد الجزائري خاصة.

وفي مقام آخر يسخر الكاتب أحمد رضا حوحو من الواقع الجزائري الذي بات خاضعا لا يرفض الوقائع والأحداث السلبية التي يتسبب بها سادة المجتمع وساسته، فالفرد الجزائري يعاني شقاء في الوعي والإدراك تجاه مجتمعه، يقول: «النجاح! هذا أمر ليس فيه أدنى شك ولا ريب، أنا لا أقدم إلا على القضايا الناجحة، لم أعود عملائي الفشل ولو مرة واحدة... فأنا في هذه الأيام القريبة ملكت زوجا من ثروة زوجته بعملية بسيطة، ثم طلقها عليه، وهو اليوم ينعم بالمال والحرية، ولكنه دفع لي ضعف ما طلبت منك تقريبا، والحديث بيننا طبعاً... فأنا يا ابني أعمالي متقنة والحمد لله... ثم لا تنس ما قاله الرسول ﷺ: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان"<sup>10</sup>، فشقاء الوعي معناه أن يفقد المرء ثقته بمجتمع من المفروض أن يحس بالأمن والانتماء إليه روحيا وجسديا، في حين يمارس المسؤول سلوكيات مزرية تمس بقيمة هذا المجتمع وتشكك في قدرته على التحرر من براثن هذه الحرب الأهلية التي يشنها المجتمع ضد أفراده والأفراد ضد هذا الكيان الاجتماعي، فهذا الشذوذ الاجتماعي، وغيره من القضايا الهامشية التي باتت تهدد الواقع الجزائري بوصفه مجتمعا بات يعاني أزمة الوعي الشقي بشكل متفاقم عما كان عليه سابقا بعد النكبات المتوالية على أصل بنيته الاجتماعية على اعتبار أنه: «تعالم مطلق يلقي بالمؤمن في غياب مزدوج: فهو يدفنه في الماضي مثلما يرمي به نحو المستقبل... بين الإيمان واليأس، فانه يجعل الشقي غريبا عن ذاته، خارجا عن الزمن»<sup>11</sup>، فالفرد العربي عامة والجزائري خاصة اغترب عن واقعه أثناء وبعد الكولونيال الذي ساهم في هذا التأسيس لهذا الاغتراب وتنصل الشعب من الواقع الذي استقبل من القضايا ما لا تبيحه الثقافة الجزائرية ولا تعترف به.

ويضيف أحمد رضا حوحو في هذا السياق : «نهض الشاب متأملاً مضطرباً وبقي الشيخ مسروراً بذكر الله وحده، ثم قام يعد نقوده مرة ثانية، وما كاد ينتهي حتى دوى في المسجد صوت أذان الظهر، فأسرع الشيخ في إخفاء تلك الرزمة من الأوراق في جيب محكم، وقام يستعد لصلاة الظهر وهو يتذكر ما بقي لديه من المعاملات ويقدر في نفس الوقت ما ستدر عليه من الأرباح...»<sup>12</sup>، حاول الكاتب في هذا المقطع القصصي الربط بين الإبداع الأدبي وحركة المجتمع الجزائري، إذ تجلى هذا الربط الوثيق بين البنيتين الأدبية والسوسيولوجية من خلال التطرق لمثل هذه القضايا الشائكة، كالرشوة وأكل السحت والنهب والتسلط على الطبقة الكادحة المستضعفة، ويعتبر الشيخ زروق صورة مصغرة عن مجتمع مليء بمثل هذه السلوكيات، رغم النظرة الساخرة للسارد، إلا أنها توحي بأن التزامه الاجتماعي يصدر عن رؤية واقعية اشتراكية تطمح لتغيير مصائر الطبقة التي ينتهي إليها.

## 2-2- البنية العميقة للقصة

ينجم عن البنية السطحية بنية عميقة تتمثل في المضمرة التي يسعى الكاتب أحمد رضا حوحو إلى بلوغها من خلال قصته القصيرة الموسومة: "الشيخ زروق"، فالكاتب ينقد من خلال شخصية الشيخ زروق نماذج السلطة الفاسدة ويسعى إلى تقويضها من خلال إضاعات نقدية تسعى إلى الكشف عن خبايا السوسيولوجيا الجزائرية إبان الثورة، وتبيان مدى الواقع المأساوي الذي بلغه الفرد الجزائري.

ثم في مقام آخر يسعى الكاتب إلى توطيد العلاقة بين الأديب وواقعه: «الأدب هو الإنسان، بكل ما للكلمة إنسان من معنى، لأنه يصدر عنه، ويعود إليه، ويتحدث عن همومه وشؤونهم ومشاغله وهو، في كل ذلك انطلاق حر لا يمكن تحديده، لأن النفس الإنسانية بعيدة الغور، مترامية الأبعاد، ومن العسير قوننتها وإخضاعها للتحليل العلمي الصرف. ومن المستحيل حصر الأدب في حقل الفكر الموضوعي، وتجريده من الارتعاشات الذاتية التي تعطيه بعده الإنساني، وجماله، وديمومته»<sup>13</sup> فالأدب فن لا يخضع لسلطة معينة، إنما هو ثقافة وتاريخ، كما هو ذاتية كاتب وتأويل قارئ، يفتح على مجالات مختلفة يبدأ فيها بفهم الواقع وتفسيره، إذ لا يحدث الأدب

إلا في سياق اجتماعي، إذ أكد نقاد الاجتماع على أن الوضع الطبقي للأديب يحتم عليه أن يحمل أفكار طبقته ويتناول همومها ومواقفها، وهذا: «يمكن أن تصنف القصة الجزائرية المعاصرة، بمضمونها الراقي، وبتقنياتها الحديثة أيضا، وبنزعتها الإنسانية التقدمية، في التراث القصصي الإنساني ذلك بأن القصص التي تترجم إلى بضع لغات من اللغات الكبيرة لا يجوز أن تعد غير عالمية التأثير»<sup>14</sup>، فالمضمون الاجتماعي المحلي للجزائر لم يمنع القصة القصيرة الجزائرية من تجاوز حدود الوطن إلى مصاف العالمية، إذ تعتبر من أرقى الكتابات التي وثقت علاقة الكاتب بمجتمعه من جهة، ثم علاقة النص بسياقات إنتاجه السوسولوجية التي أثبتت قدرة الأدب على الانفتاح والتلاقح مع مختلف المجالات.

وعلى هذا الأساس ترتبت عن البنية العميقة العليا مجموعة من الأهداف والرؤى التي من شأنها التأثير في البنية السطحية ومحاولة تغييرها تتمثل أهمها في لفت الانتباه حول الفساد الذي ينشره المسؤول ومدى الأضرار المترتبة عنه للذات والواقع.

#### خاتمة:

القصة الجزائرية القصيرة من أهم الفنون الأدبية التي تعرف بالأعمال الجزائرية التي تتجلى في أعمال أحمد رضا حوحو، أبو القاسم سعد الله، الشيخ العربي التبسي...، إذ عرفت في ظروف معقدة أخرجت من رواجها وتطورها لتلحق بنظيرتها الغربية.

أدب الشهداء وصمة شرف وعرفان بالجميل لأدباء شهداء ضحوا بالنفيس من أجل الالتزام بقضايا الواقع الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي، وتصوير الواقع المأساوي الذي آلت إليه الجزائر جراء التدخلات العسكرية والسلطة السياسية الفاسدة التي خلقت فجوة عميقة بين المرء ووطنه.

تعرض أحمد رضا حوحو لقضية اجتماعية أخلاقية شائكة، تتسبب بطريقة أو بأخرى في فساد البنية الاجتماعية وتلفها في ظل الممارسات غير الشرعية التي يمارسها أصحاب المراتب العليا والسلطات في الجزائر في مرحلة حرجة من تاريخ الجزائر.

يمثل النقد الاجتماعي صورة صادقة لمبدأ "الأدب في خدمة الحياة الاجتماعية"، فالأدب إضافة إلى بعده الإمتاعي يمتلك بعدا براغماتيا يطرح من خلاله قضايا الواقع الطارئة في شكل نصوص تأثيرية تترك بصمتها في ذات القارئ كما تبث في الفرد ضرورة التغيير لضمان انتعاشة سوسيوولوجية ناجحة في إدراك ملابسات الراهن والوعي بتأثيراتها السلبية والايجابية على المجتمع.

ساهم النقد السوسيوولوجي في نجاح حركات التحرر القومي من الاستعمار في مختلف بلدان العالم العربي لاسيما مصر والعراق والجزائر، مع مجموعة من النقاد العرب والجزائريين على رأسهم: حسين مروة، وعبد الله الركيبي، وأبو القاسم سعد الله.

قسم النص القصصي بعنوان "الشيخ زروق" إلى بنيتين الأولى دنيا تتمثل في الاقتصاد والمجتمع، ومختلف القضايا المترتبة عن هذه البنية، وأخرى عليا تمثل عالم الأخلاق والأفكار، التي تساهم في تغيير معطيات الأولى بالضرورة.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد رضا حوحو: الشيخ زروق، ضمن كتاب: نماذج بشرية، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، دط، دت، مصر.
2. انطونوانيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2013.
3. بسام قطوس: دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، كلية الآداب، جامعة الكويت.
4. جاك دريدا: هوامش الفلسفة، تر: منى طلبية، دار التنوير، بيروت، ط1، 2019.
5. عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990.
6. نوال بومعزة: إضاءات نقدية في السرد الجزائري، ألفا للوثائق، عمان، ط1، 2022.

## الهوامش والإحالات:

- <sup>1</sup> بسام قطوس: دليل النظريات النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، كلية الآداب، جامعة الكويت، ص50.
- <sup>2</sup> المرجع نفسه، ص50.
- <sup>3</sup> المرجع السابق، ص52.
- <sup>4</sup> عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1990، ص07.
- <sup>5</sup> أحمد رضا حوحو: الشيخ زروق، ضمن كتاب: نماذج بشرية، مؤسسة هندراوي للتعليم والثقافة، دط، دت، مصر، 10.
- <sup>6</sup> القصة، ص11.
- <sup>7</sup> القصة، ص12.
- <sup>8</sup> القصة، ص13.
- <sup>9</sup> نوال بومعزة: إضاءات نقدية في السرد الجزائري، ألفا للوثائق، عمان، ط1، 2022، ص91.
- <sup>10</sup> القصة، ص ص14/13.
- <sup>11</sup> جاك دريدا: هومش الفلسفة، تر: منى طلبية، دار التنوير، بيروت، ط1، 2019، ص73.
- <sup>12</sup> القصة، ص14.
- <sup>13</sup> انطونوانيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2013، ص09.
- <sup>14</sup> عبد الملك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، م س، ص09.



هاتف : 032 14 84 00

[imp2.mansour@gmail.com](mailto:imp2.mansour@gmail.com)

جميع الحقوق محفوظة

الإبداع القانوني

ISBN : 978-9969-9718-0-4

سنة الإصدار : جانفي 2024

**سلسلة أبحاث في الأدب الجزائري ونقده رقم 04**